دِيوَانُ الأعْشَى الكَبِير

مَيمُون بن قَيس

الأسود بن المنذر واحد من إخوة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ـ وكان إخوته كثيراً، زعم الرواة أنهم كانوا أحد عشر أخا . وأم الأسود من تيم الرباب(١) وقد بعثه النعمان عليهم فكان ملكهم(٢) وفى القصيدة إشارة إلى خروجهم عليه ، وقتاله لهم حتى دخلوا فى طاعته . وللأسود وقعة مشهورة ببنى محارب بن خصفة (من قيس عيلان) أشار إليها الشاعر كذلك فى هذه القصيدة . وكان ذلك بسبب قتل الحارث بن ظالم المرى (من ذبيان) لابنه شرحبيل ، فى قصة طويلة . فأوقع الأسود ببنى ذبيان وبنى أسد أولا ، ثم وجد نعل ابنه بعد ذلك فى موضع من بلاد بنى محارب فقال لهم : سأحذيكم نعالا . فأحمى لهم الصفا التى بصحراء أضاخ ، حيث وجد نعل ابنه ، وسيرهم عليها فتساقط لحم أقدامهم . ويقول الرواة إن الأسود حين أغار على الحليفتين « أسد » و « ذبيان » أصاب نعما وأسرى وسبايا من بنى سعد بن ضبيعة قوم الأعشى ، وكان الأعشى غائباً عن الحى . فلما قدم وجد الحى مباحا . فأقبل على الأسود وأنشده هذه القصيدة ، وسأله أن يهب له الأسرى ويحملهم ففعل(٣) . والقصيدة من أجود شعر الأعشى . وقد اختلف الرواة فيها وفى قصيدته (ودع هريرة إن الركب مرتحل) أيهما هى المطولة .

يقول الأعشى :

١ — فيم وقوف الرجل الكبير يبكى ويتساءل بالأطلال

٢ — وهو يعلم أن الدمنة القفرة التى تعبث بها رياح الصيف لا ترد السؤال

* * *

٣ — إليك عنى أيتها الذكرى ، فليس هاهنا مقام جبيرة أو رسولها الذى يطرقنا بالأهوال

٤ — فأنا فى أهلى بين « بطن الغميس » و « بادولى » وهى فى أهلها الذين ارتحلوا شمالا إلى « السخال »

٥ — ترتعى « السفح » و « الكثيب » و « ذاقار » و « روض القطا » و « ذات الرئال »

٦ — فبينى وبينها قفار تخرس أهوالها المسافرين ، وميل من ورائه أميال

٧ — وسفر طويل تملأ له أوعية الماء ، ثم لا يكون حظ المسافر فيه إلا الأوشال

٨ — وسير فى أعقاب الليالى ، وفى شمس النهار الملتهبة ، بين أرض غليظة وأرض مستوية ورمال

٩ — وآبار راكدة يسفى عليها الريح ، ويعلو ماءها ريش الطيور ، كأنه منثور النبال

* * *

١٠ — بعدت الدار وصعب المزار . ويا ربما كنت قليل الهموم ناعم البال

١١ — أيام كانت هى همى وحديثى ، تعصى فى هواى صاحب الأمر فيها ذا الأقوال

١٢ — كأنها ظبية بيضاء من ظباء « وجرة » تتناول من ثمار الأراك ، وقد تهدلت عليها أغصانه الطوال

---

(١) الرباب قبائل تحالفوا فوضعوا أيديهم فى جفنة فيها رب ، فسموا الرباب ، وهم أبناء أد بن طابخة : ضبة وتيم وعدى وعكل وثور (العقد الفريد)

(٢) ولى النعمان بن المنذر قبل مبعث النبى بأربعة وعشرين عاما (٥٨٦ م) . وتوفى قبل مبعث النبى بسنتين (الطبرى ١ : ٩٠٠ ط. ليدن) .

(٣) راجع الأغانى ٢ : ٢١ — ٢٢ ، ١٠ : ٢٢ ، ١١ : ١١٠

— ١ —

قال الأعشى يمدح الأَسْوَد بن المُنْذِر اللَّخْميّ :

(خفيف)

١ — مَا بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالأَطْلَالِ   وَسُؤَالِى فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِى

٢ — دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْـ   ـفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبًا وشَمَالِ

٣ — لَاتَ هَنَّا ذِكْرَى جُبَيْرَةَ أَوْ مَنْ   جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الأَهْوَالِ

٤ — حَلَّ أَهْلِى بَطْنَ الغَمِيسِ فَبَادَوْ   لَى وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةً بِالسِّخَالِ

٥ — تَرْتَعِى السَّفْحَ فَالكَثِيبَ فَذَاقَا   رِ فَرَوْضَ القَطَا فَذَاتَ الرِّئَالِ

٦ — رُبَّ خَرْقٍ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفْـ   ـرَ وَمِيلٍ يُفْضِى إِلَى أَمْيَالِ

٧ — وَسِقَاءٍ يُوكَى عَلَى تَأَقِ المَلْـ   ـءِ وَسَيْرٍ وَمُسْتَقًى أَوْشَالِ

٨ — وادِّلَاجٍ بَعْدَ المَنَامِ وتَهْجِيـ   ـرٍ وقُفٍّ وسَبْسَبٍ وَرِمَالِ

٩ — وقَلِيبٍ أَجْنٍ كَأَنَّ مِنَ الرِّيـ   ـشِ بِأَرْجَائِهِ لُقُوطَ نِصَالِ

١٠ — فَلَئِنْ شَطَّ بِى المَزَارُ لقد أَغْـ   ـدُو قَلِيلَ الهُمُومِ نَاعِمَ بَالِ

١١ — إِذْ هِىَ الهَمُّ وَالحَدِيثُ وَإِذْ تَعْـ   ـصِى إِلَىَّ الأَمِيرَ ذَا الأَقْوَالِ

١٢ — ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ وَجْرَةَ أَدْمَا   ءُ تَسَفُّ الكَبَاثَ تَحْتَ الهَدَالِ

(١ — ٣) الدمنة آثار الناس . تعاور الناس الشيء تداولوه . وتعاورت الرياح الدار تداولتها ، فمرة تهب جنوبا ومرة تهب شمالا. لات هنا أى ليس وقت ذكرها . الصبا والشمال : ريحان .

(٤ — ٦) علوية أى فى العالية . الخرق مااتسع من الارض لان الريح تنخرق فيه وتهب فيه لسعته . أفضى به إلى كذا انتهى به إليه .

(٧ — ٩) يوكى يربط من الوكاء وهو الرباط . الاتاق الملء . الأوشال جمع وشل وهو القليل من الماء . الادلاج بتشديد الدال المكسورة السير آخر الليل ، والادلاج بسكون الدال سير الليل كله . التهجير السير فى الهاجرة أى فى الظهر . القف الأرض الغليظة . السبسب الأرض المستوية . القليب البئر . آجن آسن راكد . النصل حديد السيف والرمح والسهم .

(١٠ — ١٢) شط أى بعد . الهم أى موضع اهتمامه وعنايته . الأمير أى صاحب السلطان الذى يملك أن يأمرها وينهاها ، يقصد زوجها . وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة . الادم ظباء طويلة الاعناق سمر الظهور . الكباث ثمر الاراك . والاراك شجر تستعمل غصونه فى تنظيف الاسنان بعد دق أطرافها . الهدال ما تهدل من الغصون واسترسل .

١٣— صافية الأديم ، بضة الأنامل ، تفتل شعرها اللين ، ثم تشد حواشيه بالخلال

١٤— يالروعة القلائد وقد أمسكها السلك ، فكأنما علقت بجيد غزال

١٥— وياللخمر العتيق حين يجرى بين أسنانها المحددة ، ممزوجا بالماء الزلال

١٦— وقد داعب النوم جفونها ، فكأنه يجرى خلال شوك « السيال »

* * *

١٧— اذهبى ياجبيرة ووداعا ، ما صرفنى عنك الحلم والحجا ، ولكن شغلنى عنك أشغال

١٨— وأسفار فوق ناقة شديدة بيضاء صافية العين ، نشيطة شِمْلال

١٩— من خيرة النوق وأصلبها ، رعت الحمى ، وأكلت علف الأمصار ، ومنع عنها الفحول فطال بها الحيال

٢٠— لم يذهب بعزمها طفل ترضعه ، ولم تتشنج قوائمها مما يصيب الإبل من داء « الخمال »

٢١— قد استنقدتها الأسفار البعيدة ، وقت الظهيرة ، حين يرتفع السراب ويلمع الآل

٢٢— فوق فلاة تدوم فيها الرحلة ، وتغتال المسافرين ، قد أقفرت من كل شىء إلا من الآجال

٢٣— وإذا خيف الضلال ، واشتد بالمسافرين الحال ، لا يرجون الوصول للماء قبل خمس من الليال

٢٤— فراحوا يستحثون الذى يستبدل راحلته المتعبة ، وقد نفد الماء ، فلم يبق منه إلا الأوشال

٢٥— نشطت هذه الناقة الحرة الضخمة ، وكأنها قنطرة من قناطر الروم ، تفرى الأرض الملتهبة فرياً بالإرقال

١٣— حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأَنَامِلِ تَرْتَـ | بُّ سُخَامًا تَكُفُّهُ بِخِلَالِ
١٤— وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَّفَهَا السِّلْـ | كُ بِعِطْفَيْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ
١٥— وَكَأَنَّ الخَمْرَ العَتِيقَ مِنَ الأَسْفِنْـ | طِ مَمْزُوجَةً بِمَاءٍ زُلَالِ
١٦— بَاكَرَتْهَا الأَغْرَابُ فِى سِنَةِ النَّوْ | مِ فَتَجْرِى خِلَالَ شَوْكِ السَّيَالِ
١٧— فَاذْهَبِى مَا إِلَيْكِ أَدْرَكَنِى الحِلْـ | مُ عَدَانِى عَنْ ذِكْرِكُمْ أَشْغَالِى
١٨— وَعَسِيرٍ أَدْمَاءَ حَادِرَةِ العَيْـ | نِ خَنُوفٍ عَيْرَانَةٍ شِمْلَالِ
١٩— مِنْ سَرَاةِ الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُـ | ضُّ وَرَعْىُ الحِمَى وَطُولُ الحِيَالِ
٢٠— لَمْ تَعَطَّفْ عَلَى حُوَارٍ وَلَمْ يَقْـ | طَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالِ
٢١— قَدْ تَعَلَّلْتُهَا عَلَى نَكَظِ المَيْـ | طِ وَقَدْ خَبَّ لَامِعَاتُ الآلِ
٢٢— فَوْقَ دَيْمُومَةٍ تَغَوَّلُ بِالسَّفْـ | رِ قِفَارٍ إِلَّا مِنَ الآجَالِ
٢٣— وَإِذَا مَا الضَّلَالُ خِيفَ وَكَانَ الْـ | وِرْدُ خِمْسًا يَرْجُونَهُ عَنْ لَيَالِ
٢٤— وَاسْتُحِثَّ المُغَيِّرُونَ مِنَ القَوْ | مِ وَكَانَ النِّطَافُ مَا فِى العَزَالِى
٢٥— مَرِحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْطَرَةِ الرُّومِـ | ىِّ تَفْرِى الهَجِيرَ بِالإِرْقَالِ

(١٣ — ١٥) الحر الخيار الفاخر من كل شيء . طفلة لينة ناعمه . ترتب من رب الشيء وربه إذا نماه واعتنى به . السخام الشعر اللين . الخلال المدرى وهو المشط . كف الشعر جمعه وضمه . الاسفنط إسم من أسماء الخمرفارسى معرب وقيل رومى معرب . ماء زلال بارد عذب .

(١٦ — ١٨) غرب الشيء حده، وغرب الاسنان حدها أو بياضها . السيال شجرله شوك . الحلم الاناة. عدانى صرفنى . ناقة عسير ترفع ذنبها فى عدوها . أدماء خالصة البياض . حادرة العين صلبة العين . خنوف نشيطة تخنف برأسها وعنقها من النشاط . عيرانة تشبه العير وهو حمار الوحش. شملال سريعه .

(١٩ — ٢١) سراة كل شيء أعلاه وخياره . الهجان من الابل البيض الكرام . العض العلف . الحيال من حالت الناقة فهى حائل غير حامل . الحوار ولد الناقة . الخمال داء يصيب القوائم فتتشنج عروقها . تعللتها أى استخرجت ماعندها من السير . النكظ الشدة والعجلة. الميط البعد . خب طال وارتفع . الآل السراب .

(٢٢ — ٢٥) ديمومة صحراء بعيدة الأطراف يدوم فيها السفر . تغولت المرآة تشبهت بالغول فى تلونها، وكذلك الصحراء . الخمس ورود الماء بعد خمسة أيام . المغيرون الذين يغيرون راحلتهم بعد أن تتعبت . النطاف جمع نطفة وهى بقية الماء فى أسفل الآنية . العزالى جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية أى القربة . مرحت نشطت . قنطرة الرومى يقصد برجا من بناء الروم، لأن العرب لا بناء لها . الارقال ضرب من عدو الابل .

٢٦— تقطع الأرض الغليظة الملتهبة بخطى واسعة وقوائم طويلة سريعة الإيغال

٢٧— صلبة تعدو إذا مسها السوط ، كما يعدو حمار الوحش الجوّال

٢٨— قد أهزله الصيف والطراد والإشفاق على أتان ناحلة ، كأنها قوس من شجر « الضال »

٢٩— قد ظهر حملها فى بطنها ، وشفها الحزن على صغير مفطوم آذاه الفِصَال

٣٠— ومنعه عنها هذا الحمار الغليظ الفظ ، يتمرغ فى الأرض ، فينسل شعره ، ويتساقط منه النُّسال

٣١— ترك الجحش وقد أهزله الجرى ملقى فى الغبار ، وراح يدفع أتانه إلى مورد الماء الزلال

* * *

٣٢— ذلك الحمار الغليظ النشيط أشبه شىء بناقتى حين تجرى بجانب الجبل بعد الكلال والإعمال

* * *

٣٣— تشكو إلى وقد أعياها الإجهاد خُفُّها المشقق المقروح ، وقد كسى بالنعال

٣٤— وقد هزل جسمها الضخم ، فقلقت من فوقه السيور التى يُشَدُّ بها الرحال

٣٥— وظهرت آثارها فى عظام صدرها البارزة ، فكأنها نعش ضخم محمول فوق أرجلها الطوال

٣٦— لا تشتكى إلى ياصاحبتى من ألم السيور ولا من حفاً ولا من كلال

٣٧— لا تشتكى إلى وانتجعى « الأسود » أهل الندى وأهل الفعال

* * *

٣٨— فرع فى غصون المجد صليب ، غزير العطاء ، بيد أنه شديد النكال

٢٦— تَقْطَعُ الأَمْعَزَ المُكَوْكِبَ وَخْدًا ... بِنَوَاجٍ سَرِيعَةِ الأَيْغَالِ

٢٧— عَنْتَرِيسٌ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْ ... طُ كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ

٢٨— لَاحَهُ الصَّيْفُ وَالصِّيَالُ وَإِشْفَا ... قٌ عَلَى صَعْدَةٍ كَقَوْسِ الضَّالِ

٢٩— مُلْمِعٍ لَاعَةِ الفُؤَادِ إِلَى جَحْ ... شٍ فَلَاهُ عَنْهَا فَبِئْسَ الفَالِي

٣٠— ذُو أَذَاةٍ عَلَى الخَلِيطِ خَبِيثُ الـ ... ـنَّفْسِ يَرْمِي مَرَاغَهُ بِالنُّسَالِ

٣١— غَادَرَ الجَحْشَ فِي الغُبَارِ وَعَدَّا ... هَا حَثِيثًا لِصُوَّةِ الأَدْحَالِ

٣٢— ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِي عَنْ يَمِينِ الـ ... رَّعْنِ بَعْدَ الكَلَالِ وَالإِعْمَالِ

٣٣— وَتَرَاهَا تَشْكُو إِلَيَّ وَقَدْ آ ... لَتْ طَلِيحًا تُحْذَى صُدُورَ النِّعَالِ

٣٤— نَقَبَ الخُفِّ لِلسُّرَى. فَتَرَى الأَنْـ ... ـسَاعَ مِنْ حَلِّ سَاعَةٍ وَارْتِحَالِ

٣٥— أَثَّرَتْ فِي جَنَاجِنٍ كَإِرَانِ الـ ... ـمَيْتِ عُولِينَ فَوْقَ عُوجٍ رِسَالِ

٣٦— لَا تَشَكَّى إِلَيَّ مِنْ أَلَمِ النِّسْـ ... ـعِ وَلَا مِنْ حَفًا وَلَا مِنْ كَلَالِ

٣٧— لَا تَشَكَّى إِلَيَّ وَانْتَجِعِي الأَسْـ ... ـوَدَ أَهْلَ النَّدَى وَأَهْلَ الفَعَالِ

٣٨— فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـ ... ـدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ

(٢٦ — ٢٨) الأمعز الغليظ من الأرض . المكوكب المتوقد من الحر : جمل واخد ووخاد واسع الخطو . نواج قوائم . الايغال من أوغل فى السير أى ذهب وبالغ وأبعد . عنتريس صلبة قوية . المصلصل حمار الوحش لكثرة نهيقه، من صلصل الشىء أى صوت . جوال من جال يجول أى طاف ولم يستقر . لاحه أضمره وغيره . الصيف لانه وقت الجفاف ويبس الكلأ . الصيال مصدر صاول يقصد مصاولة الفحول من حمر الوحش . الصعدة الأتان . الضال شجر تتخذ منه القسى

(٢٩ — ٣١) ملمع قد استبان حملها فى ضرعها فأشرق ضرعها باللبن . لاعة الفؤاد من لاع يلوع لوعة وهو أشد الحزن . الافتلاء الفطام المراغ والمراغة المكان الذى تتمرغ فيه الدابة وتتقلب على الأرض . النسال ماسقط عنه من الشعر . عداها صرفها . حثيثاً سريعا . الصوة ما غلظ من الأرض . الأدحال جمع دحل وهى حفرة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل .

(٣٢ — ٣٤) رعن الجبل أنفه الشاخص منه . الكلال التعب . الاعمال من أعمل الناقة أى كلفها العمل والسير . آلت رجعت . طليحا معيية متعبة . النعل طبق من حديد أو جلد يوقى به الحافر أو الخف فيكون له كالنعل للقدم . نقب خف البعير رق وتثقب . النسع سير ينسج عريضاً وتشد به الرحال إلى بطن الناقة .

(٣٥ — ٣٨) الجناجن عظام الصدر جمع جنجن . الاران سرير الميت . عوج قوائم فيها عوج لان قوائم الناقة معوجة . الانتجاع فى الاصل طلب الكلأ، ويقصد به هنا التماس الخير والرزق . الندى الكرم . النبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . المحال العقوبة والمكر .

٣٩— يجمع بين الحزم والحذر ، عنده دواء الصرع للتعجرف التياه ، حمال لمضلع الأثقال

٤٠— يصل الأرحام ، كما علم كل الناس ، ويفك الأسرى من الأغلال

٤١— نفسه العزيزة هينة عليه فى سبيل المجد وحسن الأحدوثة ، حين تلتقى الرماح فى القتال

٤٢— إذا سألته أعطاك ، حين يكون الاعتذار هو كل ما تناله من البخال

٤٣— وإذا استجرت به أجارك ، فما انقطع حبل وصلته منه بحبال

٤٤— أريحى ماض ، إذا طلع على القوم سكنوا قائمين ، كأنهم ينظرون به الهلال

٤٥— إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبال العُذَّال

٤٦— يهب المَسَانَّ من الإبل الضخام ، كأنها النخل ، تحنو على صغارها الأطفال

٤٧— والإماء تركض فى أكسية من الخز ، بين أصفر وأحمر ، وتجرر الأذيال

٤٨— والجياد كأنها قضب نبات « الشوْحط » الصلب المستقيم ، تعدو حاملة سلاح الأبطال

٤٩— وكئوس الخمر ، وآنية الفضة ، والجمال الكريمة التى تسكن فلا تُرْغِى ولا تَجْتَرُّ إذا ركبها الرجال

* * *

٥٠— كم من قوم أصابتهم عقوبته فأشقاهم آخر الدهر ، وآخرين نالتهم نعمته فسقاهم بِسِجَالْ

٥١— ولقد أوقدت الحروب ، فما وُجِدت فيها غمراً إذ لقِحَتْ بعد طول حِيَالْ

٣٩— عِنْدَهُ الحَزْمُ والتُّقَى وَأَسَا الصَّرْ ... عِ وحَمْلٌ لِمُضْلِعِ الأَثْقَالِ

٤٠— وَصِلَاتُ الأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّا ... سُ وفَكُّ الأَسْرَى مِنَ الأَغْلَالِ

٤١— وهَوَانُ النَّفْسِ العَزِيزَةِ للذِّكْ ... رِ إذَا مَا التَقَتْ صُدورُ العَوَالِي

٤٢— وَعَطَاءٌ إِذَا سَأَلْتَ إِذَا العِـذْ ... رَةُ كَانَتْ عَطِيَّةَ البُخَّـالِ

٤٣— ووَفَاءٌ إذَا أَجَرْتَ فَمَا غُرَّ ... تْ حِبَالٌ وصَلْتَهَا بِحِبَالِ

٤٤— أَرْيَحِيٌّ صَلْتٌ يَظَلُّ لَهُ القَوْ ... مُ رُكُودًا قِيَامُهُمْ لِلْهِلَالِ

٤٥— إنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْـ ... طِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي

٤٦— يَهَبُ الجِلَّةَ الجَرَاجِرَ كَالبُسْـ ... تَانِ تَحْنُو لِدَرْدَقٍ أَطْفَالِ

٤٧— وَالبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الأَضْـ ... رِيجِ والشَّرْعَبِيَّ ذَا الأَذْيَالِ

٤٨— وَجِيادًا كَأَنَّهَا قُضُبُ الشَّوْ ... حَطِ تَعْدُو بِشِكَّةِ الأَبْطَالِ

٤٩— وَالمَكَاكِيكَ وَالصِّحَافَ مِنَ الفِضَّـ ... ةِ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ

٥٠— رُبَّ حَيٍّ أَشْقَاهُمُ آخِرَ الدَّهْـ ... رِ وَحَيٍّ سَقَاهُمُ بِسِجَالِ

٥١— وَلَقَدْ شُبَّتِ الحُرُوبُ فَمَا غُمِّـ ... رْتَ فِيهَا إِذْ قَلَّصَتْ عَنْ حِيَالِ

(٣٩ — ٤١) التق الحذر . أسا الجرح داواه . الصرع داء يبطل الحس ويمنع الحركة ، ويقصد به الشاعر التيه والكبر . رحم الرجل قرابته وأهله . العوالى الرماح .

(٤٢ — ٤٤) العذرة والمعذرة والعذرى بمعنى واحد . حبل غرر غير موثوق به . الأريحية الارتياح للندى وفعل الخير . صلت ماض، ومنه سيف صلت أى متجرد من غمده . ركوداً لا يتحركون .

(٤٥ — ٤٨) الغرام الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى (إن عذابها كان غراما) أى هلاكا ولزاما لهم . الجلة الكبار المسان من الابل . الجراجر الضخام . البستان النخل . الدردق الصغار ولا واحد لها . البغايا الجوارى والاماء . الاضريج الحرير الأصفر . الشرعبي الحرير الأحمر . ذا الأذيال أى الطويل الذى تجره وراءها حين تمشي .

(٤٨ — ٥١) الشوحط شجر تتخذ منه القسى . الشكة السلاح . المكوك مكيال يساوى ثلاث كيلجات ، والكيلجة قريب من رطلين ، وهو إناء يشرب به الفرس . ضمز البعير أمسك على جرته ، ويقصد أن هذه الابل لا ترغو ولا تجتر إذا ركبت لأنها مؤدبة . السجال جمع سجل بفتح السين وسكون الجيم وهو الدلو . ماغمرت أى لم تلف غمرا ، والغمر بضم الغين الغر الذى لم يجرب الأمور . قلصت أى شمرت . عن حيال ، يشبه الحرب بالناقة التى حملت بعد أن كانت حائلا لاتحمل ، فهو أشدها .

٥٢— وأَحْذَيْتَ الجناة الآثمين نعالا بمثل ما جنت أيديهم فذاقو النكال

٥٣— فلِمَنْ عصاك الخسار والخذلان ، ولمن أطاعك العز والمـال

٥٤— أنت خير من ألف ألف من القوم إذا اشتد الفزع وامتقعت وجوه الرجال

٥٥— وقد اجتمع لك من عدة القتال وأدواته ما تأبى معه النزول على حكم محتكم من الجهال

٥٦— جندك العريق من السادات أصحاب القباب ، يعمهم منك النوال

٥٧— لايميلون على سرج الجياد ، ولا يجبنون فى الهَيْجَاء ، ولا يعتريهم الفزع فى النضال

٥٨— عليهم دروع من نسج داوود تُحمل أكداساً فوق الجمال

٥٩— قد دهنت بالزيت ، وذُرَّ فوقها البعر ، حتى لا يصيبها الصدأ من الندى والطَّلاَلْ

٦٠— لاينال أذاها الصديق ، وإنما يذوق وبالها العدو يوم النزال

٦١— تخذها لنوائب الدهر وغِيَرِ الزمان رجلٌ غير دَعِيّ ولا زُمَّال

٦٢— له كل عام غزوة يقود إليها خيلا موصولة بخيل ، تتدفق فى الصباح على حومة القتال

* * *

٦٣— حمل « الرباب » على الطاعة ، حين كرهوا الطاعة ، بغروة وصيال

٦٤— وسقاهم كأس الموت مسفوحا ، حين نفدت الآجال

٥٢— هَؤُلَى ثُمَّ هَؤُلَى كلاًّ آعْـــ   طَيْتَ نِعَالًا مَحْذُوَّةً بِمِثَالِ

٥٣— فَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو   لاً وَكَعْبُ الَّذِى يُطِيعُكَ عَالِى

٥٤— أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ القَوْ   مِ إِذَا مَا كَبَتْ وُجُوهُ الرِّجَالِ

٥٥— وَلِمِثْلِ الَّذِى جَمَعْتَ مِنَ العُدَّ   ةِ تَأْبَى حُكُومَةَ المُقْتَالِ

٥٦— جُنْدُكَ التَّالِدُ العَتِيقُ مِنَ الـ   سَّادَاتِ أَهْلِ القِبَابِ وَالآكَالِ

٥٧— غَيْرُ مِيلٍ وَلَا عَوَاوِيرَ فِى الهَيْـ   جَى وَلَا عُزَّلٍ وَلَا أَكْفَالِ

٥٨— وَدُرُوعٌ مِنْ نَسْجِ دَاوُودَ فِى الحَرْ   بِ وَسُوقٌ يُحْمَلْنَ فَوْقَ الجِمَالِ

٥٩— مُلْبَسَاتٌ مِثْلَ الرَّمَادِ مِنَ الكُـ   رَّةِ مِنْ خَشْيَةِ النَّدَى وَالطِّلَالِ

٦٠— لَمْ يُيَسَّرْنَ لِلصَّدِيقِ وَلَـكِنْ   لِقِتَالِ العَدُوِّ يَوْمَ القِتَالِ

٦١— لِامْرِئٍ يَجْعَلُ الأَدَاةَ لِرَيْبِ الـ   دَّهْرِ لَا مُسْنَدٍ وَلَا زُمَّالِ

٦٢— كُلَّ عَامٍ يَقُودُ خَيْلاً إِلَى خَيْـ   لٍ دِفَاقًا غَدَاةَ غِبِّ الصِّقَالِ

٦٣— هُوَ دَانَ الرِّبَابَ إِذْ كَرِهُوا الـ   دِّينَ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ

٦٤— ثُمَّ أَسْقَاهُمْ عَلَى نَفَدِ العَيْـ   شِ فَأَرْوَى ذَنُوبَ رِفْدٍ مُحَالِ

(٥٢ — ٥٤) أعطيت نعالا ، يشير بذلك إلى إيقاع الممدوح ببنى محارب حين أحمى لهم الأحجار وسيرهم عليها فتساقط لحم أقدامهم والشاعر يقول على سبيل التهكم إنه ألبسهم نعالا . محذوة بمثال من حذا النعل حذواً أى قطعها وقدرها على مثال (او ما نسميه قالب) يقصد أن العقاب كان على قدر جرمهم . كبا الوجه تغير لونه من الفزع .

(٥٥ — ٦٧) المقتال المحتكم لأنه يقتال ما يشاء وهو على وزن مفتعل من القول . التالد القديم . العتيق الكريم من كل شىء . القباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . الآكال قطائع كانت الملوك تقطعها للأشراف . الميل جمع أميل . وهو الذى يميل على السرج من الجبن . عواوير جمع عوار وهو الجبان الضعيف . الأعزل الذى لا سلاح معه . الأكفال جمع كفل بكسر الكاف وهو من لا يثبت فى الحرب .

(٥٨ — ٦٠) وسوق جمع وسق بفتح الواو وسكون السين وهو الحمل . الكرة البعر يفتت ثم يذر على الدروع بعد أن تدهن بالزيت حتى لا تصدأ . الطلال جمع طل وهو المطر الضعيف .

(٦١ — ٦٤) المسند الدعى وهو الذى يدعى لغير أبيه أو المتهم فى نسبه . الزمال الضعيف . الغداة البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . غب الشىء عاقبته أو ما بعده . صقله بالعصا ضربه بها وأدبه ، وصقل الناقة أضمرها . دان الرباب ملكها . الدين المجازاة ، ومنه قوله تعالى (مالك يوم الدين) ، والدين كذلك الطاعة . الدراك المتلاحق المتتابع . الذنوب الدلو المملوء ماء . محال مصبوب ، ضربه مثلا للموت .

٦٥— كتيبةٌ ضخمة ، تحمى اللاجىء المستجير ، تمدها قطع الخيل رِعَالاً من ورائها رِعَال

٦٦— تذهل الشيخ عن بنيه ، وتشرد الإبل ، قد اعتزل بها راعيها وأوغل فى أطراف الرمال

٦٧— ثم لم تجد « الرباب » بداً من الطاعة ، بعد ما أصابهم من عذاب الملوك والنكال

٦٨— ولقد كانوا طالما تمنوا لقاءك ، وجمعوا العدد والرجال ، بين حل وترحال

* * *

٦٩— وملكت نواصى « دُودان » و « ذُبيان » حين كرهوا البأس ولم يصبروا للقتال

٧٠— واتصل فى حربهم الشتاء بالربيع ، حتى بدلتهم حالا من بعد حال

٧١— كم كأس سفحته ذلك اليوم ، وكم أسير من معشر أَقْتَال

٧٢— ونساء كأنهن الغيلان من أثر الذلة فى « شطى أَرِيك » ، وشيوخ أُخْرِجُوا عما يملكون من مال

٧٣— ورجلين من جندك كانا معدمين حليفى فقر وإقلال

٧٤— قسما ما اجتمع لهما من الغنائم بين طارف وتليد ، فآبا كلاهما ذومال

* * *

٧٥— لن تزالوا كذلكم مظفرين ، وأبقاك الله لقومك خالداً خلود الجبال

٦٥— فَخْمَةً يَلْجَأُ المُضَافُ إِلَيْهَا ... وَرِعَالاً مَوْصُولَةً بِرِعَالِ

٦٦— تُخْرِجُ الشَّيْخَ مِنْ بَنِيهِ وَتُلْوِى ... بِلَبُونِ ٱلمِعْزَابَةِ المِعْزَالِ

٦٧— ثُمَّ دَانَتْ بَعْدُ الرِّبَابُ وَكَانَتْ ... كَعَذَابٍ عُقُوبَةُ الأَقْوَالِ

٦٨— عَنْ تَمَنٍّ وطُولِ حَبْسٍ وتَجْمِيـ ... ـعِ شَتَاتٍ وَرِحْلَةٍ وَٱحْتِمَالِ

٦٩— مِنْ نَوَاصِى دُودَانَ إِذْ كَرِهُوا ٱلْـ ... ـبَأْسَ وَذُبْيَانَ وَٱلهِجَانِ الغَوَالِى

٧٠— ثُمَّ وَصَّلْتَ صِرَّةً بِرَبِيعٍ ... حِينَ صَرَّفْتَ حَالَةً عَنْ حَالِ

٧١— رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذٰلِكَ ٱليَوْ ... مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ

٧٢— وَشُيُوخٍ حَرْبَى بِشَطَّىْ أَرِيكٍ ... وَنِسَـــاءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِى

٧٣— وَشَرِيكَيْنِ فِى كَثِيرٍ مِنَ المَا ... لِ وَكَانَا مُحَالِفَىْ إِقْلَالِ

٧٤— قَسَمَا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الغُنْـ ... ـمِ فَآبَا كِلَاهُمَا ذُو مَالِ

٧٥— لَنْ تَزَالُوا كَذٰلِكُمْ ثُمَّ لَا زِلْـ ... ـتَ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الجِبَالِ

(٦٥ — ٦٧) فخمة أى كتيبة فخمة كبيرة ضخمة . المضاف فى الحرب هو الذىأحيط به . الرعال جمع رعلة وهى القطعة من الخيل . تلوى تذهب . ناقة لبون ذات لبن . المعزابة الذى يعزب بإبله ويبعد بها فى المرعى . المعزال الذى لا يخالط الناس لأن الرعاة قلما يخالطون الناس . الأقوال الملوك . وكذلك الأقيال (جمع قيل)

(٦٨ — ٧٠) الاحتمال الارتحال . دودان قبيلة من بنى أسد بن خريمة ، منهم زينب بنت جحش زوج النبى والكميت بن زيد الشاعر . النواصى جمع ناصية وهى الرأس . البأس القتال . الهجان الخيار من كل شىء، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع . الصرة شدة البرد فى الشتاء . حالة عن حال ، عن هنا بمعنى بعد .

(٧١ — ٧٣) الرفدالقدح الضخم، يكنى بإراقة الرفد عن الموت . أقتال أصحاب ترات ، جمع قتل بكسر وسكون وهو العدو . حربى جمع حريب وهو من حرب ماله أى سلبه . السعالى الغيلان .

(٧٤ — ٧٥) الطارف التليد . يعنى رجلين من جنده غنما هذا المال وكان تليدا أى قديما موروثا عند أصحابه فأصبح طارفا أى جديدا مستحدثا عندهما .

لم يحفظ لنا التاريخ إلا نتفاً مفرقة عن قيس بن معديكرب ممدوح الأعشى ، يتعب الباحث فى جمها وتلفيقها . هو كندى من بنى الحارث ابن معاوية(١) وأبوه غير معديكرب غلفاء بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار . فابن الانبارى ، فى شرح المفضليات ، يقص تاريخ الحارث ابن عمرو بن حجر وتاريخ أبنائه حجر وشرحبيل ومعديكرب وسلمة ، ويختم ذلك بقوله : فأصاب معديكرب الوسواس ، وضرب سلمة الفالج ، فانخرق ملكهم حين أصابهم هذا وتفرق ، ودخلوا حضرموت . فخرج الملك من بنى آكل المرار ، وساد بنو الحارث بن معاوية . فأول من ساد منهم قيس بن معديكرب أبو الأشعث ، ثم الأشعث بن قيس . فأسلم الأشعث وهو متوج(٢) . ولهم قصة طريفة فى سيادة قيس . قالوا إن قبيصة ابن كلثوم السكونى(٣) — وكان ملكا — خرج يريد الحج على عادة العرب فى جاهليتها ، فمر ببنى عامر بن عقيل ، فنهبوا ماله وأسروه . فلم يزل عندهم أسيراً حتى علم أخوه الجون بن كلثوم فأتى قيس بن معديكرب ، فسأله العون فى استنقاذ أخيه ، فقبل على شرط أن يسير تحت لوائه . فانصرف الجون مستكبراً — وكان من ملوك كندة — ثم راجعه قومه فى ذلك وقالوا له : وما عليك من هذا ، هو ابن عمك ويطلب بثأرك ، فانعم له بذلك . فسار قيس والجون تحت لوائه حتى أوقع ببنى عقيل واستنقذ قبيصة . فهو أول يوم اجتمعت فيه كندة والسكون لقيس ، وبه أدرك الشرف(٤) ومات قيس مقتولا ، قتلته (مراد) . ثم جاء ابنه الأشعث مطالبا بثأره ، فأسرته بنو الحرث بن كعب ، فلم يزل عندهم حتى افتدى بألف قلوص وبألف من طرائف اليمن(٥) . وقد اختلف المؤرخون فى وفاة قيس ، فقال بعضهم إنه أدرك مبعث النبى ، وزعم بعضهم أنه مات فى الجاهلية(٦) . والقول الأول عندى أرجح ، لأن ابنه الأشعث توفى سنة ٤٢ هـ وعمره ثلاث وستون سنة (٧) ، وهذا يعنى أن الأشعث ولد قبل مبعث النبى بتسع سنوات فقط . وقد عاش قيس حتى كبر ابنه وبلغ مبلغ الرجال ، فقد قدم ثائراً له بعد مقتله — كما يقول القالى وابن قتيبة — وكان الأعشى يكنيه به فى مدائحه فيسميه أبا الأشعث(٨) .

ووفد الأشعث على النبى فى سبعين راكباً من كندة فأسلموا سنة ١٠ هـ(٩) ، ثم امتنع عن بيعة أبى بكر وحاربه . وتألفه أبو بكر بأن زوجه أخته أم فروة(١٠) .

ولقيس بن معديكرب بنت اسمها (قتيلة) تزوجها النبى ، فتوفى قبل أن تصل إليه(١١) . وقد مات الأشعث سنة ٤٢ هـ وله من العمر ثلاثة وستون عاما . فولده على هذا الحساب سنه ٦٠١ م ويقول الرواة إن هذه القصيدة هى أول مامدح به الأعشى قيساً .

يقول الأعشى :

١ — لعمرك ما يطول عمر الإنسان فى هذا الزمن إلا للعناء والشقاء .

٢ — يظل مستهدفاً للموت وللأمراض والأحزان وألوان البلاء

٣ — وهالك وورى التراب كآخر يعيش فى قفرة بين الأحياء .

٤ — ما تغادر أحداث الدهر ونوائبه من صغير أو كبير .

٥ — ولا تدفع عنى رحلتى وتنقلى فى البلاد القضاء المرير .

٦ — فالموت مستوثق منى وإن أجلنى إلى حين .

٧ — لا تغيب عنى عينه ، فأنا بين يديه رهين .

٨ — أزال (أذينة) عن ملكه ، وأخرج (ذايزن) وقد حوته الحصون .

٩ — وخان النعيم (أبا مالك) وقد ظنه يدوم ، وكذلك دأب الزمن الخئون

١٠ — يهلك الملوك ويفنيهم ، ويخرج الناس عن مُسْتَقَرِّهم فى دار الشُّجون

١١ — أين منى عهد الشباب ولذاته ، إذ أنا ناعم فى المترفين

١٢ — طاوعت الناصح فأسلمت له القياد ، وقد كنت وعرا لا ألين

---

(١) شرح المفضليات ص ٤٤١ ط . أوروبا . (٢) شرح المفضليات ٤٢٧ — ٤٤١ (٣) السكون فرع من كندة . (٤) الأغانى ٩ : ١٧٣ ، ١١ : ١٢٥ ط . بولاق . (٥) الأمالى ٣ : ١٤٦ ط ، دار الكتب ، المعارف ١٤٥ (٦) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء للاصفهانى ص ٩٣ ط . برلين ، خزانة الأدب ٢ : ٣٦٣ (٧) الاصابة ١ : ٥٠ (٨) القصائد ٦٨ ، ٧٨ بالديوان (٩) الاصابة ١ : ٥٠ (١٠) المعارف ١٤٥ (١١) خزانة الأدب ٢ : ٣٦٣

وقال يمدح قيس بن معْديكَرِب الكندى :

(متقارب)

١ — لَعَمرُكَ مَا طُولَ هذَا الزَّمَنْ ... عَلَى المَرْءِ إلاَّ عَنَاءٌ مُعَنّ

٢ — يَظَلُّ رَجِيماً لِرَيْبِ المَنُون ... وَلِلسُّقْمِ فِى أهْـلِهِ وَالحَزَنْ

٣ — وَهَالِكِ أهْلٍ يُجَنُّونَهُ ... كَآخَرَ فِى قَفْرَةٍ لَمْ يُجَنّ

٤ — وَمَا إنْ أرَى الدَّهْرَ فِى صَرْفِهِ ... يُغَادِرُ مِنْ شَارِخٍ أوْ يَفَنْ

٥ — فَهَلْ يَمْنَعَنِّى ٱرْتِيَادِى البِلاَ ... دَ مِنْ حَذَرِ المَوْتِ أنْ يَأْتِيَنْ

٦ — ألَيْسَ أخُو المَوْتِ مُسْتَوْثِقًا ... عَلَيَّ وَإنْ قُلْتُ قَدْ أنْسَأَنْ

٧ — عَلَيَّ رَقِيبٌ لَهُ حَافِظٌ ... فَقُلْ فِى ٱمْرِئٍ غَلِقٍ مُرْتَهَنْ

٨ — أزَالَ أُذَيْنَةَ عَنْ مُلْكِهِ ... وَأخْرَجَ مِنْ حِصْنِهِ ذَا يَزَنْ

٩ — وَخَانَ النَّعِيمُ أبَا مَالِكٍ ... وَأيُّ ٱمْرِئٍ لَمْ يَخُنْهُ الزَّمَنْ

١٠ — أفَادَ المُلُوكَ فَأَفْنَاهُمُ ... وَأخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ذَا حَزَنْ

١١ — وَعَهْدُ الشَّبَابِ وَلَذَّاتُهُ ... فَإنْ يَكُ ذٰلِكَ قَدْ نُتَّدَنْ

١٢ — وَطَاوَعْتُ ذَا الحِلْمِ فَٱقْتَادَنِى ... وَقَدْ كُنْتُ أمْنَعُ مِنْهُ الرَّسَنْ

(١ — ٣) معن إسم فاعل من عنى بتشديد النون أى أتعب وأشق . الرجيم الملعون ، رجمه رماه بالحجارة وقتله أو قذفه ولعنه وطرده. ريب المنون صرف الدهر وتقلبه ومصائبه . يجنونه يسترونه فى الأرض ويدفنونه .

(٤ — ٦) صرف الدهر نوائبه ، الشارخ الشاب . اليفن الشيخ الكبير . أنسأه أخره وأجله .

(٧ — ٩) غلق الرهن (من باب طرب) استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك فى الوقت المشروط .

(١٠ — ١٢) أفاد أهلك . فاد الرجل يفود هلك . ودنه وودنه (بتخفيف الدال وتشديدها) بله ونقعه . وودن العروس أحسن القيام عليها، و الأودن الناعم، وتودن الجلد لان . الصبا بكسر الصاد الشوق . الشجن الحزن والهم .

١٣ــ وعاصيت قلبي بعد الصبي ، فأمسى فارغا لا تحركه الأشجان

١٤ــ ويا ربما شربت الراح ياحبيبتى مسافراً وفى الأوطان

١٥ــ ويا ربما خرجت للريف مقيما على شربها حتى يقول الناس طالت إقامة النشوان

١٦ــ وأمتعت نفسى من الغانيات بين زوج وخليل

١٧ــ من كل بيضاء مفتولة القوام ، جلدها ناصع كاللبن صقيل

١٨ــ إذا أقبلت فالخصر دقيق جميل ، وإن أدبرت فالردف فخم ثقيل

١٩ــ وإن نازلت قريناً ، وكان القتال بما حوت الأسفاط من عطر وطيب

٢٠ــ أقبلت على الضجيع وقد رقد ، وأوشك النوم أن يثقل جفون الحبيب

٢١ــ تعاطيه خمرا طيبة الطعم ، تفور وتزبد بين الدّنّ والكوب

٢٢ــ يناولها الساقيان الكأس ممزوجا بماء بارد من قِرْبَةٍ خَلَقٍ رطيب

* * *

٢٣ــ وبيداء قفر جرداء ، كأنها ثوب يمنى مخطط ، راكدة المياه مطموسة الآبار

٢٤ــ قطعتها حين توسطت الشمس السماء ، وخفق السراب ، بناقة ضخمة كأنها قَصرُ جبّار

١٣— وَعَاصَيْتُ قَلْبِيَ بَعْدَ الصِّبَى ... وَأَمْسَى وَمَا إِنْ لَهُ مِنْ شَجَنْ

١٤— فَقَدْ أَشْرَبَ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِيـ ... ـنَ يَوْمَ المُقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ

١٥— وَأَشْرَبُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَا ... لَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَاقَدْ دَجَنْ

١٦— وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الغَانِيَا ... تِ إِمَّا نِكَاحاً وَإِمَّا أُزَنْ

١٧— مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ ... لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنْ

١٨— عَرِيضَةُ بُوصٍ إِذَا أَدْبَرَتْ ... هَضِيمُ الحَشَا شَخْتَةُ المُحْتَضَنْ

١٩— إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَانَهُنّ ... وَكَانَ المِصَاعُ بِمَا فِي الجُؤَنْ

٢٠— تُعَاطِي الضَّجِيعَ إِذَا أَقْبَلَتْ ... بُعَيْدَ الرُّقَادِ وَعِنْدَ الوَسَنْ

٢١— صَلِيفِيَّةً طَيِّبًا طَعْمُهَا ... لَهَا زَبَدٌ بين كُوبٍ وَدَنْ

٢٢— يَصُبُّ لَهَا السَّاقِيَانِ المِزَا ... جَ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ مِنْ مَاءِ شَنْ

٢٣— وَبَيْدَاءَ قَفْرٍ كَبُرْدِ السَّدِيرْ ... مَشَارِبُهَا دَاثِرَاتٌ أُجُنْ

٢٤— قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا ... بِدَوْسَرَةٍ جَسْرَةٍ كَالْفَدَنْ

(١٤ — ١٦) الراح الخمر . الظعن الرحيل والسفر . الريف أرض فيها زرع وخصب . دجن ثبت وأقام . النكاح الزواج . أزن من الزنى

(١٧ — ١٩) المكورة الممتلئة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام . البشر الجلد . البوص العجز . الحشا مالى البطن من الأمعاء . هضيم الحشا أى ضامرة البطن . شختة لطيفة دقيقة. المحتضن الخصر وهو موضع الاحتضان . المصاع مصدر ماصع أى قاتل . الجؤن جمع جؤنه وهو السفط فيه طيب . يريد أنهن يتطيبن ، فجعل ذلك سلاحهن .

(٢٠ — ٢٢) الوسن النوم . صليفية معتقة . الدن إناء فخارى ضخم تحفظ فيه الخمر . الشن القربة الخلق التى نعم جلدها من كثرة الاستعمال ، فذلك أطيب لمائها ، لأن رائحة الجلد قد ذهبت ولأنه أبرد للماء .

(٢٣ — ٢٤) السدير أرض باليمن . والبرد ثوب مخطط . المشارب المياه والآبار التى يشرب منها المسافر . داثرات مطموسة بالرمال . أجن جمع آجن وهو الماء المتغير اللون والطعم لركوده . خب النبات طال ، وخب السراب اضطرب . الريع والريعان بسكون الياء اضطراب السراب . الدوسرة الناقة الضخمة . جسرة ضخمة . الفدن القصر .

٢٥ — حبست حولا كاملا تعلف (اللجين) ، حتى اشتد صغيرُها وأسنّ

٢٦ — وتراكم الشحم فى سنامها فامتلأ وطال فوق هيكلها الضخم ، كأنها صخرة ملساء فى هضبة غزيرة الأمطار

٢٧ — أفنيتها واستنفذت عزمها ونشاطها فوق صحراء جرداء كالرّداء

٢٨ — تراقب عن يمينها سوطاً بكفى شديد الفتل ، قد ألانه الضرب

٢٩ — قاصدة (قيساً) ، وكم دونه من فياف ، ومن وُعور خُشُن

٣٠ — ومن عدو كالح الوجه ، إذا تقربت إليه بنسبى تجاهل واضطغن

٣١ — ومن بئر راكد ، لم تزل تسفى عليه الرياح البعر والتراب حتى اندفن

٣٢ — وذئب أجاوره فى برد الشتاء غير أمين ولا مؤتمن

* * *

٣٣ — ولكن ربى عوضنى عما لقيت من تعب وعناء

٣٤ — حين بلغت سيدا ماجدا وثيقاً جزيل العطاء

٣٥ — كريم الشمائل من (بنى معاوية) ذوى الطبائع الكريمة السمحاء

٣٦ — إن تبعته بلغت الرشاد ، وإن سألته أجاب النداء

٣٧ — وإن لجأت إلى حكمه فقد لجأت إلى جبل ثابت البناء

٣٨ — صلب لا يرزح تحت الشدائد ولا تثقل عليه ، ماضى العزيمة ليس بعظمه وهن

٣٩ — مأمون الغدر ، لا يسقط على جاره التلف ، كما تسقط العصا تُدَقُّ بها أوراق (اللجن)

٢٥— بِحِقَّتِهَا حُبِسَتْ فِى اللَّجِيـ ... ـنِ حَتَّى السَّدِيسُ لَهَا قَدْ أَسَنْ

٢٦— وَطَالَ السَّنَامُ عَلَى جَبْلَةٍ ... كَخَلْقَاءَ مِنْ هَضَبَاتِ الدَّجَنْ

٢٧— فَأَفْنَيْتُهَا وَتَعَالَلْتُهَـــا ... عَلَى صَحْصَحٍ كَرِدَاءِ الرَّدَنْ

٢٨— تُرَاقِبُ مِنْ أَيْمَنِ الجَانِبَيْـ ... ـنِ بِالكَفِّ مِنْ مُحْصَدٍ قَدْ مَرَنْ

٢٩— تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ ... مِنَ الأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِى شَزَنْ

٣٠— وَمِنْ شَانِئٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ ... إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ

٣١— وَمِنْ آجِنٍ أَوْلَجَتْهُ الجَنُو ... بُ دِمْنَةَ أَعْطَانِهِ فَانْدَفَنْ

٣٢— وَجَارٍ أُجَاوِرُهُ إِذْ شَتَوْ ... تُ غَيْرِ أَمِينٍ وَلَا مُؤْتَمَنْ

٣٣— وَلَكِنَّ رَبِّى كَفَى غُرْبَتِى ... بِحَمْدِ الإِلَهِ فَقَدْ بَلَّغَنْ

٣٤— أَخَا ثِقَةٍ عَالِيًا كَعْبُهُ ... جَزِيلَ العَطَاءِ كَرِيمَ المِنَنْ

٣٥— كَرِيمًا شَمَائِلُهُ مِنْ بَنِى ... مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ السُّنَنْ

٣٦— فَأَنْ يَتْبَعُوا أَمْرَهُ يَرْشُدُوا ... وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنّ

٣٧— وإِنْ يُسْتَضَافُوا إِلَى حُكْمِهِ ... يُضَافُوا إِلَى هَادِنٍ قَدْ رَزَنْ

٣٨— وَمَا إِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ ... وَمَا إِنْ بِعَظْمٍ لَهُ مِنْ وَهَنْ

٣٩— وَمَا إِنْ عَلَى جَارِهِ تَلْفَةٌ ... يُسَاقِطُهَا كَسِقَاطِ اللَّجَنْ

(٢٥ — ٢٦) بحقتها أى سنة كاملة : والحقة الحق الواجب ،"وأتت الناقة على حقها أى على وقت ضرابها . اللجين نوع من علف الابل يدق فيه الخبط حتى يتلزج ثم يخلط بالدقيق أو الشعير . السديس البعير فى السنة الثامنة حين تسقط أسنانه السابعة (السدس) ويخرج نابه . الجبلة الضخمة العظيمة الخلق . خلقاء ملساء أى صخرة ملساء . الدجن المطر . يقول إن توالى الأمطار صقل الصخرة .

(٢٧ — ٢٩) تعاللتها أخذت علالتها ، والعلالة البقية من كل شىء . الصحصح المستوى من الأرض . الردن الخز . محصد مفتول يعنى السوط . المارن اللين الذى قد ألانه الضرب . ذى شزن غليظ ، والشزن الغلظ .

(٣٠ — ٣٢) الشنآن البغض ، والشانىء المبغض . الكاسف الوجه العابس المتغير . آجن بئر أو ماء راكد . الجنوب ريح . الدمنة البعر وآثار الدار . الأعطان منازل الابل . وجار أراد الذئب فهو جاره فى الشتاء فى هذه الرحلة الطويلة .

(٣٣ — ٣٥) المنن جمع منة وهى النعمة والعطاء . بنو معاوية رهط قيس بن معديكرب . السنن الوجوه والطبائع .

(٣٦ — ٣٩) استضاف به استغاث . هادن ثابت . رزن الرجل رزانة وقر فهو رزين . غمرة الشىء شدته ومزدحمه ، وغمرات الموت شدائده ومكارهه . التلفة الهلاك . اللجن ورق من أوراق الشجر يدق ويخلط بدقيق أو شعير ثم يتخذ علفا للماشية .

٤٠ — يهب المائة من الإبل الضخام كأنها النخل ، قد حبست فى العلف فزانها السِّمن

٤١ — والفرس الأسود كأنه الجذع ، يقف على أرجله الثلاث ، معلقاً عينيه برمح فارسه المسنون

٤٢ — تعدو الأفراس إلى جانبه ، فيبدو من بينها كأنه ثور وحش حَرون

٤٣ — يميلون إليه فيذهب بهم نافرا ، حتى يظن الناس به الجنون

٤٤ — وينتهى إلى نهاية الشوط لا يتعلقون به ، ثم يراجع نفسه فيطمئن ويلين

٤٥ — يسمو بعنق كجذع النخيل ، ويدل رأسه وشعر ناصيته على الكرم المُبين

٤٦ — لا يُحمل عليه الغلام إلا بعد جهد ، فاذا أرسله أسلس القياد وسكن

٤٧ — ويصرفه إلى قطيع البقر ، فينقض كأنه باز أزرق المخلب قد عُوِّد الصيد فمرن

٤٨ — يطارد حمامة ورقاء بين أسراب من حمام ثُكَنْ

٤٩ — ولا يزال الغلام يعدو برمحه ، حتى يصيب البقر فى عجز ضخم كأنه ظهر المِجَنّ

* * *

٥٠ — ترى آثار النعمة فى بيت (قيس) ، بين لحم مقدد ، وآخر رطب معلق فوق الحظائر والعُنَنْ

٥١ — يقصده السائلون ، فيطوفون بأبوابه كما يطوف النصارى ببيت الوثن

٥٢ — يهب الجوارى من المغنيات ، يطربن الندامى فى ثيابهن المهفهفة من حرير وكَتَنْ

٥٣ — ويقبل عليك المحزون واللاجىء فى ليلة هى إحدى المحن

٥٤ — فيجد فى بيتك الملجأ ، حين لا يكون فى بيت بعض الناس من الشر مُسْتَكَنّ

٤٠— هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصطَفَا ةَ كَالنَّخلِ زَيَّنها بالرَّجَنْ

٤١— وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الخِصَا بِ يَرْنُو القِنَاءَ إِذَا مَاصفَنْ

٤٢— تَرَاهُ إِذَا مَا عَدَا صَحْبُه بِجَانِبِهِ مِثْلَ شَاةِ الأَرَنْ

٤٣— أضَافُوا إِلَيْهِ فَأَلْوَى بِهِمْ تَقُولُ جُنُونًا وَلَمَّا يُجَنْ

٤٤— وَلَمْ يَلْحَقُوهُ عَلَى شَوْطِهِ وَرَاجَعَ مِنْ ذِلَّةٍ فَاطْمَأَنْ

٤٥— سَمَا بِتَلِيلٍ كَجِذْعِ الخِصَا بِ حُرِّ القَذَالِ طَوِيلِ الغُسَنْ

٤٦— فَلَأْيًا بِلَأْيٍ حَمَلْنَا الغُلَا مَ كَرْهًا فَأَرْسَلَهُ فَامْتَهَنْ

٤٧— كَأَنَّ الغُلَامَ نَحَا لِلصُّوَا رِ أَزْرَقَ ذَا مِخْلَبٍ قَدْ دَجَنْ

٤٨— يُسَافِعُ وَرْقَاءَ غُورِيَّةً لِيُدْرِكَهَا فِي حَمَامٍ ثُكَنْ

٤٩— فَثَابَرَ بِالرُّمْحِ حَتَّى نَحَا هُ فِي كَفَلٍ كَسَرَاةِ المِجَنْ

٥٠— تَرَى اللَّحْمَ مِنْ ذَابِلٍ قَدْ ذَوَى وَرَطْبٍ يُرَفَّعُ فَوْقَ العُنَنْ

٥١— يَطُوفُ العُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ كَطَوْفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الوَثَنْ

٥٢— هُوَ الوَاهِبُ المُسْمِعَاتِ الشُّرُو بَ بَيْنَ الحَرِيرِ وَبَيْنَ الكَتَنْ

٥٣— وَيُقْبِلُ ذُو البَثِّ وَالرَّاغِبُو نَ فِي لَيْلَةٍ هِيَ إِحْدَى اللَّزَنْ

٥٤— لِبَيْتِكَ إِذْ بَعْضُهُمْ بَيْتُهُ مِنَ الشَّرِّ مَا فِيهِ مِنْ مُسْتَكَنْ

(٤٠ — ٤٢) الرجن الاقامة، رجن بالمكان أقام ، ورجنت الدابة فى العلف ترجينا حبستها فيه . الكميت الفرس الأحمر الذى يضرب للسواد. الخصبة النخلة الكثيرة الحمل . القناء جمع قناة وهى الرمح . الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر . الشاة الثور الوحشى . الأرن المرح والنشاط .

(٤٣ — ٤٥) ضاف إليه مال إليه . وضاف الرجل عدا وأسرع . ألوى به ذهب . الشوط الغاية ونهاية السباق . التليل العنق . الخصاب جمع خصبة وهى النخلة . القذال مؤخر الرأس . الغسن شعر العرف والناصية .

(٤٦ — ٤٨) لأى الرجل أبطأ واحتبس . واللأى البطء والشدة . امتهن الشىء ابتذله واستعمله للمهنة . نحا صرف . الصوار القطيع من بقر الوحش . أزرق باز . دجن بالصيد اعتاده فهو خبير به . سفع الطائر الجارح ضريبته لطمها . ورقاء حمامه فى لونها كدرة كالرماد . ثكن قطع .

(٤٩ — ٥٢) الكفل العجز . السراة الظهر . المجن الترس . ذوى جف وضمر . العنن جمع عنة وهى الحظيرة . العفاة السائلون . الوثن الصنم ، وما له جثة من خشب أو حجر أو فضة .

(٥٣ — ٥٤) البث الحزن . لزن القوم على البئر تزاحموا للاستقاء ، واللزن الشدة والضيق والازدحام . استكن استتر .

٥٥ — دأبك الحرب والقتال ، ما أنت كالذى يحارب ليشبع بطنه من جوع ، فاذا أُتْخِم تراجع وسكن

٥٦ — إذا فاتته أكلة تداركها بأخرى ، فهو بطين كثير طيات العُكَنْ

٥٧ — كل همه أن يراقب خصره ، وينظر فى عِطْفَيْه ، فانما همك فى الغزو لا فى السمن

٥٨ — لك فى كل عام غزوة تهنى دوابر الخيل ، وتحت حوافرها حتّ المبرد الخشن

٥٩ — ترى الفتى وقد حمى وطيسها جاثياً فوق الرحل من خشية السقوط ، وقد أكب عليه للوجه والذقن

٦٠ — أما الشيخ الكبير ، فهو يرجف كما يرجف الجمل المسن ، حين يذكر الأهل فيشتاق للوطن

٦١ — ولما رأى العدو من ساعتهم ما رأوا من منظر الجيوش وما فيها من شرٍّ قد كمن

٦٢ — أخذتهم الحيرة واعتراهم الذهول ، فهم بين يأس ويَقَنْ

٦٣ — ....

٦٤ — واندفع الفرسان المغاوير ، تتقدمهم رماحهم ، وكأنهم يريدون أن يسبقوها ، وقد سطع الغبار وارتفع الدَّخَنْ

٦٥ — يغمز الفرسان الأفراس بأرجلهم فى شدة القيظ ، فتدر على أسؤقهم ركضاً إذا مال السراب وارْجَحَنّ

* * *

٦٦ — ويتحدث النسوة عنك قائلات : أى شىء قد ادخر من هذه الغارات وماذا اختزن ؟

٦٧ — وما أكثر ما أخذت خيله من نعم ، وما أكثر ما خلفت من عدوات وإِحَنْ

٦٨ — وما أكثر ما عادت إليه محملة بالأسلاب ، توضع بين يدى رجل إذا كسب المال لم يختزن

٦٩ — وإنما إنفاقه على حسن الأحدوثة وطيب الذكر ، يشتريه بأغلى الثمن

٥٥— وَلَمْ تَسعَ لِلْحَرْبِ سَعْيَ آمْرِئٍ	إِذَا بِطْنَةٌ رَاجعَتْهُ سَكَنْ
٥٦— (عَلَيْهَا وإِنْ فَاتَه أَكْلَةٌ	تَلافَى لِأُخْرَى عَظِيمَ العُكَنْ)
٥٧— تَرَى هَمَّهُ نَظَرًا خَصْرَه	وَهَمُّكَ فِى الغَزْوِ لَا فِى السِّمَنْ
٥٨— وَفِى كُل عَامٍ لَهُ غَزْوَةٌ	تَحُتُّ الدَّوَابِرَ حَتَّ السَّفَنْ
٥٩— حَجُونٌ تُظِلُّ الفَتَى جَاذِبًا	عَلَى وَاسِطِ الكُورِ عِنْدَ الذَّقَنْ
٦٠— تَرَى الشَّيْخَ مِنْهَا لِحُبِّ الأَيَا	بِ يَرْجُفُ كَالشَّارِفِ المُسْتَحِنْ
٦١— فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ مِنْ سَاعَةٍ	مِنَ الرَّأْىِ مَا أَبْصَرُوهُ آكْتَمَنْ
٦٢— وَمَا بِالَّذِى أَبْصَرَتْهُ العُيُو	نُ مِنْ قَطْعِ يَأْسٍ وَلَا مِنْ يَقَنْ
٦٣— فَبَيْنَا تَمَارَوا بِهِمْ أَرْسَلَتْ	عَلَى سُنَّةِ الرَّأْىِ . . . . .
٦٤— تُبَارِى الزِّجَاجَ مَغَاوِيرُهَا	شَمَاطِيطَ فِى رَهَجٍ كَالدَّخَنْ
٦٥— تَدُرُّ عَلَى أَسْوُقِ المُمْتَرِيـ	ـنَ رَكْضًا إِذَا مَا السَّرَابُ آرْجَحَنْ
٦٦— فَيَاعَجَبَ الرَّهْنِ لِلْقَائِلَا	تِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مَاذَا احْتَجَنْ
٦٧— وَمَا قَدْ أَخَذْنَ وَمَا قَدْ تَرَكْـ	ـنَ فِى الحَىِّ مِنْ نِعْمَةٍ وَدِمَنْ
٦٨— وَأَقْبَلْنَ يُعْرِضْنَ نَحْوَ آمْرِئٍ	إِذَا كَسِبَ المَالَ لَمْ يَخْتَزِنْ
٦٩— وَلَكِنْ عَلَى الحَمْدِ إِنْفَاقُهُ	وَقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى الثَّمَنْ

(٥٥ — ٥٩) البطنة الكظة وهى أن تمتلىء من الطعام امتلاء شديدا . الدوابر مآخير الحوافر . السفن المبرد . تحتها تقشرها وتبردها . الحجون الغزوة البعيدة الطويلة . الكور الرحل بأداته.

(٦٠ — ٦٣) الشارف الجمل الهرم . الرأى المنظر . تمارى فيه شك . سنة الرأى قصده وصوابه .

(٦٤ — ٦٥) الزجاج جمع زج بضم الزاى وهو الحديدة التى فى أسفل الرمح . شماطيط فرقا وجماعات . الرهج الغبار . مرى الدابه بساقه يمريها ركضها أى حثها بتحريك رجليه . ارجحن مال واهتز . وارجحن السراب ارتفع وذلك وقد الظهر وعند اشتداد الحر

(٦٦ — ٦٩) ياعجب الرهن عبارة تفيد التعجب ، ولم أعثر على تحقيقها فى المعاجم . والرهن مصدر رهن ، رهن بالمكان ثبت ودام ومنه نعمة راهنة أى دائمة . ورهن الرجل والفرس أى صار راهنا هزيلا . احتجن المال ضمه إلى نفسه واحتواه . الدمن جمع دمنة وهى العداوة . وأعرض الشىء ظهر وبرز ، ومنه (وأعرضت اليمامة واشمخرت) أى ظهرت .

٧٠ـــ لا يدع السعى للحمد والثناء ، وليس يشترى الحمد بالتوانى ولا الوَهَنْ

٧١ـــ عليه سلاح رجل قد طال تمرسه بالقتال ، حتى خبر الحرب وامتحن

٧٢ـــ نَبْلٌ طوال تسرع إلى أهدافها كأنها النحل ، يدفعها قوس من شجر (السراء) منسرح قليل الأُبَنْ

٧٣ـــ وسيف إذا هُزَّ هَبَّ ، غامض الجِرَاح صقيل متناسق كأنه الشَّطَنْ

٧٤ـــ ودرع بيضاء تترقرق كأنها ماء الغدير ، قد نسجت حلقتين حلقتين ، واتصل بآخرها غطاء للرأس

٧٥ـــ وإنه لبصير بمواضع الطعن ، يسدد ضرباته بين فروج الدرع ، ويضرب برمحه أوائل الخيل فتنحبس

* * *

٧٦ـــ هذا ثناء رجل قد قصدك من بعيد قاطعاً (القَرَنْ)

٧٧ـــ وقد عشت زمنا فى العراق عفيف المنزل مستغنياً عن الناس

٧٨ـــ حولى قومى من بكر وأنصارهم ، لا أبالى وعيد ذى البأس

٧٩ـــ وترامى إلىَّ خبرك ، فزعم الزاعمون ـ وليس لى علم ـ أن (قيساً) خير أهل اليمن

٨٠ـــ وأنه رفيع الوساد ، طويل النجاد ، ضخم الجفنة ، رحب الطَعَنْ

٨١ـــ ينفذ بفكره إلى صميم المشاكل ، كما يشق الحائك ثوب الرَّدَنْ

٨٢ـــ فجئتك أرتاد ما أنبئت ، ولولا الذى سمعت لم ترن

٨٣ـــ فلا تحرمنى جزيل نداك ، فانى امرؤ قبلكم لم أُهَنْ

٧٠— وَلَا يَدعُ الحَمْدَ أَوْ يَشْتَرِيـ	ـهِ بِوَشْكِ الفُتُورِ وَلَا بِالتَّوَنْ
٧١— عَلَيْهِ سِلَاحُ آمْرِئٍ مَاجِدٍ	تَمَهَّلَ فِى الحَرْبِ حَتَّى اتَّخَنْ
٧٢— سَلَاجِمَ كَالنَّحْلِ أَنْحَى لَهَا	قَضِيبَ سَرَاءٍ قَلِيلَ الأُبَنْ
٧٣— وَذَا هِبَّةٍ غَامِضًا كَلْمُهُ	وَأَجْرَدَ مَطَّرِدًا كَالشَّطَنْ
٧٤— وَبَيْضَاءَ كَالنَّهْيِ مَوْضُونَةً	لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ البَدَنْ
٧٥— وَقَدْ يَطْعُنُ الفَرْجَ يَوْمَ اللِّقَا	ءِ بِالرُّمْحِ يَحْبِسُ أُولَى السَّنَنْ
٧٦— فَهَذَا الثَّنَاءُ وَإِنِّى آمْرُؤٌ	إِلَيْكَ بِعَمْدٍ قَطَعْتُ القَرَنْ
٧٧— وَكُنْتُ آمْرَءًا زَمَنًا بِالعِرَاقْ	عَفِيفَ المُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ
٧٨— وَحَوْلِى بَكْرٌ وَأَشْيَاعُهَا	وَلَسْتُ خَلَاةً لِمَنْ أَوْعَدَنْ
٧٩— وَنُبِّئْتُ قَيْسًا وَلَمْ أَبْلُهُ	كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ آلْيَمَنْ
٨٠— رَفِيعَ الوِسَادِ طَوِيلَ النِّجَا	دِ ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ رَحْبَ العَطَنْ
٨١— يَشُقُّ الأُمُورَ وَيَجْتَابُهَا	كَشَقِّ القَرَارِىِّ ثَوْبَ الرَّدَنْ
٨٢— فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا	وَلَوْلَا الَّذِى خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ
٨٣— فَلَا تَحْرِمَنِّى نَدَاكَ الجَزِيلْ	فَإِنِّى آمْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أُهَنْ

(٧٠ — ٧١) الوشك القرب . أو هنا بمعنى إلا . اتخن صار صلبا غليظا وهو افتعل من ثخن ثخونة وثخانة أى غلظ وصلب . ويجوز فيها التاء بدل الثاء أيضا فتقول اثخن .

(٧٢ — ٧٤) سلاجم طوال يريد بها النبل . كالنحل فى سرعتها . أنحى لها قصد لها ووجه لها ، السراء شجر تعمل منه القسى . الأبن جمع أبنه وهى العقد . وإنما يختار للقوس العود السليم الذى ليس فيه عقد فذلك أقوى لها وأشد . ذاهبة يريد السيف كأنه يهب ويستيقظ إذا هز . مطرد متتابع ليس بعضه غليظاً وبعضه دقيقا . الشطن الحبل . بيضاء يقصد الدرع . النهى الغدير ، يشبهها به فى تموج بريقها . موضونة منسوجة حلقتين حلقتين . القونس البيضة أو المغفر وهو زرد ينسج على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة . الجيب فتحة الرأس . البدن الدرع القصير .

(٧٥ — ٧٨) الفرج كل فرجة بين شيئين ويقصد بها فروج الدرع أو الفتحات التى تبدو فيه . سنن الخيل أوائلها . المناخ محل الاقامة التغن الاستغناء . الخلى الرطب من النبات وكل بقلة قلعتها فهى خلى، يريد أنه ليس ضعيفاً حتى يتوعده أحد أو يتهدده ومن حوله قومه الاقوياء من (بكر) .

(٧٩ — ٨١) رفيع الوساد يكنى عن سمو مكانته . طويل النجاد يكنى به عن طول قامته ، والنجاد حمائل السيف . الدسيعة الجفنة الكبيرة يكنى بذلك عن كرمه . العطن المناخ حول مورد الماء . اجتابه اجتيابا خرقه ، واجتاب الارض قطعها . القرارى الخياط . الردن الخز . الارتياد طلب النجعة والكلأ .

يقرن بعض نقاد الشعر بين هذه القصيدة وبين قصيدة مروان ابن أبي حفصة

طرقتك زائرة فحي خيالها　　　بيضاء تخلط بالجمال دلالها

وقد كان خلف الأحمر يفضلها على قصيدة الأعشى هذه :

(١ — ٤) يلوم الأعشى صاحبته (سُمَيَّة) على صدودها عنه ، فيقول إنها قد رحلت جمالها فى الغداة غضبى عليه . ثم يتساءل ماذا بدا لها ؟ وفيم هذا الهم الطويل الذى ينتابها فى الليل وقد بدا النهار ؟ ويظهر عدم اكتراثه لصدودها . فكم غانية قبلها قد قطع وصالها حين مل صحبتها . وكم أرض أصابها المطر فأزهرت كأن التجار قد نشروا فوقها برودا زاهية الألوان ، قد ارتادها منتقلا بينها

(٥ — ٩) وكم رجل غيور على صاحبته يحرص عليها ، ويبالغ فى حياطتها ، فهو لشدة حذره لا يكاد ينام ، لم يزل يتأتى لها ، حتى أقبل الليل ، فأصاب منه غفلة عن شاته ، فخلا بها للذته ، وكان عندها حظياً أثيرا . ومعتقة من خمر بابل حمراء كدم الذبيح ، سلبها حمرتها فكست وجهه ووجناته .

(١٠ — ١١) وقصيدة محكمة غريبة يفد بها على الملوك ، قد أرسلها ليتساءل الناس لشدة إعجابهم بها (من ذاقالها؟)، وجزور قد دعا لحتفها فنحرها لصحبه المقامرين ، وقفر بعيد الأرجاء يُخْشَى فيه الضلال كان جريئاً على ركوبه واقتحامه .

* * *

وهنا ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء فى رحلته إلى ممدوحه . فهى مضلة ، عمياء ، موحشة ، يمد فيها بصره ليقدر أميالها ، فوق ناقة ضخمة سلسة القياد ، تنطلق مسرعة وقت الهاجرة ، حين تنكمش الظـــلال تحت أرجل المطى ، فكأن هِرًّا قد علق برحلها . وهى هوجاء تعتسف الطريق اعتسافا ، فتضطرب السيور التى تشد جوانب الرَّحْل إلى أرساغها ، تاركة وراءها أثر أخفافها مطبوعا على الرمال .

وقال يمدح قيس بن معديكرب :

(كامل)

١ — رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمَالَهَا غَضْبَى عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَالَهَا

٢ — هَذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ هَمِّهَا مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا

٣ — سَفَهًا ، وما تَدْرِى سُمَيَّةُ وَيْحَهَا أَنْ رُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ وِصَالَهَا

٤ — وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا نَشَرَتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا

٥ — قَدْ بِتُّ رَائِدَهَا ، وَشَاةِ مُحَاذِرٍ حَذَرًا يُقِلُّ بِعَيْنِهِ أَغْفَالَهَا

٦ — فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا

٧ — فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا

٨ — حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلاً فَخَلَتْ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلاَ لَهَا

٩ — وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

١٠ — وَغَرِيبَةٍ تَأْتِى المُلُوكَ حَكِيمَةٍ قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ مَنْ ذَا قَالَهَا

١١ — وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا وَنِيَاطِ مُقْفِرَةٍ أَخَافُ ضَلاَلَهَا

١٢ — يَهْمَاءَ مُوحِشَةٍ رَفَعْتُ لِعَرْضِهَا طَرْفِى لِأَقْدُرَ بَيْنَهَا أَمْيَالَهَا

١٣ — بِجُلَالَةٍ سُرُحٍ كَأَنَّ بِغَرْزِهَا هِرًّا إِذَا انْتَعَلَ المَطِىُّ ظِلَالَهَا

١٤ — عَسْفًا وَإِرْقَالَ الهَجِيرِ تَرَى لَهَا خَدَمًا تُسَاقِطُ بِالطَّرِيقِ نِعَالَهَا

(١ — ٣) زال زوالها استفزت من الفزع وهو من إسناد الفعل إلى مصدره .

(٤ — ٦) غادية سحابة باكرة . مصاب حيث صابت أى مطرت اسم مكان . راد الرجل رودانا دار وذهب وجاء فى طلب شىء . الشاة من الضأن والمعزى يكنى بها عن المرأة . محاذر شديد الحذر عليها دائم المراقبة لها ، وهو زوجها .

(٧ — ٩) سبأ الخمر اشتراها للشرب لا للبيع . الجريال صبغ أحمر . يعنى أنه شربها حمراء وبالها صفراء .

(١٠ — ١٢) غريبة أى قصيدة غريبة لأنها تتنقل على أفواه الرواة . الجزور من الابل خاصة يقع على الذكر والأنثى . دعا لذبحها فى الميسر . نياط الصحراء بعد طريقها فكأنها نيطت بصحراء أخرى فلا تكاد تنقطع ، ناط عليه الشىء علقه ، وناءت الدار بعدت . إليهم الجنون ، واليهماء الصحراء ليس فيها علم يهتدى به السالك . الأميال جمع ميل وهو عند العرب قدر منتهى مد البصر من الأرض .

(١٣ — ١٤) جلالة ضخمة . سرح سهلة . الغرز ركاب الرحل إذا كان من جلد ، فاذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب . وهذا شبيه ببيت عنترة :

وكأنما ينأى بجانب دفها الـ ـوحشى بعد مخيلة وترغم
هر جنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم

عسفاً أى هوجا فى سيرها . خدام الابل سيور فوق أرساغها تشد إلى الشرائح ، والشرائح جمع شريحة وهى شىء ينسج من سعف النخل ونحوه ويحمل فيه البطيخ وغيره من المتاع .

(١٥ — ١٩) وقد اختار الأعشى ناقته هذه من بين أربع كرام ، فهى فى غير حاجة إلى من يستحثها أو يستعجلها . ولم يزل يُعْمِلها حتى تركها كالهالك هزالا . كلما جوَّزَها حبَالَ قبيلة ، أخذت من الأخرى حبالها إلى الممدوح .

* * *

فاذا أرضى الشاعر نفسه من تصوير هذه الرحلة الشاقة إلى الممدوح انتقل إلى المدح

(٢٠ — ٢٤) فيقول إن (قيسا) قد أثابه ، فكأن الناقة إذ وضعت إليه رحلها لم تلق ما لقيت من ضُرٍّ طوال الشهور الستة التى رحلت فيها إليه . وهو رجل طلق اليدين يسير على نهج آباء كرام . وليس النيل إذا زخر وأزبد ، متفجرا من أرض النبيط ، يسق أهل بابل رغدا ، بأجود نائلا من ممدوحه، حين يتجهم البخيل لسائله .

(٢٥ — ٢٩) ويعيد الشاعر ماقال فى القصيدة السابقة ، من أن الممدوح يهب المائة من الإبل وعبدها ، تتبعها أطفالها تسعى خلفها ، والجواد القارح العدَّاء ، والفرس الخفيفة الوثابة الطويلة ، التى لا تكاد يد الطويل تدرك مؤخر رأسها .

ثم يستطرد الشاعر إلى وصف هذه الفرس . فيشبهها حين تطارد قطعان بقر الوحش بعقاب يسعى لرزق صغاره الضعاف ، وقد خلَّفهم وراءه فى وادى (السُّلَىّ) . ولا تزال الفرس تجرى بالوليد الذى فوق ظهرها ، حتى يدرك طريدته ، ويقذفها برمحه ، فيصيبها فى عجزها .

ثم يعود الشاعر إلى ممدوحه . فقومه من (كندة) ينتظرون منه ما عودهم من الكرم . فليغفر إذن لجاهلهم هفوته ، وليفض عليهم الخير .

١٥— كَانَتْ بَقِيَّةَ أَرْبَعٍ فَاعْتَمْتُهَا ... لَمَّا رَضِيتُ مَعَ النَّجَابَةِ آلَهَا

١٦— فَتَرَكْتُهَا بَعْدَ الْمِرَاحِ رَذِيَّةً ... وَأَمِنْتُ بَعْدَ رُكُوبِهَا إِعْجَالَهَا

١٧— فَتَنَاوَلَتْ قَيْسًا بِحُرِّ بِلَادِهِ ... فَأَتَتْهُ بَعْدَ تَنُوفَةٍ فَأَنَالَهَا

١٨— فَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ ... أَخَذَتْ مِنَ الْأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا

١٩— قِبَلَ امْرِئٍ طَلْقِ الْيَدَيْنِ مُبَارَكٍ ... أَلْفَى أَبَاهُ بِنَجْوَةٍ فَسَمَا لَهَا

٢٠— فَكَأَنَّهَا لَمْ تَلْقَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ... ضُرًّا إِذَا وَضَعَتْ إِلَيْكَ جِلَالَهَا

٢١— وَلَقَدْ نَزَلْتَ بِخَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى ... قَيْسٍ فَأَثْبَتَ نَعْلَهَا وَقِبَالَهَا

٢٢— مَا النِّيلُ أَصْبَحَ زَاخِرًا مِنْ مَدِّهِ ... جَادَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا فَجَرَى لَهَا

٢٣— زَبِدًا بِبَابِلَ فَهْوَ يَسْقِي أَهْلَهَا ... رَغَدًا تُفَجِّرُهُ النَّبِيطُ خِلَالَهَا

٢٤— يَوْمًا بِأَجْوَدَ نَائِلًا مِنْهُ إِذَا ... نَفْسُ الْبَخِيلِ تَجَهَّمَتْ سُؤَّالَهَا

٢٥— الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْهِجَانَ وَعَبْدَهَا ... عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا

٢٦— وَالْقَارِحَ الْعَدَّا وَكُلَّ طِمِرَّةٍ ... مَا إِنْ تَنَالُ يَدُ الطَّوِيلِ قَذَالَهَا

٢٧— وَكَأَنَّمَا تَبِعَ الصُّوَارَ بِشَخْصِهَا ... فَتْخَاءُ تَرْزُقُ بِالسُّلَيِّ عِيَالَهَا

٢٨— طَلَبًا حَثِيثًا بِالْوَلِيدِ تَبُزُّهُ ... حَتَّى تَوَسَّطَ رُمْحُهُ أَكْفَالَهَا

٢٩— عَوَّدْتَ كِنْدَةَ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا ... اغْفِرْ لِجَاهِلِهَا وَرَوِّ سِجَالَهَا

(١٥ — ١٩) رذية هالكة من الهزال . حر بلاده ، حر كل شيء وسطه تنوفة صحراء . النجوة ما ارتفع من الأرض .

(٢٠ — ٢٢) الجلال جمع جل بضم الجيم وهو ماتلبسه الدابة لتصان به . النعل مايلبس ليقي الخف والحافر . القبال زمام النعل وهو السير الذى تشد به بين الاصبع الوسطى والتى تليها ، وهو الشسع بكسر الشين وسكون السين .

(٢٣ — ٢٥) النبيط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين ، قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . تجهمه وتجهم له استقبله بوجه كريه مكفهر . الهجين الخيار من كل شيء . العوذ الحديثات النتاج . زجى الشيء دفعه برفق .

(٢٦ — ٢٩) فرح ذو الحافر (مثل خضع) انتهت أسنانه ، وذلك بعد خمس سنين . طمرة خفيفة وثابة . القذال جماع مؤخر الرأس . الصوار قطيع البقر . فتخاء عقاب فتخاء أى لينة الجناح . السلى واد دون حجر (بفتح ثم سكون) . حثيثا سريعاً تبزه تغلبه . الكفل العجز . السجال جمع سجل (بفتح فسكون) وهو الدلو العظيمة .

(٣٠—٣٤) وليحمل عنهم أعباءهم حين يحل بهم خطب ، كما يحمل الجمل الذلول أحمال أصحابه .

ويقسم الأعشى بمن جعل الشهور علامة ومواقيت ، أن قيساً لم يكن فى الحرب الضروس - إذا شبت وكأنها النار قد اشتعلت فى الحطب اليابس الجزل - ضعيفاً ولا حديث التجربة . فلقد سعى لقومه من كندة غير واهن ، فقهر عدوها وشيد لها مجدا باقيا .

(٣٥—٣٩) ولقد أهان صالح ماله للفقير من قومه ، وأسى جراحهم وأصلح بينهم وسعى لخيرهم . فهو لا يضيعهم بالغيب كما يفعل امرؤ قد هانت عليه عشرته فغالها .

وممدوحه رجل قوى ، ولكنه سمح كريم . فهو يضر وينفع . وهو حاذق لشئون الحرب ، مغامر قد ألف القتال وأحبه . لا تنال يداه غنيمة حتى يشد الركاب لغنيمة أخرى يغتصبها من صاحب نعمة مترف ليصل بها رحمه وذوى قرباه .

(٤٠—٤٤) ويصف الشاعر ما يشن ممدوحه من غارات طويلة الأمد ، ترى الخيل فيها شعثا قد أجهدها التعب ، ولم تقو صغارها على متابعتها ، فغادرتها فى الطريق . وسقطت أعنة الخيل فى هذا المعترك الرهيب الذى اختلطت فيه أصوات الفرسان ، يهيبون بالخيل أن تتقدم ، فلا تُستَحَثُّ ولا تؤدب بغير الزجر والركض . فإذا كان وقت الغـارة ، وأشار الدليل بثوبه ، سُقيت الخيل ، وهُرِيق ما بقي من ماء ، ليقاتل المقاتلون علي ماء العدو .

٣٠— وَكُنْ لَهَا جَمَلًا ذَلُولًا ظَهْرُهُ ‏ احْمِلْ وكُنْتَ مُعَاوِدًا تَحْمَالَهَا

٣١— وَإِذَا تَحُلُّ مِنَ الخُطُوبِ عَظِيمَةٌ ‏ أَهْلِي فِدَاؤُكَ فَاكْفِهِمْ أَثْقَالَهَا

٣٢— فَلَعَمْرُ مَنْ جَعَلَ الشُّهُورَ عَلَامَةً ‏ قَدَرًا فَبَيَّنَ نِصْفَهَا وَهِلَالَهَا

٣٣— مَا كُنْتَ فِى الحَرْبِ العَوَانِ مُغَمَّرًا ‏ إِذْ شَبَّ حَرٌّ وَقُودَهَا أَجْزَالَهَا

٣٤— وَسَعَى لِكِنْدَةَ غَيْرَ سَعْيِ مُوَاكِلٍ ‏ قَيْسٌ فَضَرَّ عَدُوَّهَا وَبَنَى لَهَا

٣٥— وأَهَانَ صَالِحَ مَالِهِ لِفَقِيرِهَا ‏ وَأَسَى وَأَصْلَحَ بَيْنَهَا وَسَعَى لَهَا

٣٦— مَا إِنْ تَغِيبُ لها كَمَا غَابَ امْرُؤٌ ‏ هَانَتْ عَشِيرَتُهُ عَلَيْهِ فَغَالَهَا

٣٧— وَتَرَى له ضُرًّا عَلَى أَعْدَائِهِ ‏ وَتَرَى لِنِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ نَالَهَا

٣٨— أَثَرًا مِنَ الخَيْرِ المُزَيِّنِ أَهْلَهُ ‏ كَالغَيْثِ صَابَ بِبَلْدَةٍ فَأَسَالَهَا

٣٩— ثَقِفٌ إِذَا نَالَتْ يَدَاهُ غَنِيمَةً ‏ شَدَّ الرِّكَابَ لِمِثْلِهَا لِيَنَالَهَا

٤٠— بِالخَيْلِ شُعْثًا مَا تَزَالُ جِيَادُهَا ‏ رُجُعًا تُغَادِرُ بِالطَّرِيقِ سِخَالَهَا

٤١— أَمًّا لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ طَرَّحْتَهَا ‏ ووِصَالِ رَحْمٍ قد نَضَحْتَ بِلَالَهَا

٤٢— طَالَ القِيَادُ بِهَا فَلَمْ تَرَ تَابِعًا ‏ لِلْخَيْلِ ذَا رَسَنٍ وَلَا أَعْطَالَهَا

٤٣— وَسَمِعْتُ أَكْثَرَ مَا يُقَالُ لَهَا اقْدَمِي ‏ وَالنَّصَّ وَالْإِيجَافَ كَانَ صِقَالَهَا

٤٤— حَتَّى إِذَا لَمَعَ الدَّلِيلُ بِثَوْبِهِ ‏ سُقِيَتْ وَصَبَّ رُوَاتُهَا أَشْوَالَهَا

(٣٠ — ٣٥) ذلول حسن الخلق دمثه . العوان من الحرب هى التى قوتل فيها مرة بعد مرة . المغمر والغمر (بفتح فسكون) الجاهل الأبله الذى لم يجرب الأمور . الجزل (بفتح فسكون) ما عظم من الحطب ويبس . أسا الجرح داواه .

(٣٦ — ٣٨) غاله أى عابه وذكره بالسوء . غالها سعى لفسادها . صاب المطر انصب ونزل .

(٣٩ — ٤١) ثقف رفيق حاذق . شعثا أى متفرقة الشعر منتشرته . رجعا جمع رجيع وهو الذى أعياه السفر فكل . السخل ابن المعز والضأن ويقصد به هنا ابن الفرس . أما أى قصدا وتعمداً ، وأمه أى نصده . رحم الرجل قرابته . نضح بلالها أى وصلها كأنها كانت يابسة فبلها ونداها .

(٤٢ — ٤٤) الأعطال من الخيل والابل هى التى لاقائد عليها ولا أرسان لها ولا سمة عليها . نص الدابة استحثها . صقل الناقة أضمرها ، وصقله بالعصا ضربه وأدبه . نص الدابة استحثها . الايجاف الركض . الأشوال والأوشال القليل من الماء . لمع بيده وبثوبه وبسيفه أشار . الدليل الذي يرشد الجيش .

(٤٥—٤٩) وأمسك الخدم بالرِّكَاب ، فركب الفرسان . حتى إذا أشار الممدوح بالهجوم ، أجيلت بأمره الخيل، تثير سوابقُها عَجَاجَةً كالسحاب ، وقد تتابعت جماعاتها تتبارى فى الأَعِنَّة ، حتى تعود آخر اليوم محملة بالغنائم والأسلاب .

والناس على خوف من الممدوح . من أصابه الغزو أزال نعمته ، ومن أخطأه قطع القيظ مقيما بالفلاة مكتفيا بالتافه اليسير من الأعشاب ، لا يقرب الماء من خشيته . ولكم حوى من الإبل التى يبعدبها صاحبها فى الرعى فأصبحت غنيمة له . ولكم أصاب من الإبل التى يحبسها أصحابها خوف الغارة ففك عقالها .

(٥٠—٥٤) ولكم أصابت نعمته ذا فاقة فأغنته . وكم نزلت بذى نعمة فأفقرته .

* * *

ويختم الشاعر قصيدته بهذه الأبيات التى كان يعجب بها عبدالملك بن مروان . حتى لقد وصفه الأخطل فى بعض قصائده بأنه يغشى الحرب مدججاً بالسلاح مثقلا بالدروع ، فقال له :

هلا قلت كما قال الأعشى :

وإذا تجىء كتيبة ملمومة . . . . (الأبيات)

فأجاب الأخطل متخلصاً : وصفتك بالحكمة ، ووصف الأعشى ممدوحه بالتهور والحمق .

يقول الأعشى :

إذا أقبلت الكتيبة مجتمعة خرســـاء ، تَغْشَى رماحُها العطاشُ الذائدين . وقد تراكم فوقها الحديد ، فأوقعت الرعب فى قلب الفارس المغطى بالدروع والسلاح ، فى ذلك الوقت تتقدم مندفعاً لا تسترك درع ، وتضرب بسيفك فيترك أثره فى الفرسان . ذلك بما تعلم أن المرء لا يسبق أجله ، وأنه لايموت إلا فى حينه وميقاته .

٤٥— فَكَفَى العَضَارِيطُ الرِّكَابَ فَبُدِّدَتْ   مِنْهُ لِأَمْرِ مُؤَمِّلٍ فَأَجَالَهَــا

٤٦— فَتَرَى سَوَابِقَهَا يُثِرْنَ عَجَاجَةً   مِثْلَ السَّحَابِ إِذَا قَفَوْتَ رِعَالَهَا

٤٧— مُتَبَارِيَاتٍ فِى الأَعِنَّةِ شُزَّبًا   حَتَّى تُفِيءَ عَشِيَّةً أَنْفَالَهَا

٤٨— فَأَصَبْنَ ذَا كَرَمٍ وَمَنْ أَخْطَأْنَه   جَزَأَ المَقِيظَةَ خَشْيَةً أَمْثَالَهَا

٤٩— وَلَبُونِ مِعْزَابٍ حَوَيْتَ فَأَصبحتْ   نُهْبَى وَآزِلَةٍ قَضَبْتَ عِقَالَهَا

٥٠— وَلَقَدْ جَرَرْتَ إِلَى الغِنَى ذَا فَاقَةٍ   وَأَصَابَ غَزْوُكَ إِمَّةً فَأَزَالَهَا

٥١— وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ   خَرْسَاءُ تُغْشِى مَنْ يَذُودُ نِهَالَهَا

٥٢— تَأْوِى طَوَائِفُهَا إِلَى مُخْضَرَّةٍ   مَكْرُوهَةٍ يَخْشَى الكُمَاةُ نِزَالَهَا

٥٣— كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ   بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا

٥٤— وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتْفَهَا   مَا كَانَ خَالِقُهَا المَلِيكُ قَضَى لَهَا

(٤٥ — ٤٨) العضاريط جمع عضروط وهو التابع . العجاجة الغبار . قفا الشيء تتبعه وسار على أثره . الرعال جمع رعلة وهى القطعة من الخيل . شزب جمع شازب وهو الضامر. الأنفال الغنائم . جزأ بالشيء اكتفى ، وجزأ الماشية بالرطب عن الماء أقنعها . المقيظة نبات يبقى أخضر إلى القيظ .

(٤٩ — ٥١) لبون فى ضرعها لبن . معزاب راع يعزب بإبله أى يبعد بها فى المرعى . آزلة من الأزل وهو ضيق العيش والبؤس . الأمة النعمة . ملمومة مجتمعة . يذود يدافع . نهالها رماحها وسيوفها . النهال أى العطاش كأنها ظامئة إلى شرب الدماء .

(٥٢ — ٥٤) مخضرة كتيبة خضراء لكثرة ما عليها من الحديد ، والعرب تسمى الأسود أخضر . الكمى الذى كمى نفسه بالسلاح أى استتر به . الجنة الترس لأنه يجن صاحبه أى يخفيه ويستره . أعلمه جعل عليه علامة وذلك بالطعن والجراح .

فى هذه القصيدة توجيه . وهو اختلاف الحركة فى الحرف السابق للروى . ومعظم علماء العروض يعدونه عيباً . وبعضهم يجيزه فى الكسرة مع الضمة لقربهما . ولكنهم لا يجيزون مع الفتحة غيرها . وقد جمع الأعشى فى هذه القصيدة بين الفتحة والكسرة والضمة . فقال منجذم بكسر الذال فى البيت (١) ، وعلم بكسر اللام فى البيت (٢) ، ثم قال بصحراء زم بضم الزاى فى البيت (٦) ، وذو وحسم بضم السين فى البيت (٩) ، وقال مع ذلك وارتسم بفتح السين فى البيت (١١) ، والعجم بفتح الجيم فى البيت (٢٥) . وقد كان الأخفش يجيز التوجيه ويقول إنه قد كثر فى فصحاء العرب . ونحن نرى أن البيتين (٤٩) ، (٥٠) متأخران عن موضعهما ، والأفضل أن يجيئا بعد البيت (١٤) .

يبدأ الأعشى قصيدته بذكر خليلة قد قطعته ، فهو متردد فى أمرها ، يحدث نفسه قائلا :

(١ — ٤) أتهجرها ؟ أم تزورها ؟ أم أن مودتها قد رَثَّتْ ، فحبلها واه منقطع ؟ . . أم أن الصبر أجمل وأدنى إلى الحكمة والعقل ، وسينفع العاقل عقله ؟ . وإنك لتجد الراشد الذى أدرك حقيقة الأمر فكف عن الغى وانتهى ، كما تجد المتردد المغلوب على أمره ، الذى يتبين الأمر ثم لا يدرى أيكف عنه أم يقصد له ويرضى به . فهو يعصى المشفقين عليه مما هو فيه ، ويندفع إلى الغى مستسلماً للهوى ، متهما كل ناصح أمين .

(٥ — ٩) لم يكن ذلك إلا طيش شباب ، أُعَاقَبُ عليه اليوم بما أسرفت فى الإثم ... بل لم يكن ذلك إلا نظرة أصابتنى على غِرَّةٍ بصحراء (زُمّ) إذ نحن خُلَطاء ، وابتسامةٌ فاتنة عن أسنانها المتفرقة الجميلة فى استوائها ... كيف السبيل إليها الآن وقد نأت ، فأقرب دورها (ذو حُسُم) ، وخلَّفت فى الصدر صدعا كصدع الزجاجة لا يلتئم ؟ .

(١٠—١٤) ويصرف الأعشى نفسه عن هذه الهموم ، مستعيدا ذكريات الفتوة والشباب .

إن غدا اليوم مخذولا مغلوبا ، فياربما كان قوياً مالكا لأمره . ياربما شرب الخمر فى لونها الأحمر ، يبرزها صاحبها اليهودى مختومة لم تفض ولم تعبث بها يد ، قد ضربها الريح فى دَنِّها ، يصلى عليها صاحبها مكبرا . يَتمزَّزُها متذوقا مستأنياً ، مقبلا على الندماء ، مواجها الحقائق ، لا يلتمس الهروب منها بالإنكار . وياربما حل برجل شريف كريم كالسيف الصقيل ، يجود عن سعة ، فأذا أعوزه المال استجلبه من وَجْهِهِ بالغزو ، فأعطاه هذا الشريف لفرط كرمه حُكمَهُ فيما يطلب من العطاء .

وقال يمدح قيس بن معديكرب :

(متقارب)

١ — أتهجُرُ غانيةً أم تُـلِمْ ... أم الحبْلُ واهٍ بها مُنْجَذِمْ

٢ — أم الصَّبْرُ أحجى فأنَّ آمرءًا ... سيَنْفَعهُ عِلْمُهُ إنْ عَلِمْ

٣ — كمَا راشدٍ تجِــدَنَّ آمرءًا ... تبيَّنَ ثُمَّ آنتَهى أوْ قَدِمْ

٤ — عَصَى المُشْفِقِينَ إلَى غَيِّهِ ... وكُلَّ نَصِيحٍ لَهُ يَتَّهِمْ

٥ — ومَا كَانَ ذٰلِكَ إلاَّ الصِّبَى ... وإلاَّ عِقابَ آمْرِئٍ قَدْ أثِمْ

٦ — ونَظْرَةَ عَيْنٍ عَلَى غِرَّةٍ ... مَحَلَّ الخَليطِ بِصَحْرَاءِ زُمْ

٧ — ومَبْسِمِهَا عَنْ شَتِيتِ النَّبَا ... تِ غَيْرِ أكَسَّ ولَا مُنْقَضِمْ

٨ — فبانَتْ وفى الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا ... كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ ما يَلْتَئِمْ

٩ — فكَيْفَ طِلَابُكَهَا إذْ نَأَتْ ... وأدْنَى مَزَارًا لَهَا ذُو حُسُمْ

١٠ — وصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا ... وأبْرَزَهَا وعَلَيْهَا خُتُمْ

١١ — وقَابَلَهَا الرِّيحُ فى دَنِّهَا ... وصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وآرْتَسَمْ

١٢ — تمَزَّزْتُهَا غَيْرَ مُسْتَدْبِرٍ ... عَنِ الشَّرْبِ أوْ مُنْكِرٍ مَاعَلِمْ

١٣ — وأبْيَضَ كالسَّيْفِ يُعْطِى الجَزِيـ ... ـلَ يَجُودُ ويَغْزُو إذَا مَا عَدِمْ

١٤ — تَضَيَّفْتُ يَوْمًا عَلَى نَارِهِ ... مِنَ الجُودِ فى مَالِهِ أحْتَكِمْ

(١ — ٣) ألم بالقوم زارهم زيارة قصيرة . واه ضعيف . جذم الحبل فانجذم قطعه . أحجى أفعل تفضيل من الحجا وهو العقل . العلم إدراك الشيء بحقيقته . رشد (كنصر) اهتدى فهو راشد . تبين الأمر أوضحه وفهمه . انتهى كف وارعوى . قدم على العيب رضى به ، وقدم إلى الأمر قصد له .

(٤ — ٦) الصبا الميل إلى الصبوة وجهلة الفتوة . الخليط المخالط كالجار وابن العم والصاحب والشريك . زم بئر بأرض سعد بن مالك قوم الأعشى .

(٧ — ٩) الشتيت المتفرق المفلج من الأسنان . الكسس قصر الأسنان .

(١٠ — ١٤) الصهباء الخمر والصهبة الحمرة . صلى برك ودعا . ارتسم الرجل لله كبر ودعا وتعوذ . تمزز الشراب تمصمصه قليلا قليلا . تضيفت نزلت ضيفاً .

(٤٩ ، ٥٠) ولقد تأتيه الكلمة القبيحة العوراء ، فيردها على صاحبها بالقصيدة الشنعاء ، التى تخرس الداهية من الرجال ، تغلى و تفور ، ويتطاير منها الشرر والويل . ويا ربما ركب الصحراء جريئاً لا يبالى المخاطر .

(١٥—١٩) وهنا ينصرف الشاعر إلى الصحراء ، فيصورها فى رهبتها المفزعة وسكونها المخيف . فهى عمياء ، لا يتبين السالك فيها طريقه ، راكدة المياه ، مطموسة الآبار ، لا يسمع المسافر فيها إلا عزيف الجن . ولكن الشاعر يقتحمها بناقته الجريئة الضخمة ، وكأنها الفحل الشرس المكرم عند أهله لا يُؤْذَى ولا يُرْكَب . يُغضِبُها مَسُّ السوط ، فتعدو فى شدة الحر وقت الهجير ، حين تتلفع الآكام بالسراب ، كاظمة غيظها ، ممسكة على رغائها .

فمثلها يفرج هم المهموم ، وعلى مثلها يُشْفَى الفؤاد السقيم .

(٢٠—٢٤) ثم يتخلص الشاعر إلى ممدوحه فيقول :

فى سبيل قيس ما أطلت السرى . وفى سبيله ما لقيت من عناء فى رحلتى ، أمر بالقبائل والأحياء ، آخذاً منها العهود . وكم دون بيتك من عداة غاشمين ، إذا أنا حَيَّيْتُ لم يرجعوا التحية ، وما بهم من صمم . وكم دون الوصول إليك من سير فى الليل المخيف وفى الهاجرة الملتهبة .

فاذا هيأ الشاعر للمدح بهذه المقدمة ، اندفع فى تعظيم قيس ، مشيدا بغزوه لبنى عامر بن عُقَيْل واستنقاذه ابن عمه قبيسة بن كلثوم من أسرهم . فقد ترامت أنباء هذا الغزو إلى الأعشى وهو فى قومه باليمامة ، تفصله عن حضرموت (الصفا) و (الرجم) .

(٢٥—٢٩) أقبل قيس على عدوه يقود خيلا قد انتشرت فى الأرض كأنها النَّوَى كَثْرَةً . وبات جيش العدو يرجف من الفزع فى انتظار الصباح ، وقد لبس فرسان قيس دروعهم ، وباتت الخيل تحتهم وقوفا لا تقرب الطعام ، فهى تلوك اللُّجُم فى قلقها واضطرابها وتحفُّزها .

ها أنت ذا قد أقبلت على غزوهم غير هياب ، فانتقمت لنفسك ، ولم تترك ثأرك مقيما فى دارهم .

١٥ — وَيَهْمَاءَ تَعْزِفُ جِنَّانُهَـــا   مَنَاهِلُهَا آجِنَاتٌ سُدُمْ

١٦ — قَطَعْتُ بِرَسَّامَةٍ جَسْرَةٍ   عُذَافِرَةٍ كَٱلْفَنِيقِ ٱلْقَطِمْ

١٧ — غَضُوبٍ مِنَ السَّوْطِ زَيَّافَةٍ   إِذَامَا ارْتَدَى بِالسَّرَابِ الأَكَمْ

١٨ — كَتُومِ الرُّغَاءِ إِذَا هَجَّرَتْ   وَكَانَتْ بَقِيَّةَ ذَوْدٍ كُتُمْ

١٩ — تُفَرِّجُ لِلْمَرْءِ مِنْ هَمِّهِ   وَيُشْفَى عَلَيْهَا الفُؤَادُ السَّقِمْ

٢٠ — إِلَى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى   وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ

٢١ — وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ مَعْشَرٍ   صُبَاةِ الحُلُومِ عُدَاةٍ غُشُمْ

٢٢ — إِذَا أَنَا حَيَّيْتُ لَمْ يَرْجِعُوا   تَحِيَّتَهُمْ وَهُمُ غَيْرُ صُمْ

٢٣ — وَإِدْلَاجِ لَيْلٍ عَلَى خِيفَةٍ   وَهَاجِرَةٍ حَرُّهَا يَحْتَدِمْ

٢٤ — وَإِنَّ غَزَاتَكَ مِنْ حَضْرَمَوْتْ   أَتَتْنِي وَدُونِي الصَّفَا وَالرُّجُمْ

٢٥ — مَقَادَكَ بِالخَيْلِ أَرْضَ العَدُوْ   وَجُذْعَانُهَا كَلَفِيظِ العَجَمْ

٢٦ — وَجَيْشُهُمُ يَنْظُرُونَ الصَّبَا   حَ فَٱلْيَوْمَ مِنْ غَزْوَةٍ لَمْ تَخِمْ

٢٧ — وُقُوفًا بِمَا كَانَ مِنْ لَأْمَةٍ   وَهُنَّ صِيَامٌ يَلُكْنَ اللُّجُمْ

٢٨ — فَأَظْعَنْتَ وِتْرَكَ مِنْ دَارِهِمْ   وَوِتْرُكَ فِي دَارِهِمْ لَمْ يُقِمْ

٢٩ — تَؤُمُّ دِيَارَ بَنِي عَامِرٍ   وَأَنْتَ بِآلِ عُقَيْلٍ فَغِمْ

(١٥ — ١٨) يهماء عمياء مطموسة المسالك . عزفت الجن صوتت فى المفاوز . آجنة راكدة . سدم الماء تغير لطول عهده وطحلب ووقع فيه التراب وغيره حتى اندفن . الرسيم ضرب من العدو للابل . جسرة ضخمة . العذافر العظيم الشديد من الابل . الفنيق الفحل المكرم عند أهله لا يؤذى ولا يركب . فحل قطم هائج . زاف البعير يزيف وهى سرعة فيها تمايل . كتوم الرغاءلاترغوإذا ركبت لانها مهذبة . الذود من الابل مابين الثلاث إلى العشر .

(١٩ — ٢١) عصم عهود . صباة الحلوم خفاف الحلوم فيهم جهل وطيش . الغشوم الظالم الغاصب .

(٢٢ — ٢٥) الادلاج سير الليل كله . الجذعان جمع جذع وهو لولد الشاة فى السنة الثانية ، ولذى الحافر فى السنة الثالثة والابل فى السنة الخامسة . العجم النوى. لفيظ ملفوظ من الفم وهو فعيل بمعنى مفعول .

(٢٦ — ٢٩) خام نكص وجبن . اللأمه الدرع . صيام قيام . الوتر الثأر . آظعنه نقله ورحله لانه أخذ بثأره ، وكانت بنوعامر قد أسرت رجلا من كندة فغزاهم قيس واستنقذه . آل عقيل عقيل بن كعب بن ربيعه . فغم بالمكان أقام به ولازمه .

(٣٠–٣٤) عضتهم الحرب ، ولفحتهم أنفاسُها الحارة الكريهة ، وما أبغض الحرب بعد أمن وسلام . تُعَاوِدهم الكَرَّة بعد الكَرَّة ، كما يطوف الطائف بحجارة القبر .

بوركت من شهم أخى ثقة ، وما ضاع رجل أنت من ورائه تحميه . ضَيَاعَ « دَرِم » الذى قُتِلَ ولم يُثْأَرْ له ، فذهب فى الناس مثلا . وإن جارك لمصون حتى يصل إلى مأمنه ، كالطفل آمن فى بطن أمه حتى تشرق عليه الحياة .

نصبت نفسك حامياً لعشيرتك ، قائماً على الثأر فيهم ، تنتقم باطشاً ، أو تعفو عفو القوى القادر .

(٣٥–٣٩) فلست بالضعيف ولا باللابس النعل قد انقطعَتْ سُيُورُه ، ولكنك راسخ القدم مكين ، خبير بالحروب .

ويصور الأعشى كرم ممدوحه بمثل ما فعل فى القصيدتين السابقتين . فليس الفرات إذا أزبد وتلاطمت أمواجه ، فكب السفينة ذات القلاع لوجهها ، حتى ليكاد صدرها أن يتحطم ، فترى الملاح يتمايل وسطها ، وقد لجأ لشدة خوفه إلى مؤخرها – ليس هذا النهر الجياش الفياض فى مثل حاله تلك بأجود منه فى وقت الجدب ، حين تصحو السماء وينقطع المطر .

(٤٠–٤٥) فهو يهب المائة المصطفاة من الإبل كأنها النخل يطوف بها المُجْتَنِى ، والفرسَ الجواد العدَّاء ، يجرى على سنابك صلبة طوال كأنها قرون الظباء ، تلكم الحجارة فى شدة عدوها . يصيد حمار الوحش وأتانه الحائل التى لم يثقلها الحمل فيعوقها عن الجرى ، فيلحق بهما موفورَ النشاط فى غير جهد ، لم يتصبب عرقا . ويشبه هذا الفرس بالصقر الشره إلى اللحم ، حين يتبع القطيع من البقر وقد أدبر مولياً للفرار ، تتوالى أفراده كأنها عقد لؤلؤ قد انفرط ، فهوت حباته متتابعة .

٣٠— أَذَاقَتْهُم الحَرْبُ أَنْفَاسَهَا ... وَقَدْ تُكْرَهُ الحَرْبُ بَعْدَ السَّلَمْ

٣١— تَعُودُ عَلَيْهِمْ وَتُمْضِيهِمُ ... كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ المُرْتَجِمْ

٣٢— وَلَمْ يُودِ مَنْ كُنْتَ تَسْعَى لَهُ ... كَمَا قِيلَ فِى الحَىِّ أَوْدَى دَرِمْ

٣٣— وَكَانَتْ كَحُبْلَى غَدَاةَ الصَّبَا ... حِ كَانَتْ وِلَادَتُهَا عَنْ مُتِمْ

٣٤— يَقُومُ عَلَى الوَغْمِ فِى قَوْمِهِ ... فَيَعْفُو إِذَا شَاءَ أَوْ يَنْتَقِمْ

٣٥— أَخُو الحَرْبِ لَا ضَرَعٌ وَاهِنٌ ... وَلَمْ يَنْتَعِلْ بِقِبَالٍ خَذِمْ

٣٦— وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الفُرَا ... تِ جَوْنٌ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمْ

٣٧— يَكُبُّ الخَلِيَّةَ ذَاتَ القِلَا ... عِ قَدْ كَادَ جُؤْجُؤُهَا يَنْحَطِمْ

٣٨— تَكَأْكَأَ مَلَّاحُهَا وَسْطَهَا ... مِنَ الخَوْفِ كَوْثَلَهَا يَلْتَزِمْ

٣٩— بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ ... إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغِمْ

٤٠— هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ... ةَ كَالنَّخْلِ طَافَ بِهَا المُجْتَرِمْ

٤١— وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الخِصَا ... بِ يَرْدِى عَلَى سَلِطَاتٍ لُثُمْ

٤٢— سَنَابِكُهُ كَمَدَارَى الظِّبَا ... ءِ أَطْرَافُهُنَّ عَلَى الأَرْضِ شُمْ

٤٣— يَصِيدُ النَّحُوصَ وَمِسْحَلَهَا ... وَجَحْشَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِمْ

٤٤— وَيَوْمٍ إِذَا مَا رَأَيْتُ الصِّوَا ... رَ أَدْبَرَ كَاللُّؤْلُؤِ المُنْخَرِمْ

(٣٠—٣٤) الأنفاس جمع نفس وهو الجرعة أو نسيم الهواء . الرجمة حجارة كانوا ينصبونها على القبر ويطوفون حولها فى الجاهلية . أودى الرجل هلك . درم بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان قتل ولم يثأر له . متم تمت مدة حمله . الوغم الثأر والحقد .

(٣٥—٣٨) ضرع ضعيف . القبال الشسع وهو سيور النعل . خذم منقطع . وهو مثل ضربه لثباته وقوته . مزبد يعلوه زبد الأمواج ، جون أبيض وهو من الأضداد يطلقه العرب على الأبيض وعلى الأسود . غارب كل شىء أعلاه والمقصود به الأمواج . الخلية السفينة الكبيرة . القلاع الشراع . جؤجؤ السفينة صدرها . تكأكأ تمايل من الخوف . كوثل السفينة ذنبها ومؤخرها ، وفيه يكون الملاحون ومتاعهم .

(٣٩—٤١) الماعون فى الجاهلية كل عطاء . غامت السماء أطبق بها السحاب . يقصد أنه يجود وقت الجدب . جرم النخل جمع ثمارها . الخصاب النخل ، وقيل الكثير الحمل منه . يردى يعدو . سنابك سلطات أى طوال . لثم تلثمها الحجارة وتلكمها .

(٤٢—٤٤) السنبك مقدم الحافر . مدارى الظباء قرونها . أشم مرتفع . النحوص الحائل التى لم تحمل ، وهى أسرع جرياً لأن بطنها لا تثقلها . المسحل حمار الوحش . يستحم يعرق من كثرة الجرى . أى أنه يدركها من غير تعب . الصوار قطيع بقر الوحش . خرم الخرزة واللؤلؤة فصمها . يشبهها فى تتابعها باللؤلؤ قد انقطع سلكه فهو يتلو بعضه بعضا .

(٤٦ — ٥٠) وكيف لا يكون ممدوحه بهذا الكرم وبهذه الشجاعة ، وهو من بنى معاوية الأكرمين ، عظام القباب ، طوال القامات ، أهل الحرب والسلم .

إنْ دعوتهم للقتال أتتك منهم خيل محملة بالعدة والسلاح ، وإذا رأيتهم فى ناديهم وقت السلم ، رأيت أحلاما راجحة ، وأيادى ندية لا تُبْقِى على شىء .

إلى هنا ينتهى المدح . وقد كان المألوف فى ترتيب القصيدة الجاهلية أن يختم الشاعر قصيدته .

(٥١ — ٥٩) ولكن الأعشى يمضى فى الحديث عن ابنة له تخاف عليه مخاطر الطريق فى رحلاته التى لا تكاد تنتهى ، وتشكو إليه وحدتها وانفرادها من بَعْدِه . فيعزيها الشاعر ، ويهدىء مخاوفها ، ضاربا لها لأمثال ، مواسياً بالقصص والأخبار .

تقول ابنتى وقد عزمت على الرحيل : أقم ولا تبرح ، فأَنَّا بخير مادمت مقيما . فأَذا أضمرتك البلاد جفانا الناس ، وقطعتنا الأرحام ، فنحن والأيتام سواء .

فقلت لها : أفى الأسفار تخافين على الموت ؟ وكم ميِّتٍ مات فى فراشه لم يبرح بلده . وليست هذه يا ابنتى بأولى رحلاتى . فقد طفت فى سبيل المال آفاق الأرض ، وابتغيته فى كل مكان . فلو كانت الرحلة تقتل لقتلتنى هذه الرحلات ، بين عمان وحمص وأرشليم ، وأرض النجاشى وأرض النبيط وأرض العجم ، ونجران وحمير وحضرموت . وفيم خوف الموت يا إبنتى وكل شىء إلى زوال .

٤٥ — تَدَلَّى حَثِيثًا كَأَنَّ الصِّوَا ‌ ‌ ‌ ‌ رَ أَتْبَعَهُ أَزْرَقِيٌّ لَحِمْ

٤٦ — فَأَنَّ مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينْ ‌ ‌ ‌ ‌ عِظَامُ القِبَابِ طِوَالُ الأُمَمْ

٤٧ — مَتَى تَدْعُهُم لِلِقَاءِ الحُرُو ‌ ‌ ‌ ‌ بِ تَأْتِكَ خَيْلٌ لَهُمْ غَيْرُ جُمْ

٤٨ — إِذَا مَا هُمُ جَلَسُوا بِالعَشِ ‌ ‌ ‌ ‌ يِّ فَأَحْلَامُ عَادٍ وَأَيْدِي هُضُمْ

٤٩ — وَعَوْرَاءَ جَاءَتْ فَجَاوَبْتُهَا ‌ ‌ ‌ ‌ بِشَنْعَاءَ نَافِيَةٍ لِلرَّقِمْ

٥٠ — بِذَاتِ نَفِيٍّ لَهَا سَوْرَةٌ ‌ ‌ ‌ ‌ إِذَا أُرْسِلَتْ فَهْيَ مَا تَنْتَقِمْ

٥١ — تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيلْ ‌ ‌ ‌ ‌ أَرَانَا سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتِمْ

٥٢ — أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عِنْدِنَا ‌ ‌ ‌ ‌ فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

٥٣ — وَيَا أَبَتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا ‌ ‌ ‌ ‌ فَإِنَّا نَخَافُ بِأَنْ تُخْتَرَمْ

٥٤ — أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلَا ‌ ‌ ‌ ‌ دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

٥٥ — أَفِي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى ‌ ‌ ‌ ‌ وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمْ

٥٦ — وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ ‌ ‌ ‌ ‌ عُمَانَ فَحِمْصَ فَأُورِيشَلِمْ

٥٧ — أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ ‌ ‌ ‌ ‌ وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ العَجَمْ

٥٨ — فَنَجْرَانَ فَالسَّرْوَ مِنْ حِمْيَرٍ ‌ ‌ ‌ ‌ فَأَيَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ

٥٩ — وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ‌ ‌ ‌ ‌ فَأَوْفَيْتُ هَمِّي وَحِينًا أَهُمْ

(٤٥ — ٤٧) حثيثاً سريعاً . أزرق صقر . لحم قرم إلى اللحم جوعان . القبة الخيمة الضخمة . الأمم جمع أم بفتح الهمزة وهو رئيس القوم . رجل أجم لا رمح له وبيت أجم لا رمح فيه .

(٤٨ — ٥١) يد هضوم تجود بما لديها والجمع هضم (ككتب) . العوراء الكلمة القبيحة . الرقم الداهية . النفي ما تناثر من القدر عند الغليان وما تطاير من الماء عن الرشاء ، وما نفته الحوافر من حصى وغيرها . ما تنتقم لا يأخذ أحد بثأرها .

(٥٢ — ٥٤) رام برح وزال . اخترمه الموت أخذه ، واخترمه المرض أهزله .

(٥٥ — ٥٧) عمان باليمن وحمص بالشام وأريشلم بيت المقدس وهو الاسم العبرى . النبيط جيل من الأعاجم كانوا يسكنون العراقين سموا بذلك لكثرة الماء فى أرضهم . النجاشى لقب ملك الحبشة .

(٥٨ — ٥٩) نجران موطن من مواطن النصرانية فى بلاد العرب قبل الاسلام وهى من أرض اليمن . رام الشىء يرومه أراده وطلبه . أوفيت أتممت . الهم الهمة والعزم .

(٦٠—٦٦) ألم ترى إلى(الحَضْر) ، وقد عاش أهله فى طمأنينة ناعمين ، حتى دهمهم (سابور) بجنوده ، يضربون فيه بفئوسهم حولين كاملين . وحاول صاحبه استنقاذه وتحريره ، فهاجمه ليــــلا على غير طائل ، وراح يدعو قومه مستثيراً ، يطلب إليهم أن يموتوا كراما بأسيافهم ، ويستحثهم قائلا : الموت خير من حياة الذل ، وإنما يلقى الموتَ من حُمَّ قضاؤُه .

(٦٧—٧٢) ويختم قصة (الحضْر) بقوله : أليس فى ذلك عبرة للمعتبر ؟

ثم ينتقل إلى قصة مأرب ، وتدمير السيل له. بنته حمير من الرخام ، لحفظ لهم المـاء كثيراً موفوراً ، وأروى الزُّروع والأعناب ، فعاشوا فى غبطة ونعيم ، حتى دهمهم السيل جارفا ، ففرق شملهم ، وقذف بملوكهم إلى البيداء ، وبَدَّلَهُم من المـاء سرابَ الصحراء ، فأصبحوا لايملكون منه شرب صبى مفطوم . . .

٦٠— أَلَم تَرَى الحضْرَ إذْ أَهلُهُ   بِنُعْمَى وَهَلْ خَالدٌ مَنْ نَعِمْ

٦١— أَقَامَ بِهِ شَاهبُورُ الجُنُو   دَ حَوْلَين تَضرِبُ فيهِ القُدُمْ

٦٢— فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً   وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يُقِمِ

٦٣— فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِعْلَهُ   أَتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمِ

٦٤— وَكَانَ دَعَا رَهْطَهُ دَعْوَةً   هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمِ

٦٥— فَمُوتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ   وَلِلْمَوْتُ يَجْشَمُهُ مَنْ جَشِمِ

٦٦— وَلِلْمَوْتُ خَيْرٌ لِمَنْ نَالَهُ   إِذَا ٱلْمَرْءُ أُمَّتُهُ لَمْ تَدُمْ

٦٧— فَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ   وَمَأْرِبُ قَفَّى عَلَيهَا ٱلعَرِمْ

٦٨— رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ   إِذَا جَاءَهُ مَاؤُهُمْ لَمْ يَرِمْ

٦٩— فَأَرْوَى الزُّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا   عَلَى سَعَةٍ مَاؤُهُمْ إِذْ قُسِمْ

٧٠— فَعَاشُوا بِذَلِكَ فِي غِبْطَةٍ   فَجَارَ بِهِمْ جَارِفٌ مُنْهَزِمْ

٧١— فَطَارَ القُيُولُ وَقَيْلَاتُهَا   بِيَهْمَاءَ فِيهَا سَرَابٌ يَطِمْ

٧٢— فَطَارُوا سِرَاعًا وَمَا يَقْدِرُو   نَ مِنْهُ لِشُرْبِ صَبِيٍّ فَطِمْ

(٦٠ — ٦٤) الحضر قصر كان بحيال (تكريت) بين دجلة والفرات بناه الضيزن، وهو رجل من قضاعة ملك على الجزيرة وامتد ملكه للشام. فأغار على بلاد فارس وأخذ أخت ملكها سابور فغزاه . والقصة بتفاصيلها مذكورة فى الأغانى ٢ : ١٤٠ — ١٤٣ (طبعة دار الكتب) . الطبرى ١ : ٤٨٤ ، ٤٨٥ (طبعة مصطفى محمد) . شاه بور مركب من شاه أى ملك وبور أى ابن وشاهبور الجنود هو شاهبور بن هرمز . القدم جمع قدوم وهو الفأس . أتاه طروقا أى ليلا . وربه صاحبه . صرم انقطع وانقضى.

(٦٥ — ٦٧) يجشمه يتكلفه ويركبه . ائتسى به تعزى به وجعله أسوة لنفسه ومثلا . قفى عليها العرم عفى عليها السيل .

(٦٨ — ٧٠) لم يرم لم يذهب ولم يبرح . غبطة سرور ونعمة . منهزم له صوت من قولهم انهزم البناء وانهزمت العصا واهتزمت السحابة بالماء أى تشققت مع صوت . جار بهم من الجور وهو الميل والانحراف عن القصد ، ومنه جار فلان عن الطريق أى انحرف . جارف سيل يجرف كل ما يصادفه فى طريقه .

(٧١ — ٧٢) القيول جمع قيل وهو لقب لملوك حمير . يهماء صحراء مطموسة المسالك . طم الشىء كثر حتى علا وغلب .

الأعشى هنا رجل قد أسنّ (وقنّعه الشيب منه خِمارا) . ولكنه فى عجز الشيخوخة وبرودها ، لا يزال يتحدث عن حرارة الشباب ، وعن (ليلى) رفيقة صباه .

(١ — ٤) بعدت دارها على الحبيب المشتاق ، فلم يستطع إلى زيارتها سبيلا . وبُدِّل بقربها الشوق والحنين المُلِحّ ، ففاضت دموعه كفيض الدلاء ، تتوالى متتابعة ، كأنها حبات عقد من درخانه السلك فانفرط .

(٥ — ٩) ولكن ضعفه لم يكن إلا إلى حين . فقد رجع إلى نفسه متعزياً ، وتماسك مزدجراً ، فأصبح لا يقرب الغانيات ، وإن كان لا يتمالك من الحنين إلى ما فات من عهد الشباب .

يقول لصاحبته متحسراً : إن صاحبك الذى قد عرفته فى ليالى (الجِفار) قد غيرته الأيام . فقد اعتراه الشيب — وإن كان له كارهاً — وأحل به أثقاله ، وبدله من جهالة الصبى حكمة الشيوخ .

(١٠—١٣) إن تَرَيْنِى على ما أنا فيه من شدة قد قَلَيْتُ الصبى وهجرت الحوانيت ، فلقد أديت للشباب حقه . . . كنت أستبى الحسان ، فأُخْرِجُ الكاعب المختارة من خدرها . وكنت أهلك المال فى الميسر وأشيع القمار حيث حللت . وكنت أشرب الخمر صافية كأنها حدق العيون . أغدو عليها قُبَيْلَ الشروق أشربها وحدى ، أو أتناقلها مع صحبى من الندماء.

وقال يمدح قيس بن مَعْديكرِب :

(متقارب)

١ — أأزمعتَ من آلِ ليلى ٱبتكارا ... وشطّت على ذي هوىً أن تُزارا

٢ — وبانت بها غرباتُ النوى ... وبُدِّلتُ شوقًا بها وادِّكارا

٣ — ففاضت دموعي كفيضِ الغرو ... بِ إمّا وكيفًا وإمّا ٱنحدارا

٤ — كما أسلمَ السِّلكُ من نظمِهِ ... لآلِئَ منحدراتٍ صغارا

٥ — قليلًا فثَمَّ زجرتُ الصِّبى ... وعادَ عليَّ عزائي وصارا

٦ — فأصبحتُ لا أقربُ الغانيا ... تِ مزدجرًا عن هواي ٱزدجارا

٧ — وإنَّ أخاكِ الذي تعلمين ... ليالينا إذ نحلُّ الجفارا

٨ — تبدَّلَ بعدَ الصِّبى حكمةً ... وقنَّعهُ الشَّيبُ منه خمارا

٩ — أحلَّ به الشَّيبُ أثقالَهُ ... وما ٱعترّهُ الشَّيبُ إلّا ٱعترارا

١٠ — فأمّا ترَيني على آلةٍ ... قليتُ الصِّبى وهجرتُ التِّجارا

١١ — فقد أُخرجُ الكاعبَ المسترا ... ةَ من خدرِها وأُشيعُ القِمارا

١٢ — وذاتِ نوافٍ كلونِ الفصو ... صِ باكرتُها فادَّمجتُ ٱبتكارا

١٣ — غدوتُ عليها قُبيلَ الشُّرو ... قِ إمّا نقالًا وإمّا ٱغتمارا

١٤ — يُعاصي العواذلَ طلقُ اليدين ... يُروِّي العفاةَ ويُرخي الأزارا

(١ — ٣) الابتكار الرحلة فى الصباح المبكر، وكانت العرب تفضله ليتسع الوقت أمام المسافر قبل اشتداد الحرارة . شطت بعدت . بانت بعدت . النوى البعد والفراق . الغربة مفارقة الوطن ، وجمعها غربات . ادكار افتعال من ذكر أبدلت التاء دالا ثم أدغمت الدال فى الذال . الغروب جمع غرب وهو الدلو العظيمة . وكف الدمع انهمر .

(٤ — ٦) الصبي الميل إلى لهو الشباب . صار سكن .

(٧ — ٩) الجفار موضع بالبصرة . الخمار ماتغطى به المرأة رأسها ، وكل ماستر شيئا فهو خماره . اعتره عرض له، والمعتر الذى يتعرض للمسألة ولا يسأل .

(١٠ — ١٤) الآلة الشدة . قليت كرهت . الصبا الميل للهو . التجار يقصد تجار الخمر . المستراة المختارة ، من استريت الشىء إذا اخترت سراته وأحسنه . ذات نواف خمر تنفى القذى من صفائها . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين . أدمج الشىء دخل فيه . النقال مناقلة الأقداح فى مجلس الشرب ، وناقله الأقداح أخذ منه وأعطاه . الاغتمار القليل دون الرى . العفاة جمع عاف وهم الأضياف .

١٤ — طلق اليدين ، أُرَوِّى من يحل بى من الأضياف ، وأجرر الذيل تيها ، معرضاً عن العـاذلين .

١٥ — أملأ لصاحبى كوب الساقية ، فلا يصيح ديك الصباح حتى يكون قد انتشى وغشيه الدُّوَار .

١٦ — إذا انكب بينهم الإبريق تراموا به صافياً وهَّاجا فى بياضه أو صفرته ، كأنه الفضة أو الذهب ،

(١٧—١٩) ويستيقظ الشاعر من هذه الأحلام ليجد نفسه من جديد فى برد الشيخوخة وعجزها المقفر ، فيفزع إلى ناقته ، يتناسى فوق ظهرها ما تعلق بنفسه من شوق ومن هموم .

وناقته هذه قوية شديدة ، فهى بقية خمس من النوق البيض الشـــداد التى تشبه قطيع بقر الوحش ، دُفِعَت إلى رجلين عند (الخصُوص) قد حبسا عليها الحشيش .

(٢٠—٢٦) فقاما على خدمتها زمناً جاهِدَيْن ، ووقفا على خدمتها مشتركَيْن ، هذا يعد لها رطب النبات والبقول ، ويجمع ذاك لها الخضار . فكانت ناقته خيرهن وأجلدهن ، تروق الأنظار ، وتنهض بأشق الأسفار . ولـكن هذه الناقة الضخمة الجلدة ، لم تُبْقِ منها الرحلة الطويلة المضنية إلا أخفافا قد براها السير ، وأضلعـاً قد أبرزها الهزال فظهرت فى جنبيهـا آثار السيور والحبال ، وبرزت سلسـلة ظهرها متلاحمة متماسكة الفقار .

(٢٧—٣٠) وكأن ناقته تشتكى إليه آلامها فيقول لها : لا تشتكى إلى الحَفَى وطول السُّرى ، واصبرى على مشاق السفر آناء الليل وأطراف النهار ، حتى تلاقى قيساً وشيعته ، مَسَاعِيرَ الحروب وأبطالَهَا .

١٥ — فَلَمْ يَنْطِقِ الدِّيكُ حَتَّى مَلَأْ ... تُ كُوبَ الرَّبَابِ لَهُ فاسْتَدَارَا

١٦ — إِذَا انْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ ... تَرَامَوا بِهِ غَرَبًا أَوْ نُضَارَا

١٧ — وَشَوْقٍ عَلُوقٍ تَنَاسَيْتُهُ ... بِجَوَّالَةٍ تَسْتَخِفُّ الضِّفَارَا

١٨ — بَقِيَّةِ خَمْسٍ مِنَ الرَّامِسَا ... تِ بِيضٍ تُشَبِّهُهُنَّ الصِّوَارَا

١٩ — دُفِعْنَ إِلَى اثْنَيْنِ عِنْدَ الخُصُو ... صِ قَدْ حَبَسَا بَيْنَهُنَّ الأَصَارَا

٢٠ — فَعَادَا لَهُنَّ وَرَازَا لَهُـ ... ـنَّ وَاشْتَرَكَا عَمَلًا وَائْتِمَارَا

٢١ — فَهَذَا يُعِدُّ لَهُنَّ الخَلَى ... وَيَجْمَعُ ذَا بَيْنَهُنَّ الخِضَارَا

٢٢ — ....

٢٣ — فَكَانَتْ سَرِيَّتَهُنَّ الَّتِي ... تَرُوقُ العُيُونَ وَتَقْضِي السِّفَارَا

٢٤ — فَأَبْقَى رَوَاحِي وَسَيْرُ الغُدُ ... وِّ مِنْهَا ذَوَاتَ حِذَاءٍ قِصَارَا

٢٥ — وَأَلْوَاحَ رَهْبٍ كَأَنَّ النُّسُو ... عَ بَيَّنَّ فِي الدَّفِّ مِنْهَا سِطَارَا

٢٦ — وَدَأْيًا تَلَاحَكْنَ مِثْلَ الفُؤُو ... سِ لَاحَمَ مِنْهَا السَّلِيلُ الفِقَارَا

٢٧ — فَلَا تَشْتَكِنَّ إِلَيَّ الوَجَى ... وَطُولَ السُّرَى وَاجْعَلِيهِ اصْطِبَارَا

٢٨ — رَوَاحَ العَشِيِّ وَسَيْرَ الغُدُوِّ ... يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى تُلَاقِي الخِيَارَا

٢٩ — تُلَاقِينَ قَيْسًا وَأَشْيَاعَهُ ... يُسَعِّرُ لِلْحَرْبِ نَارًا فَنَارَا

(١٥ — ١٨) الرباب اسم للمرأة أو هى امرأة الخمار . أزهر إبريق أبيض . تراموا به تداولوه وأداروه . غربا فضة . نضاراً ذهبا . علوق عاشق معلق القلب بمن يحب . بجوالة ناقة كثيرة الجولان . الضفار الزفيف،من ضفر الرجل فى عدوه إذا وثب، وقيل أسرع . الرامس كل دابة تخرج بالليل . الصوار قطيع البقر .

(١٩ — ٢١) الخصوص جمع خص وهو بيت يتخذ من عيدان القصب وأغصان الشجر ، سمى خصا لما فيه من الخصاص وهى الفتحات التى تتخلل العيدان . الاصار الحشيش . راز الرجل الشىء قام عليه وأصلحه . الخلى الرطب من النبات والبقول .

(٢٣ — ٢٥) سريتهن خيرتهن . ذوات حذاء قصارا،أراد أنها مجموعة الأخفاف ليست بمنتشرة ، وهو من صفات العتق والنجابة فى الابل . الرهب الناقة المهزولة . النسوع السيور التى يشد بها الرحل . الدف الجنب . سطارا آثارا .

(٢٦ — ٢٩) الدأى الفقار . تلاحكن تلازمن . السليل النخاع،أو هو طرائق لحم طوال مع الصلب (سلسلة الظهر) واحدها سليلة ، أراد أن اللحم التحم بالفقار . وجى الماشى أى حفى قدمه ، والوجى أن يشتكى البعير باطن خفه . يد الدهر مثل أبد الدهر .

(٣١—٣٥) ويشير الشاعر إلى ابنته التى تحدث عنها فى القصيدة السابقة ، إذ تقول له وقد حزم أمره على الرحلة لممدوحه (أىَّ أبٍ كنتَ لى أعتز برعايته ، وأىَّ جار كنتُ أجد الأُنس فى قربه)

ثم يتجه الشاعر إلى قومه ، يدعوهم لمحالفة قيس بن معديكرب . وهنا نرى صورة الشاعر القديم الذى كان يلعب دوراً سياسياً مهماً فى قبيلته . فهو لسانها ، تسخره فى خدمتها فيستجيب لمطالبها ، ولـكنه سيدها وزعيمها فى نفس الوقت ، يوجهها ويؤثر فى سياستها .

يحبب الأعشى إلى قومه من بكر بن وائل حلف قيس بن معديكرب قائلا : حالفوا صاحبكم إن كنتم تريدون عونا وظهيراً من ملك قوى . وإنه لنعمة من الله أن حباكم به ، وجعله من نصيبكم ، يُوسِّطُكُم ملكهويستشيركم ويظلكم بحمايته ، فتعتزون فى جواره .

(٣٦—٣٩) ويمضى الشاعر فى تصوير ممدوحه من كل جوانبه القوية المحببة ، وكأنه يصور مُثُلَه ومُثُلَ العصر وَقِيَمَه مجسمةً فيه . فهو يسخو بالبذل مختاراً على من يحل به من لاجئين . وهو صاحب الحرب إذا استحكمت . أحل الدمار بالحمار (وهم قبائل ضبة وعبس والحارث بن كعب) ونازل عبساً ودُودَان ، فرفع ووضع ، وأعز وأذل .

(٤٠—٤٤) ذلك عطاء الله الذى يعلم السر ويجيب نجوى المتضرع إليه .

كم حيٍ قد أذل هذا الملك الجبار ، فسبى نساءهم ، وفيهن الغانية المترفة الممتلئة الجسم ، فهى لضخامة أردافها تأتزر بثوبين قد لُفِقَ أحدُهما إلى الآخر ، وهى لفرط جمالها تعلق التمائم دفعاً لحسد الحاسدين ، وصيانة لجمالها من أعين الشريرين . ولا تقوم من فراشها لتشرب الغبوق إلا بعد أن يرتفع النهار .

فجعها هذا الملك فى أهلها ، فصارت إليه سَبِيَّةً مملوكة ، يستمتع بجمالها معانقاً ، فلا تزال تتحامل على نفسها محاولة النهوض حين تدعو الله مبتهلة إليه .

ويؤكدالأعشى لقيس ولاءه ، وأنه لن يتحول عن عهده ، ولن يستبدل به أحداً .

٣٠ــ فأَنَّكِ طَــالِبَةٌ شَأْوَه وإِنَّكِ ....

٣١ــ تَقُولُ ابنَتِي حِين جَدَّ الرَّحِيـــلُ أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارَا

٣٢ــ فَمَنْ مُبْلِغٌ وائِلاً قَوْمَنَا وأَعْنِي بذلك بَكْرًا جِمَارا

٣٣ــ فَدُونَكُمُ رَبُّكُمْ حَالِفُوه إِذَا ظَــاهَرَ المُلْكُ قَوْمًا ظِهَارَا

٣٤ــ فأَنَّ الأَلَهَ حَبَاكُمْ به إِذَا اقْتَسَم القَوْمُ أَمْرًا كُبَارَا

٣٥ــ فأَنَّ لَكُمْ قُرْبَهُ عِزَّةً وَوَسَّطَكُمْ مُلْكَهُ واسْتَشَارَا

٣٦ــ فأَنَّ الذى يُرْتَجَى سَيْبُه إِذَا مَا نَحُلُّ عَلَيْهِ اخْتِيَارا

٣٧ــ أَخُو الحَرْبِ إِذْ لَقِحَتْ بَازِلاً سَمَا لِلعُلا وأَحَلَّ الجِمَارَا

٣٨ــ وسَاوَرَ بِالنَّقْعِ نَقْعِ الكَثِيـبِ عَبْسًا ودُودَانَ يَوْمًا سِوَارَا

٣٩ــ فأَقْلَلْتَ قَوْمًا وأَعْمَــرْتَهُم وَأَخْرَبْتَ مِنْ أَرْضِ قَوْمٍ دِيَارا

٤٠ــ عَطاءَ الأَلَهِ فَأَنَّ الأَلَـهَ يَسْمَعُ فِى الغَـامِضَاتِ السِّرَارَا

٤١ــ فَيَارُبَّ نَاعِيَةٍ مِنْهُمُ تَشُدُّ اللِّفَـاقَ عَلَيهَا إِزَارَا

٤٢ــ تَنُوطُ التمِيمَ وَتَأْبَى الغَبُوقَ مِنْ سِنَةِ النَّوْمِ إِلاَّ نَهَارَا

٤٣ــ مَلَكْتَ فعَانَقْتَهـا لَيْلَةً تَنُصُّ القُعُودَ وتَدْعُو يَسَارَا

٤٤ــ فلا تَحْسَبَنِّى لَــكُمْ كَافِرًا وَلاَ تَحْسَبَنِّى أُرِيدُ الغِيَارَا

(٣٠ — ٣٨) أبرح فلان رجلا وأبرح فارساً عبارة للتعجب . جماراً جماعة ، يقال تجمر بنو فلان أى تجمعوا . ربكم سيدكم . ظاهر عاون . البازل البعير إذا بزل نابه أى شق وظهر . وبزل الأمر والرأى استحكم . أحل الجمار استباحهم وجعلهم حلالا . الجمار ضبة وعبس والحرث بن كعب . النقع غبار المعركة . ساور واثب .

(٣٩ — ٤١) أقل الشىء حمله ورفعه . أعمرته داراً أو إبلا أعطيته إياها . السرار المناجاةمصدر سارعلى وزن فاعل أى ناجى . اللفاق ثوبان يلفق أحدهما بالآخر . الازار الملحفة وكل ماستر ، يريد أنها لا تأتزر من عظم عجيزتها إلا بثوبين .

(٤٢ — ٤٤) تنوط تعلق . التميم والتميمة عوذة تعلق مخافة الدين والحسد . الغبوق شرب الصباح . نص الشىء رفعه واظهره . ونص الرجل عنقه نصبه . يسار شعار لهم بالخير ، واليسر ضد العسر وهو السهولة والخير . الغيار التغيير اى لا اريد بك بدلا .

(٤٥—٤٩) ويقول إن قيساً قد أقام الأمر بعد فساده ، حتى مل النـاس الانتظار والصبر على هذا الاضطراب الذى يتخبطون فيه تخبط الناقة الغريبة حلت فى أرض مجهولة ، فهى مشفقة من الموت ، لا تدرى أى طريق تسلك إلى المـاء .

وكأن الشاعر قد صحب الممدوح فى بعض غاراته بمكان اسمـه (لعلع) ، وتعرض للوقوع فى الأسر ، حتى أُنقذ مع صحبه بدخول الممدوح عليهم آخر الليل مظفراً ، فسجدوا له شكراً و تعظيما ، رافعين أيديهم بالريحان — تحيَّةَ الملوك — هاتفين (عَمِرَكَ الله !) .

(٥٠—٥٤) وقد عاد المُلْك إلى نصابه ، ورجع إلى صاحبه خير الملوك ، واستقر بعد اضطراب ، ولكل نبأ مستقر . رجع إلى حامل العبء عن أهله فى النائبات ، إلى القوى الأمين الذى لا يُفَزَّع جاره ، ولا يذهب الغضب أو الهلع بحلمه . إلى الوفى الذى يقيم على ميثاقه ، ولا يُضِيع فى يومه ما أعطى من عهـد فى أمسه . إلى الـكريم الذى يهب كرام النوق ، قد ضَرَبَت الحمرةُ فى لونها الأبيض من طِيبِ المرعى ومن أثر السمن .

(٥٥—٥٩) فكأنه فى كرمه نهر جياش ملتطم الأمواج ، قد هيَّجته الرياح ، فتدفق ماؤه ، يروى الزروع ، ويعلو الديار ، وتتحطم على شاطئيه الأشجار ، وتكاد السفن تنقلب فيه ، وقد رهب نوتيُّها أمواجه وأنواءه، فحط قلاعه ، وأرخى حباله . كيف لا ، وهو يختار هباته ، ويجود بأحسن ما عنده ، فيعطى — فيما يعطى — الإبلَ مائة مائة ، عشاراً تضع أثقالها عن قريب ، أو مخاضاً تتهيأ للنتاج .

٤٥ـ فأَنَّى وَجَدِّكَ لَوْلَا تَجِيءُ   لَقَدْ قَلِقَ الخُرْتُ أَنْ لَا ٱنْتِظَارَا

٤٦ـ كَطَوْفِ الغَرِيبَةِ وَسْطَ الحِيَاضِ   تَخَافُ الرَّدَى وتُرِيدُ الجِفَارَا

٤٧ـ ويَوْمٍ يُبِيلُ النِّسَــاءَ الدِّمَا   جَعَلْتَ رِدَاءَكَ فِيهِ خِمَـارَا

٤٨ـ فيالَيْلَةٍ. لِيَ فِي لَعْلَعٍ   كَطَوْفِ الغَرِيبِ يَخَافُ الأَسَارَا

٤٩ـ فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكَرَى   سَجَــدْنَا لَهُ ورَفَعْنَا عَمَـارَا

٥٠ـ فَذَاكَ أَوَانُ التُّقَى والزَّكَى   وذَاكَ أَوَانٌ مِنَ المُلْكِ حَارَا

٥١ـ إِلَى مَلِكٍ خَيْرِ أَرْبَابِهِ   وَإِنَّ لِمَا كُلِّ شَيْءٍ قَرَارَا

٥٢ـ إِلَى حَامِلِ الثِّقْلِ عَنْ أَهْــلِهِ   إِذَا الدَّهْرُ سَاقَ الهَنَاتِ الكِبَارَا

٥٣ـ وَمَنْ لَا تُفَزَّعُ جَارَاتُهُ   وَمَنْ لَا يُرَى حِلْمُهُ مُسْتَعَارَا

٥٤ـ وَمَنْ لَا تُضَاعُ لَهُ ذِمَّةٌ   فَيَجْعَلَهَا بَيْنَ عَيْنٍ ضِمَارَا

٥٥ـ وَمَا رَائِحٌ رَوَّحَتْهُ الجَنُوبُ   يُرَوِّى الزُّرُوعَ وَيَعْلُو الدِّيَارَا

٥٦ـ يَكُبُّ السَّفِينَ لأَذْقَانِهِ   وَيَصْرَعُ بالعِبْرِ أَثْلًا وزَارَا

٥٧ـ إِذَا رَهِبَ المَوْجَ نُوتِيُّهُ   يَحُطُّ القِلَاعَ وَيُرْخِي الزِّيَارَا

٥٨ـ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِأُدْمِ العِشَا   رِ لَطَّ العَلُوقُ بِهِنَّ ٱحْمِرَارَا

٥٩ـ هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا   ةَ إِمَّا مَخَــاضًا وإِمَّا عِشَارَا

(٤٥ — ٤٧) قلق خرت فلان أى فسد أمره ، والخرت ثقب الأذن والإبرة ، تقول أضيق من خرت الإبرة . الغريبة الناقة الغريبة . الجفار الآبار جمع جفر (بفتح الجيم وسكون الفاء) وهى المتسعة غير البعيدة القعر . الرداء السيف . جعلت رداءك خماراً أو قنعت سيفك رؤوس القوم ، يقال عممه بسيفه أى ضربه به على رأسه .

(٤٨ — ٥١) لعلع جبل كانت به وقعة . العمارة (بفتح العين) ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله : عمرك الله ، والجمع عمار . الزكى الزيادة . حار رجع . لما كل شيء ، ما زائدة ، أى لكل شيء .

(٥٢ — ٥٤) الهنات جمع هنة والهنة الشيء أيا كان . العين الحاضر . الضمار خلاف العيان وهو ماغاب أو هو مالا تكون منه على ثقة .

(٥٥ — ٥٩) راح الشجر والنهر وجد الريح فهو رائح ، وروحته الريح أصابته . يكب السفين لأذقانه أى يقلبه على وجهه . العبر الشط . الأثل والزار شجر . يحط القلاع ينزلها ويرخيها حتى لا يقلب الريح السفينة وذلك بارخاء الزيار وهى الحبال . الأدم البيض . العشار الحوامل وهى أثمن وأغلى لما فى بطونها . العلوق الرعى . المخاض التى دنت ولادتها .

(٦٠ — ٦٤) ويهب — فيما يهب — كل فرس جواد ، فى لونه الأحمر الداكن اللماع ، وكأنه لوضاءته واكتنازه قد دهن جلده بالزيت . إذا أُرسل فى الغارة وسط ألف من الخيل بذها جميعاً .

وممدوحه — مع ما اتصف به من كرم وقوة ووفاء — تقى يراقب ربه . وليس الراهب المعتكف فى هيكله أمام صليبه ، دائباً على صلواته سجوداً وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تقى فى الحساب ، إذا تحركت الريح فى الليل ، هينة بليلة تنفض الغبار .

(٦٥ — ٧٠) وإنك لأورى الملوك زناداً ، تتوقد ذكاء ، وتتحفز يقظة ونشاطاً . كأنك الزند ينقدح فى شجر (المرخ) أو (العفار) السريع الاتقاد . فكل زند بجانب زندك كابٍ قصير . ولو شئت لقدحت الحجر فى شجر (النبع) الصلب فاتقد ناراً .

ويدفع الشاعر عن نفسه فى ختام القصيدة ما يتهم به عند الممدوح ، من أنه يسطو على شعر غيره من الشعراء فينتحله ، فيقول : أأنتحل الشعر بعد المشيب ، وقد أفنيت شبابى ووقفت زهرة عمرى على تجويده ، حابساً نفسى عليه ، مقيداً فى بيته كما تقيِّد السيورُ أحناء السرج ! ويختم القصيدة بقوله — مخاطباً الممدوح — : أنت لى فى حياتى كل شىء . فأن ذهبت عنى فما أبالى شيئاً . فاذا وارتك الأرض فى بطنها ، فلا مطرتها سماء ، ولا جادها سحاب .

٦٠— وكُلَّ كُمَيْتٍ كَأَنَّ السَّلِيـ ... ـطَ فِى حَيْثُ وَارَى الأَدِيمُ الشِّعَارَا

٦١— بِهِ تُرْعَفُ الأَلْفُ إِذْ أُرْسِلَتْ ... غَدَاةَ الصَّبَاحِ إِذَا النَّقْعُ ثَارَا

٦٢— وَمَا أَيْبُلِيٌّ عَـلَى هَيْكَلٍ ... بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا

٦٣— يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيـ ... ـكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارَا

٦٤— بِأَعْظَمَ مِنْهُ تُقًى فِى الحِسَابِ ... إِذَا النَّسَمَاتُ نَفَضْنَ الغُبَارَا

٦٥— زِنَادُكَ خَيْرُ زِنَادِ المُلُو ... كِ خَالَطَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَفَارَا

٦٦— فَإِنْ يَقْدَحُوا يَجِدُوا عِنْدَهَا ... زِنَادَهُمُو كَابِيَاتٍ قِصَارَا

٦٧— وَلَوْ رُمْتَ فِى لَيْلَةٍ قَادِحاً ... حَصَاةً بِنَبْعٍ لأَوْرَيْتَ نَارَا

٦٨— فَمَا أَنَا أَمْ مَا انْتِحَالِى القَوَا ... فِ بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا

٦٩— وَقَيَّدَنِى الشِّعْرُ فِى بَيْتِهِ ... كَمَا قَيَّدَ الآسِرَاتُ الحِمَارَا

٧٠— إِذَا الأَرْضُ وَارَتْكَ أَعْلاَمُهَا ... فَكَفَّ الرَّوَاعِدُ عَنْهَا القِطَارَا

(٦٠ — ٦٤) السكيت الفرس تضرب حمرته للسواد . السليط دهن السمسم . الشعار جمع شعر . وفى التعبير قلب ، والمقصود حيث وارى الشعر الاديم وهو الجلد . فرس راعف سابق ، ورعف الفرس الخيل سبقها . أيبلى صاحب أيبل وهى العصا التى يدق بها الناقوس . الهيكل موضع فى صدر الكنيسة يقرب فيه القربان . صلب صور فيه الصليب . صار سكن . راوح بين العملين تداول هذا مرة وهذا مرة . جأر إلى الله تضرع بالدعاء . النسيم نفس الريح إذا كان ضعيفاً وأولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد .

(٦٥ — ٦٧) المرخ والعفار شجرتان تقدح فيهما النار لأنهما توريان سريعاً وخشبهما هش رخو . كبا الزند لم يور . والنبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . والحصى صغار الحجارة . والحصى لايورى والنبع لا يتقد إلا بصعوبة لصلابته .

(٦٨ — ٧٠) ما أنا أم ما انتحالى القوافى ، ينفى عن نفسه ما اتهم به عند الممدوح من أنه يسطو على شعر غيره وينتحله لنفسه . الحمار ثلاث خشبات تعرض عليها خشبة وتؤسر بها أى تربط وهى هيكل السرج . والآسرات السيور التى يربط بها السرج . ويسمى الحمار أيضا القتب والاكاف . أعلام الارض جمع علم وهو حجر منصوب فى الطريق يهتدى به ، ويقصد به الحجر الذى يعلم به القبر . الرواعد السحب التى ترعد وتبرق لكثافتها . القطار جمع قطر (بفتح فسكون) وهو المطر

بنو شيبان من أكبر فروع بكر . منهم قيس بن مسعود الذى ضمن للفرس على بكر أن لا يدخلوا السواد (العراق) ولا يفسدوا فيه ، فأقطعوه فى مقابل ذلك «الأبلة» وما والاها . ومنهم ابنه بسطام ، فارس شيبان فى الجاهلية . ومنهم هانى بن قبيصة الشيبانى ، الذى أودع عنده النعمان بن المنذر أسلحته حين استدعاه كسرى ، فلما علم كسرى بذلك طلب منه الأسلحة فامتنع عليه ، فكان ذلك فيما يروى بعض الرواة سبب حرب ذى قار . ومنهم الحوفزان حارثة بن شريك . ومنهم أبو ثابت يزيد بن مسهر الذى قيلت فيه هذه القصيدة ، وهو أحد زعماء بكر يوم ذى قار . وقد ظهر منهم فى الاسلام رجال ، منهم الضحاك بن قيس الخارجى ، والمثنى بن حارثة .

وترتيب أبيات القصيدة كما هو مثبت هنا نقلا عن الديوان الذى نشره « geyer » مضطرب كثير الاختلاط . وقد أورد الناشر فى الملاحق التى علق فيها على الديوان روايات مختلفة لترتيب الأبيات ، بعضها مأخوذ عن نسخ من مخطوطات الديوان ، وبعضها مأخوذ عن كتب الأدب التى روت القصيدة . وخير هذه الروايات ، وأقربها إلى الصحة ، وأدناها إلى المنطق والاتساق ، واطراد السياق ، هو الترتيب الذى نقله عن إحدى نسخ الديوان المخطوطة . وسنثبته بالاشارة إلى أرقام الأبيات :

١ — ٨ ثم ١١ — ٢٠ ثم ٩ ، ١٠ ثم ٢١ ثم ٣٤ — ٤٢ ثم ٤٤ ثم ٤٣ ثم ٣١ — ٣٣ ثم ٢٢ — ٢٥ ثم ٢٧ — ٣٠ ثم ٤٥ — ٤٧ ثم ٤٩ — ٥٢ ثم ٥٤ — ٥٦ ثم ٥٣ ثم ٦٢ — ٦٤ ثم ٦١ ثم ٥٨ ، ٥٩ ثم ٥٧ ثم ٦٥ ، ٦٦ ثم ٦٠

وسنسير فى تلخيصنا للقصيدة على هذا الترتيب الذى نرجحه .

وقصة هذه القصيدة فيما يروى صاحب الأغانى(١) أن رجلا اسمه ضبيع من بنى كعب بن سعد (أحد بيوت قيس بن ثعلبة ، بيت الأعشى) قتل رجلا اسمه زاهر بن سيار من بنى همام (أحد بيوت ذهل بن شيبان ، بيت يزيد بن مسهر)وكان ضبيع لا يعدل زاهراً . فلما هم بنو سيار أن يأخذوا بثأر زاهر نهاهم يزيد بن مسهر الشيبانى أن يقتلوا به ضبيعاً وقال : اقتلوا به سعيداً (وهو أحد بنى سعد بن مالك بن ضبيعة) .

فلما بلغ بنى قيس (قبيلة الأعشى) ذلك ، هاجه الأعشى بهذه القصيدة . وهو يطلب إليه فيها أن يدع بنى سيار وبنى كعب وحدهم . فانه إن أعان بنى سيار، لم يكن لقومه بد من أن يعينوا بنى كعب .

(١ — ٤) يبدأ الأعشى قصيدته مودعا صاحبته « هريرة » . فقد تهيأ الركب للرحيل ، ولم يعد من الوداع بد . ولكن الضعف لا يلبث أن يدركه ، فيخاطب نفسه قائلا : « وهل تطيق وداعا أيها الرجل ؟ »

ويسيطر على الأعشى خيال صاحبته، ويتمثل له أمام عينيه ، فيمضى فى تصويرها متحسراً . .

بشرة وضيئة بيضاء ، وشعر غزير مسترسل ، وثغر صقيل ناصع البياض . تخطر متمهلة حين تمشى حتى يخيل إلى الناظر أنها تسير فى أرض قد كستها الأوحال فهى تخشى الزلل ، أو كأنها تشتكى ألما فى بطن رجلها فهى لا تكاد تقوى على الإسراع . فهى تمشى وادعة فى خفة ورشاقة كأنها سحابة تسبح فى الفضاء متمهلة . يوسوس الحلى فى معصميها وساقيها كأنه حب (العِشْرِق) قد حركته الريح .

(٥ — ٧) لم يكن هو وحده الذى يحبها ، فقد كانت حبيبة إلى كل الناس . وكان خلقها السمح يقربها إلى كل من جاورها . لم تكن تؤذى أحداً ، ولم تكن تزج بنفسها فيما لا يعنيها من شئون الناس ، فتسترق السمع إلى أسرارهم . كانت كريمة العنصر مترفة ، لم تتعود الكد والكدح ، فهى لا تكاد تنهض

---

(١) ج ٨ ص ٩٦

وقال ليزيد بن مُسْهِر — أبي ثابت — الشَّيْبَاني . (قال أبو عُبَيْدَة : قرأتها على أبي عَمْرو بن العلاء .)

(بسيط)

١ — وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

٢ — غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا ... تَمْشِي الهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ

٣ — كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَرُّ السَّحَابَةِ ، لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

٤ — تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاسًا إذا انصرفَتْ ... كما اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

٥ — لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الجِيرَانُ طَلْعَتَهَا ... ولا تَرَاهَا لِسِرِّ الجَارِ تَخْتَتِلُ

٦ — يَكَادُ يَصْرَعُهَا — لَوْلَا تَشَدُّدُهَا — ... إذا تَقُومُ إلى جَارَاتِهَا الكَسَلُ

٧ — إذا تُعَالِجُ قِرْنًا سَاعَةً فَتَرَتْ ... واهْتَزَّ منها ذَنُوبُ المَتْنِ والكَفَلُ

٨ — صِفْرُ الوِشَاحِ ومِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ ... إذا تَأَتَّى يَكَادُ الخَصْرُ يَنْخَزِلُ

٩ — صَدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنَّا ما تُكَلِّمُنَا ... جَهْلًا بِأُمِّ خُلَيْدٍ . حَبْلَ مَنْ تَصِلُ ؟

١٠ — أَأَنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضَرَّ بِهِ ... رَيْبُ المَنُونِ وَدَهْرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ ؟

١١ — نِعْمَ الضَّجِيعُ غَدَاةَ الدَّجْنِ يَصْرَعُهَا ... لِلَذَّةِ المَرْءِ لا جَافٍ ولا تَفِلُ

١٢ — هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا ... كَأَنَّ أَخْمَصَهَا بِالشَّوْكِ مُنْتَعِلُ

١٣ — إذا تَقُوم يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً ... والزَّنْبَقُ الوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ

(١ — ٣) غراء بيضاء . فرعاء كثيرة الشعر طويلته . العوارض ما يبدو من الأسنان عند الابتسام . الوجى الذى حفى قدمه أو حافره. الريث البطء .

(٤ — ٦) الوسواس والوسوسة صوت الحلى . العشرق شجيرة مقدار ذراع فيها حب صغار ، إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فيسمع له خشخشة على الحصى . الزجل الصوت الرفيع العالى . تختتل تتسمع استراقا .

(٧ — ٩) قرنا صاحبا . الذنوب اللحمتان الناتئتان فى أعلى الفخد من العجيزة . صفر الوشاح دقيقة الخصر ، والوشاح أديم عريض يرصع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . ملء الدرع كبيرة الأرداف ، والدرع القميص . بهكنة ضخمة الخلق . تأتى أى تتأتى وتترفق . ينخزل ينبت وينقطع .

(١٠ — ١١) دهر مفند ، الفند (بفتح الفاء والنون) الفساد . ريب المنون نوائب الدهر . خبل من الخبل وهو فساد العقل . الدجن اليوم الغائم أو الممطر . جاف غليظ غير رفيق . تفل منتن .

(١٢ — ١٣) هركولة عظيمة الوركين . فنق منعمة مترفة . درم العظم واراه اللحم حتى لم يبن له حجم . المرفق عظم المفصل فى الذراع . الأخمص مادخل من باطن القدم فلم يصب الأرض . الأصورة جمع صوار (بضم الصاد) وهو الوعاء الذى يحرق فيه المسك . الزنبق نبات له زهر طيب الرائحة طويل كالحربة ، ويغلب عليه اللون الحمرى . الأردان جمع ردن (بفتحتين) وهو الغزل والخز . شمل منتشر ، من قولهم شمل الأمر القوم أى عمهم .

لمـا ينهض له النساء من معالجة شئون البيت ، فهى لذلك مِكْسَال ، لا تقوم لجارتها إلا تحاملت على نفسها متشددة . ولا تكاد تعالج قريناً حتى يسرع إليهـا الوهن والفتور ، فيهتز جسمها الناعم الريان ، وتضطرب معه أردافها الضخمة البَضَّة .

٨ — يجفو وشاحها عن خصرها فلا يمسه لدقته ، وتملأ أردافهـا القميص حتى يضيق بها . إذا تثنت مترفقة خيل إليك أن خصرها الناحل سينبت وينقطع . . .

(١١—١٣) ويجمح بالشاعر خياله ، وقد اختلطت شهوته العارمة المفترسة ، بهذه النظرات المدققة ، التى تنفذ إلى مواضع الفتنة والإغراء لتتصور ما وراء الثياب ، فيود لو أنه خلا بها ، فصرعها فى غداة يوم غائم مطير ، وأشبع نهمه وأرضى لذته بجسمها الريان ، وشبابها النـاعم ، ومرفقيها الصغيرين وقد اختفت عظامهما فى ساعديها الممتلئين ، وقدميها الصغيرتين وقد جفا بطناهما عن الأرض لا يكادان يمسانها ، كأنهما مبطنتان بالشوك ، ورائحتها العبقة التى يضوع منها المسك حتى يمتلىء به طريقها حين تسير ، مختلطاً برائحة الياسمين الذى يعطر أردانها . . .

(١٤—١٦) ليست روضة قد أزهرت ورودها ، فى ربوة لا تطأها الأقدام ، ولا تعبث بها الأيدى ، قد جاد عليها المطر ، وأشرقت عليها الشمس ، فانعكست على جداولها المحفوفة بالنبات وقت الغروب ، حين يهدأ الكون ، وتتضوع ريح الورد ، بأطيب منها نَشْراً ، ولا هى أحلى منها رائحة . . .

(١٧—١٩) عرضت له هريرة فتعلق بحبها ولم يسع إليه . ولـكنها تحب رجلا غيره . ومن عجب أن هذا الذى تحبه لا يبادلها الحب ، لأنه يحب فتاة أخرى . فهى تتعلق برجل لا يأبه لها ، وفى بنى عمها من قتله حبها وأذهل عقله . وكذلك هو يحبها فلا تلتفت إليه ، وفى الحى فتاة أخرى قد تعلق قلبهـا به ولـكنها لا تلائمه . . .

ويضحك الأعشى من أمره وأمر الناس قائلا : « هل رأيت أعجب من هذه المصادفات ، التى ألفت بين هذه المجموعة من أصحاب الحب الفاشل ؟ »

١٤ — ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ

١٥ — يُضاحِكُ الشَّمْسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

١٦ — يومًا بأَطْيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأَحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ

١٧ — عُلِّقْتُها عَرَضًا ، وعُلِّقَتْ رَجُلًا ... غَيْرِي ، وعُلِّقَ أُخْرَى غيرَها الرَّجُلُ

١٨ — وعُلِّقَتْهُ فَتاةٌ ما يُحاوِلُها ... مِنْ أَهْلِها مَيِّتٌ يَهْذِى بِها وَهِلُ

١٩ — وعُلِّقَتْنِي أُخَيْرَى ما تُلائِمُنِي ... فاجتَمَعَ الحُبُّ حُبًّا كُلُّهُ تَبِلُ

٢٠ — فكُلُّنا مُغْرَمٌ يَهْذِى بصاحِبِهِ ... ناءٍ ودانٍ ومَحْبُولٌ ومُحْتَبِلُ

٢١ — قالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زائِرَها ... وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يا رَجُلُ

٢٢ — يامَنْ يَرَى عارِضًا قَدْ بِتُّ أَرْقُبُهُ ... كأنَّما البَرْقُ فى حافاتِهِ الشُّعَلُ

٢٣ — لَهُ رِدافٌ وَجَوْزٌ مُفْأَمٌ عَمِلٌ ... مُنَطَّقٌ بِسِجالِ الماءِ مُتَّصِلُ

٢٤ — لم يُلْهِنِي اللَّهْوُ عَنْهُ حِينَ أَرْقُبُهُ ... ولا اللَّذاذَةُ من كأْسٍ ولا الكَسَلُ

٢٥ — فَقُلْتُ للشَّرْبِ فى «دُرْنَى» وقَدْ ثَمِلُوا ... شِيمُوا ، وكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ ؟

٢٦ — بَرْقًا يُضِيءُ على الأَجْزاعِ مَسْقِطُهُ ... وبالخَبِيَّةِ منهُ عارِضٌ هَطِلُ

٢٧ — قالُوا نِمارٌ فبَطْنُ الخالِ جادَهُما ... فالعَسْجَدِيَّةُ فالأَبْلاءُ فالرِّجَلُ

٢٨ — فالسَّفْحُ يَجْرِى فخِنْزِيرٌ فبُرْقَتُهُ ... حَتَّى تَدافَعَ مِنْهُ الرَّبْوُ فالجَبَلُ

(١٤ — ١٧) الحزن المرتفع من الارض . ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات لان الريح تهب عليها فتهيج رائحتها ولان الاقدام لا تطأها . مسبل أى مطر مسبل ، وأسبل المطر أنزل الماء . كوكب الماء بريقه . شرق زاه . مؤزر لابس إزارا وكأن النبات حلة تكسوه . مكتهل قد بلغ وتم . النشر تضوع الرائحة وانتشارها . الاصيل وقت الغروب .

(١٨ — ٢٠) الوهل ذهاب العقل . والتبل كذلك . حبل الصيد أخذه فى الحبالة فالصيد محبول . واحتبل الرجل الصيد أخذه بالحبالة فالصائد محتبل (على البناء للفاعل) .

(٢١ — ٢٤) العارض السحاب المعترض . رداف ذيل . جوز وسط . مفأم ممتلىء بالماء . عمل دائم متصل . السجال جمع سجل (بفتح السين) وهو الدلو .

(٢٥ — ٢٨) درنى كانت بابا من أبواب فارس دون الحيرة ، أو هى موضع باليمامة . شام البرق والسحاب نظر إليه وقدر أين يمطر . الاجزاع جمع جزع (بكسر الجيم) وهو منعطف الوادى أو المشرف من الارض . الخبية موضع بين الكوفة والشام . نمار جبل لبنى سليم . بطن الخال موضع وجبل . جادهما مطر عليهما العارض . الرجل موضع باليمامة . البرقة أرض ذات حجارة ورمل وطين . الربو مرتفع من الارض . السفح وخنزير موضعان .

٢٠ — فكلنا مغرم يهذى بصاحبه ، بين بعيد وقريب ، وصيد وقع فى الحبالة وصياد يبتغى الصيد .

٩ — وقد صدت عنه صاحبته جهلا بقدره ، فهو يعجب لأمرها ويقول : حبلَ من تصلين إن قطعتنى ؟ ومن أحق منى بهذا الوصل ؟

١٠ — إنكِ لم ترينى فى شبابى وفى إقبال الأيام على . رأيتِ رجلا قد أضر به رَيْبُ الزمان وعضَّه دهر فاسد مخبول .

٢١ — فلقيتنى لقاء خشناً جافياً ، إذ جئتك زائراً فتقولين : « ويلى عليك وويلى منك يارجل ! »
ليتك قد رأيتنى فى شبابى وفى إقبال الأيام على .

(٣٤—٣٨) إن ترينى اليوم حافياً لا أنتعل فلكم لبست ولكم أبليت . إن هذا الذى تنبو عنه عيناك قد أمتع نفسه من الغانيات ، وقد استبى كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ويحوطها برعايته ، فلا ينجيه منى الحذر . كنت مالكا لشبابى أصرفه فى لذتى فلا يأبى على ولا يمتنع ، وكان لى رفقاء من أصحاب اللذة والفتك . ولقد أغدو معهم إلى الحانوت يتبعنى غلام خفيف نشط ، ولقد أجلس إلى فتية كسيوف الهند مضاء ، قد أرسلوا أنفسهم فى لذاتها ، لأنهم يعلمون « أنْ ليس يَدْفَعُ عن ذى الحِيلَةِ الحِيَلُ »

(٤١،٣٩،٤٠)يطوف عليهم ساق نشيط ، قد شمَّر أسفل قميصه ، وعلق فى أذنيه لؤلؤتين . وقد تناثرت قضبان الريحان يتنازعها الندمان ، وهم يتناقلون كؤوساً لا تجف ، لأنهم لا يتوقفون عن الشرب إلا ريثما ينادون : هات !

(٤٤ ، ٤٢) وماجت الحانة بنساء ضخام ، يجررن ذيول الريط رافلات ، وكأن على أردافهن قِرَبًا صغيرة ترتج بما فيها من الماء . ونشط القيان للغناء على نغمات العود وجَرْس الصَّنْج .

٤٣ — فى مثل ذلك كان لهوى فى شبابى ، وكم فى اللهو والغزل من تجارب .
كنت شابا فتياً ، لاتخفى على اللذات ، ولا أتردد فى اقتحام الصعاب .

٣١ — كم قد اقتحمت من صحراء جرداء لانبات فيها ولا ماء ، عريت من كل شيء فكأنها ظهر تُرْس ، تسمع للجن بالليل فى أطرافها زَجَلا .

٢٩ــ حَتَّى تَحَمَّلَ مِنْهُ المَـاءَ تَكْلِفَةً   رَوْضُ القَطَا فَكَثِيبُ الغَيْنَةِ السَّهِلُ

٣٠ــ يَسْقِي دِيَارًا لها قَدْ أَصْبَحَتْ عُزُبًا   زُورًا تَجَانَفَ عَنْهَا القَوْدُ والرَّسَلُ

٣١ــ وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ   للجِنِّ بِاللَّيْلِ فى حَافَاتِهَـــا زَجَلُ

٣٢ــ لا يَتَنَمَّى لهـا بالقَيْظِ يَرْكَبُها   إلا الَّذِينَ لَهُمْ فِيما أَتَوْا مَهَـلُ

٣٣ــ جاوَزْتُهَا بِطَلِيحٍ جَسْرَةٍ سُرُحٍ   فى مِرْفَقَيْهَا إذا استَعْرَضْتَهَا فَتَلُ

٣٤ــ إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لا نِعَالَ لَنَا   إِنَّا كَذٰلِكَ ما نَحْفَىٰ ونَنْتَعِلُ

٣٥ــ فَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَه   وقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّى ثُمَّ ما يَئِلُ

٣٦ــ وقَدْ أَقودُ الصِّبَىٰ يَوْمًا فَيَتْبَعُنِى   وقَدْ يُصَاحِبُنِى ذو الشِّرَّةِ الغَزِلُ

٣٧ــ وقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِى   شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

٣٨ــ فى فِتْيَةٍ كسُيُوفِ الهِنْدِ قد عَلِموا   أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِى الحِيلَةِ الحِيَلُ

٣٩ــ نازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئًا   وقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَـــا خَضِلُ

٤٠ــ لا يَسْتَفِيقُونَ مِنْها ـ وَهْىَ رَاهِنَةٌ ـ   إِلَّا بِهَاتِ ، وإِنْ عَلُّوا وإِنْ نَهِلُوا

٤١ــ يَسْعَىٰ بِهـا ذُو زُجَاجَاتٍ له نُطَفٌ   مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَالِ مُعْتَمِلُ

٤٢ــ ومُسْتَجِيبٍ تَخَالُ الصَّنْجَ يَسْمَعُهُ   إِذَا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ

٤٣ــ مِنْ كُلِّ ذلك يَوْمٌ قد لَهَوْتُ به   وَفِى التَّجَارِبِ طُولُ اللَّهْوِ والغَزَلُ

٤٤ــ والسَّاحِبَاتُ ذُيُولَ الخَزِّ آوِنَةً   والرَّافِلَاتُ على أَعْجَازِهَا العِجَلُ

(٢٩ ـــ ٣٠) تكلفة أى تكلف ذلك لما ضاق به الموضع الآخر. الغينة الأرض الكثيرة الأشجار. عزبا أى بعيدة ، والعازب الكلأ البعيد . زورا بعيدة . تجانف عدل وانحرف . القود الخيل . الرسل الجماعة والقطيع من كل شىء .

(٣١ ـــ ٣٣) مثل ظهر الترس ، شبهها بظهر الدرع فى انبساطها وإقفارها لأنها لاشىء فوق ظهرها . الزجل الأصوات المختلطة . يتنمى يسمو إلى ركوبها . مهل عدة . طليح ناقة أهزلها السفر . جسرة ضخمة . سرح سهلة السير . الفتل تباعد مرفقى الناقة عن زورها .

(٣٤ ـــ ٣٧) خلس الشىء سرقه وأخذه خفية . ما يئل لا ينجو ، والماضى وأل أى نجا . الشرة نشاط الشباب . الحانوت الخمارة . شاو يشوى اللحم . مشل سواق من شل أى طرد وساق . وكذلك شلول . شلشل خفيف فى العمل سريع . شول يحمل الشىء .

(٣٨ ـــ ٤٠) الراووق الوعاء الذى تروق فيه الخمر . خضل دائم الندى لكثرة استعمالهم . النهل الشرب الأول والعلل الشرب الثانى .

(٤١ ـــ ٤٤) النطف جمع نطفة وهى اللؤلؤة العظيمة ، معتمل يخدم ويعمل دائما. مستجيب، هو العود يجيب الصنج ويشاكله، والصنج دوائر صغار من النحاس يصفق بأحداهما على الأخرى ويمسكان فى أصابع اليد . الفضل التى تلبس ثوباً واحداً كأنها متبذلة . رفل جر ذيله وتبختر فى مشيه . العجلة القربة الصغيرة ، يشبه أردافها الممتلئة المرتجة بالقربة الصغيرة يترجرج فيها الماء .

٣٢ــ لا يجرأ على اقتحامها فى القيظ إلا القوى الذى قد اتخذ لرحلته الشاقة أهبته .

٣٣ــ مِثْلَ هــــذه الصحراء أقتحم ، فأقطعها على ناقة قد تعودت الأسفار حتى أنهكَتْها ، وهى مع ذلك جَسُور لا تأبى على الراكب ، ولكنها تنطلق فى سهولة ، تكشف فى انطلاقها الجرىء عن مرفقين مفتولين .

وكنت خبيراً بما ينبغى لرجل الصحراء أن يعرفه .

٢٢ــ كم من سحاب عارض قد بِتُّ أتتبعه ، يلمع البرق فى حافاته كأنه الشّعَل . نظرت إليه أرقبه ، ولم يصرفنى عنه ما كنت فيه من لهو ، فاذا هو متصل الأجزاء ، وإذا وسطه متسع عظيم محمل بدلاء المــاء .

٢٥ــ فقلت لصحبى فى « دُرْنى » وقد أخذت منهم الخمر « شِيمُوا ! » ـ ومن عَجَبٍ أن يشيم الشارب الثمل ـ انظروا هذا السحاب الثقيل ، وقولوا أين تتوقعون نزوله . .

٢٦ــ ماذا ترون فى هذا البرق الذى يلمع فوق (الأجزاع) ، وفى هذا السحاب الممتلىء بالمــاء فوق (الخبية)؟

٢٧ــ وهم لا يزالون فى حَدْس وتخمين ، كلٌّ يذكر الأرض التى يتوقع أن هذا العارض سيصيبها بمائه ، بين (نِمَار) و (بطن الخال) و (العسجدية) و (الأَبْلاء) و (الرِجَل) و (السفح) و (خِنْزِيز) و (بُرقة خنزيز) وكأنه قد أصابها ، وكأن فجاج الأرض قد ضاقت بالمــاء حتى عم الرُّبا والجبال ، وانصب إلى الرياض وإلى الوديان ذات الأشجار .

٣٠ــ يسقى ديار صاحبته التى أصبحت بعيدة لا تقصدها الخيل ولا الركبان .

فاذا أرضى الشاعر نفسه من صاحبته ومن شبابه وذكرياته على ما أراد ، اتجه فجأة إلى صاحب له يتخيله ، طالباً إليه أن يبلغ يزيد بن مسهر الشيبانى رسالة منه .

٤٥ــ ليقل له عنه : أما تَنْفَكُّ تغلى ويجيش صدرك بالشر ؟

٤٧ــ تغرى بنا رهط «مسعود» وإخوته ، فاذا التقوا فى القتال ، وَتَرَدَّوْا فى الهلاك ، اعتزلت كأنك لم تفعل شيئاً ولم تأت إثماً .

٤٦ــ أما آن لك أن تنتهى عن نحت أَثْلَتِنَا ، وأن تعلم أنك لست ضائرها أبد الدهر ؟

٤٨ــ ما أنت حين ينفر الناس للقتال ، وتُشَبُّ الحرب ، فينتشر المقاتلون كالطوفان ، يحملون السبايا والأسلاب ، إلا كوعل أحمق ، ينطح صخرة ليفلقها ، فلا يضيرها وإنما يُوهِى قَرْنه .

٤٥ــ أَبلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً ... أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنفَكُّ تَأْتَكِلُ

٤٦ــ أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا ... ولَسْتَ ضَائِرَهَا ما أَطَّتْ الأَبِلُ

٤٧ــ تُغْرِي بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وإِخْوَتِهِ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِي ثُمَّ تَعْتَزِلُ

٤٨ــ لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النَّفِيرُ بِنَا ... وشُبَّتِ الحَرْبُ بالطُّوَّافِ واحتَمَلُوا

٤٩ــ كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا ... فَلَمْ يَضِرْهَا وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

٥٠ــ لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا ... والْتُمِسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تُحْتَمَلُ

٥١ــ تُلْزِمُ أَرْمَاحَ ذِي الجَدَّيْنِ سَوْرَتَنَا ... عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِيهِمْ وتَعْتَزِلُ

٥٢ــ لَاتَقْعُدُنَّ وقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَبًا ... تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وتَبْتَهِلُ

٥٣ــ قَدْ كَانَ فِي أَهْلِ كَهْفٍ إِنْ هُمُو قَعَدُوا ... والجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى ويَنْتَضِلُ

٥٤ــ سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا ... أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكَلُ

٥٥ــ واسأَلْ قُشَيْرًا وعَبْدَ اللهِ كُلَّهُمُ ... واسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ

٥٦ــ إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وهُمْ جَارُوا وهُمْ جَهِلُوا

٥٧ــ كَلَّا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لا نُقَاتِلُكُمْ ... إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يا قَوْمَنَا قُتُلُ

٥٨ــ حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ القَوْمِ مُتَّكِئًا ... يَدْفَعُ بالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ

٥٩ــ أَصَابَهُ هِنْدُوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ ... أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الخَطِّ مُعْتَدِلُ

(٤٥ ـــ ٥٠) مألكة رسالة . الائتكال السعي بالشر والفساد . الأثلة شجرة ، يقصد أصله ومجده المؤثل العريق . أطت الابل أنت تعباً وحنيناً . اتقاء القتال . أرداه أوقعه فى الردى والهلاك . النفير القوم ينفرون معك للقتال . الطواف الذين يطوفون ، من قولهم طوف الناس والجراد أى ملأوا الارض كالطوفان . احتملوا (على البناء للمعلوم) صبروا على الشدة . كناطح ، وعل ينطح صخرة . احتمل الرجل (على البناء للمجهول) استفز وغضب .

(٥١ ـــ ٥٣) السورة حدة الغضب . ذو الجدين قيس بن مسعود من أشراف العرب . كهف من بنى سعد بن مالك . قعدوا عن القتال . الجاشرية امرأة من أياد .

(٥٤ ـــ ٥٦) شكل أزواج ، خبر ثم خبر . قشير بن كعب بن ربيعة .

(٥٧ ـــ ٥٩) عميد القوم سيدهم . الراح جمع راحة وهى بطن اليد . عجل جمع عجول (بفتح العين) وهى المرأة الثكلى . هندوانى سيف منسوب للهند . أقصده أصابه فلم يخطئه . الخط بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .

(٤٩—٥٢) تثير رهط مسعود وتغريهم بنا . وما أظنك تغضب لهم أو تخوض معهم قتالا إن طُلِبَتْ منك المساعدة . فأنت تلقيهم طعاما لغضبنا الهائج، فتوردهم المهالك ثم تعتزل . أجَّجْت نار الفتنة وأمددتها بالحطب لتزيد فى التهابها ، ثم تقعد بعيداً عنها مستعيذاً من شرها ، مبتهلا إلى الله أن لا ينالك أذاها .

٥٤— ويعدد الأعشى القبائل التى عادوها من قبل فقهروها ، منهم أسد (بن ربيعة) ومنهم قُشَيْر (بن كعب ابن ربيعة)، يقول له : سل هؤلاء ، بل سائل ربيعة جميعاً ، يخبروك كيف وجدوا بلاءنا فى القتال .

٥٦— كنا إذا قاتلناهم قتَّلناهم تقتيلا ، وكانوا هم الجانين على أنفسهم بما جاروا وبما سفهوا علينا واجترءوا .

٥٣— وإن فى قومنا وأحلافنا من بنى كهف (من بنى سعد بن مالك بن ضبيعة بن بكر) والجاشرية (من إياد) لَمَنْ يُغْنِى فى القتال ، ويصبر على النضال .

ويشير الأعشى إلى ما كان من إغراء يزيد لهذا البيت من شيبان، ونهيهم أن يقتلوا ضُبَيْعاً بزاهر فيقول :

(٦٢—٦٣) إنى أقسم بالبيت الحرام الذى تهوى إليه الإبل من كل صوب ، وبما يساق إليه من قرابين البقر الكثير ، لئن قتلتم منا سيداً لم يكن مقاربا لقتيلكم ، لنقتلن به منكم أفضل سيد فيكم .

٦٤— إنا لا نمل القتال . ولو قدر لك أن تُبْتَلَى بنا على أعقاب معركة قد خضناها، لوجدت فينا نشاطاً لقتال جديد ، ولما رأيتنا نحيد عن الخوض فى الدماء مرة أخرى .

٦١— فانتهوا أيها القوم خيراً لكم . ولن ينهاكم عما أنتم فيه من بغى كالطعن الجائف ، يغور فى جراحه البالغة الزيت والفتل ،

(٥٨—٥٩) ويخر فيه عميد القوم صريع السيوف والرماح ، قد اتكأ على مرفقه خائر القوى ، وقد هلك من حوله الرجال ، يدفع عنه النسوة بأيديهن .

٥٧— تزعمون أننا لسنا لكم بأكفاء ، وأننا لا ننهض لقتالكم . بل إننا لقتال أمثالكم أنداد .

(٦٥—٦٦) ألسنا فوارس يوم (العَيْن) - وما يوم (العين) بِسِرّ ، فقد كان فى ضحوة النهار - ليس فينا إلا فارس متمكن ، لا يميل على سرج الفرس ، ولا تنقصه عدة القتال . وهو خير محارب راكباً وراجلا :

قالوا الركوب ، فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون ، فأنَّا معشر نُزُل

٦٠— وإننا لأبصر الناس بمواضع الطعن ، وأحذقهم فى إصابة الهدف ، فلقد نصيب الحمار فى فائله (العرق الذى يجرى من الجوف إلى الفخذ) ولقد يهلك على أرماحنا البطل المغوار .

٦٠ — قَدْ نَخْضِبُ العَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ ... وقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا البَطَلُ

٦١ — هَلْ تَنْتَهُونَ ؟ وَلَا يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ ... كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالفُتُلُ

٦٢ — إِنِّى لَعَمْرُ الذى خَطَّتْ مَنَاسِمُهَا ... تَخْدِى وَسِيقَ إِلَيْهِ البَاقِرُ الغُيُلُ

٦٣ — لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا ... لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَثِلُ

٦٤ — لَئِنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ ... لَمْ تُلْفِنَا مِنْ دِمَاءِ القَوْمِ نَنْتَفِلُ

٦٥ — نَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْمَ العَيْنِ ضَاحِيَةً ... جَنْبَىْ « فُطَيْمَةَ » لَا مِيلٌ وَلَا عُزُلُ

٦٦ — قَالُوا الرُّكُوبَ ! فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا ... أَوْ تَنْزِلُونَ ، فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

(٦٠ — ٦٣) العير حمار الوحش . الفائل عرق يجرى من الجوف إلى الفخذ ، ومكنون الفائل هو الدم، والفارس الحاذق يتعمد بالطعن فى الخربة، وهى نقرة فى الورك لا عظم فيها تنفذ إلى الجوف . ومن روى (قد نطعن العير فى مكنون) فقد أخطأ، إذ كيف يطعن فى الدم. الشطط الغلو . يذهب فيه الزيت والفتل لأن الطعنة غائرة . خطت شقت التراب ، المناسم جمع منسم وهو طرف الخف . تخدى تسرع فى السير مع اضطراب . الباقر جمع بقر . الغيل جمع غيول (بفتح الغـين) وهو الـكثير من الابل والبقر ونحوها . صدد الشيء المقابل له أو القريب منه . نمتثل نختار الأمثل والأحسن .

٦٤ — منى به ابتلى به . عن غب معركة عقب معركة . ننتفل ننتفى، أى لا نجحد دماء قومك و نتبرأ منها هربا من القتال . وقال عن غب معركة، لأن المعقول المألوف أن يستريح المقاتل بعدها ولـكن هؤلاء لا يملون القتال.

٦٥ — فطيمة من بنى سعد بن قيس، كانت عند رجل من بنى سيار ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتعايرتا ، فعمدت السيارية فحلقت ذوائب فطيمة ، فاهتاج الحيان واقتتلوا ، فهزمت بنو سعد بن قيس (قوم الأعشى) بنى سيار . ضاحية أى علانية فى وضح النهار . ميل جمع أميل وهو الذى يميل على السرج ولا يثبت فى القتال . عزل جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه . ومن روى (نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية) فهو مخطىء ، لأن يوم الحنو هو يوم ذى قار ، وأحسن الناس بلاء فيه هم بنو شيبان قوم يزيد بن مسهر الذى يهجوه الأعشى بهذه القصيدة . فغير معقول أن يستعلى عليه الأعشى مفاخراً بهذا اليوم .

٦٦ — تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح .

حنيفة أحد فروع بكر بن وائل . وكانت تسكن اليمامة . وكان هوذة مملكا على قومه . وكان من المتكفلين بحراسة قوافل كسرى التي تمر بين الفرس واليمن ، كان يقوم بذلك لقاء جعالة جعلت له . فكانت القوافل تدفع إلى المناذرة ، ويرسلها هؤلاء في حراسة رجال من ربيعة ومضر إلى هوذة، فاذا خرجت من أرض اليمامة كانت في حراسة تميم إلى أن تبلغ عامل كسرى على اليمن . وكان هوذة متوجا . زعم صاحب الأغاني (١) أنه قدم على كسرى فكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ، وقلنسوة مرصعة قيمتها ثلاثون ألف درهم، وكأساً من ذهب كان قد سقاه فيه . وإلى هذا التاج يشير الأعشى في القصيدة ١٣ بقوله :

من يلق هوذة يسجد غير متئب ... إذا تعصب فوق التاج أو وضعا
له أكاليل بالياقوت زينها ... صواغها لاترى عيبا ولا طبعاً

أما صاحب العقد الفريد فقد زعم — روايةعن أبي عبيدة عن أبي عمرو — أنه لم يتتوج معدى قط ، وإنما كانت التيجان لليمن . فلما سئل عن تاج هوذة قال . إنما كانت خرزات تنظم له (٢) .

وقد عاش هوذة حتى أدرك الاسلام . وهو أحد الذين أرسل إليهم النبي الرسل حين دعا ملوك العرب والعجم للاسلام (٣) . ومات بعد منصرف النبي من الفتح سنة ٧ ه ولم يسلم ، لأنه اشترط لاسلامه أن يجعل النبي له الأمر من بعده ، وإلا قصده وحاربه (٤) .

وقد مدح الأعشى هوذة بأربعة قصائد . وهي — حسب ترتيبها التاريخي فيما يرجح — القصائد ١١ ثم ٧ ثم ١٢ ثم ١٣

وعلى ذلك فالقصيدة التي بين يدينا هي الثانية حسب الترتيب الزمني . وتبدو — كما هي مثبتة في الديوان — ناقصة غير محكمة الترتيب .

والظاهر أن القصيدة كانت طويلة ، وأن هذا القدر اليسير هو الذي بقي لنا منها .

والأعشى هنا لايقدم لقصيدته بغزل طويل على عادته ، فقد أسن وانصرف عن اللهو والغزل . ولذلك فهو يخاطب نفسه قائلا :

(١—٢) أجادٌّ أنت فيما تزعم من توديع الشباب والنساء ، وهل ملت حقاً إلى القصد بعد الإسراف ؟ ثم يعود فيقول كالمتعجب من أمر نفسه : ما كنت أظن أن جهالتي ستنتهي إلى الحكمة ، وما كنت أظن أني سأكف عن الاضطراب في الأرض لأسكن إلى وطني في اليمامة بين « مِهْراس » و « مارد » .

(٣—٤) ولقد يلوم السفيه ذا البطَالة على إسرافه في الفساد ، وقد كان هو نفسه من قبل لا يرى فيما يأتي من الفساد إلا الرشاد .

ولا يلبث الشاعر أن ينتقل إلى التعريض بالحارث بن وعلة وببخله ، متخذاً منه وسيلة لمقارنته بكرم هوذة وحسن ضيافته . فقد تجشم الأعشى السفر إلى الحارث ـ وهو يسميه مستهزئاً « حريثاً » ـ وأتاه زائراً ، فوجده عن عطائه جامداً .

(٥—٩) فهو أبعد الناس شبها عن آبائه الكرام . وهو لشدة بخله يفزع من زيارة الصديق ، كأنه يرى في بيته أسداً أو ثعباناً . خير منه نفساً ووالداً ذلك الرجلُ الكريم الذي زاره في «جَوّ» فأكرم وفادته وقربه ، ووهبه قائداً يعينه على الشيخوخة وكَلَال القوة والبصر ، وأعطاه جارية ، فعاد من عنده بالخير الكثير .

(١) أغاني ج ١٦ ص ٧٩ — (٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٤

(٣) الطبري ج ٢ ص ٢٨٨ — (٤) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ص ٣٤ ، ٣٥ وامتاع الأسماع ص ٣٠٩

وقال يمدح هَوْذَة بن على الحَنَفِىّ ويذم الحارث بن وَعْلَة بن مُجَالِد الرَّقَاشِىّ :

(طويل)

١ — أَجِدَّكَ ودَّعْتَ الصِّبى والوَلاَئِدَا ... وأصبَحْتَ بعْدَ الجَوْرِ فيهن قاصِدًا

٢ — وَمَا خِلْتُ أن أَبْتَاعَ جَهْلاً بحِكْمَةٍ ... ومَا خِلْتُ مِهْرَاسًا بِلَادِى ومَارِدَا

٣ — يَلُومُ السَّفِىُّ ذا البَطَالَةَ بَعْدَمَا ... يَرَى كُلَّ مَا يَأْتِى ٱلْبَطَالَةَ رَاشِدَا

٤ — أَتَيْتُ حُرَيْثًا زائرًا عن جَنَابَةٍ ... وكَانَ حُرَيْثٌ عن عَطَائِى جَامِدًا

٥ — لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فِى النَّدَى ... شَمَائِلَهُ ولا أَبَاهُ المُجَالِدَا

٦ — إذا زَارَهُ يَوْمًا صَدِيقٌ كأَنَّمَا ... يَرَى أَسَدًا فِى بَيْتِهِ وأَسَاوِدَا

٧ — وإنَّ امرَءًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هٰذِهِ ... بِجَوٍّ لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا ووَالِدَا

٨ — تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِى ... وأَصْفَدَنِى عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدَا

٩ — وَأَمْتَعَنِى على العَشَا بوَلِيدَةٍ ... فأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يا هَوْذُ حَامِدَا

١٠ — وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ ومِدْحَةٍ ... فَأَعْنِى بها أَبَا قُدَامَةَ عَامِدَا

١١ — فَتًى لو يُنَادِى الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا ... أو القَمَرَ السَّارِى لَأَلْقَى المَقَالِدَا

١٢ — ويُصْبِحُ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ إذا غَدَا ... عَلَى ظَهْرِ أَنْمَاطٍ لَهُ وَوَسَائِدَا

١٣ — يَرَى البُخْلَ مُرًّا والعَطَاءَ كَأَنَّمَا ... يَلَذُّ بِهِ عَذْبًا من المَاءِ بَارِدَا

(١ — ٣) اجدك أى هل انت جاد أو أجد منك هذا . الولائد الجوارى . الجور تجاوز القصد والانحراف عن الجادة . الجهل السفه ضد الحلم . مهراس ومارد موضعان باليمامة (موطن الأعشى) السفى السفيه . البطالة الفساد والضياع والخسران . يرى أى السفيه ، الفاعل مستتر . أى أن هذا السفيه كان قبل ان يتوب يرى الفساد فى نظره هو عين الرشاد .

(٤ — ٦) حريثاً هو الحارث بن وعلة يصغره تحقيراً من شأنه . الجنابة البعد، والجانب الغريب . وعلة أبوه والمجالد جده أبو أبيه ، يقول له إنه لا يشبه آباءه . أساود جمع أسود وهو نوع قاتل من الحيات .

(٧ — ٩) جو بلد هوذة الذى يمدحه بهذه القصيدة فى اليمامة . أصفدنى أعطانى ، والصفد (بفتحتين) العطاء . الزمانة الضعف والعاهة ؛ ويبدو الأعشى هنا مسناً وقد عمى لانه أعطاه قائداً . وليدة جارية .

(١٠ — ١٢) أبو قدامة هو هوذة . ألقت قناعها أى كلمته وأسفرت عن وجهها له . ألقى المقالد أطاع وانقاد . الأنماط جمع نمط وهو ثوب من صوف ذو ألوان يطرح على الهوادج وعلى الوسائد .

(١٠ — ١٣) فهو من أجل ذلك يخصه بالثناء والمدح . وليس الكرم بمستغرب من هذا الفتى ، ومكانه ما هو فى الشرف . لو نادى الشمس لألقت قناعها وكلمته ، ولو خاطب القمر لألقى إليه المقاليد وأطاع . يصبح فوق الوسائد والأنماط كأنه السيف الصقيل وَضَاءةً ومضاء . ويعطى لأنه ينفر من البخل ويَلَذُّ بالعطاء كما يلذ بالماء العذب الزلال .

(١٤ — ١٦) وهو يجمع بين الحلم والشجاعة . فهو أحلم من (قيس) ، واجرأ من الأسد المهيب أبى الأشبال ، وقد أمسى غاضباً متربصاً فى خدره ، يستخف بجمع الثلاثين فلا يهاجمه استهانة بأمره ، ويعدو وحده على جمع الثمانين .

(١٧ — ١٨) ويختم الشاعر قصيدته بوصف قصير لناقته . فقد طال وضع الرحل حتى كاد يبلى لطول الإقامة وقلة الأسفار ، ومل الأعشى السكون والجمود ، فنهض إلى ناقته يكسوها خَشَبَ الرَّحْل ، ويبعثها فى الصحراء ، فتخالها إذ تَهْوِى مسرعة فى رمل « الصَّفَيَّيْن » المتلبد مَهَاةً فقدت ولدها ، فهى تعدو مذعورة ، لاينال القيظ منها ولا يذهب بنشاطها .

(١٩ — ٢١) إذا ركدت الشمس فوق الرءوس وقت الظهر ، وانمحت الظلال ، وانكمش ظل الناقة فلاذ بنحرها ، علقت نظرها بقطعان المها ، وشمرت جادة لتلحق بها . تطوى رمال الصحراء البعيدة الأطراف ، فتُخْرِج الظبى من كِنَاسِهِ ، وتبعث القطا الهاجد من مكمنه .

١٤— وَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ عَلَيْهِ مَهَـابَةٌ أَبُو أَشْبُلٍ أَمْسَى بِخَفَّانَ حَارِدَا
١٥— وأَحْلَمُ من قَيْسٍ وأَجْرَأُ مُقْدَمًا لَدَى الرَّوْعِ من لَيْثٍ إذا رَاحَ حَارِدَا
١٦— يَرَى كُلَّ مَادُونَ الثَّلَاثِينَ رُخْصَةً ويَعْدُو إذَا كَانَ الثَّمَانُونَ وَاحِدَا
١٧— وَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّحْلَ قد طَالَ وَضْعُهُ وأَصْبَحَ من طُولِ الثَّوَايَةِ هَامِدَا
١٨— كَسَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ عَنْسًا تَخَالُهَا مَهَاةً بِدَكْدَاكِ الصُّفَيَّيْنِ فَاقِدَا
١٩— إذَا لَاوَذَ الظِّلُّ القَصِيرُ بِنَحْرِهَا ....
٢٠— أَثَارَتْ بِعَيْنَيْهَا القَطِيعَ وَشَمَّرَتْ لِتَقْطَعَ عَنِّى سَبْسَبًا مُتَبَاعِدَا
٢١— تَبُزُّ يَعَافِيرَ الصَّرِيمِ كِنَاسَهَا وتَبْعَثُ بِالفَلَا قَطَاهَا الهَوَاجِدَا

(١٤ — ١٥) مخدر أسد ملازم خدره وهو أدعى للهيبة منه . ورد من اسماء الأسد ، حارد غضبان . الروع الفزع ويستعمل بمعنى الحرب.

(١٦ — ١٨) الرخصة فى الأمر التخفيف . أى أن هذا الأسد يستخف بالجمع الذى هو أقل من الثلاثين ، فاذا كان الجمع من ثمانين رجلا عدا عليهم وحده ثقة بنفسه . همد الثوب بلى من طول الطى فاذا مسسته تناثر ، فهو هامد . الثواية الاقامة من ثوى بالمكان أى أقام . القتد (بفتحتين) خشب الرحل ، والجمع قتود . العنس الناقة الصلبة القوية . المهاة بقرة الوحش . الدكداك من الرمل ما تلبد بالأرض ولم يرتفع . فاقد فقدت ولدها فهى تعدو عدواً شديداً .

(١٩ — ٢١) لاوذ الظل بنحرها وذلك فى الظهر . حين تكون الشمس عمودية على الأرض فتقصر الظلال وتنكمش ، ويلوذ ظل هذه الناقة برقبتها . وهو وقت يصعب فيه السير ولا يقوى عليه إلا الشديد الصلب من الابل ومن الناس . أثارت أدامت النظر . السبسب المستوى من الأرض . بزه سلبه . اليعفور الظبى الأعفر بلون التراب . الصريم الرملة المنقطعة ذات الشجر . الكناس شجر تستكن فيه وحوش الصحراء من الحر . يقول إن هذه الناقة لسرعتها تزعج الوحش من كنه وقت الظهر بخفيف سيرها . الفلا الصحراء . القطا طائر فى حجم الحمام سمى بذلك من صوته لأنه (قطا قطا .)

سلامة ذو فائش أحد أذواء اليمن . والأذواء أمراء كانوا يحكمون فى نظام يشبه النظام الاقطاعى فى العصور الوسطى بأوروبا شبها كبيراً. وكانت اليمن فى ذلك الوقت مقسمة إلى مناطق كثيرة، يحكم فى كل منطقة واحد من هؤلاء الأذواء . وكانت كل منطقة تسمى محفداً (جمعها محافد) . ويتكون المحفد من قصور أو حصون، وفيها كان يقيم الأمير أو الـ(ذو)، تحف به حاشيته وأعوانه . وربما عظم نفوذ الواحد من هؤلاء الأذواء، فيبسط نفوذه على من حوله من الأمراء، فيسمى عندئذ قيلا (جمعها أقيال) . وقد تتسع مطامعه فيبنى له ملكا يتوارثه أبناؤه ، مكوناً ما نسميه دولة ، وهو عندئذ ملك (١) . وكان أكثر اشتغال هؤلاء الأذواء بالتجارة، ينقلونها بين الهند والحبشة والصومال ومصر والشام والعراق .

وفائش التى ينسب إليها ممدوح الأعشى اسم المحفد الذى كان يحكمه . أو هى واد ـ كما يقول صاحب القاموس ـ كان يحميه ذو فائش (أو صاحب فائش ، كما يقولون الآن فى أوروبا لورد أوف . . أو بارون دى . .) ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن سلامة هـذا ، فهو أحد هؤلاء الأذواء المغمورين الذين لا يحصيهم عد. وإنما رفع من ذكره وخلده أن الأعشى قد قصد إليه فمدحه . روى صاحب الأغانى عن الأعشى أنه قال :

أتيت سلامة ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه فأنشدته :

إن محـلا وإن مرتحـلا وإن فى السفر إذ مضوا مهلا

الشـعر قـلدته سـلامة ذا فائش والشيء حيثما جعـلا

فقال : صدقت ، الشيء حيثما جعل . وأمر لى بمائة من الابل، وكسانى حللا وأعطانى كرشاً مدبوغة مملوءة عنبرا . وقال : إياك أن تخدع عما فيها . فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء(٢) . وقد زعموا أنه كان لا يظهر لقومه إلا مرة فى كل عام ، وكان لا يظهر إلا مبرقعاً (٣)

وقد مدح الأعشى سلامة ذا فائش بقصيدتين ، إحداهما هى هذه القصيدة التى نحن بصددها ، والأخرى قصيدته التى أشار صاحب الأغانى إلى أنها أول ما مدحه به (وهى القصيدة ٣٥ بالديوان) .

وفى أبيات المدح من هذه القصيدة تقديم وتأخير . والترتيب الذى أراه هو ٤٦ ، ٤٧ ثم ٤٢ — ٤٥ ثم ٥٠ — ٥٢ ثم ٤٨ ثم ٥٣ — ٥٦ وسأتبع هذا الترتيب عند تلخيص المدح .

(١ — ٣) يبدأ الأعشى بذكر صاحبته ، وقد أخلفت ميعادها ، فبات ليلته ساهراً مؤرقا ، لا يغمض له جفن ، ولا يرقد مع الراقدين . وهو لا يذكر اسم صاحبته ولا يبالى من تكون ، وإنما يشير إليها بـ(تيَّا) . لتكن هذه الصاحبة من تكون ، ولتذهب عنه حيث تريد ، فما هو بالضعيف الخائر ، ولن تذهب نفسه إثرها حسرات . وإنه لصلب الفؤاد ، إن وصل حبل الود فهو خليق أن يقطعه ، وهو على ذلك قدير . وإنه ليهجم على لذته ويغتصبها اغتصاباً .

(٤ — ٨) كم مِثْلها مفتونة بشبابها وجمالها ، منصرفة إلى التزين ، لا يفارق جسمها طلاء الزعفران ، عمد إليها وقد أضافه الليل ، يلتمس غفلة العيون وفترة يقظتها ، فأصبح خليفة زِوجها عليها وسيدها الأثير المختار . وكم صحب من فتى كريم يعرض عن عوازله مستدبراً ، ويصم أذنه عن إرشادهن متصامما ، ميمون لا يصحب إلا الكرام ، ينفق فيهم ماله ، ولا يتغطى عنهم مستتراً .

(٩ — ١١) طرقه هذا الفتى مع الليل قبل أن يسفر الصباح ، يؤامره فى شرب الخمر ، فغدا معه يصطبحها ، فى هذا السكون الذى لم يمزق حُجُبَه صياحُ الديكة ، ولم تنغصه عين الكاشح الحسود .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٠٢

(٢) الأغانى ٩ : ١٢٤

(٣) القاموس وشرحه مادة (فيش) .

وقال يمدح سَلَامه ذا فَائِش بن يزيد بن مُرَّة بن عُرَيْب بن مَرْثَد بن حَرِيْم الحِمْيَرى :

١ — أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ لَيلَةً   فَتَرْقُدَها مع رُقَّادِهَـــا   (متقارب)

٢ — تَذَكَّرُ « تيَا » وأَنَّى بِهَا   وقَدْ أَخْلَفَتْ بَعْضَ مِيعَادِها

٣ — فَمِيطى تُمِيطِى بِصُلْبِ الفُؤَاد   وَصُولِ حِبَالٍ وَكَنَّادِهَا

٤ — وَمِثْلِك مُعْجَبَةٍ بِالشَّبَا   بِ صَاكَ العَبِيرُ بِأَجْسَادِهَا

٥ — تَسَدَّيْتُها عَادَنِى ظُلْمَةٌ   وغَفْلَةَ عَيْنٍ وإيقَـــادِها

٦ — فَبِتُّ الخَلِيفَةَ من زَوْجِهَا   وسَيِّدَ « تَيَّا » ومُسْتَادَهَا

٧ — وَمُسْتَدْبِرٍ بالَّذِى عِنْدَهُ   على العَاذِلَاتِ وإِرْشَادِها

٨ — وأَبْيَضَ مُخْتَلِطٍ بالكِرَا   مِ لا يَتَغَطَّى لأَنْفَادِهَا

٩ — أَتَانِى يُؤَامِرُنِى فى الشَّمُو   لِ لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا

١٠— أَرِحْنَا نُبَاكِرُ جِدَّ الصَّبُو   حِ قَبْلَ النُّفُوسِ وحَسَّادِها

١١— فَقُمْنَا ولَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا   إلَىٰ جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا

١٢— تنخَّلَهَا مِنْ بِكَارِ القِطَاف   أُزَيْرِقُ آمِنُ إِكْسَادِهَا

١٣— فقُلْنَا لَهُ هـــذِهِ هَاتِهَا   بِأَدْمَاءَ فِى حَبْلِ مُقْتَادِها

١٤— فَقَـالَ تَزِيدُونَنِي تِسْعَةً   ولَيْسَت بِعَدْلٍ لأَنْدَادِهَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . ماط ذهب وبعد . كند الحبل قطعه .

(٤ — ٦) صاك لصق . العبير أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران ، وقيل الزعفران وحده . والزعفران نبات له أصل كالبصل وزهره أحمر إلى الصفرة ، تستعمله العرب فى صبغ الثياب وتستعمله النساء فى التزين فتصبغ به وجهها بدل (البدرة) التى تستعملها فى هذه الأيام . تسداه ركبه وعلاه . عاده انتابه . وقد تلألأ . يقصد غفلة عين وغفلة إيقادها أى غفلة تلألئها ويقظتها ، وهو يقصد عين حارسها . الخليفة الذى يخلف على الشىء . استاده اختاره . أى أنه أصبح سيدها وسيد زوجها .

(٧ — ٩) المستدبر الذى يعرض عن عواذله ويوليهن دبره . لا يتغطى لا يتساكر إذا نفدت لئلا يشترى . آمره شاوره . الشمول الخمر. غدا على الشىء بكر إليه ، هذا أصله ، ثم استعمل فى الذهاب والانطلاق فى أى وقت كان .

(١٠ — ١٢) أرحنا ، أراح الرجل رجعت إليه نفسه بعد الاعياء ، وصار مستريحا . جد الصبوح ، الجد العجلة ، الصبوح خمر الصباح . جونة سوداء يقصد خابية الخمر لأنها كانت تطلى بالقار (وهو مانسميه الزفت) لتسد مسامها فلا ترشح . حدادها صاحبها الذى يحد الناس أى يذودهم عنها لنفاستها . تنخلها تخيرها . بكار القطاف أول ما يقطف . أزيرق هو الخمار جعله أزرق لأنه علج ليس عربياً ، وتسميهم العرب كذلك لزرقة عيونهم . آمن كسادها لجودتها .

(١٣ — ١٤) أدماء ناقة صادقة البياض سوداء الأشفار .

(١٢—١٤) ويعرض علينا الأعشى ما كان بينه وبين الخمار فى أسلوب قصصى رائع تملؤه الحياة . وهو يصور الخمَّار عِلْجًا غير عربى ، فيصفه بأنه (أزرق العينين) ويسميه (حَدّادا) ، وكأنه حارس يذود الناس عن هذا الكنز الثمين من الخمر المختار من بكار القِطَاف ، وقد احتوته خابية ضخمة سوداء طليت بالقار ، وضمنت جودتها له أن لا تكسد عنده ، فهو ضنين بها ، يساوم فى ثمنها مغاليا . وينظر الأعشى إلى هذه الخابية الضخمة فيقول للخمار مشيراً إليها (هذه . هاتها .) ما أريد غيرها ، وخذ فيها ما شئت . ويبذل له فى ثمنها ناقة بيضاء فى حبل عبدها القائم على خدمتها . ولكن الخمار يتلكأ فى إجابتهم ، وقد علم شدة حرصهم على هذه الخمر ، فيقول : بل تزيدوننى فوقها تسعة ، وما أراكم توفون ثمنها بشىء .

(١٥—١٩) فيقول الأعشى للخادم — وهو على شوق وعجل ، يضن بالوقت أن يضيع فى هذه المساومة المملة: أعطه ما يريد . وينتظر الخمار . حتى إذا رأى الخادم يخرج المال ، أضاء خباءه الكبير بالسراج ، وقد تدلت هُدُبُه يغمرها الظلام ، وراح ينقد الدراهم قبل أن يبذل خمره . فيصيح به الأعشى متعجلا :

دراهمنا كلها جيد فلا تحبِسَنَّا بِتَنْقَادِها

ويعمد الخمار إلى الدَّن ، يصب لهم خمراً تتمشى نشوتها فى المفاصل فَتُرْعِدُها ، ثم تستسلم للذتها فتسكن هامدة فاترة . تبدو حين تبذل سوداء ، فإذا مزجت بالماء ، وسكنت بعد إزبادها ، تكشفت عن لون أحمر جميل .

(٢٠—٢٤) تبدو فى أسفل الدن إذا أماله ليصب منه بعد أن طال قعوده ، وقد تناقصت حتى اجتمعت فى أسفله ، كأنها حوصلة النعام . ويجول الخمار عليهم بأباريقه ، وقد تخضبت كفه بما يحمل من خمر حمراء . ولا يزال يسقيهم حتى يُنفِد خمره ، وهم مالكون لرشدهم ، لم يُنْفِدُوا عقولهم ، وإن كانوا قد أنفدوا خمر الخمار . فيقومون إلى ركابهم وخيلهم ، وقد باتت على باب الخباء بأكوارها وألبادها ، تستخفهم النشوة ، وتثور بهم جائرة — وقد ظهر أثرها — بعد قصد واعتدال .

١٥— فَقُلْتُ لِمُنْصَفِنَا أَعْطِهِ فَلَمَّا رَأَى حَضْرَ شُهَّادِهَا
١٦— أَضَاءَ مِظَلَّتَه بِالسِّرَا جِ واللَّيْلُ غَامِرُ جُدَّادِهَا
١٧— دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ فَلَا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقَادِهَا
١٨— فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا
١٩— كُمَيْتًا تَكَشَّفُ عن حُمْرَةٍ إِذَا صَرَّحَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا
٢٠— كَحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِي دَنِّهَا إِذَا صُوِّبَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا
٢١— فَجَالَ عَلَيْنَا بِأَبْرِيقِهِ مُخَضَّبُ كَفٍّ بِفِرْصَادِهَا
٢٢— فَبَاتَتْ رِكَابٌ بِأَكْوَارِهَا لَدَيْنَا وَخَيْلٌ بِأَلْبَادِهَا
٢٣— لِقَوْمٍ فَكَانُوا هُمُ الْمُنْفِدِينَ شَرَابَهُمُ قَبْلَ إِنْفَادِهَا
٢٤— فَرُحْنَا تُنَعِّمُنَا نَشْوَةٌ تَجُورُ بِنَا بَعْدَ إِقْصَادِهَا
٢٥— وَبَيْدَاءَ تَحْسِبُ آرَامَهَا رِجَالَ إِيَادٍ بِأَجْلَادِهَا
٢٦— يَقُولُ الدَّلِيلُ بِهَا لِلصِّحَا بِ لَا تُخْطِئُوا بَعْضَ أَرْصَادِهَا
٢٧— قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا بِعَرْفَاءَ تَنْهَضُ فِي آدِهَا
٢٨— سَدِيسٍ مُقَذَّفَةٍ بِاللَّكِيـ ـكِ ذَاتِ نَمَاءٍ بِأَجْلَادِهَا
٢٩— تَرَاهَا إِذَا أَدْلَجَتْ لَيْلَةً هَبُوبَ السُّرَى بَعْدَ إِسْآدِهَا

(١٥ — ١٨) المنصف والناصف الخادم والوصيف . شهادها الدراهم، والشاهدماله منظر ولا لسان . مظلته خباؤه . الجداد الهدب الذى يبقى فى أسفل النسج . نقد الدراهم ميزها ونظرها ليعرف رديئها وجيدها .

(١٩ — ٢١) كميت حمراء تضرب إلى السواد . فاذا مزجت ذهب سوادها وصارت حمراء . صرحت ذهب زبدها . الرأل ولد النعام . أى أنها تناقصت لطول مكثها فى الدن حتى صارت فى أسفله كحوصلة الرأل . صوبت أميلت وصبت . إقعادها طول بقائها فى الدن . الفرصاد التوت وهو أحمر .

(٢٢ — ٢٥) الأكوار جمع كور وهو الرحل . الألباد جمع لبد (بكسر اللام) وهو الصوف المتلبد الذى يجعل على ظهر الفرس تحت السرج حتى لا يؤذى ظهره . جار مال عن القصد ، الآرام حجارة تنصب فى الصحراء ليهتدى بها المسافر . أجلاد الانسان جسمه وبدنه ، وإياد توصف بضخامة الأجسام .

(٢٦ — ٢٩) الأرصاد الأعلام أو الطرق . خب طال وخفق . الريعان السراب . ناقة عرفاء ضخمة السنام اى أن سنامها صار لها كالعرف . الآد القوة . السديس التى ألقت سدسها وذلك فى السنة السادسة . اللكيك اللحم المكتنز . النماء الزيادة . أجلادها يقصد بها هنا الرحل وما ألبس من أداته . الادلاج سير الليل كله . هبوب نشيط . بات يسئد السير أى يديمه .

ويتخلص الأعشى من الخمر ليصف قسوة الصحراء وصعوبة الانتقال فيها وصبره على ركوبها. والصحراء جزء من حياة الفتى العربى . فحياته أشبه بقصص الفروسية فى العصور الوسطى: مغامرة، وخمر، ونساء . وهو إذا ذكر الخمر والنساء لم يلبث أن يتبعها بالمغامرة وركوب الأهوال فى الصحراء، وكأنه يستمد من المتعة قوته، ويجدد بها نشاطه .

(٢٥—٢٩) هذه هى البيداء، قد قامت على طرقها أعلام الحجارة الضخمة لتهدى المسافر السبيل، وكأنها رجال (إياد) بأجسامهم الضخام . يقول الدليل فيها لصحبه : تتبعوا هذه الأعلام، وإياكم أن تخطئوها فتضلوا الطريق .

ما أكثر ما قطع الأعشى مثل هذه الصحراء فى حر الهاجرة الملتهب حين يرتفع السراب، فوق ناقة ضخمة تدلى الشعر من رقبتها، ونهضت فى قوتها وقد اكتمل شبابها فى سنتها السادسة، فاكتنز جسمها باللحم، وبدت رائعة ذات نَماء وقد شد عليها الرحل، تسرى الليل كله لا تكل، ولا يذهب بنشاطها إدمان السير .

ويشبه الأعشى ناقته فى كفاحها الطويل للتغلب على مصاعب الصحراء، وفى تخطيها لكل ما تصادفه من عقبات، ببقرة وحشية، ثم ينصرف إلى تصوير هذه البقرة فى معركة حامية مع كلاب صيد عرضت لها، فراحت تدافع عن نفسها فى بسالة حتى تغلبت عليها . ويختم هذه الصورة المطولة بأن يقول إن ناقته تشبه هذه البقرة الجريئة الصبور .

(٣٠—٣٤) هى بقرة خلفت طفلها فى قُنَّةِ « جَوّ» بين صخورها الغليظة، فباتت وحيدة مستوحشة، تضم أحشاءها على حزن كمين . فما أسلمها ليلها الحزين إلى الصباح، لقيتها كلاب الصيد الضارية، فاندفعت إليها وقد أغراها بها الصياد . فلم تزل تجرى وتجول هنا وهناك، تحاورها وتداورها، حتى أجهدها الجولان، وأجهد أرجلها الأربع . ولم تجد هذه البقرة بدأ من الاستبسال . فثبتت فوق الأرض الصلبة المنبسطة التى لا يواريها شجر أو نبات، لا تحاول أن تترك مكانها هاربة .

(٣٥—٣٨) ولكنها تكر على الكلاب بقرنها كلما أرهقتها بالهجوم، فتحمى جلدها أن تناله أنيابُها فتمزقه . وتُنْفِذُ قرنَها فى ضلوعها .

٣٠— كَعَيْنَاءَ ظَلَّ لَهَا جُؤْذُرٌ ... بِقُنَّةِ جَوٍّ فَأَجْمَادِهَا

٣١— فَبَاتَتْ بِشَجْوٍ تَضُمُّ الحَشَا ... عَلَى حُزْنِ نَفْسٍ وَإِيحَادِهَا

٣٢— فَصَبَّحَهَا لِطُلُوعِ الشُّرُوقْ ... ضِرَاءٌ تَسَامَى بِإِيسَادِهَا

٣٣— فَجَالَتْ وَجَالَ لَهَا أَرْبَعٌ ... جَهَدْنَ لَهَا مَعَ إِجْهَادِهَا

٣٤— فَمَا بَرَزَتْ لِفَضَاءِ الجِهَادْ ... فَتَتْرُكَهُ بَعْدَ إِشْرَادِهَا

٣٥— وَلَكِنْ إِذَا أَرْهَقَتْهَا السِّرَا ... عُ كَرَّتْ عَلَيْهِ بِمِيصَادِهَا

٣٦— فَوَرَّعَ عَنْ جِلْدِهَا رَوْقُهَا ... يَشُكُّ ضُلُوعًا بِأَعْضَادِهَا

٣٧— فَتِلْكَ أُشَبِّهُهَا إِذْ غَدَتْ ... تَشُقُّ البِرَاقَ بِأَصْعَادِهَا

٣٨— تَؤُمُّ سَلَامَةَ ذَا فَائِشٍ ... هُوَ اليَوْمَ حُمٌّ لِمِيعَادِهَا

٣٩— وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ صَفْصَفٍ ... وَدَكْدَاكِ رَمْلٍ وَأَعْقَادِهَا

٤٠— وَيَهْمَاءَ بِاللَّيْلِ غَطْشَى الفَلَا ... ةِ يُؤْنِسُنِي صَوْتُ فَيَّادِهَا

٤١— وَوَضْعِ سِقَاءٍ وَإِحْقَابِهِ ... وَحَلِّ حُلُوسٍ وَإِغْمَادِهَا

٤٢— فَأَنْ حِمْيَرٌ أَصْلَحَتْ أَمْرَهَا ... وَمَلَّتْ تَسَاقِيَ أَوْلَادِهَا

٤٣— وُجِدْتَ إِذَا اصْطَلَحُوا خَيْرَهُمْ ... وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنَادِهَا

٤٤— وَإِنْ حَرْبُهُمْ أُوقِدَتْ بَيْنَهُمْ ... فَحَرَّتْ لَهُمْ بَعْدَ إِبْرَادِهَا

(٣٠ — ٣٤) عيناء بقرة وحش سميت بذلك لسعة عينها وسوادها . الجؤذر ولدها . الأجماد جمع جمد (بكسر الجيم) وهو الأرض الغليظة . الشجو الحزن . إيحادها انفرادها ووحشتها لبعد ولدها عنها . ضراء جمع ضرو (بكسر فسكون) وهو كلب الصيد . تسامى تتطاول . إيسادها إغراؤها ، وآسد الكلب بالصيد أغراه . جال لها أربع يعني قوائمها . الجهاد الأرض الصلبة البارزة .

(٣٥ — ٣٨) أرهقتها أعجلتها ، وروى (رهقتها) أى غشيتها . السراع الكلاب . ميصادها قرنها . ورع كف . الأعضاد جمع عضد (بفتح ثم ضم). البراق جمع برقة وهى أرض متلبدة يختلط فيها الحصى بالرمل والطين . إصعادها ارتفاعها وسيرها إلى العالية . حم أى قصد .

(٣٩ — ٤١) الصفصف المستوى من الارض الذى لاينبت . الدكداك المتلبد من الأرض . الأعقاد المتعقد المتراكم من الرمال . يهماء صحراء مطموسة المسالك . غطشى مؤنث أغطش أى مظلمة . الفياد ذكر البوم . إحقابه ، كل ما ربطه الرجل خلفه فقد أحقبه . الحلس ما يوضع فوق ظهر البعير والدابة تحت الرحل أو السرج لبقى ظهره . أغمد الراكب متاعه ركبه ، وأغمد الحلس جعله تحت الرحل .

(٤٢ — ٤٤) تساقى القوم سقى كل واحد صاحبه ، أى ملت قتل أبنائها فى الحرب فهم لا يتساقون الماء ، ولكنهم يتبادلون أبناءهم الذين يقتلون فى الحرب . ثقب الزند خرجت ناره .

ويعود الشاعر إلى ناقته فيقول إنها تشبه هذه البقرة الباسلة ، وقد غدت تشق ما يعترض طريقها من أرض غليظة ، ماضية فى طريقها إلى (سلامة ذى فائش) لا تَلْوى على شىء، حتى تبلغ ميعادها المقصود .

ويذكر الشاعر لممدوحه ما لقى فى سبيل الوصول إليه من صعاب .

(٣٩—٤١) فكم دون بيته من مراحل طويلة ، بين أرض مستوية ورمال ، منها المتلبد الساكن ، ومنها المنعقد المتراكم . وكم دون بيته من صحراء قد عميت مسالكها على السالكين ، يفزعه فيها صوت البوم ، إذ ينعق فى ظلام الليل البهيم ، فيزيد فى وحشته وروعته . وكم دون بيته من سفر مُضْنٍ مُمِضٍّ تُحَط فيه الرحال تارة للاستراحة ، وتثبت أخرى لمواصلة الرحلة .

(٤٦—٤٧) ثم يقبل الشاعر على ممدوحه فيقول : كان قوم يتمنون أن يشتبكوا معك فى حرب طويلة ، ويظنون أنهم يصبرون لها . وكانوا قبل أن تصيبهم الحرب موفورى القوة والنشاط . فقد جربها الذين كانوا يطلبونها ، وهاهم أولاء يكتوون بنارها . ثم يتجه إلى قبائل حِمْيَر — قوم الممدوح — فيقول :

(٤٢—٤٥) إن أصلحتم أمركم ، ومللتم هذه الحروب التى تهلكون فيها أبناءكم وتتساقونهم ، وجدتموه خيركم فى السلم وأوراكم زنادا . فأن أبيتم إلا أن توقدوا بينكم الحرب وتتلظوا بنارها ، تستبدلونها من برد السلام وأمنه ، فستجدونه أصبركم على أرزائها ، وأجلدكم على إدمانها .

(٥٠—٥٢) كم فى بيته من سَبِيَّة قد أحرزها لم يدفع فيها مهراً ، وأخرى يطالب أهلُها أن يفتدوها بالمال . وكم فيه من نوق ساقتها إليه الغارة ، فنُزِعَتْ من فناء أصحابها لتقيم فى فنائه وتضاف إلى إبله ، وبدلت بأسمائها القديمة أسماء أخرى جديدة . هذا رجلُ خَيِّرٌ جزل العطاء .

٤٨— تَعْرِضُ له كثير من المواطن التى تقتضى البذل فلا يضن ولا يضيق .

(٥٣—٥٦) يهلك ماله حين يشتد القحط فى الشتاء ، وتهزل النساء ، فتجول جبائرها فى أعضادها . (والجبيرة سوار تتزين به المرأة وتضعه فى عضدها) وإن فى قومه لعفة ووفاء . تجاورهم المرأة فيقومون مقام أهلها وعشيرتها ، لا يطمعون فى مالها فيسعوا لنكاحها إن كانت ذات ثراء ، ولا يضيقون بها فيُسْلِموها إن كانت فقيرة معدمة . فاذا شهدوا الحرب وجدتهم شجعانا ينهضون بأعباء القتال .

٤٥— وُجِدْتَ صَبُورًا عَلَى رُزْئِهَا ... وَحَرِّ الحُرُوبِ وَتَرْدَادِهَا

٤٦— وَقَالَتْ مَعَاشِرُ مَنْ ذَا لَنَا ... بِحَرْبٍ عَوَانٍ وَتَطْرَادِهَا

٤٧— وَكَانُوا بِشَحْمِ الكُلَى قَبْلَهَا ... فَقَدْ جَرَّبُوهَا لِمُرْتَادِهَا

٤٨— كَثِيرُ النَّوَافِلِ تَبْرَى لَهُ ... مَرَازِىءُ لَيْسَ بِعَدَّادِهَا

٤٩— .... وتعْرِضُ أُخْرَى بِأَذْوَادِهَا

٥٠— وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ ... وَأُخْرَى يُقَالُ لَهُ فَادِهَا

٥١— وَمَنْزُوعَةٍ مِنْ فِنَاءِ امْرِىءٍ ... لِمَبْرَكِ آخَرَ مُزْدَادِهَا

٥٢— تَدُرُّ عَلَى غَيْرِ أَسْمَائِهَا ... مُطَرَّفَةً بَعْدَ إِتْلَادِهَا

٥٣— هَضُومُ الشِّتَاءِ إِذَا المُرْضِعَا ... تُ جَالَتْ جَبَائِرُ أَعْضَادِهَا

٥٤— وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً ... يَكُونُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا

٥٥— فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى ... وَلَنْ يُسْلِمُوهَا لِأَزْهَادِهَا

٥٦— أُنَاسٌ إِذَا شَهِدُوا غَارَةً ... يَكُونُونَ ضِدًّا لِأَنْدَادِهَا

(٤٥ — ٤٧) الحرب العوان التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، وأصله العوان من البقر والخيل ، وهى التى ولدت بعد بطنها الأولى . التطراد الطرد والسوق والابعاد . بشحم الكلى أى فى نشاطهم وكامل قوتهم . مرتادها طالبها ، والرود (بفتح فسكون) الطلب.

(٤٨ — ٥١) تبرى له تعرض له . مرازىء من رزأه ماله إذا أصاب منه شيئاً ، والمرزءون (بتشديد الزاى وفتحها) الكرماء . الأذواد جمع ذود وهو جماعة الابل . غير ممهورة لأنها سبية أخذت قهراً فى الحرب . ومنزوعة ناقة أخذت فى غنائم الحرب .

(٥٢ — ٥٤) تدر على غير أسمائها ، سميت عنده بغير أسمائها ، وكانت العرب تسمى الخيل والجمال وخصوصاً العتيق الكريم منها . مطرفة أى كانت قديمة موروثة عند أصحابها فأصبحت مستحدثة عنده . الهضوم الذى ينفق ماله ، ويد هضوم تجود بما لديها . الجبائر جمع جبيرة وجبارة وهى سوار عريض تلبسه المرأة فى العضد . جالت الجبائر فى أعضادها أى هزلت ، والأصل فى الجبارة أن تكون لاصقة بالعضد لا تجول ولا تتحرك . الأنضاد الأعمام والأخوال .

(٥٥ — ٥٦) سرها نكاحها . أى أنهم لايتزوجونها طمعاً فى مالها . لن يسلموها لا يتخلون عنها ويتركونها . لازهادها أى زهداً فيها لفقرها . أى أنهم لا يفعلون ما يفعلون بدافع الطمع ، ولكنهم يفعلونه بدافع الشهامة والنخوة والقيام بالواجب والوفاء به.

تتصل هذه القصيدة فى موضوعها بالقصيدة (٦) « ودع هريرة إن الركب مرتحل » ولكنها تليها من الناحية التاريخية ، ويبدو أن الشر قد تفاقم حتى تجاوز البيوت الصغيرة إلى الحيين الكبيرين ، قيس بن ثعلبة (الذى ينتمى إليه الأعشى)، وشيبان بن ثعلبة (الذى ينتمى إليه يزيد ابن مسهر) . ولذلك فالأعشى هنا يوجه معظم هجائه إلى (شيبان) ، وقد كان يخص به (يزيد) فى القصيدة السابقة .

(١ — ٤) يبدأ الأعشى بذكر صاحبته (هُرَيْرة) التى بدأ قصيدته السابقة بذكرها . ويبدو فى استهلاله شىء من الضيق والغضب حين يقول (هريرة ودعها) . . نعم ودعها وإن لام اللائمون . ويعود فيخاطب نفسه ، وكأنها لم تستجب لأمره الصارم العنيف : مالك لا تفعل ؟ أأنت واجم لفراقها ؟ ألم يكفك عام طويل قد أقمته معها ؟ إن حولا كاملا لحقيق بأن يشفى نفسك ويقضى حاجتك ، (ويَسْأَمُ سَائِمُ) ! . . . لكن هذا العنف الذى يخاطب به الأعشى نفسه ليس إلا صورة لحبها العنيف المتمكن من قلبه ، فهو لا يستطيع أن ينساها ، ولا يستطيع أن يتخلص من صورتها المتسلطة على خياله . وهاهو ذا يرسم لنا صورة من هذا الطيف . . .إنها رائعة الحسن والقوام ، كأنما قُدَّ الحسن على أعضائها بمقدار . ناعمة الشباب ، لها عينان كأنهما عينا ظبى أبيض خالص البياض . ولها شعر أسود فاحم ، ووجه صاف نقى اللون ، يزيد فى فتنته صدر ومعاصم تكسوها الحلى .

(٥ — ٦) وثغر بسام ناصع البياض كأنه نَوْر الأقحوان . . . إنها هَمُّه الذى لا هم غيره . ولكن أنَّى له بها وهى بعيدة لا تدنو ، ولا يستطيعها من العِيس إلا السريع الجليد .

ويتعجل الأعشى غزله ، فيفرغ منه بعد هذا الحديث القصير الذى لا يتجاوز ستة أبيات ، وقد رأيناه يطيله فى القصيدة السابقة (٦) حتى يبلغ به أربعة وأربعين بيتاً . ولكنه هنا مشغول مهموم ، لا يكاد يفرغ لصاحبته ، فهو لا يلبث أن يقول :

(٧ — ٩) دع عنك هذا الحديث الذى لا غناء فيه ، واعمدْ بشعرك لغيرها ، تَكوى به الأنوف ، فتظل موسومة به أبداً .

وقال يهجو يزيد بن مُسْهِر الشَّيْبانى :

(طويل)

١ — هُرَيْرَةَ وَدِّعْها وإنْ لامَ لائمُ ... غَدَاةَ غَدٍ أمْ أنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ

٢ — لَقَدْ كَانَ فِى حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتَهُ ... تَقَضِّى لُبَانَاتٍ وَيَسْأَمُ سَائِمُ

٣ — مُبَتَّلَةٌ هَيْفَاءُ رَوْدٌ شَبَابُهَا ... لَهَا مُقْلَتَا رِئْمٍ وَأَسْوَدُ فَاحِمُ

٤ — وَوَجْهٌ نَقِيُّ اللَّوْنِ صَافٍ يَزِينُهُ ... مَعَ الحَلْىِ لَبَّاتٌ لَهَا وَمَعَاصِمُ

٥ — وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ ... ذُرَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ مُتَنَاعِمُ

٦ — هِىَ الهَمُّ لَا تَدْنُو ولا يَسْتَطِيعُهَا ... مِنَ العِيسِ إلا النَّاجِيَاتُ الرَّوَاسِمُ

٧ — .... يُغْنِيكَ وَاعْمِدْ لِغَيْرِهَا ... بِشِعْرِكَ وَاعْلُبْ أَنْفَ مَنْ أَنْتَ وَاسِمُ

٨ — رَأَيْتُ بَنِى شَيْبَانَ يَظْهَرُ مِنْهُمُ ... لِقَوْمِى عَمْدًا نَغْصَةٌ وَمَظَالِمُ

٩ — فَإِنْ تُصْبِحُوا أَدْنَى العَدُوِّ فَقَبْلَكُمْ ... مِنَ الدَّهْرِ عَادَتْنَا الرِّبَابُ وَدَارِمُ

١٠ — وَسَعْدٌ وَكَعْبٌ والعِبَادُ وطَيِّءٌ ... وَدُودَانُ فِى أَلْفَافِهَا والأَرَاقِمُ

١١ — فَمَا فَضَّنَا مِنْ صَائِغٍ بَعْدَ عَهْدِكُمْ ... فَيَطْمَعَ فِينَا زَاهِرٌ والأَصَارِمُ

١٢ — وَلَنْ تَنْتَهُوا حَتَّى تَكَسَّرَ بَيْنَنَا ... رِمَاحٌ بِأَيْدِى شُجْعَةٍ وَقَوَائِمُ

١٣ — وَحَتَّى يَبِيتَ القَوْمُ فِى الصَّفِّ لَيْلَةً ... يَقُولُونَ نَوِّرْ صُبْحُ واللَّيْلُ عَاتِمُ

١٤ — وُقُوفًا وَرَاءَ الطَّعْنِ والخَيْلُ تَحْتَهُمْ ... تُشَدُّ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ القَوَادِمُ

(١ — ٣) البين الفراق . واجم حزين ساكت . ثوى بالمكان أقام . اللبانة الحاجة . مبتلة جميلة تامة الخلق ، كأن الجمال بتل على أعضائها أى قطع . هيفاء خميصة البطن . رود ناعمة . الريم الظبي الأبيض الخالص البياض . أسود فاحم شعر أسود شديد السواد .

(٤ — ٦) اللبة موضع النحر . غر جمع أغر وهو الابيض . الثنايا الاسنان التى تبدو عند الابتسام . الاقحوان نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء ، وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، يشبهون بها الأسنان . متناعم ريان . الهم موضع الاهتمام والتفكير . ناقة ناجية سريعة . رسمت الناقة رسيما أثرت فى الارض ، والرسوم الذى يبقى على السير يوماً وليلة .

(٧ — ١٠) العلب الأثر . وسمه كواه وأثر فيه . النغصة كدر العيش ، الرباب هم ضبة وتيم وعدى وعكل وثور . دارم من تميم . العباد قبيلة كانت تسكن العراق . سعد من هوازن . دودان من أسد بن خزيمة ، منهم الكميت بن زيد الشاعر الشيعى . الاراقم من تغلب . ألفافها جماعاتها .

(١١ — ١٤) فما فضنا ، الفض الكسر . زاهر بن سيار من بنى همام ، وقد تقدمت القصة فى القصيدة (٦) . الليل عاتم محتبس . القوادم جمع قادم وهو الرأس .

ويقبل على بنى شيبان فيوجه إليهم خطابه قائلا :

رَأَيْتُ بنى شَيْبَانَ تَظْهَرُ مِنْهُمُ   لِقَوْمِىَ عَمْدًا نَغْصَةٌ وَمَظَالِمُ

ويقول لهم : إن تصبحوا أقرب الأعداء وآخرهم فقد عادانا من قبلكم كثير .

(١٠—١٤) وهو يعدد لهم من ذاق عداوتهم من القبائل فلم يصبر عليها ، قائلا : إننا على عهدكم بنا لم يكسر شوكتنا أحدٌ ، ولم يغيرنا عن أخلاقنا شىء ، ففيم إذن يطمع فينا زاهر والأراقم ؟ إنكم لن تنتهوا حتى تتكسر بيننا رماح وسيوف ، وحتى يبيت القوم فى قتال مرير ، قد شُدَّتْ رءوسهم فوق أكتافهم شداً .

(١٥—١٩) ومن تحتهم الخيل تقتحم الزحام ، مندفعة إلى القتال ، كلما سمعت زجر من فوقها من الفرسان الضراغم أُسُودِ (الزَّار َتَيْن) . تقولون وقد اشتد بكم الكرب ، وأجهدكم القتال ، (نَوِّرْ صُبْحُ !) ، والليل جاثم طويل ، لم ينته إلا أقله . لن تنتهوا حتى يكون بيننا مثل هذا القتال العنيف ، أو تكسروا من حدتكم ، فأنما جنون من حَيَّرَه الشر وخَبَلَه الجهلُ والسَّفَهُ على نفسه .

إنكم إن لقيتمونا لقيتم بنا قوما لايجبن سلاحهم ، حين تكون الجماجم أهداف السيوف . وإن أبناءنا ليتسابقون إلى القتال ، كما يتسابق الظماء إلى الماء .

(٢٠—٢٤) وأَهوِنْ بما يقول عنا يزيد بن مسهر ! فستمدنا (اللهازم) وتجتمع إلينا بِرَغْمِه[١] . وإنه لينفر منى حين يلقانى ، ويصرف عنى نظره ، مقطبا وجهه ، كأنما وُضِعَتْ بين عينيه المحَاجم . وما أبالى أن يديم الله غصَّتَه بى ، وما أبالى أن أكون شَجًى فى حلقه .

فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَاآنْزَوَى   وَلَا تَلْقَنِى إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

ويخص الأعشى يزيد بن مسهر بخطابه ، لأنه سبب هذا الشر الذى وقع بين الحيين ، فيقول له : لئن جد بيننا التقاطع ، لتقتلن مخلفاً أموالك التى تعتز بها (عليها الخواتم) ، ولتجتمعن عليك النساء فى مأتمك ، يندبنك نائحات ، (يقلن : حَرَامٌ ما أُحِلَّ بربنا) — والأعشى هنا غاية فى البراعة حين يحكى

(١) اللهازم هم قيس بن ثعلبة وعجل بن بكر وحنيفة بن بكر وعنزة . هؤلاء حلف .

١٥— إِذَا مَا سَمِعْنَ الزَّجْرَ يَمَّمْنَ مُقْدَمًا ... عليها أُسُودُ الزَّارَتَيْنِ الضَّرَاغِمُ

١٦— أَبَا ثَابِتٍ أَوْ تَنْتَمُونَ فَأَنَّمَا ... يَهِيمُ لِعَيْنَيْهِ مِنَ الشَّرِّ هَائِمُ

١٧— مَتَى تَلْقَنَا والخَيْلُ تَحْمِلُ بَزَّنَا ... خَنَاذِيذَ مِنْهَا جِلَّةٌ وَصَلَادِمُ

١٨— فَتَلْقَ أُنَاسًا لَا يَخِيمُ سِلَاحُهُمْ ... إِذَا كَانَ حَمًّا لِلصَّفِيحِ الجَمَاجِمُ

١٩— وَإِنَّا أُنَاسٌ يَعْتَدِى البَأْسَ خَلْفُنَا ... كَمَا يَعْتَدِى المَاءَ الظِّمَاءُ الحَوَائِمُ

٢٠— لَهَانَ عَلَيْنَا مَا يَقُولُ ابنُ مُسْهِرٍ ... بِرَغْمِكَ إِذْ حَلَّتْ عَلَيْنَا اللَّهَازِمُ

٢١— يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كَأَنَّمَا ... زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَىَّ المَحَاجِمُ

٢٢— فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ... وَلَا تَلْقَنِى إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

٢٣— فَأُقْسِمُ إِنْ جَدَّ القَاطِعَ بَيْنَنَا ... لَتَصْطَفِقَنْ يَوْمًا عَلَيْكَ المَآتِمُ

٢٤— يَقُلْنَ حَرَامٌ مَا أُحِلَّ بِرَبِّنَا ... وَتَتْرُكُ أَمْوَالًا عَلَيْهَا الخَوَاتِمُ

٢٥— أَبَا ثَابِتٍ لَا تَعْلَقَنْكَ رِمَاحُنَا ... أَبَا ثَابِتٍ أَقْصِرْ وَعِرْضُكَ سَالِمُ

٢٦— أَفِى كُلِّ عَامٍ تَقْتُلُونَ وَنَتَّدِى ... فَتِلْكَ التى تَبْيَضُّ مِنْهَا المَقَادِمُ

٢٧— وذَرْنَا وَقَوْمًا إِن هُمُو عَمَدُوا لَنَا ... أَبَا ثَابِتٍ واجْلِسْ فَأَنَّكَ نَاعِمُ

٢٨— طَعَامُ العِرَاقِ المُسْتَفِيضُ الَّذِى تَرَى ... وَفِى كُلِّ عَامٍ حُلَّةٌ وَدَرَاهِمُ

(١٥ — ١٨) الزارة الأجمة ذات الماء والحلفاء والقصب . انتمى ينتمى انكسر . رجل هائم وهيوم متحير . البز السلاح . خناذيذ كرام . قوم جلة عظماء سادة . صلادم غلاظ شداد . يخيم يجبن . حما تصدا . الصفيح السيوف .

(١٩ — ٢١) خلفنا نسلنا ، يسرعون إلى الحرب . الحائم العطشان والذى يدور حول الماء . اللهازم قيس بن ثعلبة وعنزة وعجل وحنيفة . زوى جمع بين عينيه وقبضه . المحاجم جمع محجم (بكسر الميم) وهو مايحجم به . وحجم طرفه عنى صرفه .

(٢٢ — ٢٥) الريح تصفق الأشجار فتصطفق أى تضطرب ، والنساء يصطفقن على الميت . أقصر كف عن الأمر .

(٢٦ — ٢٨) اتدى أخذ الدية ولم يثأر بقتيله . القوادم جمع قادم ، وقادم الانسان رأسه . عمد له قصده . ناعم مترف لايحتمل الحرب .

ألفاظ النساء ، فيصور حزنهن العاجز الضعيف ، وكأنه لم يعد هناك من رجال بنى شيبان من يثأر للقتيل . وقصارى ما يبلغون من الثأر له ، أن تتحسر عليه النساء فى هذه الكلمات العاجزة .

٢٥— آنْجُ بنفسك قبل أن تنالك رماحنا ، وأقصِرْ قبل أن يمزَّق عرضك ، ودعنا ومن يبغينا الشر ، وتنحَّ أنت عما لا شأن لك به ، وعما لا تصلح له .

(٢٧—٢٩) وهل أنت إلا رجل ناعم ، يأتيك طعام العراق وأنت قاعد ، (وفى كل عامٍ حُلَّةٌ ودراهم) ، يفيضها عليك ملوك العراق !

أتحض بنى سيار على قتل سادتنا وأشرافنا ، ثم تزعم بعد القتل أن لا يد لك فيه ؟

٢٦— أفى كل عام تَقْتُلون ، ونقبل نحن الدية إبقاء على الرحم والقربى ! أما للشر من نهاية ؟ إن هذا لهو البلاء الذى تشيب له الرءوس .

(٣٠—٣٤) لن ينتهى هذا إلا إلى حرب تقلق الإبل السارحة فى مرعاها ، ويفيق فيها النائمون من سباتهم بالطعنة النافذة ، يندفع منها الدم حتى يغشى فُرُشَهم ، ويبيت فيها المطعون قد أوقدت من حوله النار ، وتُسْبَى فيها النساء ، فتجد السيدة الكريمة تخدم ابنة عمها ، ممتهنة مبتذلة ، كفعل الخدم والإماء . تستشفع بالقرابة والرحم ، إذ تتصل ببكر بن وائل ، وبكر هى التى أحلت سباءها ، وأنف قومها المعتدين راغم ذليل .

٢٩— أَتَأْمُرُ سيَّارًا بِقَتْلِ سَرَاتِنَا ... وَتَزْعُمُ بعْدَ القَتْلِ أَنَّكَ سَالِمُ

٣٠— أَبَا ثَابِتٍ إِنَّا إِذَا تَسْبِقُنَّنَا ... سَيُرْعَدُ سَرْحٌ أَوْ يُنَبَّهُ نَائِمُ

٣١— بِمُشْعِلَةٍ يَغْشَى الفِرَاشَ رَشَاشُهَا ... يَبِيتُ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاحِمُ

٣٢— تَقَرُّ بِهِ عَيْنُ الَّذِى كَانَ شَامِتًا ... وتَبْتَلُ مِنْهَا سُرَّةٌ وَمَآكِمُ

٣٣— وتُلْفَى حَصَانٌ تَخْدُمُ ابْنَةَ عَمِّهَا ... كَمَا كَانَ يُلْفَى النَّاصِفَاتُ الخَوَادِمُ

٣٤— إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ أَبَكْرَ بنَ وَائِلٍ ... وَبَكْرٌ سَبَتْهَا والأُنُوفُ رَوَاغِمُ

(٢٩ — ٣١) بنو سيار قوم زاهر المقتول ، والقصة فى القصيدة (٦) . السرح الابل الراعية . مشعلة طعنة واسعة تتفرق منها الدم مندفعاً . جاحم متوقد ، يوقدون عند المطعون ليعرفوا حاله فى كل ساعة .

(٣٢ — ٣٤) قرت عينه بردت سرورا أو رأت ما كانت متشوقة إليه . تبتل تقطع . المآكم جمع مأكمة وهى العجيزة يكنى بها عن المرأة . ويقصد بقطع السرة والمآكم قطع الأرحام والقرابة ، لأن الحيين المتخاصمين أبناء عم . حصان سيدة كريمة . الناصفات الخادمات . اتصلت انتمت وانتسبت ، تنتسب إلى بكر بن وائل جد الحيين المتخاصمين ، تقربا إلى الذين سبوها فى الحرب .

شيبان بن شهاب الجحدرى الذى يهجوه الأعشى فى هذه القصيدة هو أحد سادة بنى جحدر . وهو جد للسامعة . وحفيده أبو غسان مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب ، سيد ربيعة فى فتنة ابن الزبير . وبنو جحدر هم بنو ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وقيس بن ثعلبة هو الفرع الذى ينتمى إليه بيت الأعشى (سعد بن ضبيعة) . فشيبان بن شهاب هذا قريب القرابة من الأعشى كما نرى ، ولكن حياة الصحراء لا تستقر حتى بين أبناء العمومة الأقربين ، فهى خصومة وتنافس دائم . وهم على ما يقول القطامى :

وأحياناً على بكر أخينا إذا مالم نجد إلا أخانا

ويبدو أن العلائق لم تكن حسنة بين أبناء قيس بن ثعلبة من البيتين ، ففى ديوان الأعشى قصيدتان فى بنى جحدر ، كلتاهما هجاء (القصيدتان ٢٣ ، ٥٣) . أما شيبان بن شهاب الجحدرى ، فللأعشى قصيدة أخرى فيه (القصيدة ٢٠) وهى هجاء أيضاً . والقصيدة التى بين أيدينا تسبق القصيدة (٢٠) ، فهو هنا لا يتناول خصمه بأكثر من خمسة أبيات (٢٠ — ٢٥) مهدداً .

والأعشى هنا — كما هو فى كثير من قصائده — لا يعنيه من أمر صاحبته التى يتغنى بها إلا أنها وسيلة لتحقيق لذته ، ولذلك فهو لا يذكر اسمها ، وإنما يشير إليها بـ (تَيَّا) . فهو لا يتغنى بها فى حقيقة الأمر ، وإنما يتغنى بلذته .

(١ — ٤) يقول إن صاحبته قد أمعنت فى الهجر والبعد ، وأَحْبِبْ بها لو أن فى الوسع إدراكها . لم يكن الأعشى يظن أن رأى السوء قد علق قلبه بمثل هذه الوَهْنَانَةِ الناعسة . وما لها ألّا تصد وتهجر ، وقد رأته عجوزاً وهى لا تزال فى شبابها ، فهو خليق بأن يكون رفيقاً لأمها ، وهى خليقة بأن تكون رفيقاً للشباب من الرجال ، وإن تحت قميصها لِجِسْماً ناعماً ، يتفجر بالفتنة والأنوثة .

إن أكن فارقت الشباب ، فلقد كنت فى شبابى فاتكا فَتِيًّا .

(٥ — ٩) كم مثلِكِ قد طلبت فأدركت ، أعصى فى طلبها الوشاة والعاذلين . لو سُقِيتَ من رضابها بعد أن تهجع فى الليل ، ويسترخى جيدها للنعاس ، لخلته خمر فلسطين ، تجرى فوق لثاتها الرقيقة القليلة اللحم . وكم من خصمٍ تمنى المنى ورجا أن تنالنى يداه ، فطالته يدى وشفيت منه نفسى . وكم من ناقة ضامرة ، فى قوائمها لين ومرونة ، قد ركبتها فى الأسفار الطويلة ، حتى أكللتها وأدميت أخفافها ، ثم مضيت أستخرج بالسوط بقية ما تدخر من قوة ونشاط .

(١٠ — ١٤) وكم من كأسٍ حمراء ، كأنها الدم المتساقط من اللحم ، قد بكرت إليها أشربها ، وقد غفل عنها هُوَاتُها من الشاربين . حمراء يصفو لون سطحها فى احمراره ، ويضرب للسواد فى قاعه ، تكاد لما كمن فيها من الحرارة تفرى جلد الزق الذى يحتويها .

ما أعظم الفرق بين صباح الشارب وبين مسائه . هو فى صباحه كئيب منقبض النفس ، تطرقه الهموم ملحة عليه لا تفارقه .

وقال لشيْبَان بن شِهَاب الجحْدَرِىّ :

(طويل)

١ — أَجَدَّ بِتَيَّا هَجْرُهَا وَشَتَاتُهَا   وَحَبَّ بِهَا لَوْ تُسْتَطَاعُ طِيَاتُهَا

٢ — وَمَاخِلْتُ رَأْىَ السُّوءِ عَلَّقَ قَلْبَهُ   بِوَهْنَانَةٍ قَدْ أَوْهَنَتْهَا سِنَاتُهَا

٣ — رَأَتْ عُجُزًا فِى الحَىِّ أَسْنَانَ أُمِّهَا   لِدَاتِى وشُبَّانُ الرِّجَالِ لِدَاتُهَا

٤ — فَشَايَعَهَا مَا أَبْصَرَتْ تَحْتَ دِرْعِهَا   على صُومِنَا واسْتَعْجَلَتْهَا أَنَاتُهَا

٥ — ومِثْلِكِ خَوْدٍ بَادِنٍ قد طَلَبْتُهَا   وسَاعَيْتُ مَعْصِيًّا لَدَيْنَا وُشَاتُهَا

٦ — متى تُسْقَ من أَنْيَابِهَا بعْدَ هَجْعَةٍ   من اللَّيْلِ شِرْبًا حِينَ مَالَتْ طُلَاتُهَا

٧ — تَخَالُهُ فِلَسْطِيًّا إِذَا ذُقْتَ طَعْمَهُ   عَلَى رَبِذَاتِ النَّىِّ حُمْشٍ لِثَاتُهَا

٨ — وَخَصْمٍ تَمَنَّى فاجْتَنَيْتُ بِهِ المُنَى   وعَوْجَاءَ حَرْفٍ لَيِّنٍ عَذَبَاتُهَا

٩ — تَعَالَلْتُهَا بالسَّوْطِ بَعْدَ كَلَالِهَا   عَلَى صَحْصَحٍ تَدْمَى به بَخَصَاتُهَا

١٠— وكَأْسٍ كَمَاءِ النِّىِّ بَاكَرْتُ حَدَّهَا   بِغِرَّتِهَا إِذْ غَابَ عَنِّى بُغَاتُهَا

١١— كُمَيْتٍ عَلَيهَا حُمْرَةٌ فوقَ كُمْتَةٍ   يَكَادُ يُفَرِّى المِسْكَ مِنْهَا حَمَاتُهَا

١٢— وَرَدْتُ عَلَيهَا الرِّيفَ حتى شَرِبْتُهَا   بِمَاءِ الفُرَاتِ حَوْلَنَا قَصَبَاتُهَا

١٣— لَعَمْرُكَ إِنَّ الرَّاحَ إِنْ كُنْتَ سَائِلاً   لَمُخْتَلِفٌ غُدْيُهَا وَعَشَاتُهَا

١٤— لَنَا مِنْ ضُحَاهَا خُبْثُ نَفْسٍ وَكَأْبَةٌ   وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغِبُّ أَذَاتُهَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . الشتات الفراق . حب بها أحبب بها . طياتها وطنها ، الحق بطيتك أى الحق بوطنك . وهنانة لينة رخوة ، والتى فيها فتور عند القيام . سناتها جمع سنة وهو النوم ، يقول إنها كثيرة النوم ، وكذلك شأن المترفات . اللدة الأتراب والصحب الذين من نفس الجيل والسن .

(٤ — ٦) شايعها شجعها . الدرع القميص ، أى حين نظرت إلى بدنها وحسنه . الصوم الامساك عن الفعل ويقصد به هنا القطيعة . الأناة الحلم والوقار . الخود المرأة الشابة . ساعيت ، المساعاة الفجور وهو لا يستعمل إلا فى الاماء خاصة . الطلاة واحدة الطلى وهى الأعناق ، أى مالت للنوم . الشرب الماء المشروب ، والمقصود به هنا ريقها .

(٧ — ٩) فلسطى خمر من فلسطين ، وخمر الشام مشهورة عندهم . ربذات النى ، النى الشحم . والربذة الخفيفة . حمش لطيفة ليست غليظة اللحم . عوجاء ناقة ضامرة . حرف صلبة . عذباتها قوائمها . لينة مرنة . تعاللتها ركبتها مرة بعد مرة مستخرجا أقصى ماعندها من السير، كما يشرب الشارب العلل بعد النهل . صحصح أرض مستوية .. البخص (بفتحتين) لحم القدم وفرسن البعير .

(١٠ — ١٤) النى اللحم الذى لم يطبخ ، يشبه الخمر فى حمرتها بالماء المتساقط منها مختلطا بالدم . حد الشراب سورته وصلابته . الغرة الغفلة . بغاتها طلابها . الكمتة الحمرة تضرب للسواد . يفرى يشق . المسك الجلد . القصبات المزامير يزمر فيها الزمرات فى دور الخمر . الغداة أول النهار والعشاة آخره . الضحى عند ارتفاع النهار . خبث نفس انقباض . ماتغب ماتفتر ولا تنقطع .

(١٥ — ١٩) وهو فى مسائه طيب النفس، منشرح الصدر، تهزه النشوة، فيسارع إلى البذل ولا يقيم للمال وزنا. من أجل ذلك كنت حريصاً على الخمر، أشربها على كل حال: غنياً، وصعلوكا، ومعدما لا أجد القوت. ورَدْتُ عليها الريف، أشربها على ماء الفرات، يزمر من حولنا الزامرون بالقصبات. أتانا بها الساقى، فأسند زقه إلى حجارة يزل عنها الماء، فأنخنا إبلنا، وأقبلنا عليها نشربها قعوداً، ومن خلفنا النوق باركة. ثم استأنفنا سفرنا، إلى سادة تكسوهم المهابة، ويتميزون بمظهرهم النبيل، إذا اجتمعت جموع العرب من مَعَدِّ بن عَدْنان.

وهنا يتجه الأعشى بالخطاب إلى أبى مسمع شيبان بن شهاب، مفتخراً بنفسه وبقبيلته، وبما بنى له أحياؤها وأمواتها من مجد. ويقول — وكأنه يعرض به أو ببعض قومه —:

(٢٠ — ٢٤) إننا لا نُتَّهَمُ بسرقة النوق إذا ما تفرقت فى الليل، وانتشرت مهملة لا يرعاها راع، ولا نسطو عليها متلصصين. إنى أعرف من أمرك ومن أمر قومك الكثير. فلا تثر على نفسك الشر، ولا تلمس الأفعى بيدك، ودعها إذا غَيَّبَهَا التراب. أنجُ بنفسك، فلئن أصابتك منى قصيدة، لتلحقن بها أخواتها. تعيرنى فخرى؟ وماذا عَلَيَّ لو فخرت، وإنما تتحدث كل قبيلة بما أورثها أجدادها وما بنوا لها من مجد؟

ويمضى الأعشى فى الفخر بقومه وبرجال قبيلته إلى نهاية القصيدة، فيقول:

(٢٥ — ٢٩) منا الذى أسرى إليه قريبه، وقد مسه الضر، ونكب فى ماله، فاستقبله مرحباً يقول: قد أصبت رَحِمًا وَصُولا. فلم يصبح الصباح حتى قام إلى مبرك الإبل، وساق إليه قطيعاً فيه مائة ناقة يحدوها رعاتها. ومنا يزيد بن عمرو، إذ تمرح خيله فى أَعْرَافها يوم (أسْفَلَ شَاحِب)، وقد اندفع إلى (ابن هِرٍّ) فى غبار المعركة، فطعنه طعنة نافذة، يندفع منها الدم نعَّاراً فيفيض على حَيْزُومه.

١٥— وَعِنْدَ العَشِيِّ طِيبُ نَفْسٍ وَلَذَّةٌ ... وَمَالٌ كَثِيرٌ غُدْوَةً نَشَوَاتُهَا

١٦— عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا ... غَنِيًّا وَصُعْلُوكًا وَمَا إِنْ أَقَاتُهَا

١٧— أَتَانَا بِهَا السَّاقِى فَأَسْنَدَ زِقَّهُ ... إِلَى نُطْفَةٍ زَلَّتْ بِهَا رَصَفَاتُهَا

١٨— وُقُوفًا فَلَمَّا حَانَ مِنَّا إِنَاخَةٌ ... شَرِبْنَا قُعُودًا خَلْفَنَا رُكُبَاتُهَا

١٩— وَفَيْنَا إِلَى قَوْمٍ عَلَيْهِمْ مَهَابَةٌ ... إِذَا مَا مَعَدٌّ أَحْلَبَتْ حَلَبَاتُهَا

٢٠— أَبَا مِسْمَعٍ إِنِّى آمْرُؤٌ مِنْ قَبِيلَةٍ ... بَنَى لِىَ مَجْدًا مَوْتُهَا وَحَيَاتُهَا

٢١— فَلَسْنَا لِبَاغِى المُهْمَلَاتِ بِقِرْفَةٍ ... إِذَا مَا طَحَا بِاللَّيْلِ مُنْتَشِرَاتُهَا

٢٢— فَلَا تَلْبِسِ الأَفْعَى يَدَاكَ تُرِيدُهَا ... وَدَعْهَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا

٢٣— أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةً ... مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقْ بِهَا أَخَوَاتُهَا

٢٤— أَعَيَّرْتَنِى فَخْرِى وَكُلُّ قَبِيلَةٍ ... مُحَدَّثَةٌ مَا أَوْرَثَتْهَا سُعَاتُهَا

٢٥— وَمِنَّا الَّذِى أَسْرَى إِلَيْهِ قَرِيبُهُ ... حَرِيبًا وَمَنْ ذَا أَخْطَأَتْ نَكَبَاتُهَا

٢٦— فَقَالَ لَه : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ... أَرَى رَحِمًا قَدْ وَافَقَتْهَا صِلَاتُهَا

٢٧— أَثَارَ لَهُ مِنْ جَانِبِ البَرْكِ غُدْوَةً ... هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا إِلَيْهِ رُعَاتُهَا

٢٨— وَمِنَّا ابْنُ عَمْرٍو يَوْمَ أَسْفَلِ شَاحِبٍ ... يَزِيدُ وَأَلْهَتْ خَيْلَهُ عُذُرَاتُهَا

٢٩— سَمَا لِابْنِ هِرٍّ فِى الغُبَارِ بِطَعْنَةٍ ... يَفُورُ عَلَى حَيْزُومِهِ نَعَرَاتُهَا

(١٥ — ١٨) مال كثير أى أنهم إذا انتشوا وهبوا . ما إن أقاتها ، القائت المسكة من الرزق ، أى ليس عندى بقدر القوت . نطفة غدير . الزق قربة صغيرة يحمل فيها الخمر . الرصفات الحجارة المتراصفة بعضها إلى بعض . ناقة ركوبة وركباة تركب أو مذللة .

(١٩ — ٢١) وفينا إلى قوم أتيناهم . أحلبت اجتمعت والحلب (بوزن إسم الفاعل) المعين . الحلبات جمع حلبة وهى الخيل تجمع للسباق . معد بن عدنان الذى ينتسب إليه عرب الشمال من ربيعة ومضر جميعا . أبو مسمع جد للسامة وهو شيبان بن شهاب . المهملات المرسلات بغير راع . قرفة ظنة وتهمة ، وقارف الذنب ارتكبه ، والمقارفة المخالطة . طحا تفرق وذهب .

(٢٢ — ٢٥) السفاة التراب . أقصر أى كف وانته عنا . الحريب الذى ذهب ماله ، وحربه ماله أى سلبه إياه .

(٢٦ — ٢٩) الرحم القرابة لأنهم ولدوا من رحم واحدة . البرك الأبل الباركة . هنيدة مائة من الابل . عذرات جمع عذرة ، وعذرة الفرس شعر الناصية . الحيزوم وسط الصدر وما انضم عليه الحزام . نعراتها ، من قولهم نعر العرق بالدم إذا فار منه وكان لاندفاعه صوت .

(٣٠ — ٣٤) ومنا السيد الماجد يوم (الهمامَيْن)، إذ جنى الجناة جنايتهم فى (نَطَاع)، ثم شفع فى مائة منهم فأطلق سراحهم[1]. ومنا الذى شفع عند المنذر بن ماء السماء فى سبايا شَيْبَان، وقد عرضهن على النار وأمر بأحراقهن، فاستجاب لشفاعته ووهبهن له.

(٣٥ — ٣٧) وإنا لنبذل أموالنا فى السنة الشديدة القحط، حين تغبر آفاق السماء، ويسرع الراعى إلى لِقَاحِه، يُؤْويها خشية البرد. فى مثل هذه السنة نهين إبلنا فنذبحها للطارقين، فنخرج منها وعرضنا عزيز موفور. وإنا لنَحُلُّ الدار المخوفة التى لا ماء فيها ولا نبات، فلا ترانا فيها إلا سَرَاة، ولا ترانا إلا أهل حِفَاظ، لا يلطخ شرفَنا شَيْنٌ أو عار.

(١) راجع يوم الصفقة فى القصيدة (١٣) من هذا الديوان. وفى الأغانى ١٦ : ٧٨، ابن الأثير ١ : ٣٧٨، العقد الفريد ٦ : ٧٩، أيام العرب ص ٣، وراجع كذلك يوم أوارة فى ابن الأثير ١ - ٣٣٤، أيام العرب ٩٩. فى القصيدة هنا شىء من الاضطراب والخلط، بين يوم الصفقة ويوم أوارة، يرجع فى الغالب إلى سقوط بعض أبيات القصيدة، والتقديم والتأخير فى بعضها الآخر.

٣٠— وَمِنَّا امرُؤٌ يَوْمَ الهَمَامَيْنِ مَاجِدٌ ... بِجَوٍّ نِطَاعٍ يَوْمَ تَجْنِى جُنَاتُها

٣١— فَقَالَ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ وَسُخْطُهُ ... عَلَى مِائَةٍ قَدْ كَمَّلَتْهَا وُفَاتُها

٣٢— وَمِنَّا الذى أَعْطَاهُ فى الجَمْعِ رَبُّهُ ... عَلَى فَاقَةٍ وَلِلْمُلُوكِ هِبَاتُها

٣٣— سَبَايَا بَنِى شَيْبَانَ يَوْمَ أُوَارَةٍ ... عَلَى النَّارِ إِذْ تُجْلَى لَهُ فَتَيَاتُها

٣٤— كَفَى قَوْمَهُ شَيْبَانَ أَنَّ عَظِيمَةً ... مَتَى تَأْتِه تُؤْخَذْ لَهَا أُهبَاتُها

٣٥— إِذَا رَوَّحَ الرَّاعِى اللِّقَاحَ مُعَجِّلًا ... وَأَمْسَتْ عَلَى آفَاقِهَا غَبَرَاتُها

٣٦— أَهَنَّا لَهَا أَمْوَالَنَا عِنْدَ حَقِّهَا ... وَعَزَّتْ بِهَا أَعْرَاضُنَا لَا نُفَاتُها

٣٧— وَدَارِ حِفَاظٍ قَدْ حَلَلْنَا مَخُوفَةٍ ... سُرَاةً قَلِيلٍ رِعْيُها وَنَبَاتُها

(٣٠ — ٣٤) يشير بالبيتين إلى يوم أوارة . الفاقة الفقر . يوم أوارة الأول للمنذر بن ماء السماء على بكر . جلا العروس زينها .

(٣٥ — ٣٧) اللقاح الابل ذوات الألبان . معجلا يعجل الرواح (أى العودة) قبل غيوب الشمس من شدة البرد. آفاق الأرض أقطارها، غبراتها ، إنما تنبر آفاق الأرض فى القحط وفى هبوب الرياح المحملة بالتراب والرمال . أهناها أى لهذه السنة الشديدة . عند حقها فى موضع الانفاق الحقيق أن ينفق فيه الرجل الكريم . لا نفات أعراضنا من الفوت وهو الذهاب والنفاد ، وذلك لانهم ينفقون ، فيخرجون من مثل هذه السنة موفورى الكرامة ، محمودين غير مذمومين . دار الحفاظ المقام الذى لا يقوم فيه إلا من يحافظ على حسبه وشرفه وسمعته . سراة سادة .

ربما كانت هذه القصيدة هى أول ما مدح به الأعشى (هوذة) . فهو يصفه فى البيت (٢٠) بأنه فتى ، ويقول فى البيت (١٩) إنه سمع بجوده فقصد إليه يدلى بدلوه فى الدلاء .

يبدأ الأعشى بذكر صاحبته مشيراً إليها بـ (تيَّا) فيتساءل :

(١ — ٤) أتشفيك وتقضى حاجتك ، أم تتركاك لدائك ، وكذلك تفعل بالرجال ، وإنها للعوب قَتُول ؟ كنت قد أقصرت عن الغزل وعن دواعى الشباب ، فأى ضلال قادك إليها ، وفى لقائها هلاكك ؟ أَغْرَتْك وعَلَّقَتْ قلبك بها ، إذ تتراءى لك بعد أن نام صحبك ، فتكشف عن ثغرها البراق ، وشعرها الأسود الفاحم ، ثم قطعت حبالها من حبالك على حداثة العهد .

وينصرف الأعشى عن صاحبته إلى الصحراء ، كأنه يلتمس فى تِيهها العزاء .

(٥ — ٩) هى صحراء عمياء ، إذا توسطها المسافر لم يكد يهتدى لوجهه ، فتخرج عينه من شدة الحيرة والفزع ، ويُعَجِل النعام فيها عن احتضان بيضه ، فيتركه عارياً لينجو بنفسه . يقول فيها رئيس الرهط إذ يدنو من صاحبه وقد خشى الهلاك : لك الويل ! انظر مِنْ حولك فى حذر ، واحرص على ما فى سقائك من ماء ، فالطريق أمامنا طويل بعيد .

كم من صحراء بعيدة الآفاق ، ينخرق فيها الريح لا يقف فى سبيله شىء ، قد قطعتها فوق ناقتى ، حين يقعد عن مثلها الهَيَّابَةُ الجبان ولا يروم مسالكها . كم أدمنت الرحلة فيها فى الليل — وما أطول الليل فى الصحراء — وإن نجومه لتبدو راكدة ثابتة فى عليائها لا تتحرك .

(١٠ — ١٤) قطعتها فوق ناقة بيضاء ضامرة ، برى السير سنامها ، وقد كان ضخما مكتنزاً بالشحم . لها فخذان تدفعان من فوقهما ظهراً متماسك الفقار ، كأنه بنيان الحجارة المرصوص . ولها صدر ترى مرفقيه وقد دخل أحدهما مُنْهَضِما ، وبرز الآخر معتدلا ، بما يكشف عن نبل المَحْتِد وكرم النّجار ، وكأنهما فى قوتهما البادية قصر من قصور الملوك . ولها رأس صلب دقيق فى موضع الخطام فوق الأنف . تبدو فِقَارُ ظهرها ورقبتها فى ضخامتها ومتانتها ، وكأن الفقرة منها قطعة من العَضُد .

ثم ينتقل الشاعر إلى الممدوح فيقول : إلى «هوذة الوَهّاب» أهدى مدحتى ، مرجياً نواله وعطاءه.

وقال يمدح هَوْذَةَ بنَ عَلِيٍّ الحَنَفِيّ :

(طويل)

١ — أَتَشْفِيكَ «تَيَّا» أَمْ تُرِكْتَ بِدَائِكَا ... وَكَانَتْ قَتُولًا لِلرِّجَالِ كَذَلِكَا

٢ — وَأَقْصَرْتَ عَنْ ذِكْرِ البَطَالَةِ وَالصِّبَى ... وَكَانَتْ سَفَاهًا ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَا

٣ — وَمَا كَانَ إِلَّا الحَيْنَ يَوْمَ لَقِيتَهَا ... وَقَطْعَ جَدِيدٍ حَبْلُهَا مِنْ حِبَالِكَا

٤ — وَقَامَتْ تُرِينِي بَعْدَ مَا نَامَ صُحْبَتِي ... بَيَاضَ ثَنَايَاهَا وَأَسْوَدَ حَالِكَا

٥ — وَيَهْمَاءَ قَفْرٍ تَخْرُجُ العَيْنُ وَسْطَهَا ... وَتَلْقَى بِهَا بَيْضَ النَّعَامِ تَرَائِكَا

٦ — يَقُولُ بِهَا ذُو قُوَّةِ القَوْمِ إِذْ دَنَا ... لِصَاحِبِهِ إِذْ خَافَ مِنْهَا المَهَالِكَا

٧ — لَكَ الوَيْلُ أَفْشِ الطَّرْفَ بِالعَيْنِ حَوْلَنَا ... عَلَى حَذَرٍ وَأَبْقِ مَا فِي سِقَائِكَا

٨ — وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ ... إِذَا الجِبْسُ أَعْيَى أَنْ يَرُومَ المَسَالِكَا

٩ — قَطَعْتُ إِذَا مَا اللَّيْلُ كَانَتْ نُجُومُهُ ... بَوَانِيَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ سَوَامِكَا

١٠ — بِأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ بَرَيْتُ سَنَامَهَا ... بِسَيْرِي عَلَيْهَا بَعْدَ مَا كَانَ تَامِكَا

١١ — لَهَا فَخِذَانِ تَحْفِزَانِ مَحَالَةً ... وَصُلْبًا كَبُنْيَانِ الصَّفَا مُتَلَاحِكَا

١٢ — وَزَوْرًا تَرَى فِي مِرْفَقَيْهِ تَجَانُفًا ... نَبِيلًا كَبَيْتِ الصَّيْدَلَانِيِّ دَامِكَا

١٣ — وَرَأْسًا دَقِيقَ الخَطْمِ صُلْبًا مُذَكَّرًا ... وَدَأْيًا كَأَعْنَاقِ الضِّبَاعِ وَحَارِكَا

١٤ — إِلَى هَوْذَةَ الوَهَّابِ أَهْدَيْتُ مِدْحَتِي ... أُرَجِّي نَوَالًا فَاضِلًا مِنْ عَطَائِكَا

١٥ — تَجَانَفُ عَنْ جُلِّ اليَمَامَةِ نَاقَتِي ... وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . أقصر كف . البطالة الباطل والفساد ونزوات الشباب . والسفاه والسفه خفة الحلم . الحين الهلاك .

(٤ — ٦) الثنايا الأسنان . أسود حالكا الشعر . يهماء صحراء عمياء مطموسة المسالك . ترائك جمع تريكة وهى المتروكة . ذو قوة القوم رئيسهم .

(٧ — ٩) أفش الطرف انظر . خرق صحراء واسعة ينخرق فيها الريح . جسرة ناقة ضخمة . الجبس الجبان . بوانى ثابتة لا تكاد تتحرك . سوامك مرتفعة .

(١٠ — ١٢) أدماء ناقة بيضاء . حرجوج طويلة . تامك مرتفع ضخم مكتنز . المحالة البكرة العظيمة ، وكذلك الفقرة من فقر البعير لشبهها بها . تحفزان تدفعان . الصلب سلسلة الظهر المكونة من فقار . الصفا الحجر . متلاحك متماسك . الزور وسط الصدر أو ما ارتفع منه إلى الكتفين . تجانفا وزورا ميلا . الصيدانى والصيدلانى والصيدنانى الملك ، كذلك قال صاحب اللسان ، ولست اعرف وجه اشتقاقه . دامك أملس مفتول صلب .

(١٣ — ١٥) الخطم موضع الخطام فوق الأنف . الدأى فقر الكاهل والظهر . الضبع العضد . الحارك أعلى الكاهل ، والكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . تجانف تميل وتنحرف . جل الشىء معظمه . بلاد اليمامة بين نجد واليمن ، وهى تتصل بالبحرين شرقاً وبنجد غربا . واليمامة تطلق على هذا الاقليم وعلى عاصمته التى كانت تسمى قديما (جو)

(١٥—١٩) أعرضت ناقتى عن جُلّ أهل اليمامة ، ولم تقصد غيرك . وقد ألمت من قبلك بحياض أقوام ، فعافتها وعزفت نفسُها عنها ، ولم تشرب إلا من حوضك . لم تزل تتنقل بين المدائن قلقة لا تستقر ، حتى بلغت قصور «جو» فألقت رحلها بفنائك واستقرت بها النوى . لم يسع مثلَكَ فى الأقوام ساع ، ولا أطعم كريم فى مثل إنائك . ولقد بلغتنى أنباء كرمك وشمول عطائك ، فأدليت دلوى فى الدلاء أغترف مع المغترفين .

(٢٠—٢٤) وإنك لفتى تحمل من الأعباء ما لو حمله غيرك لما نهض به ولا أطاقه . ولقد عودتنى أن تفيض على من فضلك ، وأظللتنى بظلك ، فأنت مولع بالعطاء ، وأنا مولع بالثناء .

بنى لك أبوك «على» وأعمامُك «مالك» «طلق» و «شيبان» ، فورثت عنهم ما بنوا من مجد . كانوا بحوراً يفيضون على الناس من خيرهم ، ويكفونهم رزقهم فى كل شدة لازبة .

(٢٥—٢٩) وكذلك أنت ، تجود بالعطاء ، قبل أن تحوج سائلك للسؤال .

زعم حسادك الكاشحون أنك جائر ظلوم ، لاهمّ لك إلا أن تميل على الناس وتأكل أموالهم إلى أموالك . وإن من هؤلاء المتخرصين لمن يعيش بمالك . وجدت أثراً مهدما فبنيته ، وكان فضلا منك ونعمة أن تلحقه ببنائك ، وربيت أيتاماً ، وضممت إليك صبية ، وبلغت فى ذلك أقصى السعى ، ثم لم يستنفد كل هذا من همتك الكبيرة إلا أيسرها .

(٣٠—٣٢) لك فى كل عام غزوة أنت جاشمها ، تُجَمّع لها صبرك وجلدك ، فتعود منها بالمال والمجد الذى يعوضك عما عانيت من البعد عن نسائك اللاتى يترقبن عودتك فى شوق . يزجرن الطير ، فتخبرهن بقرب أوبتك ، فتنام أعينهن على هذا الأمل الجميل .

١٦— أَلَمَّتْ بِأَقْوَامٍ فَعَافَتْ حِيَاضَهُمْ ... قَلُوصِى وَكَانَ الشَّرْبُ مِنْهَا بِمَائِكَا

١٧— فَلَمَّا أَتَتْ آطَامَ جَوٍّ وَأَهْلَهُ ... أُنِيخَتْ وَأَلْقَتْ رَحْلَهَا بِفِنَائِكَا

١٨— وَلَمْ يَسْعَ فِى الأَقْوَامِ سَعْيَكَ وَاحِدٌ ... وَلَيْسَ إِنَاءٌ لِلنَّدَى كَأَنَائِكَا

١٩— سَمِعْتُ بِسَمْعِ البَاعِ وَالجُودِ وَالنَّدَى ... فَأَدْلَيْتُ دَلْوِى فَاسْتَقَتْ بِرِشَائِكَا

٢٠— فَتًى يَحْمِلُ الأَعْبَاءَ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ ... مِنَ النَّاسِ لَمْ يَنْهَضْ بِهَا مُتَمَاسِكَا

٢١— وَأَنْتَ الَّذِى عَوَّدْتَنِى أَنْ تَرِيشَنِى ... وَأَنْتَ الَّذِى آوَيْتَنِى فِى ظِلَالِكَا

٢٢— فَأَنَّكَ فِيمَا بَيْنَنَا فِىَّ مُوزَعٌ ... بِخَيْرٍ وَإِنِّى مُولَعٌ بِثَنَائِكَا

٢٣— وَجَدْتَ عَلِيًّا بَانِيًا فَوَرِثْتَهُ ... وَطَلْقًا وَشَيْبَانَ الجَوَادَ وَمَالِكَا

٢٤— بُحُورٌ تَقُوتُ النَّاسَ فِى كُلِّ لَزْبَةٍ ... أَبُوكَ وَأَعْمَامٌ هُمُ هَؤُلَائِكَا

٢٥— وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ كَفَّيْكَ بِالنَّدَى ... تَجُودَانِ بِالأَعْطَاءِ قَبْلَ سُؤَالِكَا

٢٦— يَقُولُونَ فِى الأَكْفَاءِ أَكْبَرُ هَمِّهِ ... أَلَا رُبَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعِيشُ بِمَالِكَا

٢٧— وَجَدْتَ انْهِدَامَ ثُلْمَةٍ فَبَنَيْتَهَا ... فَأَنْعَمْتَ إِذْ أَلْحَقْتَهَا بِبِنَائِكَا

٢٨— وَرَبَّيْتَ أَيْتَامًا وَأَلْحَقْتَ صِبْيَةً ... وَأَدْرَكْتَ جَهْدَ السَّعْىِ قَبْلَ عَنَائِكَا

٢٩— وَلَمْ يَسْعَ فِى العَلْيَاءِ سَعْيَكَ مَاجِدٌ ... وَلَا ذُو إِنًى فِى الحَىِّ مِثْلَ قَرَائِكَا

٣٠— وَفِى كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ ... تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

٣١— مُوَرِّثَةٍ مَالًا وَفِى الحَمْدِ رِفْعَةً ... لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

٣٢— تُخَبِّرُهُنَّ الطَّيْرُ عَنْكَ بِأَوْبَةٍ ... وَعَيْنٌ أَقَرَّتْ نَوْمَهَا بِلِقَائِكَا

(١٦ — ١٨) ألم بالقوم زارهم زيارة قصيرة . الحياض جمع حوض وهو الذى تشرب فيه الماشية ، كنى به عن بيوتهم وضيافتهم . القلوص الناقة . الشرب (بفتح الشين) مصدر شرب . آطام جمع أطم وهو الحصن . جو هى مدينة اليمامة

(١٩ — ٢٢) الرشاء حبل الدلو الذى يدور على البكرة فوق البئر . راشه أعانه وأغناه . موزع مولع .

(٢٣ — ٢٥) على هو أبو الممدوح . طلق وشيبان ومالك أعمامه . قاته رزقه وأمده بالقوت . لزبة شدة وضيق .

(٢٦ — ٢٨) أكفأه كبه وقلبه أو طرده ، وأكفأ عن القصد جار وانحرف . والاكفاء المصدر منه . الثلمة الثغرة والفتحة بين الشيئين .

(٢٩ — ٣٠) أنى الشىء إنا وأناء دنا وقرب وحضر . والانسب أن يكون المقصود بها الاناء ، حذف الهمزة للتخفيف ونون . قرى الضيف قرى وقراء ضيفه . جشم الشىء وتجشمه تكلفه وتحمل متاعبه . العزيم العزم والجد والعدو الشديد . العزاء الصبر .

(٣١ — ٣٢) القرء الحيض أو هو مابين الحيضتين على خلاف فى ذلك أوبة عودة . قرت عينه بردت سروراً ورأت ماتتمنى .

هذه هى القصيدة الثالثة فى مدح هوذة بحسب الترتيب التاريخى . فمن الواضح أنها تتأخر عن القصيدتين (٧) ، (١١) حيث نرى الشاعر يصفه فيهما بأنه فتى إذ يقول فى القصيدة (٧) فى البيت (١١) :

فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعها   أو القمر السارى لألقى المقالدا

ويقول فى القصيدة (١١) فى البيت (٢٠) :

فتى يحمل الأعباء لو كان غيره   من الناس لم ينهض بها متماسكا

أما فى هذه القصيدة التى بين يدينا فالأعشى يسمى هوذة للمرة الاولى (ملكا) حيث يقول (١٢ : ٣٤)

إلى ملك كهلال السما   ء أزكى وفاء ومجداً وخيرا

وفى القصيدة حادثان لا بد من الاشارة إليهما قبل البدء فى التلخيص . أولهما إشارة الأعشى إلى أنه فقد بصره ، وانتهى به العشى (وهو ضعف البصر أو عدم القدرة على الابصار ليلا) إلى العمى الكامل ، فأصبح لا يسير إلا بمساعدة قائد يدله (الأبيات ٢٤ — ٢٩)

وثانيهما إشارة الأعشى إلى يوم (الجفار) الذى غزا فيه الممدوح تميما ، واعتذاره عن تغيبه فى ذلك اليوم . وهذا اليوم هو واحد من أيام كثيرة تتابعت بين بكر وتميم، وكان الاحتكاك بينهما كثيرا بسبب تقارب مساكنهم وتنازعهم على مواطن الخصب والماء . فقد ترحل إحدى القبيلتين عن أرضها فتحتله القبيلة الأخرى . ثم يتفق أن تخصب المكان ، فتحاول القبيلة الاولى أن تعود إليه ، مدعية حقها فيه ، فيقع القتال بين الحيين، كما حدث فى يوم (الشيطين)(١) ، وأوشبه ذلك مما لا بد أن يقع بين سكان الصحراء الذين يتنازعون الحياة والبقاء . وقد أرخ صاحب النقائض هذا اليوم قبل مبعث النبى بسبعة وعشرين عاما(٢). وهو فى رأيى كثير، والمعقول أن يتأخر عن ذلك ، لأن يوم الصفقة الذى سيجىء ذكره فى القصيدة التالية (١٣) قد وقع وقد ظهر الاسلام كما يقول ابن الأثير(٣) . فلو صح ما يقول صاحب النقائض لكان بين القصيدتين سبعة وعشرون عاما . وهو زمن طويل . لأن الأعشى يبدو فى هذه القصيدة مسناً مضعضع القوى . وإنما عمى فى آخر عمره(٤) .

يقول الأعشى :

١ — غشيت خدر (ليلى) مع الليل ، تطلب إليها وفاء وعدها ، وتنذر النذور إن هى وفت بهذا الوعد

٢ — ثم رحلت ليلى وقد أورثتك هماً ، وتركت فى فؤادك صدعا مستطيراً

٣ — وصدع القلب كصدع الزجاجة ، لا تستطيع يد الصنَّاع أن تردها سالمة

٤ — وصاحبته من مالك ـ ولعله مالك بن شيبان ـ ولكنها قد رحلت إلى الحجاز ، حيث حلت أرضاً مجهولة ، وأقامت بين قوم غرباء

٥ — تسعى مع قومها وراء الماء ، وتُرْعِى إبلها الكلأ فى (روض القطا) و (روض التَّناضِب) ، حيث الخصب والعيش الرغيد

٦ — وحيث تصبح وقد ارتوت كأنها ورقة البردى ، تظللها الأشجار وسط الأجمة ، فتحميها من حرارة الشمس ولافح الرياح ، وقد خالط الماء بطنها فهو بض رَخْص رطيب .

٧ — تفترُّ عن ثغر مشرق ، يبدو فى بياضه الناصع بين شفتيها الداكناوين وكأنه شوك نبات السيال الأبيض ذُرَّ على أسافله الكحل

---

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٩   (٢) النقائض ط . أوربا ص ٧٩٠ س ١١
(٣) ابن الأثير ١ : ٣٧٩   (٤) خزانة الأدب ١ : ١٢٣

وقال يمدح هَوْذَةَ بْنَ عَلِيٍّ الحنفيّ :

١ — غَشِيتَ لِلَيْلَى بِلَيْلٍ خُدُورَا ... وَطَالَبْتَهَا وَنَذَرْتَ النذُورَا (متقارب)

٢ — وَبَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِى الفُؤَا ... دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا

٣ — كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا تَسْتَطِيـ ... ـعُ كَفُّ الصَّنَاعِ لَهَا أَنْ تُحِيرَا

٤ — مَلِيكِيَّةٌ جَاوَرَتْ بِالحِجَا ... زِ قَوْمًا عُدَاةً وَأَرْضًا شَطِيرَا

٥ — بِمَا قَدْ تَرَبَّعُ رَوْضَ القَطَا ... وَرَوْضَ التَّنَاضِبِ حَتَّى تَصِيرَا

٦ — كَبَرْدِيَّةِ الغِيلِ وَسْطَ الغَرِيفْ ... إِذَا خَالَطَ المَاءُ مِنْهَا السُّرُورَا

٧ — وَتَفْتَرُّ عَنْ مُشْرِقٍ بَارِدٍ ... كَشَوْكِ السَّيَالِ أُسِفَّ النَّؤُورَا

٨ — كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجَبِيـ ... ـلِ خَالَطَ فَاهَا وَأَرْيًا مَشُورَا

٩ — وَإِسْفِنْطَ عَانَةَ بَعْدَ الرُّقَا ... دِ سَاقَ الرِّصَافُ إِلَيْهَا غَدِيرَا

١٠ — وَإِنْ هِىَ نَاءَتْ تُرِيدُ القِيَامْ ... تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتَ البَهِيرَا

١١ — لَهَا مَلِكٌ كَانَ يَخْشَى القِرَافْ ... إِذَا خَالَطَ الظَّنُّ مِنْهُ الضَّمِيرَا

١٢ — إِذَا نَزَلَ الحَىُّ حَلَّ الجَحِيشْ ... شَقِيًّا غَوِيًّا مُبِينًا غَيُورَا

١٣ — يَقُولُ لِعَبْدَيْهِ حُثَّا النَّجَا ... وَغُضَّا مِنَ الطَّرْفِ عَنَّا وَسِيرَا

(١ — ٣) الخدر كل مايوارى الانسان من بيت ونحوه . بانت بعدت . صدع مستطير أى تصدع من أوله إلى آخره ، واستطار تفرق وانتشر . الصناع الحاذق . أحار الشىء رده ورجعه .

(٤ — ٦) الشطير الغريب ، أراد أرضاً مجهولة لاتعرف . تربع ترعى . حتى تصيرا ، جواب تصير فى البيت التالى ، وهو تضمين قبيح. الغيل والغريف واحد، وهو الأجة والشجر الكثيف الملتف من القصب والحلفاء ، وكل واد فيه ماء . السرور بطن ورقة البردى . والبردى نبات تصنع منه الحصر . جعل البردية وسط أشجار ملتفة لان ذلك أدعى لان تكون طرية رطبة لاتنالها حرارة الشمس فتجففها .

(٧ — ٨) تفتر تبتسم . مشرق ثغر براق . السيال نبات له شوك شديد البياض . النؤور شجر يحرق ويستعمل فى الوشم . يشبه بهما أسنانها الناصعة البياض بين لثاتها القاتمة . الزنجبيل نبات طيب الرائحة معروف . جنى فعيل من جنى الثمر يجنيه . الارى عسل النحل . شار العسل واشتاره جمعه .

(٩ — ١٠) الاسفنط شراب يعمل فى الشام، ويسمونه هناك الرساطون ، وهو من عصير العنب، (رومى معرب) كما يقول الجواليقى فى المعرب. الرصاف حجارة متراصفة قريب بعضها من بعض . يقول إنها تقوم من رقادها طيبة طعم الريق والفم ، والمألوف أن يغير النوم طعم الفم ورائحته . تهادى تتمايل فى مشيها . البهير الذى انقطعت أنفاسه من شدة العدو أو بعد مجهود عنيف .

(١١ — ١٣) ملك صاحب أو زوج . القراف المخالطة . الجحيش أن تنزل ناحية منفردا . مبيناً مبعدا . حث أسرع . النجاء السرعة .

٨ — وكأنما خلط رضابها البارد العذب بالزنجبيل أو عسل النحل

٩ — وكأنما هو خمر (عانة)الشآمية ، مزجت بماء بارد ، من غدير يجرى بين الحجارة المتراصفة

١٠ — إذا همت بالقيام ناء بها ردفها ، ثم تقوم متمهلة تتهادى ،تَمَايُلَ من أعياه الإجهاد تترددأنفاسهفهو بهير.

ويصور الأعشى ما كان من شدة غيرة زوجها عليها فيقول إنه كان شديد الحذر ، تثور فى نفسه الظنون ، فهو يخشى مخالطة الناس

١١ — وكان إذا نزل الحى مكانا انفرد بها بعيداً تأكل الغيرة نفسه ، فهو شقى غَوِىّ.

١٢ — وإذا رحل الحى أمر عبديه أن يتقدما مسرعين، وأن يغضا طرفيهما حتى لا يرياها

١٣ — وهو فى شدة غيرته لا يثق بأحد ولا يبقى على صديق . ويختم الأعشى ذلك بالسخرية منه فيقول :

١٤ — ماذا تجدى هذه الغيرة وكل هذا الاحتياط ؟ إنه لا يمنعها أن تتحول عنه زاهدة فيه

١٥ — ولا يمنعها أن تتخطى باب الدار إلى حيث تريد ، فلن يستطيع أن يطير بها فى السماء بعيداً عن الناس

١٦ — ثم يعود إلى وصف صاحبته قائلا : رحل هذا الرجل الغيور بحسناء برّاقة فاترة الطرف .

١٧ — كأنها فى تناسق أعضائها بقرة الوحش ، ناعمة العيش لا تلذعها رياح الصيف اللافحة ، ولا يقرصها برد الشتاء الزمهرير .

١٨ — هى فى الصيف باردة رطيب الجسم ، عبقة الرائحة كأنها رداء العروس نثرت عليه العطور .

١٩ — وهى فى الشتاء دافئة يتدفق جسمها بالحرارة ، حين ينكمش الكلب من شدة البرد ،فلا يستطيع النباح إلا هريراً خافتاً مكظوماً .

٢٠ — ثيابها الظاهرة من الخز ، وقميصها من تحته حرير .

٢١ — وهى مترفة ظاهرة الثراء ، تتزين بالحلى من كريم الأحجار ونفيسها ، فتلبس فى معاصمها الأساور العريضة قد نضِّدت بالدر .

٢٢ — ومن فوق ذلك الزبرجد والياقوت .

٢٣ — تحرك يديها فى دل ، فتلمع الحلى فى معاصمها بما يطير لب الناظر ويذهله فيقف مهوتاً .

٢٤ — ويصور الأعشى صاحبته وقد رأته بعد غيبة وانقطاع ، وقد أصيب فى بصره . رأتهفى يد قائده وقد

٢٥ — غاض ماء عينيه وتغير خلقه ، فبهتت وتملكها الحزن إذ تقول : بأى شىء أفتديه وأرد إليه بصره !

١٤— فَلَيْسَ بِمُرْعٍ عَلَى صَاحِبٍ   وَلَيْسَ بِمَانِعِهِ أَنْ تَحُورَا

١٥— وَلَيْسَ بِمَانِعِهَا بَابَهَا   وَلَا مُسْتَطِيعٍ بِهَا أَنْ يَطِيرَا

١٦— فَبَانَ بِحَسْنَاءَ بَرَّاقَةٍ   عَلَى أَنَّ فِي الطَّرْفِ مِنْهَا فُتُورَا

١٧— مُبَتَّلَةِ الخَلْقِ مِثْلِ المَهَا   ةِ لَمْ تَرَ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرَا

١٨— وَتَبْرُدُ بَرْدَ رِدَاءِ العَرُو   سِ رَقْرَقْتَ بِالصَّيْفِ فِيهِ العَبِيرَا

١٩— وَتَسْخُنُ لَيْلَةَ لَا يَسْتَطِيعْ   نُبَاحًا بِهَا الكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا

٢٠— تَرَى الخَزَّ تَلْبَسُهُ ظَاهِرًا   وَتُبْطِنُ مِنْ دُونِ ذَاكَ الحَرِيرَا

٢١— إِذَا قُلِّدَتْ مِعْصَمًا يَارَقَيْـ   نِ فُصِّلَ بِالدُّرِّ فَصْلًا نَضِيرَا

٢٢— وَجَلَّ زَبَرْجَدَةٌ فَوْقَهُ   وَيَاقُوتَةٌ خِلْتَ شَيْئًا نَكِيرَا

٢٣— فَأَلْوَتْ بِهِ طَارَ مِنْكَ الفُؤَادْ   وَأُلْفِيتَ حَيْرَانَ أَوْ مُسْتَحِيرَا

٢٤— عَلَى أَنَّهَا إِذْ رَأَتْنِي أُقَا   دُ قَالَتْ بِمَا قَدْ أَرَاهُ بَصِيرَا

٢٥— رَأَتْ رَجُلًا غَائِبَ الوَافِدَيْـ   نِ مُخْتَلِفَ الخَلْقِ أَعْشَى ضَرِيرَا

٢٦— فَإِنَّ الحَوَادِثَ ضَعْضَعْنَنِي   وَإِنَّ الَّذِي تَعْلَمِينَ اسْتُعِيرَا

٢٧— إِذَا كَانَ هَادِي الفَتَى فِي البِلَا   دِ صَدْرَ القَنَاةِ أَطَاعَ الأَمِيرَا

٢٨— وَخَافَ العِثَارَ إِذَا مَا مَشَى   وَخَالَ السُّهُولَةَ وَعْثًا وَعُورَا

(١٤ — ١٨) أرعى على صاحبه أبقى عليه . حار رجع ونقص . بان ذهب وبعد . مبتلة الخلق متناسقة الأعضاء بالغة الحسن . المهاة بقرة الوحش . الزمهرير البرد . رداء العروس أى الوشاح . العبير أخلاط من الطيب ، أى أن جسمها بارد فى الصيف .

(١٩ — ٢١) الهرير صوت دون النباح . يقول إن جسمها ساخن فى الشتاء ، الخز الحرير ، وقيل هو ما نسج من الصوف والحرير ، أو هو اسم دابة ويطلق على الثوب المتخذ من وبرها . اليارق الجبارة وهو سوار عريض من حلى اليدين ، (فارسى معرب) . فصل بالدر أى رصع به . نضير حسن .

(٢٢ — ٢٣) جل الشىء عظم قدره . الزبرجد والياقوت فارسى معرب ، وهما من الأحجار الكريمة . والزبرجد يشبه الزمرد ، وهو ألوان كثيرة والمشهور منها الأخضر المصرى والأصفر القبرسى . والياقوت صاف شفاف مختلف الألوان كذلك ، منه الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق . أمر نكير شديد صعب . ألوت به لمعت به وأشارت . حار واستحار بمعنى واحد أى ، ذهل وضل وتردد كأنه لا يدرى كيف يتصرف .

(٢٤ — ٢٨) بما بمعنى ربما . الوافدان العينان . مختلف الخلق أى متغير غيرته الحوادث عما عهدته . الأعشى الذى به سوء فى عينيه أو هو الذى لا يبصر ليلا أو هو الأعمى . ضعضعه أفناه وهدمه . صدر القناة أعلى العصا التى يقبض عليها لأنه أعمى . الأمير الذى يأمره ويقوده . الوعث والوعور واحد ، وهو الطريق الخشن العسير .

٢٦ــ فيجيبها الأعشى فى لوعة صادقة وفى حزن عميق : لقدضعضعتنى الحوادث ، ومضى ماتعلمين من شبابى

٢٧ــ وإذا احتاج الفتى لأن يتلمس طريقه بعكازته ،لم يكن له بد من أن يطيع قائده ويسلم أمره إليه ، يقول له مرة خذ يَمْنَةً ، ويقول له أخرى خذ يَسْرَة ، وهو متحير لا يعلم مما حوله شيئاً .

٢٨ــ يخاف العثار ، ويتصور السهل من الطرق وَعْثاً وَعُورا

ويختم الأعشى هذا الحديث الحزين بأن يعزى نفسه قائلا :

٢٩ــ إن فى ذلك لعبرة للناس ، وأى امرىء يسلم فى هذه الحياة من النكبات والشرور ؟

ويفرغ الأعشى من هذا الحديث الذى بدأه مشرقا بهيجاً ، وانتهى به إلى هذه الخاتمة الحزينة الآسية ، لينصرف إلى الصحراء فى طريقه للممدوح .

(٣٠، ٣١) إنه ليقطع الصحراء المقفرة المُضِلة ، يلعب فيها السراب ، ولا يهتدى فيها السالك إلى طريقه ، ويَصِرُّ فيها الجُنْدب الأسود

٣٢ــ فوق ناقة سريعة كأن جسمها المكتنز الوثيق الخَلْق صخرةٌ صلبة ملساء قد غمرها الماء . تقطع الليل كله لا تهدأ ، وتعدو رافعة ذنبها ، بادية النشاط.

٣٣ــ تجرى بالراكبَيْن فوق ظهرها وقد ارتدف أحدهما وراء الآخر وقت الهاجرة وقد اشتد الحر ، حين يقعد غيرها من ضعاف النوق عن سلوكه

ويتخلص الأعشى إلى المدح فيقول :

٣٤ــ إلى ملك كهلال السماء ، تمَّ وفاءً ومجداً وكرما

٣٥ــ طويل حمائل السيف فهو مديد القامة ، رفيع عمود الخباء ،فهو سيد شريف يتميز بيته من سائر البيوت، يحمى من يلجأ إليه مستجيرا ، ويُفيض من خيره على الفقراء

ثم يتجه الأعشى إلى (هَوْذَة) بالخطاب ، معتذراً عن عدم اشتراكه معه فى قتال بنى تميم يوم (الجفَار)، فيقول :

٣٦ــ ياهوذ ـ وأنت امرؤ ماجد يفوق جودك كل جود ـ

٣٧ــ لقد كثرت نعمك على ، وتعددت أياديك ، وكثر تقصيرى

٣٨ــ فأهلى فداؤك يوم (الجفار) ، إذ قعد بى العجز والضعف عن متابعتك

٣٩ــ وأهلى فداؤك عند كل نزال ، إذا احتدم القتال ، وبح صوت الرجال ، وجفت حلوقهم ، فلم يكن صياحهم إلا صوتاً خافتاً كأنه الحشرجة .

٢٩— وفى ذٰلكَ مَا يَستَفيدُ الفَتىٰ ... وأىُّ امرئٍ لايُلاقى الشُّرُورا

٣٠— وَبَيْدَاءَ يَلعَبُ فِيهَا السَّرَا ... بُ لَايَهتَدِى القَوْمُ فِيهَا مَسِيرَا

٣١— قَطَعْتُ إذَا سَمِعَ السَّامِعُو ... نَ لِلْجُنْدُبِ الجَوْنِ فِيهَا صَرِيرَا

٣٢— بِنَاجِيَةٍ كَأَتَانِ الثَّمِيلْ ... تُوَفِّى السُّرَى بَعْدَ أَيْنٍ عَسِيرَا

٣٣— جُمَالِيَّةٍ تَغْتَلِى بِالرِّدَافْ ... إذَا كَذَّبَ الآثِمَاتُ الهَجِيرَا

٣٤— إِلَى مَلِكٍ كَهِــلَالِ السَّمَاَ ... ءِ أَزْكَى وَفَاءً وَمَجْدًا وَخِيرَا

٣٥— طَوِيلِ النِّجَــادِ رَفِيعِ العِمَاَ ... دِ يَحْمِى المُضَافَ وَيُعْطِى الفَقِيرَا

٣٦— أَهَوْذَ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ ... وَبَحْرُكَ فى النَّاسِ يَعْلُو البُحُورَا

٣٧— مَنَنْتَ عَلَىَّ العَطَاءَ الجَزِيلْ ... وَقَدْ قَصَّرَ الضَّنُّ مِنِّى كَثِيرَا

٣٨— فَأَهْلِى فِدَاؤُكَ يَوْمَ الجِفَا ... رِ إِذْ تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِى قَصِيرَا

٣٩— وَأَهْلِى فِدَاؤُكَ عِنْدَ النِّزَالْ ... إذَا كَانَ دَعْوَى الرِّجَالِ الكَرِيرَا

٤٠— فَسَائِلْ تَمِيماً وَعِنْدِى البَيَانْ ... وَإِنْ تَكْتُمُوا تَجِدُونِى خَبِيرَا

٤١— تَمَنَّوْكَ بِالغَيْبِ مَا يَفْتَئُو ... نَ يَبْنُونَ فِى كُلِّ مَاءٍ جَدِيرَا

٤٢— فَأَخْطَرْتَ أَهْلَكَ عَنْ أَهْلِهِمْ ... فَصَادَفَ قِدْحُكَ فَوْزًا يَسِيرَا

٤٣— وَلَمَّا لُقِيتَ مَعَ المُخْطِرِينْ ... وَجَدْتَ الإِلٰهَ عَلَيهِمْ قَدِيرَا

(٢٩ — ٣١) يلعب فيها السراب يخفق ويتراءى للمسافر . الجندب حشرة أصغر من الجرادة ، وليس صياحه من فيه وإنما هو من جناحه . الجون الأسود . الصرير صوت الجندب .

(٣٢ — ٣٣) ناجية سريعة . الأتان الصخرة تكون فى الماء وتصيبها الشمس ، فهو أصلب لها . الثميل الماء الكثير . السرى سير الليل . الأين التعب والكلال . عسير تعسر بذنبها أى ترفعه . ناقة جمالية وثيقة كالجمل . تغتلى تغلو فى مسيرها . الرديف هو الذى يركب خلف الراكب . أى أنها لا تبالى أن يركبها أكثر من واحد فتنهض بهم جميعاً فى هذه الرحلة العسيرة . الآثمات النوق الضعيفة جعل تخلفها إثماً . وكذبت أى تخلفت وكأنها كذبت ظن صاحبها بها ، أو لم تف بواجبها . الهجير التهاب الحر واحتدامه فى الظهر .

(٣٤ — ٣٦) أزكى من الزكاء وهو النمو والزيادة . الخير (بكسر الخاء) الكرم . النجاد حمائل السيف يكنى بطولها عن طول القامة . العماد عمود الخباء يكنى بارتفاعه عن شرف صاحبه لأن خيام الأشراف ضخمة عالية . المضاف المستجير اللاجىء .

(٣٧ — ٣٨) الضن البخل أو هو من قولهم ضن بالمنزل أى لم يبرحه . ويؤيد ذلك البيت التالى . القيد يقصد به العمى وكبر السن ، ترك خطوه قصيراً لأنه قد لزم بيته لا يكاد يبرحه .

(٣٩ — ٤٣) دعوى مصدر من دعاه يدعوه أو من دعا له أو دعا الله . الكرير شبه الحشرجة ، صوت فى الصدر كصوت المختنق أو المجهود . الجدير جمع جديرة وهى الحظيرة ، والجدير كذلك المكان المحوط بجدار . أخطر جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه . القدح سهم الميسر

٤٠ـــ سل (تميما) عما أصابهم بك ، فأن يكتموا القول فانى خبير .

٤١ـــ كانوا يتمنون لقاءك قبل أن يذوقوا بأسك ، ما يفتئون يتحصنون ، ويبنون حول كل ماء جداراً يمنعه

٤٢ـــ حتى إذا برزت لهم بقومك ، وامتُحِن الفريقان أيهما أشد وأقوى ، لم يكن فوزك إلا بأيسر جهد .

٤٣ـــ وكان الله قادراً أن يذيقهم بأسك ، ويعينك عليهم .

٤٤ـــ أعددت للحرب عدتها من الرماح الطوال ، والخيل الجياد،

٤٥ـــ والدروع الكثيفة قد نسجت نسجاً مضاعفاً ، تُحمَل فوق الجمال عِيراً من ورائها عِير.

٤٦ـــ إذا ازدحمت فى المسالك الضيقة بين الجبال احتكت رءوس المسامير التى تربط حلقاتها

٤٧ـــ فتسمع لها صوتاً كحفيف الحصاد حين تهزه الريح العنيفة فى سكون الليل .

٤٨ـــ إذا نازل أبطالُ الحرب كتيبتك الكثيفة الجمع ، وقد تراكم فوق رجالها الدروع ، حتى لا ترى فيها إلا سواداً ، أتعبتهم ، كما يتعب الجوادُ السابق الجوادَ الأعرج إذا جرى معه مسابقاً .

٤٩ـــ لمثل هذه الحرب أعددت الجياد ولم تبخل عليها بالمال ، فهى عندك منعمة تُعلَف الشعير فى الصيف وتجلَّل بالأكسية التى تصونها وتمنع عنها أذى الرياح

٥٠ـــ ولكنها ضامرة ، قد بدا عليها الكَلاَل ، وقَرِحت بطون حوافرها من طول القياد فى الغارات ، ومن بينها صغارها وقد تخطت من عمرها العام الأول ، تمرح كأنها تيوس الظباء .

٥١ـــ ولا بد لك فى كل صيف من غزوة سريعة تجهد الصلب الشديد من الأفراس

٥٢ـــ إذ تنازع خُدَّامَها الأرسان من شدة نشاطها ووفرة قوتها ، وقد تلبد شعرها حين يقودونها ويعلون بها مكان الخوف والخطر.

(٥٣ ، ٥٤) أنت الجواد ، وأنت الجدير بأن تطعن الطعنة التى تضرب منها النساء النحور ، إذا ما فقدن أبناءهن وأزواجهن فى مواطن الجرأة والإقدام ، حين تكون النفوس مِلْء الصدور

٥٥ـــ وليس الفرات وقد تدفقت مياهه مزبدة ، تغشى الآكام وتعلو الجسور ،

٥٦ـــ وتَكُب السفن لوجوهها ، وتصرع الأشجار والدور القائمة على شاطئيه ،

٥٧ـــ بأجود منك حين تعطى المئين ، وتهب أكياس المال .

٤٤ــ وَأَعْدَدْتَ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا رِمَاحًا طِوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورَا

٤٥ــ وَمِنْ نَسْجِ دَاوُودَ مَوْضُونَةً تُسَاقُ مَعَ الحَىِّ عِيرًا فَعِيرَا

٤٦ــ إِذَا ازْدَحَمَتْ فِى المَكَانِ المَضِيـ ـقِ حَتَّ التَّزَاحُمُ مِنْهَا القَتِيرَا

٤٧ــ لَهَا جَرَسٌ كَحَفِيفِ الحَصَا دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دَبُورَا

٤٨ــ وَجَأْوَاءَ تُتْعِبُ أَبْطَالَهَا كَمَا أَتْعَبَ السَّابِقُونَ الكَسِيرَا

٤٩ــ جِيَادُكَ فِى الصَّيْفِ فِى نِعْمَةٍ تُصَانُ الجِلَالَ وَتُعْطَى الشَّعِيرَا

٥٠ــ سَوَاهِمُ جُذْعَانُهَا كَالجِلَا مِ أَقْرَحَ مِنْهَا القِيَادُ النُّسُورَا

٥١ــ وَلَابُدَّ مِنْ غَزْوَةٍ فِى المَصِيـ ـفِ حَتٌّ تُكِلُّ الوَقَاحَ الشَّكُورَا

٥٢ــ يُنَازِعْنَ أَرْسَانَهُنَّ الرُّوَا ةَ شُعْثًا إِذَا مَا عَلَوْنَ الثُّغُورَا

٥٣ــ فَأَنْتَ الجَوَادُ وَأَنْتَ الَّذِى إِذَا مَا النُّفُوسُ مَلَأْنَ الصُّدُورَا

٥٤ــ جَدِيرٌ بِطَعْنَةِ يَوْمِ اللِّقَا ءِ تَضْرِبُ مِنْهَا النِّسَاءُ النُّحُورَا

٥٥ــ وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الفُرَا تِ يَغْشَى الإِكَامَ وَيَعْلُو الجُسُورَا

٥٦ــ يَكُبُّ السَّفِينَ لِأَذْقَانِهِ وَيَصْرَعُ بِالعَبْرِ أَثْلًا وَدُورَا

٥٧ــ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عِنْدَهُ فَيُعْطِى المِئِينَ وَيُعْطِى البُدُورَا

(٤٤ — ٤٧) اوزار الحرب عدتها . موضونة درع منسوجة بعضها على بعض . تساق تحمل ويرسل بها . حت برد وحك . القتير رءوس المسامير التى تربط أجزاء الدرع وحلقاته . الجرس صوتها حين يحتك بعضها ببعض . الحصاد النبات الذى جف على سوقه ونضج . الدبور الريح الغربية وهى تقابل الصبا وهى الريح الشرقية .

(٤٨ — ٤٩) جأواء كتيبة سوداء لكثرة ما على فرسانها من الحديد . الكسير المكسور . الجلال جمع جل (بضم الجيم) وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

٥٠ — جذعان جمع جذع (بفتحتين) وهو الشاب الحدث . الجلام جمع جلم (بفتحتين) وهو تيس الظباء والغنم . القياد طول قيادها فى الحروب . النسور جمع نسر وهو لحم فى بطن الحافر يكون كالنوى والحصى . أقرحها جرحها وأحفاها .

٥١ — سواهم: ضامرة متغيرة . حت سريعة . الوقاح الصلب ، حافر وقاح وفرس وقاح أى صلب شديد . الشكور الضخم السمين ، شكرت الدابة (كطرب) سمنت . تكلها تتعبها وتكدها وتجهدها

(٥٢ — ٥٤) الرواة جمع راوى وهو الذى يقوم على العناية بالخيل . شعثاً قد تشعث شعرها وتفرق وانتثر . الثغور جمع ثغر وهو موضع المخافة والخلل .

(٥٥ — ٥٧) مزبد تلتطم أمواجه فيطفو الزبد على سطحه . خليج الفرات ، العرب تسمى النهر خليجاً . الاكام المرتفعات جمع أكمة . الجسر الذى يعبر عليه كالقنطرة ونحوها . يكب السفين لأذقانه يقلبها على وجوهها . والسفين جمع سفينة . العبر الشاطىء . الأثل شجر . البدور جمع بدرة (بفتح الباء وسكون الدال) وهى الكيس المملوء نقودا .

هذه القصيدة هي آخر مامدح به الأعشى هوذة مما وجد فى ديوانه ، فهى القصيدة الرابعة على حسب الترتيب الزمنى. وفيها مايدل على أنها قيلت قبل الهجرة ببضع سنوات . لأنه يشير فى آخرها إلى إيقاع كسرى ببنى تميم فى يوم الصفقة .

ويقول ابن الأثير إن هذا اليوم كان وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة لم يهاجر(١). ويبدو هوذة فيها وقد شاب وتقدمت به السن. فالأعشى يقول (البيت ٥٠) :

لم ينقص الشيب منه ما يقال له وقد تجاوز عنه الجهل فانقشما

وفى القصيدة بعض ما يستحق النظر . فقد روى أبو عبيدة أن أبا عمرو بن العلاء زاد فيها بيتاً من وضعه ، واستغفر الله فلم يروه ، وهذا البيت هو (البيت ٢) :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وروى صاحب العقد الفريد أن واضع البيت هو حماد ، وقال إنه لم يزد فى شعر الأعشى غيره . وروى صاحب الأغانى فى أخبار بشار أنه أنشد هذا البيت وهو يسمع فأنكره وقال إنه لا يشبه كلام الأعشى . وروى ثعلب فى شرح الديوان هذا الخبر الأخير، وزاد عليه أن الذى أنشد بشاراً البيت هو أبو بكر (والراجح أنه أبو بكر بن عياش بن سالم السكوفى المتوفى سنة ١٩٣ هـ) فلما أنكر بشار البيت رد عليه أبو بكر (ولاعرف القصيدة) ثم قال متعجباً من فطنة بشار (أعمى شيطان) وإذن فالشك قد تجاوز البيت إلى القصيدة كلها فى نظر أبى بكر هذا .

والواقع أن بعض أجزاء القصيدة يبدو مقحما قد ألصق بالقصيدة الصاقا ، مثل الأبيات (١٤ — ٢١) التى يتحدث فيها الشاعر عن حسان تبع وعن اليمامة ، ومثل الأبيات (٦٢ — ٧١) التى يشير بها إلى يوم الصفقة . فالأولى تعترض بين الغزل ووصف الصحراء ، والثانية تعترض بين المدح . يضاف إلى ذلك أن المرزبانى سيء الرأى فى القصيدة جميعا . فهو يروى بعض أبياتها عن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى ، ويقول إنه سمعها منه كاملة وعددها ستة وسبعون بيتا — وكذلك هى فى هذا الديوان — ثم يقول « إنها من الأشعار الفثة الألفاظ ، الباردة المعانى ، المتكلفة النسج ، القلقة القوافى ، المضادة للأشعار المختارة » ولا يستثنى من ذلك إلا ستة أبيات . ثم يقول « فثل هذا الشعر وماشاكله يصدىء الفهم ويورث الغم »(٢)

والحقيقة أن التكلف واضح فى كثير من أبيات القصيدة إلى حد يجهد القارىء فى فهم المقصود ، لأن الشاعر يتعمر فى التعبير عما يريد ، ويخونه التوفيق فى نظم الألفاظ ، ثم هو لا يقصد إلى معنى جليل يستحق كل هذا العناء من القارىء .

هذا مع ما أشرت إليه من سوء الترتيب والحشو والاقحام . وكل هذه الأشياء مجتمعة قد تشكك فى صحة نسبة القصيدة للأعشى . ولكنى مع ذلك لا أرى فيها جميعا أى دليل يجعلنى أنفى نسبتها للشاعر . ومن المهم أن نتصور الشاعر الجاهلى كما كان يتصوره الجاهليون . فقد كان الشاعر فى ذلك الوقت يصور الرجل المثقف الحكيم . وكان الشعر هو كل شىء عند الناس فى ذلك الوقت ، هو العلم ، وهو الحكمة ، وهو التاريخ وهو السياسة وهو بعد ذلك — أو قبله إن شئت — الكلام الجميل المنسق المثير ولذلك فالشاعر يروى التاريخ ويحفظ الأساطير ويستنبط منها العظة والعبرة.

فهذه الأجزاء التى تبدو فى نظرنا الآن مقحمة لم تكن كذلك فى نظر الشاعر ومعاصريه . بل لقد كان الشاعر يكاثر ويتعالم بما يزج من مثل هذه الأخبار التى تصور سعة أفقه وعمق ثقافته ووفرة علمه .

وبعد فليس لنا بد من أن نلخص بعض ما يروى عن حديث حسان تبع ويوم الصفقة حتى يتيسر فهم بعض ما يتعلق بهما من شعر :

أما تبع حسان فقد عاش فى أوائل القرن الخامس للميلاد . وقصته تتصل بحديث طسم وجديس . وهما من قبائل العرب البائدة التى لم تصل إليها الكشوف الأثرية ، وكل علمنا عنها مما يروى من أساطير تدخلها المبالغة والخلط وصناعة القصص .

قالوا إن هاتين القبيلتين كانتا تسكنان اليمامة فى شرق نجد — وهى موطن شاعرنا الأعشى وقومه — وكان اسمها وقتذاك «جو» وكانت السيادة فى طسم حتى انتهى الملك إلى رجل ظالم فاسق ، فائتمرت به جديس فقتلوه وأفنوا قومه من طسم ، لم ينج منهم إلا رجل اسمه « رياح ابن مرة » سار إلى تبع حسان بن عمرو ملك اليمن مستنجداً به ، فسار معه بجيشه . وكان لرياح بن مرة أخت فى جديس تبصر على مسيرة ثلاثة ايام . فلما كان قريباً من القوم أخبر حسان بخبرها وقال للجيش اقطعوا الشجر ، وليضم كل راكب منكم بين يديه غصنا ليشتبه الأمر عليها .

فلما نظرت اليمامة من فوق حصن مرتفع من حصونهم قالت : أرى رجلا فى شجرة ، معه كتف يتعرقها ، أو نعل يخصفها . وأخبرتهم أن حيراً ستغزوهم ، وكان كاهن قديم اسمه سطيح قد تنبأ بذلك . ولكن قومها كذبوها ولم يأخذوا للأمر أهبتهم . فوطئهم حسان بجيشه فأفناهم وهدم قصورهم وحصونهم ، وصلب « اليمامة » على باب « جو » بعد أن قلع عينيها ، فسميت « جو » من ذلك الوقت « اليمامة » على اسم هذه المرأة(٣) .

أما حديث الصفقة فخلاصته أن تميما نهبت قافلة من قوافل كسرى التى كانت تمر بين اليمن وفارس ، فى موضع من أرضهم يسمى « نطاع » فآوى هوذة رجال القافلة الذين كانوا يسيرون فى حراستها ، وقدم على كسرى فكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة مرصعة بالأحجار الكريمة وكأسا من ذهب كان قد سقاه فيه . ثم دبر معه مكيدة للايقاع بتميم ، وذلك بأن يمنع عنهم الميرة ، فاذا نالت منهم الحاجة

---

(١) ابن الأثير ١ : ٣٨٩ (٢) الموشح ٥٢ ، ٥٣

(٣) الطبرى ١ : ٤٥١ — ٤٥٣ ، ابن الأثير ١ : ٢٠٣ — ٢٠٥ ، السيرة ١ : ١٥ — ١٩ ، العرب قبل الإسلام ص ٦٢ ، ٦٣

وقال يمدح هَوْذَةَ بنَ عَلِيٍّ الحَنَفِى :

١ — بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انقَطَعَا	واحْتَلَّتِ الغَمْرَ فالجُدَّيْنِ فَالفَرَعَا	(بسيط)
٢ — وأنكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِى نَكِرَتْ	مِنَ الحَوَادِثِ إِلَّا الشَيْبَ والصَّلَعَا	
٣ — قَدْ يَتْرُكُ الدَّهْرُ فِى خَلْقَاءَ رَاسِيَةٍ	وَهْيًا وَيُنْزِلُ مِنْهَا الأَعْصَمَ الصَّدَعَا	
٤ — بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِى النَّفْسِ حَاجَتَهَا	بَعْدَ ائْتِلَافٍ وَخَيْرُ الوُدِّ مَانفَعَا	
٥ — وَقَدْ أَرَانَا طِلَابًا هَمَّ صَاحِبِهِ	لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَافَاتَنَا رَجَعَا	
٦ — تَعْصِى الوُشَاةَ وَكَانَ الحُبُّ آوِنَةً	مِمَّا يُزَيِّنُ لِلْمَشْغُوفِ مَا صَنَعَا	
٧ — وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ	دَهْرٌ يَعُودُ عَلَى تَشْتِيتِ مَا جَمَعَا	
٨ — وَمَا طِلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ مُدْرِكَهُ	إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الجَهْلِ قَدْ وَقَعَا	
٩ — تَقُولُ بِنْتِى وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحَلًا	يَارَبِّ جَنِّبْ أَبِى الأَوْصَابَ وَالوَجَعَا	
١٠ — واسْتَشْفَعَتْ مِنْ سَرَاةِ الحَىِّ ذَا شَرَفٍ	فَقَدْ عَصَاهَا أَبُوهَا وَالَّذِى شَفَعَا	
١١ — مَهْلًا بُنَيَّ فَإِنَّ المَرْءَ يَبْعَثُهُ	هَمٌّ إِذَا خَالَطَ الحَيْزُومَ والضِّلَعَا	
١٢ — عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِى صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِى	يَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا	

(١ — ٣) بانت بعدت . نكره وأنكره جهله ولم يعرفه ، وأنكر عليه الأمر عابه عليه . صخرة خلقاء صلبة ملساء . الأعصم من الظباء والوعول مافى ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . الصدع الفتى الشاب القوى .

(٤ — ٦) أسأرت أبقت . الطلاب مصدر طالب . الهم مايشغل النفس . أراد أن كلا منهما لم يكن له هم ولا مقصد إلا صاحبه . المشغوف المولع بالشىء ، والشغاف (بكسر الشين غشاء القلب).

(٧ — ٩) غراب الجهل ، اى غراب الشباب ، تقول طار غرابه إذا شاب لأن الغراب أسود . الوصب تحول الجسم من تعب أو مرض.

(١٠ — ١٢) استشفعت طلبت أن يشفع لها ويعاونها فى مطلبها . شفع له أعانه . الحيزوم وسط الصدر وما يضم عليه الحزام . الضلع الاضلاع جمع ضلع . عليك مثل الذى صليت أى عليك مثل دعائك ، والصلاة هنا الدعاء .

اقام لهم سوقا فى حصن « المشقر » وقد أعد للأمر رجاله ، فاذا تهافتوا فيه قتلهم . وقد كان لكسرى وهوذة ما أرادا ، ولكن التميميين تنبهوا للأمر حين رأوا الداخل لا يخرج وثاروا على هوذة ، فأمر باطلاق مائة من خيارهم وفر هاربا .

والأعشى ينفى عن هوذة فى هذه القصيدة أنه اشترك فى تدبير المؤامرة للايقاع ببنى تميم ، وينسب ذلك لكسرى نفسه ، ولا ينسب لهوذة إلا الجزء الأخير من القصة ، وهو شفاعته فى إطلاق مائة من أسراهم . ويذكر ابن الأثير أن هوذة كان نصرانيا ، وأن الصفقة كانت فى يوم الفصح ، ويستشهد على ذلك بالبيت (٦٩) من هذه القصيدة .

وقد جعل الطبرى وصاحب الأغانى هذا اليوم فى ملك كسرى أنوشروان . أما ابن الأثير فقد جعله فى ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان . ورواية ابن الأثير أصح . لأن بين وفاة كسرى أنوشروان وبين الهجرة أربعة وأربعون عاما . وقد كان هوذة أحد الذين أرسل لهم الرسول الكتب يدعوهم للاسلام سنة ٦ فلو صح مايرويه الطبرى والأصفهانى لكان معنى ذلك أن هوذة عاش بعد يوم الصفقة خمسين سنة على الأقل . وذلك بعيد عن المعقول ، لأن الأعشى يصوره فى هذه القصيدة وقد أسن وكساه الشيب(١) . هذا إلى أن ابن الأثير قد أرخ هذا اليوم كما سبق ، فقال إنه كان وقد بعث النبى

يقول الأعشى :

١ — رحلت سعاد وأمسى ما بينى وبينها وقد انقطع ، فديارها بين « الغَمْر » و « الجُدَّين » و « الفَرَعَ » .

٢ — وأنكرتنى متجاهلة ، وما كان الذى أنكرت إلا الشيب والصلع .

٣ — وإن الدهر ليصدع صلب الصخر الراسى فى الجبال ، وينزل الظبى الفَتِيَّ القوى من حيث يعتصم فى شعافها وقممها .

٤ — رحلت بعد ألفة واجتماع ، وأبقت فى النفس حاجة لا تنقضى ، وخيرُ الود ما نفع .

٥ — ويرجع الشاعر بخياله إلى الماضى فيقول : فقد أذكر كيف كنا ولا همَّ لأَحدنا إلا صاحبه . . . ويسكت قليلا ، ثم يهز رأسه فى حسرة قائلا : لو أن شيئاً يرجع إذا مضى وفات !

٦ — كم قد عصيت الوشاة وأعرضت عما يقولون ، وكان الحب يزين فى عينى ما أصنع .

٧ — كنا وشملنا مجتمع ، وقلوبنا متآلفة ، ففرقنا الدهر الذى يكر على ما جمع بالأمس ليشتته اليوم .

ويختم الحديث عن صاحبته بأن يقول متحدثاً إلى نفسه :

٨ — ما طلبك شيئاً لا سبيل إلى إدراكه ، وقد شبت وتقدمت بك السن ، وانزاحت عن عينيك غشاوة الشباب والجهل ؟

ويشير الأعشى بعد ذلك إلى ابنته التى أشار إليها من قبل فى القصيدة (٤) التى مدح بها قيس بن معديكرب ، فنرى فى القصيدتين صورة واحدة .

٩ — ابنة تخاف على أبيها ، فهى تريد أن تجنبه مخاطر الأسفار ، وتدعو الله قائلة (يارب جنِّب أبى الأوصاب والوجعا)

---

(١) الطبرى ١ : ٥٨١ ، ابن الأثير ١ : ٣٧٨ ، الأغانى ١٦ : ٧٨

١٣ — وَاسْتَخْبِرِى قَافِلَ الرُّكْبَانِ وَانْتَظِرِى ... أَوْبَ الْمُسَافِرِ إِنْ رَيْثًا وَإِنْ سَرَعَا

١٤ — كُونِى كَمِثْلِ الَّتِى إِذْ غَابَ وَافِدُهَا ... أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ نَظْرَةً جَزَعَا

١٥ — وَلَا تَكُونِى كَمَنْ لَا يَرْتَجِى أَوْبَةً ... لِذِى اغْتِرَابٍ وَلَا يَرْجُو لَهُ رَجَعَا

١٦ — مَانَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظْرَتِهَا ... حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذِّئْبِىُّ إِذْ سَجَعَا

١٧ — إِذْ نَظَرَتْ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ ... إِذْ يَرْفَعُ الْآلُ رَأْسَ الْكَلْبِ فَارْتَفَعَا

١٨ — وَقَلَّبَتْ مُقْلَةً لَيْسَتْ بِمُقْرِفَةٍ ... إِنْسَانَ عَيْنٍ وَمُؤْقًا لَمْ يَكُنْ قَمِعَا

١٩ — قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِى كَفِّهِ كَتِفٌ ... أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ لَهْفِى أَيَّةً صَنَعَا

٢٠ — فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ... ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِى الْمَوْتَ وَالشِّرَعَا

٢١ — فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ... وَهَدَّمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَاتَّضَعَا

٢٢ — وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الْجَوَّابُ دُلْجَتَهَا ... حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِى الشِّيَعَا

٢٣ — لَا يَسْمَعُ الْمَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُهُ ... بِاللَّيْلِ إِلَّا نَئِيمَ الْبُومِ وَالضُّوَعَا

٢٤ — كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِى وَشَايَعَنِى ... هَمِّى عَلَيْهَا إِذَا مَا آلُهَا لَمَعَا

٢٥ — بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ ... فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَقُولَ لَعَا

(١٣ — ١٥) قفل الركب عاد . الريث البطء . الوافد الرسول ، يقصد أخت رياح بن مرة الطسمى ، ووافدها أخوها . أوبة عودة . رجع رجوع .

(١٦ — ١٨) أشفار جمع شفر (بضم الشين) . وهو أصل منبت الشعر فى الجفن . الذئبى سطيح الكاهن . سجع تنبأ بقول مسجوع وهو سجع الكهان ، كانوا يتكلمون بكلام مسجوع . الآل السراب . رأس الكلب جبل . ارتفع السراب اضطرب ، والسراب يرفع الشخوص فتبدو فى الأفق على ماهو معروف فى علم الضوء من انعكاس الصور . المقلة العين نفسها . مقرفة من قرف أى خلط وكذب ، إنسان العين الفتحة التى أمام عدسة العين ومنها تبصر . القمع فساد فى مؤق العين واحرار .

(١٩ — ٢١) الكتف عظم عريض خلف المنكب ، يقصد قطعة من لحم الكتف فى يده ينهشها ويأكلها . يخصف النعل يخرزها ويلصق بها قطعة أخرى من الجلد لاصلاحها . صبحهم الجيش داهمهم فى الصباح . يزجى يسوق . الشرع جمع شرعة (بكسر فسكون) وهى الحبالة التى يصيد بها الصائد . جو اسم اليمامة القديم . بنيان شاخص مرتفع . اتضع افتعل من وضع ، ووضع البنيان هدمه وسواه بالأرض .

(٢٢ — ٢٥) الجواب المسافر الكثير الجولان فى الصحراء . الدلجة السير آخر الليل والإدلاج سير الليل كله . الشيع جمع شيعة ، وشيعة الرجل الذى يبايعه أى يعينه ويصحبه . الضوع طائر من طيور الليل أسود كالغراب . النئيم صوته . اللوث القوة . العفرناة الغول ، شبه ناقته بها . لعاً له دعاء للعاثر بأن ينتعش ، أى سلمت ونجوت :

١٠ ـــ وتتوسل إليه بسراة الحي ليردوه عن السفر ، فيعصيها ويعصيهم جميعاً ، ويمضى لما عزم عليه من الرحيل . ويقول لها :

١١ ـــ مهلا يابنية ، فأنما يسافر الرجل ليتسلى عن هَمِّه الذى يخالط صدره وتنطوى عليه ضلوعه .

١٢ ـــ ادعى الله مثل دعائك إذ تقولين (يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا) ، ثم نامى وقرى عينا ، فليس لنا من الموت مفر .

١٣ ـــ واسألى عنى من يعود من الركبان ، وانتظرى أوبتى بعيداً أو قريباً .

وهنا يشير الأعشى إلى قصة زرقاء اليمامة التى أجملناها فى صدر هذا الحديث . فيقول لابنته ماضياً فيما كان فيه من نصحها وتهدئة روعها :

(١٤، ١٥) كونى مثل « اليمامة » ، إذ غاب عنها أخوها حين رحل يلتمس عون حسان ، فظلت تترقب عودته فى شوق وأمل ، بنظرات ملؤها الجزع والإشفاق . ولا تكونى متشائمة كمن لا يرجو عودة المسافر .

وينتقل الأعشى إلى قصة «اليمامة» فيتحدث عنها فى ستة أبيات ، بمالا يتجاوز ما أسلفنا من حديثها .

١٦ ـــ لم تنظر ذات عينين كنظرتها . وكان ما رأت مصدقا لما تنبأ به الذئبى (سطيح الكاهن) فى سجعه القديم .

١٧ ـــ نظرت فلم تخنها عيناها ، وقد سطع السراب واضطرب فوق « رأس الكَلْب » .

١٨ ـــ وحددت النظر بعين لا تكذب ولا تخلط بين ماترى ، إنسانها صاف ومؤقها سليم من الفساد والمرض .

١٩ ـــ وقالت لقومها : عجيب ما أرى . إنه رجل فى كفه كتف ينهششها ! لا بل هو رجل يخصف النعل ! لهفى أيهما أرى ؟ إنه هذا أو ذاك .

(٢٠، ٢١) ولكن قومها أعرضوا عنها مكذبين ولم يصدقوا ما قالت . فصبحهم حسان بجيشه يسوق الهلاك وحبائل الموت . فاستنزلوا أهل «جو» من مساكنهم ، وهدموا عالى البنيان فسووه بالأرض .

ويعود الأعشى إلى الحديث عن أسفاره التى أرادت ابنته أن تمنعه منها :

٢٢ ـــ إنه يسلك البلاد التى يرهب الرحالة الجواب أن يسير فيها آخر الليل وحده ، فهو يجمع حوله الرفاق ليعتز بهم ويتشجع .

٢٣ ـــ قد أقفرت من كل شىء ، لا يؤنس سالكها فى الليل إلا نعيقُ البوم ، وصوت الضُّوَع ، طائر الليل الأسود .

٢٤ ـــ فى مثل هذه المسالك أكلف نفسى السير ، أقتحم مجاهلها ، ولا ألتمس العون عليها حين يخفق فيها السراب إلا من هَمِّى وعزمى .

٢٦ــ تَلْوِى بِعِذْقِ خِصَابٍ كُلَّمَا خَطَرَتْ ... عَنْ فَرْجِ مَعْقُومَةٍ لَمْ تَتَّبِعْ رُبَعَا

٢٧ــ تَخَالُ حَتْماً عَلَيْهَا كُلَمَا ضَمِرَتْ ... مِنَ الكَلَالِ بِأَنْ تَسْتَوْفِيَ النِّسَعَا

٢٨ــ كَأَنَّهَا بَعْدَ مَا أَفْضَى النِّجَادُ بِهَا ... بِالشَّيِّطَيْنِ مَهَاةٌ تَبْتَغِي ذَرَعَا

٢٩ــ أَهْوَى لَهَا ضَابِىءٌ فِي الأَرْضِ مُفْتَحِصٌ ... لِلَّحْمِ قِدْمًا خَفِيُّ الشَّخْصِ قَدْ خَشَعَا

٣٠ــ فَظَلَّ يَخْدَعُهَا عَنْ نَفْسِ وَاحِدِهَا ... فِي أَرْضِ فَيْءٍ بِفِعْلٍ مِثْلُهُ خَدَعَا

٣١ــ حَانَتْ لِيَفْجَعَهَا بِابْنٍ وَتُطْعِمَهُ ... لَحْمًا فَقَدْ أَطْعَمَتْ لَحْمًا وَقَدْ فَجَعَا

٣٢ــ فَظَلَّ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهْيَ رَاتِعَةٌ ... حَدَّ النَّهَارِ تُرَاعِي ثِيرَةً رُتُعَا

٣٣ــ حَتَّى إِذَا فِيقَةٌ فِي ضَرْعِهَا اجْتَمَعَتْ ... جَاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقَّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا

٣٤ــ عَجْلَا إِلَى المَعْهَدِ الأَدْنَى فَفَاجَأَهَا ... أَقْطَاعُ مَسْكٍ وَسَافَتْ مِنْ دَمٍ دُفَعَا

٣٥ــ فَانْصَرَفَتْ فَاقِدًا ثَكْلَى عَلَى حَزَنٍ ... كُلٌّ دَهَاهَا وَكُلٌّ عِنْدَهَا اجْتَمَعَا

٣٦ــ وَذَاكَ أَنْ غَفَلَتْ عَنْهُ وَمَا شَعَرَتْ ... أَنَّ المَنِيَّةَ يَوْمًا أَرْسَلَتْ سَبُعَا

٣٧ــ فَمَا تُعَاقِدُ .... قَلْتُ الشَّاةِ قَدْ صَقِعَا

٣٨ــ حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ صَبَّحَهَا ... ذُؤَالُ نَبْهَانَ يَبْغِي صَحْبَهُ المُتَعَا

(٢٦ — ٢٨) العذق (بفتح العين) النخلة ، والعذق (بكسر العين) القنو منها والعنقود الذى فيه البلح . الخصاب جمع خصبة وهى النخلة. خطر الفحل بذنبه ضرب به يميناً وشمالا . معقومة عاقر . الربع ولد الناقة الذى يولد فى الربيع .

(٢٩ — ٣١) تستوفى تستكل . النسع جمع نسع (بكسر فسكون) وهو سير ينسج عريضا وتشد به الرحال إلى ظهر الناقة . أفضى إلى الشىء وصل إليه . النجاد جمع نجد وهو المرتفع من الارض . المهاة بقرة الوحش . الذرع ولد البقرة . أهوى لها انحط وانحدر . ضابىء لازق . مفتحص متخذ أفحوصا والأفحوص الجحر الذى يأوى إليه . خفى الشخص ناحل دقيق الجسم . خشع نحل ، خشع السنام ذهب إلا أقله . واحدها ابنها . الفىء الظل . حانت من الحين (بفتح ثم سكون) وهو الهلاك والمحنة.

(٣٢ — ١٥) رتعت الماشية فى المكان أكلت وشربت ما شاءت فى خصب وسعة . حد الشىء منتهاه ، حد النهار أى طوال النهار . الفيقة اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . شق الشىء شطره والقطعة منه . وشق النفس ولدها لأنه قطعة منها . لوهنا للتمنى أى ليته حى فيرضع منها . عجلا مصدر عجل (كطرب) سكن الجيم لضرورة الوزن . المعهد الموضع الذى عهدته به . الأدنى القريب . أقطاع جمع جمع . المفرد قطعة والجمع قطع وجمعه أقطاع . المسك الجلد . سافت شمت . الدفع ما جرى شيئا بعد شىء من دمه . دهته الداهية أصابته .

(٣٦ — ٣٨) السبع الوحش المفترس . ذر طلع . قرن الشمس أول ما يشرق منها . ذأل أسرع ومشى فى خفة ، ويقصد بالذؤال هنا الصائد . المتع جمع متعة يعنى أنه يطلب لهم زاداً وطعاما .

٢٥ــ فوق ناقة قوية شديدة لا تتعثر فى طريقها ، تعست إن هى عثرت ولا أقالها الله .

٢٦ــ تضرب بذنبها ذات اليمين وذات الشمال ـ وكأنه وقد اكتنفه الشعر من ناحيتيه قِنْوُ النخلة ـ فيكشف عن فرج عاقر عقيم ، ليس وراءها ولد تحن إليه فيعوقها عن الإقدام ، فهى لا تُقْتَنَى للإنتاج والنسل ، وإنما تخصَّص للرحلة .

٢٧ــ تكلف هذه الناقة نفسها الرحلة البعيدة حتى يضنيها الكلال فتضمر ، وتسترخى السيور التى تشد الرحل إلى بطنها ، ولكنها ترى حتما عليها أن تمضى فى السير حتى تتم رحلتها ، حيث تستريح وتسترد قوتها ، ويعود جسمها إلى الاكتناز والامتلاء حتى يملأ السيور ويستوفيها .

٢٨ــ ويصور لنا كلال راحلته بعد أن أفضت بها المرتفعات إلى (الشيِّطين) ـ وهما واديان ـ فيشبهها ببقرة وحش تنشد ولدها الفقيد .

٢٩ــ عرض لها وحش قد لصق بالأرض متخذاً له فيها وكراً ينتظر الصيد فى نهم للحمه ، وقد فنى جسمه من الهزال ، ودق شخصه من شدة الجوع .

٣٠ــ فظل يخدعها عن ولدها فى أرض كساها الظل ـ وقد طالما خدع غيرها من قبل ـ

٣١ــ قُدِّر عليها أن تطعمه لحم ابنها وأن يفجعها فيه ، فقد أطعمته لحمه وقد فجعها .

٣٢ــ ظل يأكل من لحمه وهى ترتع مع قطيع من الثيران طول النهار .

٣٣ــ حتى إذا اجتمع اللبن فى ضرعها عادت ترضع ولدها ـ لو أنه حى يرضع !

٣٤ــ وأسرعت فى عجل إلى حيث خلفته قريباً منها ، ففوجئت بقطع ممزقة من جلده قد لطخها الدم . فراحت تشم هذه الدفع المتفرقة من دمه فى حزن وأسى .

٣٥ــ ثم انصرفت فاقداً ثكلى ، حزينة على ما دهاها وما اجتمع عليها من المصائب .

٣٦ــ لقد غفلت عن ابنها ولم تشعر أن الموت قد أرسل له سبعاً .

٣٨ــ ولم تكد تفيق هذه البقرة المسكينة من بليتها حتى فاجأها خطب جديد . فما هو إلا أن لاح الصباح حتى فاجأها صياد كأنه ذئب « نَبْهان » يبغى صَحْبَه صيداً .

٣٩ــ معه كلاب ضارية كأنها النبال فى سرعتها ، ترى فى أعناقها أثر السيور .

٤٠ــ فاذا بلغ الشاعر هذا الحد من تصوير بقرة الوحش المكدودة المجهدة قال : إنها تشبه ناقتى وقد أجهدها السير وأعيتها الرحلة ، لا تختلف عنها إلا بحوافرها .

٣٩— بأَكْلُبٍ كَسِرَاعِ النَّبْلِ ضَارِيَةٍ ... تَرَى مِنَ القِدِّ فِى أَعْنَاقِهَا قِطَعَا

٤٠— فَتِلْكَ لَمْ تَتَّرِكْ مِنْ خَلْفِهَا شَبَهًا ... إِلَّا الدَّوَابِرَ وَالأَظْلَافَ وَالزَّمَعَا

٤١— أَنْضَيْتُهَا بَعْدَ مَاطَالَ الهِبَابُ بِهَا ... تَؤُمُّ هَوْذَةَ لَانِكْسًا وَلَا وَرَعَا

٤٢— يَاهَوْذَ إِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ ... لَا يَفْشَلُونَ إِذَا مَا آنَسُوا فَزَعَا

٤٣— هُمُ الخَضَارِمُ إِنْ غَابُو وَإِنْ شَهِدُوا ... وَلَا يُرَوْنَ إِلَى جَارَاتِهِمْ خُنُعَا

٤٤— قَوْمٌ بُيُوتُهُمُ أَمْنٌ لِجَارِهِمُ ... يَوْمًا إِذَا ضَمَّتِ المَحْذُورَةُ الفَزَعَا

٤٥— وَهُمْ إِذَاالحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا ... مِثْلُ اللُّيُوثِ وَسُمٍّ عَاتِقٍ نَقَعَا

٤٦— غَيْثُ الأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ كُلِّهِمُ ... لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

٤٧— مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ ... إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

٤٨— لَهُ أَكَالِيلُ بِاليَاقُوتِ زَيَّنَهَا ... صُوَّاغُهَا لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبَعَا

٤٩— وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيبَاجِ يَلْبَسُهُ ... أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوًّا بِذَاكَ مَعَا

٥٠— لَمْ يَنقُصِ الشَّيْبُ مِنْهُ مَايُقَالُ لَهُ ... وَقَدْ تَجَاوَزَ عَنْهُ الجَهْلُ فَانْقَشَعَا

٥١— أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ ... لَوْصَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلَامِهِمْ صَرَعَا

(٣٩ — ٤٠) النبل السهام ، يشبه بها الكلاب فى سرعتها عند انطلاقها. ضارية من ضرى بالشىء تعوده ، وكلب ضار بالصيد خبير به متعوده . القد السير من الجلد . الدوابر مآخير الأظلاف . والظلف الظفر من الحيوانات المجترة كالبقرة والشاة والظبى وشبهها ، وهو بمكان الحافر من الفرس . الزمع جمع زمعة وهو شىء زائد وراء الظلف ، فى كل قائمة زمعتان كأنهما من قطع القرون لصلابتهما .

(٤١ — ٤٣) أنضيتها أكللتها وأجهدتها . الهباب النشاط . النكس العاجز الضعيف . الورع الجبان . آنس الشىء أبصره أو أحس به . الفزع الهلع أو القتال . الخضارم جمع خضرم (بكسر الخاء والراء) وهو الكريم السخى . شهدوا أى حضروا . خنع جمع خانع وهو المريب الفاجر والغادر .

(٤٤ — ٤٨) المحذورة الفزع والداهية التى تحذر والحرب . الفزع المتفرق . العاتق القديم، وعتقه عضه . نقع ثبت . غير متئب لا يستحى . فعلها اتأب أى استحى . الطبع الوسخ الشديد من الصدأ ، والشين العيب .

(٤٩ — ٥٢) الديباج الحرير وهو فارسى معرب . محبوا من الحباء وهو العطاء . حباه به ملك فارس حين قدم عليه . انقشع ذهب . الجهل طيش الشباب . أغر صبيح الوجه . أبلج من البلجة وهى نقاوة ما بين الحاجبين . استسقى طلب السقيا ، اى أن الناس يسألون المطر ببركته .

وبعد أن يستغرق الأعشى فى عرض هذه الصورة عشرة أبيات يتخلص إلى المدح فيقول :

٤١ — إنه قد أنضى هذه الناقة بعد أن طال نشاطها ، يؤم بها هوذة ، وما هو بالضعيف ولا الجبان .

ويبدأ بالثناء على قومه فيقول :

٤٢ — ياهوذ إنك من قوم ذوى حسب ، لايجبنون ولا يضعفون إذا غشيهم من الحوادث ما يفزع .

٤٣ — أسخياء يعم خيرهم الناس حاضرين وغائبين ، فضلاء أوفياء يَعِفون عن جاراتهم فما يُرِيبون .

٤٤ — شجعان منجدون ، يأمن اللاجئ إليهم حين يعم الكرب ويشمل أشتاتَ الناس .

٤٥ — فرسان مغاوير ، إذا كشرت الحرب عن أنيابها فهم الليوث وهم السم الزُّعاف .

ثم يصرف الشاعر المدح إلى هوذة ، مشيراً إلى ما حباه به كسرى حين زاره فيقول :

٤٧ — إن الذى يلقاه لا يستحى أن يسجد أمام طلعته المهيبة وقد تعصب فوق التاج ، ووضع الأكاليل ،

(٤٨،٤٩) قد زينها صواغها بالياقوت ، لا ترى فيها عيباً ولا شيناً ، ولبس أكسية الديباج ، محبواً بذلك جميعاً من كسرى .

٥٠ — وقد شاب هوذة ، ولكن الشيب لم ينقص منه شيئاً ، بل لقد زاده حنكة وتجربة .

٥١ — مبارك ميمون ، بوجهه الصبيح يُسْتَمْطَرُ الغمام ؛ عاقل حليم ، لو قيس عقله إلى عقول الناس فضلها ورجح عليها .

٥٢ — حملوه أعباء الملك ، التى لا ينهض بها إلا السادات ، وهو بَعْدُ فتى ، فأطاق الحمل ونهض به .

٥٣ — وجربوه فى مختلف الشدائد والأزمات ، فما كشفت تجاربهم إلا عن الحزم والفضل .

(٥٤،٥٥) من أجل ذلك ألقى إليه السادة المقاليد ، ورضيت نفوسهم أن يكونوا له تبعا .

٥٧ — يستمع إلى قولهم منصتاً حين يعرضون عليه آراءهم ، فيختار منها ما يشاء مما يستبين فيه الحزم والصواب ، ويبتدع ما يشاء من صائب الحلول وسديدها .

٥٦ — ياهَوْذ ، ياخير من يمشى على قدم ، ويا بحر الهبات للواردين ، ومورد الشاربين .

٤٦ — أنت الغيث الذى يحيا به من نكبهم الدهر من الأرامل والأيتام ، وأنت القدير على أن تنفع وأن تضر .

(٥٨،٦٠) ليس الفرات وقد عب عبابه ، وجاش طوفانه ، وحفل بالماء حتى كاد يطغى على شاطئيه المرتفعين ويغمرهما ، قد ضربه الريح فالتطمت أمواجه وامتدت عالية هُوجاء ، وأُترعت بها روافده وفروعه ، بأجود من هوذة حين تسأله .

٥٢- قَد حَمَّلُوهُ فَتِيَّ السِّنِّ مَا حَمَلَتْ ... سَادَاتُهُمْ فَأَطَاقَ الحِمْلَ وَاضْطَلَعَا

٥٣- وَجَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ ... ابَا قُدَامَةَ إِلَّا الحَزْمَ وَالفَنَعَا

٥٤- مَنْ يَرَ هَوْذَةَ أَوْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهِ ... يَكُنْ لِهَوْذَةَ فِيمَا نَابَهُ تَبَعَا

٥٥- تَلْقَى لَهُ سَادَةَ الأَقْوَامِ تَابِعَةً ... كُلٌّ سَيَرْضَى بِأَنْ يُرْعَى لَهُ تَبَعَا

٥٦- يَا هَوْذُ يَا خَيْرَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ ... بَحْرَ المَوَاهِبِ لِلْوُرَّادِ وَالشَّرَعَا

٥٧- يَرْعَى إِلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إِذَا ... أَبْدَوْا لَهُ الحَزْمَ أَوْ مَا شَاءَهُ ابْتَدَعَا

٥٨- وَمَا مُجَاوِرُ هِيتٍ إِنْ عَرَضْتَ لَهُ ... قَدْ كَادَ يَسْمُو إِلَى الجُرُفَيْنِ وَاطَّلَعَا

٥٩- يَجِيشُ طُوفَانُهُ إِذْ عَبَّ مُحْتَفِلًا ... يَكَادُ يَعْلُو رُبَى الجُرْفَيْنِ مُطَّلِعَا

٦٠- طَابَتْ لَهُ الرِّيحُ فَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ ... تَرَى حَوَالِبَهُ مِنْ مَوْجِهِ تَرَعَا

٦١- يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ ... إِذْ ضَنَّ ذُو المَالِ بِالإِعْطَاءِ أَوْ خَدَعَا

٦٢- سَائِلْ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفْقَتِهِمْ ... لَمَّا رَآهُمْ أَسَارَى كُلُّهُمْ ضَرَعَا

٦٣- وَسْطَ المُشَقَّرِ فِي عَيْطَاءَ مُظْلِمَةٍ ... لَا يَسْتَطِيعُونَ فِيهَا ثَمَّ مُمْتَنَعَا

٦٤- لَوْ أُطْعِمُوا المَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمُ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمُ نَجَعَا

(٥٢ — ٥٥) أطاق احتمل . اضطلع بالحمل نهض به . الحزم ضبط الأمر وأخذه بالثقة . الفنع الفضل. نابه نزل به من النوائب . يرعى يكون من رعيته وأتباعه .

(٥٦ — ٥٦) الشرع مورد الشاربين . يرعى يصغى . هيت بلد بالعراق . مجاور هيت نهر دجلة . الجرف المكان الذى يأخذه السيل ويجرفه ، اطلع افتعل من طلع أى صعد . جاش غلا واضطرب . الطوفان الماء الغالب يغشى كل شيء . عب البحر ارتفع وكثر موجه . حفل واحتفل اجتمع وامتلأ . ربى جمع ربوة .

(٦٠ — ٦٤) الغوارب جمع غارب ، وغارب كل شيء حده ، والغوارب أعالى الأمواج . حوالب النهر الفروع التى تحلبه أى تعينه وتمده . ترعا أى مترعة مملوءة إلى نهايتها . خدع توارى . الصفقة يوم من أيام العرب بين كسرى وتميم . ضرع ذل . المشقر حصن قتل فيه كسرى بنى تميم . عيطاء هضبة شامخة . ثم هناك . المن طل ينزل من السماء كالندى فيجتمع على الأشجار والأحجار وينعقد عسلا فيؤكل . السلوى طائر أبيض مثل السمان . نجع نفع ونجح وظهر أثره على أبدانهم .

٦١ — فهو يجود حين يتوارى ذو المال مستتراً ويضن بالعطاء .

ويذكر الشاعر مثلاً لفضل الممدوح وكرم طبعه ، بما فعل يوم « الصفقة» ، إذ شفع لبنى تميم عند كسرى . فيقول :

٦٢ — سل عنه تميما يوم « الصفقة » ، لما رآهم وقد سيقوا إلى الأسر أذلاء

٦٣ — وسط حصن « المشقَّر » ، فى هضبة عالية مظلمة ، لا يجدون منها مخرجا ، ولا يستطيعون فيها امتناعا .

٦٤ — لو أُطعِموا المَنَّ والسَّلْوَى فى مأزقهم الذى صاروا إليه ماهَنَأهم ما يأكلون، ولا ظهرت ثمرته على أبدانهم.

(٦٥، ٦٦) ذلك بظلمهم وعدوانهم على الملك بـ « نطاع » فى ضاحية النهار ، فقد ذاقوا وبال أمرهم ، وقد أصابهم طائفة من عقاب الملك ، وإنهم ليتحسرون نادمين (ويَحْسُون من أنفاسهم جُرَعًا) إذ يتنهدون.

٦٧ — يومئذ جاء هوذة يلتمس من الملك أن يسرح مائة منهم ، يرجوه فى لين وهوادة ، وفى صوت مخفوض.

٦٨ — فاستجاب الملك لشفاعته ، وفك عن مائة منهم وثاقهم ، فأصبحوا وقد نزعت عنهم الأغلال .

٦٩ — ولم يكن هوذة يبغى بما فعل وبما أسدى من الخير إلا وجه الله ، يتقرب إليه بهذا العمل الصالح فى عيد الفصح .

٧٠ — كانت كلمة معروف ، أسدى بها خيراً ونفعاً ، ولم يرد بها ثوابا عاجلا .

٧١ — ولكن بنى تميم لا يرون فيما فعل نعمة سبقت إليهم منه ، وقد قال ما قال وسعى فيما سعى ، عن رغبة فى الخير والإحسان .

ويعود الشاعر إلى ممدوحه ، ليصفه بالقوة والاقتدار ، فيقول :

٧٢ — لن يستطيع الناس أن يصلحوا ما أوهى ، ولو اجتمعوا على ذلك طول الحياة . ولا هم يستطيعون أن يفسدوا ما أقام وأصلح .

٧٣ — مهما يقصدْ من جمع فهو قادر على تفريقه وتشتيته ، ومهما يُرِدْ من متفرق شتيت فهو قادر على أن يجمعه .

٧٤ — قد عم فضله الناس من « المدائن » إلى « شبَام » ، وقد تمرس بالمكاره ، يخوض إليها الموت ويلبسه .

٦٥— بِظُلْمِهِمْ بِنِطَاعِ الْمَلْكَ ضَاحِيَةً   فَقَدْ حَسَوْا بَعْدُ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ جُرَعَا

٦٦— أَصَابَهُمْ مِنْ عِقَابِ الْمَلْكِ طَائِفَةٌ   كُلُّ تَمِيمٍ بِمَا فِي نَفْسِهِ جُدِعَا

٦٧— فَقَالَ لِلْمَلْكِ سَرِّحْ مِنْهُمُ مِائَةً   رِسْلاً مِنَ الْقَوْلِ مَخْفُوضاً وَمَا رَفَعَا

٦٨— فَفَكَّ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ وِثَاقَهُمُ   فَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلِّهِ خُلِعَا

٦٩— بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفِصْحِ ضَاحِيَةً   يَرْجُو الأَلٰهَ بِمَا سَدَّى وَمَا صَنَعَا

٧٠— وَمَا أَرَادَ بِهَا نُعْمَى يُثَابُ بِهَا   إِنْ قَالَ كَلِمَةَ مَعْرُوفٍ بِهَا نَفَعَا

٧١— فَلَا يَرَوْنَ بِذَاكُمْ نِعْمَةً سَبَقَتْ   إِنْ قَالَ قَائِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسَعَى

٧٢— لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى وَإِنْ جَهَدُوا   طُولَ الْحَيَاةِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعَا

٧٣— لَمَّا يُرِدْ مِنْ جَمِيعٍ بَعْدُ فَرَّقَهُ   وَمَا يُرِدْ بَعْدُ مِنْ ذِي فُرْقَةٍ جَمَعَا

٧٤— قَدْ نَالَ أَهْلَ شِبَامٍ فَضْلُ سُؤْدَدِهِ   إِلَى الْمَدَائِنِ خَاضَ الْمَوْتَ وَادَّرَعَا

(٦٥ — ٦٨) نطاع اسم الموضع الذى نهبت فيه تميم قافلة كسرى . حسى الماء شربه . يصور تنهدهم وكأنه احتساء للأنفاس . الطائفة من الشيء القطعة . الجدع الحبس والسجن وقطع الأنف أو الأذن أو اليد . وجدعته أمه أساءت غذاءه . وكلأ جداع (بضم الجيم) وبيل وخم فيه جدع لمن يرعاه . الرسل البطء والهينة والهدوء . الوثاق الرباط والقيد . وكذلك الغل .

(٦٩ — ٧٤) الفصح من أعياد النصارى ، وهو عيد تذكار قيامة المسيح من الموت وهو أكبر أعيادهم . أسدى وسدى قدم . أوهى أضعف . رقع الشيء أصلحه . جميع مجتمع . السؤدد السيادة . شبام بلد قديم فى اليمن . ادرع لبس الدرع ، على وزن افتعل والدرع القميص .

يخاطب الأعشى بهذه القصيدة بنى عبدان عامة ، وعمرو بن المنذر بن عبدان خاصة . وبنو عبدان بيت من بيوت سعد بن قيس بن ثعلبة . وقيس بن ثعلبة — كما قدمنا فى القصيدة (١٠) — هو الفرع الذى ينتمى إليه الأعشى . فبنو عبدان قريبو القرابة من الشاعر ، ولذلك فهو مترفق بهم لا يعنف عليهم ، كما سنرى . وللأعشى فيهم — غير هذه القصيدة — ثلاث قصائد أخرى هى ١٥ ، ٣٨ ، ٧٣

وسبب القصيدة فيما يروون أن رجلا من قيس عيلان كان جاراً لعمرو بن المنذر(١) ، فسرقت راحلته وهو فى جواره . فلما بحثوا عنها وجدوا بعض لحمها فى بيت قائد الأعشى ، وكان اسمه (هداج) . والأعشى هنا يعاتب بنى سعد بن قيس عامة ، وعمرا خاصة ، بهذه القصيدة . وهو ينفى عن تابعه ما يلصقون به من تهمة السرقة . ويبدو من البيت (٢٠) أن قوم الأعشى (سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) كانوا قد ارتحلوا عن الحى إلى ديار أبناء عمومتهم ، بنى شيبان ، ولبث الأعشى مقيما مع أبناء العم (سعد بن قيس) ريثما يعودون ، فاتهم بهذه التهمة فى أثناء غيابهم ولذلك فهو يشكو فى القصيدة غربته وقلة أعوانه .

ويبدو من المناسبة التى قيلت فيها القصيدة أنها قيلت فى آخر أيام الأعشى ، بعد أن كف بصره واحتاج إلى قائد يلازمه ليدله على الطريق . على أن أثر السن واضح فى الشعر فى الأبيات (٥) ، (٢٠) . وتمتاز القصيدة بصدق التعبير والبعد عن التكلف والصناعة ، فهى صورة من حياة البادية فيما ترسم من صور ، وما تقدم من مثل تفيض بالوفاء للقبيلة ، والتمسك بقرابة الدم .

يبدأ الأعشى قصيدته منقبضاً ضيق الصدر ، فهو يتصور صاحبته معرضة كثيرة الهجر والصدود ، ولكنه مع ذلك متعلق بها لا يتركها . وكأن بين هذه الصورة التى يقدم بها لشعره وبين ما هو مقبل عليه من عتاب قومه صلة . فهم كهذه الصاحبة يسرفون فى الصد والهجر والايذاء ، على حين يسرف هو فى التعلق بهم والابقاء عليهم ورعاية حقوقهم .

يقول الأعشى :

١ — إن ما تولينه من الهجر والصدود والإيذاء ، لحقيق بأن يزهده فيك ويبرئه من حبك ـ لو أنه

٢ — يستطيع تجنباً ـ وقد علاه الشيب . ويشبه حبها وقد ولد فى قلبه صغيراً بولد الناقة ، لم يزل يشب

٣ — وينمو حتى أصبح لخلا صاحب أبناء كبار . كذلك ملكت عليه أمره ، وثبت هو على حبها ، لا يزيده ما يكابد فيها من الشوق إلا إمعاناً فى الود والتقرب .

٤ — ثم ينتقل الشاعر إلى الشكوى من أبناء عمومته . فيقول إنه قد بات والهم ملازمه ، ينتابه كلما أوى إلى الفراش . وقد أصبح الشاعر قليل الثقة بالقرابة وبصلة النسب

٥ — وهو لذلك سيوصى كل رجل عاقل ذى بصر ، إن دنت منيته ، وصاة امرىء مجرب خبير .

٦ — بألا يلتمس الود ممن يتباعد وإن قربت قرابته ، ولا ينأى عن المتودد المتقرب وإن سبقت عداوته .

٧ — فليس القريب من تربطك به صلة النسب ، ولكن القريب الحق من قرب نفسه بالود وأخلصه .

٨ ، ٩ فلقد صرنا إلى زمن لا يرعى فيه أحد قرابة ولا نسباً . يغترب الرجل عن أهله فإذا هو وحيد بين قوم يعتزون بأنصارهم من رهطهم ، لا يجد من يغضب له أو ينصره إذا خاصم أحدهم .

١٠ — فهم يد واحدة عليه ، يحطمونه بجورهم ، ولا يزال كل يوم صريع ظلم جديد ، يتقاذفه جراً وسحباً .

---

(١) عمرو بن المنذر بن حذافة بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة .

وقال يَهْجُو عَمْرَو بْنَ المُنْذِرِ بْنِ عَبْدَان ، ويُعَاتِبُ بَنِى سَعْدِ بْنِ قَيْس :

(طويل)

١ — كَفَى بِالَّذِى تُولِينَــهُ لَوْ تَجَنَّبَا ... شِفَاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ مَا عَادَ أَشْيَبَا

٢ — عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوَّلُ حُبِّهَا ... تَأَوُّلَ رِبْعِىِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَــا

٣ — فَتَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لَا يَزِيدُهَا ... إِلَيْهِ بَلَاءُ الشَّوْقِ إِلَّا تَحَبُّبَــا

٤ — وَإِنِّى امْرُؤٌ قَدْ بَاتَ هَمِّى قَرِيبَتِى ... تَأَوَّبَنِى عِنْدَ الفِرَاشِ تَأَوُّبَا

٥ — سَأُوصِى بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ البِلَى ... وَصَاةَ امْرِئٍ قَاسَى الأُمُورَ وَجَرَّبَا

٦ — بِأَنْ لَا تَبَغَّ الوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ ... وَلَا تَنْأَ عَنْ ذِى بِغْضَةٍ إِنْ تَقَرَّبَا

٧ — فَإِنَّ القَرِيبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَــيْرَ لَا مَنْ تَنَسَّبَا

٨ — وَإِنَّ امْرَءًا فِى حِقْبَةِ النَّاسِ هَذِهِ ... وَإِنْ ....

٩ — مَتَى يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَجِدْ لَهُ ... عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطٌ حَوَالَيْهِ مُغْضَبَــا

١٠ — وَيُحْطَمْ بِظُلْمٍ لَا يَزَالُ يَرَى لَهُ ... مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَا

١١ — وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِئْ ... يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِى رَأْسِ كَبْكَبَا

١٢ — وَلَيْسَ مُجِيرًا إِنْ أَتَى الحَىَّ خَائِفٌ ... وَلَا قَائِلًا إِلَّا هُوَ المُتَعَيَّبَــا

١٣ — أَرَى النَّاسَ هَرُّونِى وَشُهِّرَ مَدْخَلِى ... وَفِى كُلِّ مَمْشَى أَرْصَدَ النَّاسُ عَقْرَبَا

١٤ — فَأَبْلِغْ بَنِى سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ بِأَنَّنِى ... عَتَبْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِىَ مَعْتَبَــا

(١ — ٣) أولاه المعروف صنعه له ، ويقصد ما توليني من الهجر والجفاء . تأول الكلام دبره وقدره وفسره . الربعى ولد الناقة فى أول الانتاج . السقاب جمع سقب (بفتح السين) وهو ولد الناقة ساعة يولد . أصحب الرجل إذا بلغ ابنه فصار مثله وصار له كالصاحب . أى أن حبها كان صغيراً ثم كبر ونما . تم على أمره مضى عليه .

(٤ — ٦) قريبتى مثل قرابتى أى ملازمى . تأوبه آب إليه أى عاد ليلا . البصير العاقل الحاذق بالأمور . البلى الموت لأنه يبلى . قاسى الأمور ذاق شدتها وعاناها . لا تبغ لا تبتغ أو تطلب .

(٧ — ٩) الخير منصوب على نزع الخافض أى من يقرب نفسه بالخير وبعمله . تنسب انتسب إليك واتصل بالقرابة . الحقبة المدة من الزمن .

(١٠ — ١٢) حطمه كسره . مجراً ومسحباً مصدر ميمى من جر وسحب . كبكب جبل . أى تكون إساءته مشهورة ظاهرة لأنهم يشنعون بها ، كالنار فوق الجبل . ليس مجيراً أى أنه لا يملك أن يؤمن رجلا فيجعله فى جواره لأن الناس لا يحترمون هذا الجوار ، وإنما يحترمون جوار القوى فلا يجرءون على أن ينالوا جاره بالأذى . المتعيب اسم مفعول من تعيب أى عاب وتنقص .

(١٣ — ١٤) هر الشيء كرهه . شهر به شنع عليه . مدخلى مذهبى . أرصدوا عقربا هذا مثل أى أقاموا فى طريقه الأذى . معتب موضع العتب .

إن أحسن ستروا صالح أعماله ودفنوه، وإن أخطأ شهّروا بخطئه وأذاعوه، حتى كأنه النار فى رأس جبل (كَبْكَب).

١٢ — يلجأ المستجير إلى الحى فلا يستطيع أن يجيره لضعفه بينهم ، وينطق بالكلمة فتُرَدُّ عليه وتعاب .

١٣ — لقد كرهنى القوم وشنَّعوا بى ، وراحوا يضعون الأذى فى طريقى حيثما سرت .

١٤ — فأبلغ بنى سعد بن قيس بأنى قد عتبت . فلما لم أجد موضعاً لعتاب ،

١٥ — لم يكن بد من أن أقطع صلتى بهم — وإن كنت لم أفعل بعد — ولكن من طوى كشحه معرضاً يتهيأ للرحيل كمن قد رحل .

١٦ — ومثل الذى تمطرونى من الأذى وسط بيوتكم خليق أن ينبت الشر ، وأن يجعل للقناة سناناً طويلا كأنه ريش الجناح .

١٧ — يبعد بيت الرجل من دار قومه ، فلا يعلمون كيف بات من بعدهم إلا ظناً .

١٨ — ويعيش بين قوم لا يرعون وداً ولا نسباً .

١٩ — لقد هان أمرى فى أعينكم منذ غاب عنى قومى ، حتى كأنى فى نظر هذا الباحث عن حقه وحق جاره أرنب ضعيف .

٢٠ — دعا قومه من حوله فنصروه ، وقد غاب عنى قومى بالمُسَنَّاة (وهو ماء لبنى شيبان) .

٢١ — فحكموا له على ظلماً ، وما كنت قبل ذلك قليل الأنصار ، ولا كنت دعيًّا لئيما .

٢٢ — فلقد أهتف مستنجداً فيأتينى كل كريم ينفض رأسه ، وقد هب لنصرتى ثائراً مغضباً.

ويتجه الأعشى إلى خصمه عمرو بن المنذر ، فيشير إليه قائلا :

٢٣ — أرى بينكم رجلا قد ذهب به الغضب وأضناه الكمد ، كأنما قد قطِعت كفُّه .

٢٤ — وما أعرف له مجداً قديماً ، ولا أعرف له فضلا فى شىء .

٢٥، ٢٦ فليعلم هذا الذى أمسى فى غضبه أعق الناس للقرابة والنسب، أن مثلى ومثلكم فيما تكلفونى من ذنوب لا يد لى فيها ، كمثل الثور يضرب الراعى ظهره حين تعاف البقر الماء ، ليدفعه إلى الحوض فتُقْبِل بأَقباله.

٢٧ — كلما أعرضت البقر ضُرِب الثور ، على غير ذنب جناه .

ويعود الأعشى إلى مخاطبة بنى سعد بن قيس قائلا إنه لن يكون إلا وفياً للقرابة والنسب .

١٥ — صَرَمْتُ وَلَمْ أَصْرِمْكُمُ وَكَصَارِمٍ   أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبَّ لِيذْهَبَا

١٦ — وَمِثْلُ الَّذِى تُولُونَنِى فِى بُيُوتِكُمْ   يُقَنِّى سِنَانًا كَالقُدَامَى وَثَعْلَبَا

١٧ — وَيَبْعُدُ بَيْتُ المَرْءِ عَنْ دَارِ قَوْمِهِ   فَلَنْ يَعْلَمُوا مُمْسَاهُ إِلَّا تَحَسُّبَا

١٨ — إِلَى مَعْشَرٍ لَا يُعْرَفُ الوُدُّ بَيْنَهُمْ   وَلَا النَّسَبُ المَعْرُوفُ إِلَّا تَنَسُّبَا

١٩ — أَرَانِى لَدُنْ أَنْ غَابَ قَوْمِى كَأَنَّمَا   يَرَانِى فِيهِمْ طَالِبُ الحَقِّ أَرْنَبَا

٢٠ — دَعَا قَوْمَهُ حَوْلِى فَجَاءُوا لِنَصْرِهِ   وَنَادَيْتُ قَوْمًا بِالمُسَنَّاةِ غُيَّبَا

٢١ — فَأَرْضَوْهُ أَنْ أَعْطَوْهُ مِنِّى ظُلَامَةً   وَمَا كُنْتُ قُلًّا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيَبَا

٢٢ — وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ   أَتَانِى كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبَا

٢٣ — أَرَى رَجُلًا مِنْكُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا   يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

٢٤ — وَمَا عِنْدَهُ مَجْدٌ تَلِيدٌ وَلَا لَهُ   مِنَ الرِّيحِ فَضْلٌ لَا الجَنُوبُ وَلَا الصَّبَا

٢٥ — وَإِنِّى وَمَا كَلَّفْتُمُونِى وَرَبِّكُمْ   لِيَعْلَمَ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْرَبَا

٢٦ — لَكَالثَّوْرِ وَالجِنِّىُّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ   وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ مَشْرَبَا

٢٧ — وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرٌ   وَمَا إِنْ تَعَافُ المَاءَ إِلَّا لِيُضْرَبَا

٢٨ — فَإِنْ أَنْأَ عَنْكُمْ لَا أُصَالِحْ عَدُوَّكُمْ   وَلَا أُعْطِهِ إِلَّا جِدَالًا وَمِحْرَبَا

٢٩ — وَإِنْ أَدْنُ مِنْكُمْ لَا أَكُنْ ذَا تَمِيمَةٍ   يُرَى بَيْنَكُمْ مِنْهَا الأَجَالِدُ مُثْقَبَا

(١٥ — ١٨) صرم قطع وفارق . الكشح الجنب ، وطوى كشحه أعرض . أب تهيأ واستعد . أولاه المعروف صنعه له ، وإنما يولونه الأذى . قنى السنان ركبه فى القناة . القدامى الريشة فى أول الجناح . الثعلب طرف الرمح الداخل فى السنان . التحسب السؤال عن الخبر . لن يعلموا ممساه أى لن يعلموا كيف أمسى وكيف صار فى الليل إلا ما يصل إليهم من أخباره حين يسألون عنه الناس .

(١٩ — ٢١) المسناة ماء لبنى شيبان حيث ينزل قوم الأعشى بعيداً عنه . قل قليل . الأزيب اللئيم الدعى . البقيع الموضع فيه شجر من ضروب شتى . هتفت بجوه دعوت مستنجداً .

(٢٣ — ٢٥) الأسيف الحزين والغضبان ومن لا يكاد يسمن لأن الحقد يأكله . تليد قديم . الجنوب ريح تهب من الجنوب . والصبا ريح من الشرق . أى لا يعرف له فضل فى أى وقت ، لا فى وقت هبوب هذه الريح ، ولا فى وقت هبوب تلك . عق الولد والده خالفه وترك الشفقة عليه والاحسان إليه . وأعق أفعل منه . أحربا من حرب الرجل حربا أى غضب .

(٢٦ — ٢٩) الجنى الراعى . هذا مثل زعموا أن البقر إذا عافت الشرب وانصرفت عنه أخذوا ثوراً فضربوه حتى يرد الماء فتتبعه البقر . وقيل إن هذا لم يكن يحدث فعلا ولكنه مثل ضربه الشاعر وتصوره . حرب الرجل (كطرب) اشتد غضبه فهو محرب غضوب . التميمة المقص والمقراض . أى لا أثقب جلدكم باغتيابكم ونهش أعراضكم .

٢٩،٢٨ إن نأيت عنكم لم أصالح عدوكم ولم أكن إلا حرباً عليه . وإن دنوت منكم لم أكن كالمقراض أقطع جلودكم بنهش أعراضكم ونبش سيئاتكم .

٣٠ ــ سينبح كلبي من ورائكم مدافعاً ، ولكني سأغني عيالي عنكم . حتى لا ينالني لوم أو تأنيب .

٣١ ــ سأدفع عن أعراضكم ، وأضع في خدمتكم لساناً قاطعاً كأنه المقراض.

٣٢ ــ وما أبغي بما أفعل منكم جزاءً أو ثواباً ، فإنما ثوابي فيما أفعل على الله .

٣٣ ــ سأثني عليكم في غيابكم ، فإذا أزمت الأزمات ، وصار كل رجل إلى حزبه ،

٣٤ ــ كنت واحداً منكم على ما ينوبكم من النائبات ، ولن يراني أعداؤكم ثوراً أغضب مكسور القرن .

ويعود الأعشى إلى عمرو بن المنذر مرة أخرى ، ولكنه يخاطبه مهدداً في عنف ، فيقول :

٣٥ ــ بيني وبين عمرو عداوة حادة قاتلة ، ليس وراءها إلاَّ أن يمسني الجنون أو يصيبه الكَلَب .

٣٦ ــ لا يزال كلانا يدعي أنه بريء وأنه ليس ظالماً ، حتى نفد صبري وطرحت عني حلمي فهو اليوم بعيد .

٣٧ ــ لقد أطاع الواشين فأفسدوا ما بينه وبين كل صديق ، حتى الحبيب القريب .

٣٨ ــ وكنت إذا أدام صاحبي ظلمي أمسكت به ولم أفلته ، حتى لا يتعود ذلك مني ويظن بي الضعف .

٣٩ ــ وعند ذاك يحاول الإفلات فلا يستطيع ، كما يلتمس الرومي فتح قفل مستغلق ، فلا يزال يدير فيه مفتاحه فيخطىء حد أسنانه ويزل عنها .

٤٠ ــ ما ظنكم بالليث يحمي عرينه وينفي عنه الأسد مهيباً مرهوباً .

٤١ ــ يخفي مخالبه إذا مشى ، ويبرزها إذا غضب وثار .

٤٢ ــ ويُعْجِل خصمه بالوثوب فلا يجد سبيلا للفرار!

٤٣ ــ لقد تعلمون أني علوتكم قبل أن يعلو رأسي الشيب ، آلآن بعد أن أصبحت كهلا مجربا تُهَادُونَني الشعر ؟

٣٠— سَيَنْبَحُ كَلْبِى جَهْدَهُ مِنْ وَرائِكُمْ ... وَأُغْنِى عِيَالِى عَنْكُمُ أَنْ أُؤَنَّبَا

٣١— وَأَدْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ ... لِسَانًا كَمِقْرَاضِ الخَفَاجِيِّ مِلْحَبَا

٣٢— هُنَالِكَ لَا تَجْزُونَنِي عِنْدَ ذَاكُمُ ... وَلَـكِنْ سَيَجْزِينِى الأِلَهُ فَيُعْقِبَا

٣٣— ثَنَائِى عَلَيْكُمْ بِالمَغِيبِ وَإِنَّنِى ... أَرَانِى إِذَا صَارَ الوَلَاءُ تَحَزُّبَا

٣٤— أَكُونُ امْرَءًا مِنْكُمْ عَلَى مَا يَنُوبُكُمْ ... وَلَنْ يَرَنِى أَعْدَاؤُكُمْ قَرْنَ أَعْضَبَا

٣٥— أَرَانِى وَعَمْرًوا بَيْنَنَا دَقُّ مَنْشِمٍ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أُجَنَّ وَيَـكْلَبَا

٣٦— كِلَانَا يُرَائِى أَنَّهُ غَيْرُ ظَـــالِمٍ ... فَأَعْزَبْتُ حِلْمِى أَوْ هُوَ اليَوْمَ أَعْزَبَا

٣٧— وَمَنْ يُطِـعِ الوَاشِينَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ ... صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الحَبِيبَ المُقَرَّبَا

٣٨— وَكُنْتُ إِذَا مَا القِرْنُ دَامَ ظُلَامَتِى ... غَلِقْتُ فَلَمْ أَغْفِرْ لِخَصْمِى فَيَدْرَبَا

٣٩— كَمَا التَمَسَ الرُّومِيُّ مِنْشَبَ قُفْلِهِ ... إِذَا اجْتَسَّهُ مِفْتَاحُهُ أَخْطَأَ الشَّبَا

٤٠— فَمَا ظَنُّكُمْ بِاللَّيْثِ يَحْمِى عَرِينَهُ ... نَفَى الأُسْدَ عَنْ أَوْطَانِهِ فَتُهُيِّبَا

٤١— يُـكِنُّ حِدَادًا مُوجَدَاتٍ إِذَا مَشَى ... وَيُخْرِجُهَا يَوْمًا إِذَا مَا تَحَرَّبَا

٤٢— لَهُ السَّوْرَةُ الأُولَى عَلَى القِرْنِ إِذْ غَدَا ... وَلَا يَسْتَطِيعُ القِرْنُ مِنْهُ تَغَيُّبَا

٤٣— عَلَوْتُكُمُ وَالشَّيْبُ لَمْ يَعْلُ مَفْرِقِى ... وَهَادَيْتُمُونِى الشِّعْرَ كَهْلاً مُجَرَّبَا

(٣٠ — ٣٥) آن أؤنبا أى حق لا أؤنب وأعنف باللوم . ملحب قاطع . خفاجة حى من بنى عامر والخفاجى نسبة له . أعقبه جازاه بخير . الولاء المحبة والنصرة والقرابة . الأعضب المكسور القرن. منشم عطر شاق الدق . وقالوا هو قرون السنبل ، سم قاتل لساعته. وقالوا إنه إسم امرأة عطارة من همدان ، كانوا إذا تطيبوا من عطرها نشب بينهم القتال ، فتشاءموا بها . الكلب داء يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس ، ويصاب من تعضه بمثل ذلك الداء .

(٣٨ — ٤٦) أعزب حلمه غيبه وطرحه بعيداً بعد أن نفد صبره . القرن والقرين الصاحب والملازم . غلق الرهن (كطرب) استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفكه الراهن فى الوقت المشروط . ومنها غلق الرجل فى حدته إذا لازمته الحدة واشتدت به فلم يهدأ . فيدرب أى يتعود منى ذلك وأصبح هينا عنده ، لأنه قد تعود منى الصبر على الأذى دائما .

(٣٩ — ٤٠) منشب القفل غير موجود فى المعاجم ولكن الظاهر أن المقصود به أسنان القفل ، لأنها تنشب أى تعلق ، والفعل نشب (كفرح). اجتسه جسه ولمسه . الشبا جمع شباة ، وشباة كل شىء حده ، أى أنه يكون كهذا القفل المغلق الذى لايدرى صاحبه كيف يفتحه، كلما أدار فيه المفتاح زلق عن الأسنان ولم يصبها ، وجعله روميا لأن العرب لاتستعمل الأقفال .

(٤١ — ٤٣) يكن يخفى . حدادا مخالبا حادة . موجدات أصلها مؤجدات من أجده أى قواه ، وناقة أجد (بضمتين) قوية وثيقة . تحرب غضب . المفرق وسط الرأس .

موضوع هذه القصيدة متصل بموضوع القصيده السابقة ، فهو يوجهها لأبناء عمومته سعد بن قيس ، ويخص منهم بالهجاء عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، وهو ابن أخى عمرو بن المنذر بن عبدان الذى قيلت فيه القصيدة السابقة . ويبدوأن الهجاء قد لج بين الشاعروبين بنى عبدان، بعينهم على ذلك رهطهم من بنى سعد بن قيس ، حتى أغرى عمير بن عبد الله شاعرا اسمه جهنام بالأعشى يهاجيه ويجيبه على شعره .

وللأعشى فى جهنام قصيدة أخرى هى القصيدة (٧٣) . والظاهر أن جهنام هذا ابن أمة من إماء بنى عبدان ، فالأعشى يصفه فى البيت (٤٣) من هذه القصيدة بأنه هجين ، والهجين هو الذى ولد من أمة . ونجد إشارة أصرح إلى ذلك فى القصيدة (٣٨) فى البيت (٥) منها حيث يصفه بأنه عبد . وتبدو تلك الحقيقة بشكل وأضح فى القصيدة (٧٣) فى البيتين (٢) ، (٨) حيث يصفه بأنه ابن عاهرة و بأنه مختلط النسب ، ويقول إن أمه أحق بهجائه ، لما جنت عليه من الفضيحة .

يقول الأعشى :

١ — أَقْرِ (تيا) منى السلام ، وأبلغها تحية مشتاق ، قبل أن تُبْرِم ما عزمت عليه من قطيعتى .

٢ — أَقْرِها السلام على قولها يوم التقينا ـ ومن يطع الوشاة يقطع أصدقائه ويقطعوه ـ :

٣ — أحقٌ ما تزعم من أن عاما كاملا كنا نلتقى خلال لياليه لم يكفك ولم يشف نفسك ؟

٤ — لقد كنت أجيبكَ إلى كل ما تطلب منى ، ولكنكَ أكثرتَ وأثقلت ، وليس وراء الإلحاح إلا الردو الحرمان .

٥ — لن تنال منى غير الذى نلت ، فبحسبك ذلك ، وسواء عندى رضيت بذلك فصبرت ، أم ضقت به فثرت وتذمرت .

ويجيب الأعشى على ذلك ، فى هدوء الجَلْد الذى لا تذهب نفسه وراء غانية ، مهما يبلغ حبه لها :

٦ — لك ما تشائين ، فانى قادر على أن أجد الطريق إلى حاجتى بما بقى لى من الرأى المجتمع والعزم القوى .

٧ — وبرَحْلٍ (عِلاَفِىٍّ) ، فوقه بساط ووسادة ، وتحته ناقة ضخمة تُرْقِلُ وقت الهاجرة واحتدام الحر مسرعة .

٨ — كأن ذَنَبها وقد حفه الشعر الطويل من ناحيتيه طلع الكافور تدلى من وعائه غير مُكَمَّم .

٩ — شديدة لا يضنيها السير فيضمر بطنها ويسترخى حزامه ، كأنها فى نشاطها حمار وحش فى أرض مخصبة كساها النبات ، فهو غليظ ضخم ، لا يزال طريدة الصياد .

ويمضى الشاعر ـ على عادة الجاهليين ـ فى وصف الحمار ، يتتبعه إلى قلب الصحراء ، ناسياً ناقته ، ويجول معه متنقلا ، حتى يرضى حاجته من الوصف ، ويتم سياحته الطويلة مع هذا الحمار فى الصحراء ، فإذا فعل ذلك عاد إلى ناقته بعد أربعة عشر بيتاً ليقول إنها تشبه هذا الحمار فى نشاطه وفى تخطيه العقبات ، فهى مثله بنت الصحراء .

يقول الأعشى فى وصف هذا الحمار الوحشى :

١٠ — رعى النبات الكثيف حيث يجتمع الماء فى الوديان ، ثم رعى النبات المتخلف عن مطر الربيع ،

وقَالَ يهجو عُمَيْرَ بنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُنْذِرِ بن عَبْدَانَ حِينَ جَمَع بَيْنَهُ وبين جَهنَّامٍ لِيُهَاجِيَه :

(طويل)

١ — أَلَا قُلْ لِتَيَّا قَبْلَ مِرَّتِهَا ٱسْلَمِي ... تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ إِلَيْهَا مُتَيَّمِ

٢ — عَلَى قِيلِهَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا وَمَنْ يَكُنْ ... عَلَى مَنْطِقِ الوَاشِينَ يَصْرِمْ وَيُصْرَمِ

٣ — أَجِدَّكَ لَمْ تَأْخُذْ لَيَالِيَ نَلْتَقِي ... شِفَاءَكَ مِنْ حَوْلٍ جَدِيدٍ مُجَرَّمِ

٤ — تُسَرُّ وَتُعْطَى كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتَهُ ... وَمَنْ يُكْثِرِ التَّسْآلَ لَابُدَّ يُحْرَمِ

٥ — فَمَا لَكَ عِنْدِي نَائِلٌ غَيْرُ مَا مَضَى ... رَضِيتَ بِهِ فَاصْبِرْ لِذَلِكَ أَوْ ذَمِ

٦ — فَلَا بَأْسَ إِنِّي قَدْ أُجَوِّزُ حَاجَتِي ... بِمُسْتَحْصِدٍ بَاقٍ مِنَ الرَّأْيِ مُبْرَمِ

٧ — وَكُورٍ عِلَافِيٍّ وَقِطْعٍ وَنُمْرُقٍ ... وَوَجْنَاءَ مِرْقَالِ الهَوَاجِرِ عَيْهَمِ

٨ — كَأَنَّ عَلَى أَنْسَائِهَا عِذْقَ خَصْبَةٍ ... تَدَلَّى مِنَ الكَافُورِ غَيْرَ مُكَمَّمِ

٩ — عَرَنْدَسَةٍ لَا يَنْقُضُ السَّيْرُ غَرْضَهَا ... كَأَحْقَبَ بِالوَفْرَاءِ جَأْبٍ مُكَدَّمِ

١٠ — رَعَى الرَّوْضَ وَالْوَسْمِيَّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يَرَى بِيَبِيسِ الدَّوِّ إِمْرَارَ عَلْقَمِ

١١ — تَلَا سَقْبَةً قَوْدَاءَ مَشْكُوكَةَ ٱلْقَرَى ... مَتَى مَا تُخَالِفْهُ عَنِ القَصْدِ يَعْذِمِ

١٢ — إِذَا مَا دَنَا مِنْهَا ٱلْتَقَتْهُ بِحَافِرٍ ... كَأَنَّ لَهُ فِي الصَّدْرِ تَأْثِيرَ مِحْجَمِ

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . المرة طاقة الحبل والقوة والشدة ، أى قبل إحكام أمرها وتوكيده : صرم قطع . أجدك أى أجد منك هذا . تجرم العام تصرم وانقضى ، وحول مجرم أى كامل تام .

(٤ — ٦) النائل ما نلت من معروف إنسان . ذم تخفيف اذأم ، وهو الأمر من ذأمه (كمنعه) أى حقره وطرده وأخزاه ، والاذآم الرعب ، وما سمعت له ذأمة أى كلمة . جوز الأمر أمضاه ونفذه . مستحصد ومبرم بمعنى واحد أى مفتول فتلا قوياً محكما .

٧ — الكور الرحل الذى يوضع فوق الناقة . العلافى الرحل العظيم ، منسوب إلى رجل من قضاعة اسمه عِلاف . القطع بساط يجعله الراكب تحته ويغطى كتفى البعير . النمرقة وسادة صغيرة توضع فوق الرحل . وجناء ناقة غليظة . مرقال مفعال من أرقل ، والارقال ضرب من عدو الابل . الهواجر جمع هاجرة وهى احتدام الحر . عيهم ضخمة سريعة .

٨ — الانساء جمع نسأ (بفتح النون) وهو عرق يجرى من الورك إلى الحافر فى بطن الفخذين . العذق قنو النخلة أى العنقود الذى يحمل البلح . الخصبة النخلة او الطلع . الكافور نبت طيب نوره كنور الاقحوان . الكم وعاء الطلع ، مكم أى مغطى مستور . يشبه ذنب الناقة .

٩ — عرندسة شديدة . الغرض حزام الرحل . لا ينقضه السير ، اى لا يهزلها السير . الأحقب حمار الوحش . جأب غليظ . الوفراء الأرض التى لم ينقص من نبتها شىء . مكدم من كدمه اى عضه ، وكدم الصيد طرده . يشبه ناقته بحمار وحش هذه صفته .

(١٠ — ١٢) الروض جمع روضة وهو المكان المعشب الذى يستنقع فيه الماء . الوسمى أول مطر الخريف . الدو الصحراء . اليبيس العشب اليابس . العلقم الحنظل وهو شديد المرارة . السقبة الجحشة . الأقود الذليل المنقاد والمؤنث منه قوداء . مشكوكة نحيلة . شك البعير لزق عضده بالجنب . القرى (بفتح القاف) الظهر . عذم عض . المحجم آلة صغيرة مخروطية الشكل توضع على =

حتى اكتنز جسمه وتضخم ، وحتى كأن لنبات الصحراء اليابس فى فمه طعمَ العلقم ، لطول ما ألف هذا العيش الناعم .

١١— استهوته جحشة وديعة ضامرة قد لصق عضدها بجنبها ، فتبعها ، كلما خالفت عن أمره أهوى عليها عضا .

١٢— وهى لخوفها منه ، لا يدنو منها إلا التقته بأرجلها رفساً ، فيترك حافرها فى صدره كدما كأنه أثر محجم .

١٣— إذا برزت إليه فى الفضاء انبرى لها بعدو سريع متلاحق كأنه إلهاب الحريق المضرم .

١٤— فأن استرسلا على ضرب جديد من العدو ، ترتفع فيه اليدان معا وتنزلان معاً ، غالها بنشاط مُفْتَنٍّ فى جريه سريع ، خبير بأساليب العدو وضروبه .

١٥— ولم يزالا يتباريان ألوانا ويعدوان ضروبا ، حتى ارتفعت الشمس والتهب الحصى ، فتذكر أدنى مورد يستطيع الوارد أن يقصده .

١٦— ودفعها أمامه إلى عين غزيرة من الماء عند ساحل الوادى ، من حولها أوكار يكمن فيها الصائد ، كأنها نبت النخل الصغير كُمِّمَ بغطاء حتى يقوى ويشتد .

١٧— بناها صائد من (ذَلَّان) ، وأعدها لقتل الوحوش ، خبير بصيدها واقتناصها .

١٨— فلما أتى الحمار عين الماء ونظر ما حولها ، عرف أنه لن يشرب إلا بعد حرمان طويل .

١٩— وفرح الصياد حين رأى الحمار والجحشة ، وقد كمن فى وكره كأنه الذئب ، فقال : ما أطيب الصيد !

٢٠— وهيأ سهماً محدداً ، يسوقه وَتَرٌ قوى ، فيمضى مصوِّتاً مترنما .

٢١— وقذف به فمر تحت صدر الحمار ، فانثنى على جنبه ، ومضى فى غير إبطاء .

٢٢— وظل يجرى والجحشة تجرى معه ، يثور من تحتهما التراب فيحتويهما ، وقد انتشر فى الفضاء أغبر قاتما .

٢٣— وحمى جوفه من شدة عدوه جرياً بعد جرى ، فكأنه قُمْقُمٌ يغلى .

ويترك الشاعر الحمار ليتابع نشاطه فى الصحراء ، ويعود إلى ناقته قائلا :

١٣— إِذَا جَاهَرَتْهُ بِالفَضَاءِ انْبَرَى لَهَا ... بِشَدٍّ كَأُلْهَابِ الحَرِيقِ المُضَرَّمِ

١٤— وَإِنْ كَانَ تَقْرِيبٌ مِنَ الشَّدِّ غَالَهَا ... بِمَيْعَةِ فَنَّانِ الأَجَارِيِّ مُجْذِمِ

١٥— فَلَمَّا عَلَتْهُ الشَّمْسُ وَاسْتَوْقَدَ الحَصَى ... تَذَكَّرَ أَدْنَى الشِّرْبِ لِلْمُتَيَمِّمِ

١٦— فَأَوْرَدَهَا عَيْنًا مِنَ السِّيفِ رِيَّةً ... بِهَا بُرَءٌ مِثْلُ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ

١٧— بَنَاهُنَّ مِنْ ذَلَّانَ رَامٍ أَعَدَّهَا ... لِقَتْلِ الهَوَادِى دَاجِنٌ بِالتَّوَقُّمِ

١٨— فَلَمَّا عَفَاهَا ظَنَّ أَنْ لَيْسَ شَارِبًا ... مِنَ المَاءِ إِلَّا بَعْدَ طُولِ تَحَرُّمِ

١٩— وَصَادَفَ مِثْلَ الذِّئْبِ فِى جَوْفِ قُتْرَةٍ ... فَلَمَّا رَآهَا قَالَ يَا خَيْرَ مَطْعَمِ

٢٠— وَيَسَّرَ سَهْمًا ذَا غِرَارٍ يَسُوقُهُ ... أَمِينُ القُوَى فِى صُلْبَةِ المُتَرَنِّمِ

٢١— فَمَرَّ نَضِىُّ السَّهْمِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَجَالَ عَلَى وَحْشِيِّهِ لَمْ يُثَمْثِمِ

٢٢— وَجَالَ وَجَالَتْ يَنْجَلِى التُّرْبُ عَنْهُمَا ... لَهُ رَهَجٌ فِى سَاطِعِ اللَّوْنِ أَقْتَمِ

٢٣— كَأَنَّ احْتِدَامَ الجَوْفِ فِى حَمْىِ شَدِّهِ ... وَمَا بَعْدَهُ مِنْ شَدِّهِ غَلْىُ قُمْقُمِ

٢٤— فَذَلِكَ بَعْدَ الجَهْدِ شَبَّهْتُ نَاقَتِى ... إِذَا مَا وَنَى حَدُّ المَطِىِّ المُخَرَّمِ

= الجلد بعد أن يشرط بموسى ويجذب النفس من طرفها الآخر الدقيق فيخرج الدم الفاسد أو المطلوب استخراجه للتخفف من الضغط . وهى تترك على الجلد أثرا مستديرا ، يشبه به الشاعر أثر الحافر فى صدر الحمار حين ترفسه الأتان .

(١٤ — ١٥) جاهرته برزت له . الشد العدو . التقريب ضرب من العدو ، وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً . الميعة الدفعة من كل شىء وميعة الشباب والنهار أوله وأنشطه . فنان له فنون فى العدو . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة وتشديد الياء) وهو الوجه الذى تأخذ فيه وتجرى عليه . مجذم سريع ، أجذم السير أسرع فيه . الشرب (بكسر الشين) الماء والمورد ووقت الشرب . تيمم الشىء قصد إليه .

(١٥ — ١٨) السيف ساحل البحر وساحل الوادى . رية غزيرة . برء جمع برءة (بضم فسكون) وهى بيت الصائد . الفسيل جمع فسيلة وهى النخلة الصغيرة . المكمم الذى غطى حتى يشتد . رام صائد يرمى بالنبل . الهوادى جمع هادى وهو المتقدم ، وهو من الابل أول رعيل يطلع منها . داجن متعود ، دجن بالصيد تعوده وخبره . التوقم التهدد والتعمد وقتل الصيد . عفاها أتاها ، يقصد عين الماء .

(١٩ — ٢١) مثل الذئب ذلك هو الصياد . القترة ناموس الصائد ، وقد أقتر فيها أى دخل واختبأ . يسر سهما هيأه لها . ذا غرار أى حد . أمين القوى ذلك هو الوتر . المترنم لأن له صوتا ورنيناً . نضى فعيل من نضى أى خلع ونزع . لبانه صدره . الوحشى الجانب الأيمن ، وقيل الأيسر . لم يثمثم ، الثمثمة الاحتباس .

(٢٢ — ٢٤) الرهج الغبار . سطع علا وانتشر فهو ساطع . أقتم مظلم لكثافته . احتدام النهار والحر اشتداده . الجوف البطن . شده عدوه . الحمى مصدر حمى ، وحميت الشمس والنهار اشتد حرها . القمقم آنية من نحاس يسخن فيها الماء . ونى فتر . حدها نشاطها . المطى جمع مطية . المخرم الذى وضعت فى أنفه الخرامة (بكسر الخاء) وهى برة توضع فى أنف البعير ويشد فيها الزمام . لتؤلمه إذا جذب منها فينقاد ولا يستعصى على راكبه

٢٤ــ إن ناقتى لا يذهب بنشاطها السير ، ولا يفنى عزمها الجهد ، فهى تشبه هـذا الحمـار ، بعد أن تتكاف ما تتكاف من الأسفار، حين يَفْتُرُ نشاط المطى التى خُرِمَتْ أنوفها وشُدَّ إليها الزمام.

وينصرف الشاعر عن كل ذلك إلى خصمه ، فيقول مخاطباً نفسه :

٢٥ ــ دع عنك كل ذلك . ولـكن ماذا ترى فى هذا العدو الحقود ، الذى يرى من جهله أن بينى و بينه حسابا شاقا عسيراً ، مشقة دق عطر (المَنْشِم) .

٢٦ــ أرانى بريئاً من (عمير) ورهطه . ثم يقول موجهاً خطابه إليه : إن الحقد لن ينال من أحد كما ينال منك . فأذا لم تبرأ نفسُك من الشر فلتمت غماً وكمداً .

٢٧ــ إذا مارآنى (عمير) مقبلا أخفى سهامه ، فأذا أدبرت رمانى من وراء ظهرى .

٢٨ــ ولا ذنب لى فى ذلك إلا أن عداوة قد ثارت فى نفسك واستخفتك . فافعل مابدالك ، واجهد جهدك .

٢٩ــ فأنى أعرف كيف أداوى كل غَوِىٍّ إذا حدثته نفسه بى ، إنى أضرب فوق أنفه بمكواةلايزول أثرها.

٣٠ــ وإنى أقسم برب الإبل تهوى إلى نجد تجتاز جبالا من بعد جبال .

٣١ــ ضامرة غائرة الأعين ، قد أضَرَّبها السفر ونال منها الـكلال ، حتى إن خفَّ رجلها ليقع مكان خف يدها وقد شُدَّت أرساغها بالسيور والنعال .

٣٢ــلئن خرقت الأرض فكنت فى جُبٍّ ثمانين قامة ، أو طرت فى الفضاء فرقيت أسباب السماء .

٣٣ــ ليبلغنك قولى وليتركنك تدرج على الأرض حتى تكره الـكلام ، وتعلم أنى غير عاجز عن الانتقام .

٣٤ــ وحتى تشرق بما أذعت من قول ، كما يشرق مقدم الرمح بالدم .

٣٥ــ فما أنت بشىء حتى تتيه على فخراً ، لست من قريش أصحـاب « الحُجُون » و « الصفا » و « زمزم » .

٣٦ــ وما جعل الرحمن بيتك عالياً هناك ، فى « أجياد » غربى « الصفا » و « المحُرَّم » .

٣٧ــ ففيم إذن تتهددنى مناخراً ، وقد جعل الله بيتى فى الرهط الـكثير العرمرم ؟

ويتحدث الشاعر عن آل الحُرْقَتَيْن (وهما سعدوتيم ابنا قيس بن ثعلبة ، وكانا حليفين) قائلا :

٣٨ــ إنى لأعجب لأمرهم ، فهم يفاخروننى كأننى لست واحداً منهم ،وكأننى غريبمن « إياد » أو « تُرْخُم » .

٢٥— فَدَعْ ذَا وَلَكِنْ مَا تَرَى رأْىَ كَاشِحٍ ... يَرَى بَيْنَنَا مِنْ جَهْلِهِ دَقَّ مَنْشِمِ

٢٦— أَرَانِى بَرِيئًا مِنْ عُمَيْرٍ وَرَهْطِهِ ... إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَأْ مِنَ الشَّرِّ فَاسْقَمِ

٢٧— إِذَا مَارَآنِى مُقْبِلًا شَامَ نَبْلَهُ ... وَيَرْمِى إِذَا أَدْبَرْتُ ظَهْرِى بِأَسْهُمِ

٢٨— عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ غَيْرَ أَنَّ عَدَاوَةً ... طَمَتْ بِكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقَدَّمِ

٢٩— وَكُنْتُ إِذَا نَفْسُ الغَوِىِّ نَوَتْ بِهِ ... صَقَعْتُ عَلَى العِرْنِينِ مِنْهُ بِمِيسَمِ

٣٠— حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى ... إِذَا مَخْرِمٌ جَاوَزْنَهُ بَعْدَ مَخْرِمِ

٣١— ضَوَامِرَ خُوصًا قَدْ أَضَرَّ بِهَا السُّرَى ... وَطَابَقْنَ مَشْيًا فِى السَّرِيحِ الْمُخَدَّمِ

٣٢— لَئِنْ كُنْتَ فِى جُبٍّ ثَمَانِينَ قَامَةً ... وَرُقِّيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

٣٣— لَيَسْتَدْرِجَنْكَ القَوْلُ حَتَّى تَهِرَّهُ ... وَتَعْلَمَ أَنِّى عَنْكَ لَسْتُ بِمُلْجَمِ

٣٤— وَتَشْرَقَ بِالْقَوْلِ الَّذِى قَدْ أَذَعْتَهُ ... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

٣٥— فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الحُجُونِ وَلَا الصَّفَا ... وَلَا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمِ

٣٦— وَمَا جَعَلَ الرَّحْمٰنُ بَيْتَكَ فِى العُلَى ... بِأَجْيَادِ غَرْبِىِّ الصَّفَا وَالْمُحَرَّمِ

٣٧— فلا تُوعِدَنِّى بِالفَخَارِ فَإِنَّنِى ... بَنَى اللهُ بَيْتِى فِى الدَّخِيسِ الْعَرَمْرَمِ

٣٨— عَجِبْتُ لِآلِ الحُرُقَتَيْنِ كَأَنَّمَا ... رَأَوْنِى نَفِيًّا مِنْ إِيَادٍ وَتُرْخُمِ

(٢٥ — ٢٨) كاشح مبغض ، والكشح الجنب وهو مكاشح لأنه معرض لا يقبل بوجهه ولكنه يشيح بجنبه . دق منشم شرحت فى القصيدة السابقة (١٥) فى البيت (٣٥) . شام نبله أى أغمدها . وهو من الأضداد تقول شام سيفه يشيمه استله أو أغمده . طما ارتفع ، وطمت به العداوة استخفته وأثارته .

(٢٩ — ٣١) صقعه (مثل منعه) ضربه على رأسه . العرنين قصبة الأنف . الميسم المكواة . الراقصات الابل . المخرم منقطع أنف الجبل ، خوص جمع أخوص أى غائرات الأعين . المطابقة أن تقع خف الرجل مكان خف اليد وذلك من الحفا والكلال . السريح السيور التى يخاطِ بها النعل إلى الخف، والخدمة (بثلاث فتحات) سير يربط حول الرسغ ويشد النعل إليه بالسيور ليقى خف الناقة .

(٣٢ — ٣٤) الجب البئر . السبب الحبل ، وأسباب السماء مراقيها وقيل طرقها ونواحيها . استدرجه خدعه وأدناه ، أو أتلنه حتى تركه يدرج على الأرض . تهره تكرهه . تشرق تغص . صدر القناة أعلاها .

(٣٥ — ٣٨) الحجون جبل بمعلاة مكة على فرسخ وثلث منها وفيه مقابرهم . الصفا جبل بمكة من مشاعرها . المحرم حرم مكة . أجياد أرض بمكة أو جبل . الدخيس الأصل . العرمرم العدد الكثير . الحرقتان سعد وتيم ابنا ضبيعة ، وهم أبناء عم قبيلته . نفى فعيل من نفاه ينفيه أى نحاه ودفعه وأزاله . إياد وترخم قبائل يمنية .

٣٩— ينفوننى عن المجد والحسب يوم يتفاخرون بالكرم ، ويتمدحون بعظائم الأمور .

٤١— أقبل الناس للشر هائجين ، وتجمعوا أخلاطاً بين فصيح وأعجم ثائرين .

٤٢— وتجاوب صياحهم وهتافهم ، تضطرب فى أيديهم السياط والرماح ، يشيرون إلى راية قد نصبت عند مخمل كبير .

٤٣— فاستعنت بشيطانى « مِسْحَل » ، واستعانوا بشاعرهم « جَهَنَّام » . ألا تَبًّا لابن الأَمَة الذميم !

٤٠— وقام ابن الأمة ساعة يحمل اللواء . وما ظنك بهجين لئيم ، ضاع نسبه بين « سِلهِمٍ » و « حام » ؟

٤٤— إنى أقسم براهب « اللُّج » وبعمله الصالح ، وأقسم بالكعبة التى بناها قصى وابن جرهم .

٤٥— لئن جد بيننا الجد واستحكم العداء ، لترحان هاربا على ظهر القنفد الشائك .

٤٦— ولئن تَمَرَّسْتَ بى وبلوت مبلغ جهدى ، لتركبن بى مركباً صعبا ، فوق جمل عجوز أعجف ، ليس كمثله شىء

٤٧— ومالى أن لا أغلبك وأذيقك الهوان ، وحسبى عريق ولسانى ماض حديد .

٤٨— لم نزل نتبادل فاحش القول وقارصه ، ولم يزل أقوام يفسدون بيننا ، يسعون للهلاك والإثم .

٤٩— ولم يزل أمرنا يمضى على هذا النحو من التهور والسفه ، حتى التقينا غداة يوم ، يحامى كل منا عن قومه ويحمى بهم .

٥٠— ويئس العقلاء الذين يرجون الإصلاح فخلّوا بيننا ، نتقاذف أشد نيران العداوة التهابا .

٥١— وعند ذاك أمدنى أخى من الجن ـ نفسى فداؤه ـ ببحر فياض ، يجيش سيله متدفقا بالعشيات .

٣٩— وَغَرَّ بَنِي سَعْدُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ العُلَى	وَأَحْسَابِهِمْ يَوْمَ النَّدَى وَالتَّكَرُّمِ
٤٠— مَقَامَ هَجِـــينٍ سَاعَةً بِلِوَائِهِ	فَقُلْ فِي هَجِينٍ بَيْنَ حَامٍ وَسَلْهَمِ
٤١— فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّـاسَ لِلشَّرِّ أَقْبَلُوا	وَثَابُوا إِلَيْنَا مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
٤٢— وَصِيحَ عَلَيْنَا بِالسِّيَاطِ وَبِالْقَنَا	إِلَى غَايَةٍ مَرْفُوعَةٍ عِنْدَ مَوْسِمِ
٤٣— دَعَوْتُ خَلِيلِي مِسْحَلاً وَدَعَوْا لَهُ	جِهِنَّامَ جَدْعًا لِلْهَجِينِ ٱلْمُذَمَّمِ
٤٤— فَأَنِّي وَثَوْبَيْ رَاهِبِ اللُّجِّ وَالَّتِي	بَنَاهَا قُصَيٌّ وَٱلْمُضَاضُ بْنُ جُرْهُمِ
٤٥— لَئِنْ جَدَّ أَسْبَابُ العَدَاوَةِ بَيْنَنَا	لَتَرْتَحِلَنْ مِنِّي عَلَى ظَهْرِ شَيْهَمِ
٤٦— وَتَرْكَبَ مِنِّي إِنْ بَلَوْتَ نَكِيثَتِي	عَلَى نَشَزٍ قَدْ شَابَ لَيْسَ بِتَوْءَمِ
٤٧— فَمَـــا حَسَبِي إِنْ قِسْتَهُ بِمُقَصِّرٍ	وَلَا أَنَا إِنْ جَدَّ الهِجَاءُ بِمُفْحَمِ
٤٨— وَمَا زَالَ إِهْدَاءُ الهَوَاجِرِ بَيْنَنَا	وَتَرْقِيقُ أَقْوَامٍ لِحَـــيْنٍ وَمَأْثَمِ
٤٩— وَأَمْرُ ٱلسَّفِي حَتَّى ٱلْتَقَيْنَا غُدَيَّةً	كِلَانَا يُحَامِي عَنْ ذِمَارٍ وَيَحْتَمِي
٥٠— تَرَكْنَا وَخَـــلَّى ذُو الهَوَادَةِ بَيْنَنَا	بِأَثْقَبِ نِيرَانِ العَدَاوَةِ تَرْتَمِي
٥١— حَبَانِي أَخِي الجِنِّيُّ نَفْسِي فِدَاؤُهُ	بِأَفْيَحَ جَيَّاشِ ٱلْعَشِيَّاتِ خِضْرِمِ

(٣٩ — ٤١) الندى من ندا القوم يندون أى اجتمعوا . الهجين ابن الأمة ، ومن أبوه أشرف من أمه . يعرض بجهنام . بين حام وسلهم ، ينفيه عن العرب لأن العرب أولاد سام ، لأن أمه حامية من الزنوج . وسلهم لم أعثر له على معنى ، ولكن لسلهم (كجعفر) هو الضامر والناقه من المرض . وهم كذلك حي يمنى من مذحج . ثابوا رجعوا واجتمعوا .

(٤٢ — ٤٤) الغاية الراية والمدى . الموسم المجتمع . المسحل الحمار ، وهو اسم شيطان الأعشى ، وكانت العرب تزعم أن لكل شاعر شيطانا له اسم معين ، ولهم فى ذلك أقاصيص كثيرة . جدعاً أى جدعه الله والجدع القطع . الثياب يكنى بها عن العمل وعن الشخص نفسه مثل قوله تعالى (وثيابك فطهر) ، وهو المقصود بقوله وثوبى راهب اللج . واللج غدير عند دير هند ابنة النعمان ، وكانت ترهبت فيه حين غضب كسرى على أبيها النعمان . وقيل بعد قتل أبيها لزوجها فى قصة طويلة ستأتى . يقسم براهب هذا الدير وبالكعبة التى بناها قصى وجرهم . وكان أمر الكعبة إلى جرهم ثم صار إلى قصى .

(٤٥ — ٥٧) الشيهم القنفذ وجلده مكسو بالشوك ، ولذلك يصعب القبض عليه ، هذا فضلا عن ركوبه . نكيثتى جهدى وأقصى ما عندى . النشز المسن القوى ، والنشيزة الدابة التى لا يكاد يستقر السرج والراكب على ظهرها . التوءم المولود مع غيره فى بطن . ليس بتوءم أى لا نظير له فى صعوبة مركبه . أفحمه غلبه وأسكته .

(٤٨ — ٥١) الهواجر جمع هجر (بضم فسكون) وهو الكلام القبيح . رقق ما بين القوم أفسده . الحين الهلاك والمحنة . المأثم الاثم . السفى السفه ، الذمار الشرف والعرض . الهوادة اللين . ثقبت النار اتقدت . بحر أفيح واسع . الخضرم الكثير الماء ، والجواد المعطاء .

٥٢ — يقول : انزل على المجد ، فقد كتب لك الفوز ، قُلِّدْتَ الخير إذ سبقت ، فأنعم بك شاعراً .

٥٣ — وولى « عمير » على عقبيه وقد أظلم وجهه . فكأنما صبغ بالزعفران ، أو غُشِّى قطعا من الليل .

ويختم الشاعر قصيدته بتسعة أبيات يفتخر فيها بقومه ، معددداً فضلهم على بنى سعد بن قيس . وهو هنا أشبه بالمؤرخ الذى يجمع الوثائق والمستندات ليؤيد وجهة نظره ، فهو أقرب إلى سرد الوقائع منه إلى التحليق وراء الخيال . يقول :

٥٤ — فى يوم « فُطَيْمة » منعنا بنى شيبان غداة « العين » من ماء « مُحَلِّم »

٥٥ — وواجهناهم بالطعن حتى تولوا هاربين يهزون صدور رماحهم .

٥٦ — وفى أيام « حَجْر » غلبناكم بتحريق نخيلكم .

٥٧ — فكأنه على أعقاب الحريق نساء قائمات فى مأتم قد لبسن الحداد .

٥٨ — ونحن الذين فككنا سيديكم ، فأطلقناهما بعد أن أسلمتموهما للعدو .

٥٩ — أنقذهما « بِشْر » من الموت ، بعد ما أصابهما النحس وأدركهما الشؤم .

٦٠ — ذلك بعض أيامنا وبلائنا ، وأمثلة من نعمنا عليكم لو أنكم تشكرون .

٦١ — فإن كنتم لا تعلمون فاسألوا « أبا مالك » ، أو « رهط أَشْيَم » ، فعندهم الخبر اليقين .

٦٢ — وكم لنا عليكم من فضل ، وكم لنا فى رقابكم من نعم ، ولكنكم لا تشكرون نعمة المنعمين .

٥٢— فَقَالَ أَلَا فَانْزِلْ عَلَى الْمَجْدِ سَابِقًا   لَكَ الْخَيْرُ قُلِّدْ إِذْ سَبَقْتَ وَأَنعِمِ

٥٣— وَوَلَّى عُمَيْرٌ وَهْوَ كَابٍ كَأَنَّمَا   يُطَلَّى بِحُصٍّ أَوْ يُغَشَّى بِعِظْلِمِ

٥٤— وَنَحْنُ غَدَاةَ الْعَيْنِ يَوْمَ فُطَيْمَةٍ   مَنَعْنَا بَنِي شَيْبَانَ شِرْبَ مُحَلِّمِ

٥٥— جَبَهْنَاهُمُ بِالطَّعْنِ حَتَّى تَوَجَّهُوا   وَهَزُّوا صُدُورَ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَوَّمِ

٥٦— وَأَيَّامَ حَجْرٍ إِذْ يُحَرِّقُ نَخْلَهُ   ثَأَرْنَاكُمُ يَوْمًا بِتَحْرِيقِ أَرْقَمِ

٥٧— كَأَنَّ نَخِيلَ الشَّطِّ غِبَّ حَرِيقِهِ   مَآتِمُ سُودٌ سَلَّبَتْ عِنْدَ مَأْتَمِ

٥٨— وَنَحْنُ فَكَكْنَا سَيِّدَيْكُمْ فَأُرْسِلَا   مِنَ الْمَوْتِ لَمَّا أَسْلَمَا شَرَّ مُسْلَمِ

٥٩— تَلَافَاهُمَا بِشْرٌ مِنَ الْمَوْتِ بَعْدَ مَا   جَرَتْ لَهُمَا طَيْرُ النُّحُوسِ بِأَشْأَمِ

٦٠— فَذَلِكَ مِنْ أَيَّامِنَا وَبَلَائِنَا   وَنُعْمَى عَلَيْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ لِأَنْعُمِ

٦١— فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَعْرِفُوا ذَاكَ فَاسْأَلُوا   أَبَا مَالِكٍ أَوْ سَائِلُوا رَهْطَ أَشْيَمِ

٦٢— وَكَائِنْ لَنَا فَضْلًا عَلَيْكُمْ وَمِنَّةً   قَدِيمًا فَمَا تَدْرُونَ مَا مَنُّ مُنْعِمِ

(٥٢ — ٥٤) قلد (على البناء المجهول) أمر من الفعل المبنى للمجهول وهوغريب لم أره ، ولكنه مثبت بهذه الصورة فى كل نسخ الديوان كاب متغير اللون . الحص الورس أو الزعفران . العظلم الليل المظلم ، وهو كذلك شجر يصبغ به الشيب . يوم العين مضى فى القصيدة (٦) فى البيت (٦٥)

(٥٥ — ٥٧) جبهه رده أوصك جبهته . السمهرى الرمح الصلب منسوب إلى سمهر زوج ردينة اللذين كانا يثقفان الرماح ، أو إلى قرية فى الحبشة . ثأرناكم غلبناكم وتركنا فيكم الثأر . أرقم لعله موضع كثير النخيل ، كما يبدو من البيت التالى . الشط شاطىء النهر والبحر وهو كذلك قرية باليمامة ولعله هو المقصود هنا . المآتم جمع مأتم وهو جماعة النساء فى الحزن . سلبت المرأة على زوجها لبست السواد .

(٥٨ — ٦٢) أسلما أسلمهما قومهما وتخلوا عنهما . تلافاهما تداركهما . أشأم من الشؤم . البلاء الاختبار يكون بالخير والشر . ومنه أبلى فى الحرب بلاء حسنا أى أظهر بأسه حتى اختبره الناس . المن الانعام والافضال

١ — ياجبير ! هل لمن وقع فى أسركم من فاد يفتديه ، أم هل لمن عزم الرحيل من زاد يستعين به على السفر الطويل ؟

٢ — أم هل لجاركم من مواس يكفكف عبرته ، وقد فاضت بها عيناه حتى بلت حمائل السيف ؟

٣ — رأيتها فى ضحى يوم من الأيام ، فأحببتها من نظرة واحدة ، ومَنْ حان حَيْنُه هداه القدر إلى مصرعه .

٤ — رأيتها وهى تتنقل بين مقدَّم الخباء وبين الفُرُش المنضدة الوثيرة فى داخله .

٥ — تجلو أسنانها بريشتى حمام ، فتبدو ناصعة كأنها البَرَد ، يسطع بياضها بين لثاتها المشربة بالسواد .

٦ — عذبة الريق حين تسألها اختلاس القبلة أو الخلوة ، فكأنما شربت آخر الليل ،

٧ — خمراً صهباء صافية ، إذا صبت بعد تقطيرها كسرت حدتها بماء السماء .

٨ — ....

٩ — ياجبير ! إن كنت لا تروين غلة عاشق مفتون بحبك ظامىء لوصلك .

١٠ — فانهى خيالك أن يزور ، فانه يتتبعنى حيثما كنت ، ويؤرقنى كلما وضعت رأسى إلى الوساد .

١١ — تمسى فتغلق بابها من دوننا ، فيَصِرُّ صرير البكرة حين تدور فوقها الحبال .

١٢ — تجدد لها وصلا فتجددفى وصلك قطيعة ، وكذلك هى ، تعرض عن وصل الزائر المتودد .

١٣ — ذلك دأب النساء . فإن شاء صاحبهن أن يفسد ودهن ، فينقلب عداءً بعد وداد ، فليكثر من التودد إليهن والتردد عليهن .

وقالَ يفتخر :

(كامل)

١ — أُجبَيْرُ هَلْ لِأَسيرِكُمْ مِنْ فَادِي ... أَمْ هَـلْ لِطَالِبِ شِقَّةٍ مِنْ زادِ

٢ — أَمْ هَلْ تُنَهْنِهُ عَبْرَةٌ عَنْ جَارِكُمْ ... جَادَ الشُّؤُونُ بِهَا تَبُلُّ نِجَادِي

٣ — مِنْ نَظْرَةٍ نَظَرَتْ ضُحًى فَرَأَيْتُهَا ... وَلِمَنْ يَحِينُ عَلَى المَنِيَّةِ هَـادِي

٤ — بَيْنَ الرِّوَاقِ وَجَانِبٍ مِنْ سِتْرِهَا ... مِنْهَا وَبَيْنَ أَرَائِكِ ٱلْأَنْضَـادِ

٥ — تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَـامَةِ أَيْكَةٍ ... بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِسَوَادِ

٦ — عَزْبَاءَ إِذْ سُئِلَ ٱلخِـلَاسُ كَأَنَّمَا ... شَرِبَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ كُلِّ رُقَادِ

٧ — صَهْبَاءَ صَافِيَةً إِذَا مَا ٱسْتُودِفَتْ ... شُجَّتْ غَوَارِبُهَا بِمَاءِ غَوَادِي

٨ — .... عرق فصاد

٩ — إِنْ كُنْتِ لَا تَشْفِينَ غُلَّةَ عَاشِقٍ ... صَبٍّ يُحِبُّكِ يَا جُبَيْرَةُ صَادِي

١٠— فَٱنْهَيْ خَيَالَكِ أَنْ يَزُورَ فَإِنَّهُ ... فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وِسَادِي

١١— تُمْسِي فَيَصْرِفُ بَابُهَا مِنْ دُونِنَا ... غَلَقًا صَرِيفَ مَحَـالَةِ ٱلْأَمْسَادِ

١٢— أَحَذِتْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إِنَّهَا ... كُنُدٌ لِوَصْلِ الزَّائِرِ ٱلْمُعْتَادِ

١٣— وَأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ ... وَيَكُنَّ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ

١٤— وَلَقَدْ أَنَالُ ٱلوَصْلَ فِي مُتَمَنِّعٍ ... صَعْبٍ بَنَاهُ ٱلْأَوَّلُونَ مَصَـادِ

(١ — ٣) الشقة البعد والسفر البعيد . نهنه كف . الشئون مجارى الدمع إلى العين . نجاد السيف حمائله التى يعلق منها . يحين يهلك .

(٤ — ٦) الرواق مقدم البيت ، أو هو ستر يمد دون السقف . الاريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت . الانضاد جمع نضد (بفتحتين) وهو ما نضد من المتاع . القادمتان الريشتان الطويلتان فى أول الجناح . الأيكة ما التف من الشجر . أسف المسحوق على الشىء ذره عليه كأنه جعله سفوفا له . يصف أسنانها بالبياض ولثاتها بالسواد فذلك أظهر لبياض أسنانها . عزباء غير مناسبة للمعنى هنا والراجح أنها عذباء بالذال . وليس فى المعاجم فعلاء من مادة (عذب) ولكن فى الأساس نساء عذاب الثنايا ، وفلان مفتون بالأعذبين وهما الخمر والرضاب . الخلاس المخالسة ، والخلسة الفرصة . شربت عليه على ريقها. بعد كل رقاد ، أى أن النوم لا يغير من عذوبته وطيب رائحته .

(٧ — ٩) استودفت قطرت وروقت . شج الخمر صب عليها الماء . غوارب جمع غارب ، وغوارب الماء أعالى موجه ، وغرب كل شىء حده وحدته . غوادى جمع غادية وهى السحابة . الغلة حرارة الظمأ . صاد عطشان .

(١٠ — ١٢) المنزل والمنزلة مكان الإقامة. الصريف صوت الباب والأسنان والبكرة حين تدور . المحالة البكرة . الأمساد الحبال، جمع مسد (بفتحتين) ، يشبه صوت الباب حين تغلقه من خلفها فى المساء بصوت الحبال حين تدور حول البكرة على البئر.

(١٣ — ١٤) صرم الحبل قطعه . يصرمنه يقطعن وده . متمنع حصين منيع . المصاد المعقل والحصن .

١٥ــ أى سفه يدفعك إلى تذكر ودها وأنت مقيم هاهنا فى « صُوَّة الأثماد »

١٦ــ وفى « شبَاك باعجة » و « جنبى جائر » ،على حين أنها نازحة بعيدة فى «ديار إياد»!

١٤ــ إن أكن قد حُرِمتها ، فلقد أنال الوصل فى المعقل الصعب المنيع القديم البناء .

١٧ــ يذود عنه حراس شداد قد وقفوا على رأسه بالقسى والسهام .

١٨ــ ويرفرف فوق شرفاته العالية الحمام .

١٩ــ ولقد أُرَجِّل شعرى بالعشِىّ مبادراً إلى الشراب ، أسبق إليه خيل الطالبين من الشاربين .

٢٠ــ وإلى الغوانى البيض العوانس ، قد طالت عزوبتهن فيما هن فيه من نعمة بين العبيد وقطعان الإبل.

٢١ــ ولقد أختلس منهن ماأشاء فيما مضى من عصر الشباب ، فيملن على بأجيادهن مستسلمات .

٢٢ــ ولقد أغدو للمرعى البعيد قد استحلس نباته وتراكب متكاثفاً ،آخذاً بعنان فرس جواد .

٢٣ــ كل ذلك قد مضى ياآبنة مالك وفات ، (والدهر يُعْقِبُ صالحاً بفساد) .

* * *

٢٤ــ ولكن لا يزال لى ما أفخر به من المجد الباقى فى قومى أبناء « قيس بن ثعلبة » ، الشم الأنوف البيض الوجوه ، الذين يحشدون على طَلِبَتِهِم الجهد والمال .

٢٥ــ والواطئين على صدور نعالهم تيها وكبرياء ، حين يمشون فى نفيس الثياب من «الدَّفَنِىّ» و«الأَبْراد» .

٢٦ــ والشاربين فى أزمان القحط ، إذا عَزَّت الإبل وغالى صاحبها فى أثمانها، خالصَ الخمر ، بما يملكون من طارف وتليد .

٢٧ــ والضامنين فى الحروب ـ بما لقومهم من قوة وعتاد ـ حسن الأحدوثة وطيب الذكر .

٢٨ــ كم فيهم يوم القتال من فارس حاذق اليدين ، يصيح صيحة الفرح والنصر ، حين يصيب بضربته فيقتل .

٢٩ــ وإذا راحت الإبل عند الغروب ، تعدو فى الليلة الباردة عدو النعام .

١٥— أَنَّى تَذَكَّرُ وُدَّهَا وَصَفَاءَهَا ... سَفَهًا وَأَنْتَ بِصُوَّةِ ٱلْأَثْمَادِ

١٦— فَشِبَاكِ بَاعِجَةٍ فَجَنْبَيْ جَاثِرٍ ... وَتَحُلُّ شَاطِنَةً بِدَارِ إِيَادِ

١٧— مَنَعَتْ قِيَاسُ ٱلْمَاسِخِيَّةِ رَأْسَهُ ... بِسِهَامِ يَتْرَبَ أَوْ سِهَامِ بِلَادِ

١٨— وَتَرَى الْحَمَامَ مُعَانِقًا شُرُفَاتِهِ ... يُهْدِى لَهُ مِنْ ....

١٩— وَلَقَدْ أُرَجِّلُ جُمَّتِي بِعَشِيَّةٍ ... لِلشَّرْبِ قَبْلَ سَنَابِكِ ٱلْمُرْتَادِ

٢٠— وَٱلْبِيضِ قَدْ عَنَسَتْ وَطَالَ جِرَاؤُهَا ... وَنَشَأْنَ فِي قِنٍّ وَفِي أَذْوَادِ

٢١— وَلَقَدْ أُخَالِسُهُنَّ مَا يَمْنَعْنَنِي ... عُصُرًا يَمِلْنَ عَلَيَّ بِالأَجْيَادِ

٢٢— وَلَقَدْ غَدَوْتُ لِعَازِبٍ مُسْتَحْلِسٍ ٱلْـ ... ـقُرْبَانِ مُقْتَادًا عِنَانَ جَوَادِ

٢٣— فَالدَّهْرُ غَيَّرَ ذَاكَ يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ ... وَالدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحًا بِفَسَادِ

٢٤— إِنِّي ٱمْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ قَيْسِيَّةٍ ... شُمِّ ٱلْأُنُوفِ غَرَانِقٍ أَحْشَادِ

٢٥— الوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ ... يَمْشُونَ فِي ٱلدَّفْنِيِّ وَٱلْأَبْرَادِ

٢٦— وَالشَّارِبِينَ إِذَا الذَّوَارِعُ غُولِيَتْ ... صَفْوَ ٱلْفِضَالِ بِطَارِفٍ وَتِلَادِ

٢٧— وَٱلضَّامِنِينَ بِقَوْمِهِمْ يَوْمَ الْوَغَى ... لِلْحَمْدِ يَوْمَ تَنَازُلٍ وَطِرَادِ

٢٨— كَمْ فِيهِمُ مِنْ فَارِسٍ يَوْمَ الْوَغَى ... ثَقِفِ ٱلْيَدَيْنِ يَهِلُّ بِٱلْأَقْصَادِ

٢٩— وَإِذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِأَصِيلَةٍ ... رَتَكَ ٱلنَّعَامِ عَشِيَّةَ ٱلصُّرَّادِ

(١٥ — ١٨) السفه الجهل وضعف العقل . الصوة ما غلظ وارتفع من الأرض . شاطنة قفرة بعيدة . قياس وقسى جمع قوس . الماسخى صانع الأقواس ، والماسخية الأقواس نسبة إلى ماسخة رجل من الأزد . يترب و بلاد موضعان دون اليمامة .

(١٩ — ٢١) الجمة شعر الرأس . يرجلها يرتبها ويمشطها . الشرب مصدر شرب ، أو هم جماعة الشاربين . ارتاد الشىء طلبه ، أى أنه يسبق طلاب الخمر إليها . عنست الجارية مكثت بغير زواج . الجراء مصدر من الجارية تقول جارية بينة الجراء. القن العبد الذى ملك هو وأبواه للواحد والجمع . الأذواد جمع زود (بفتح فسكون) وهو القطيع من الثلاثة إلى العشرة . عصرا دهرا .

(٢٢ — ٢٥) غدوت انطلقت مبكرا فى الصباح .عازب بعيد . استحلس النبت كثف وغطى الأرض . القربان مستجمع ماء كثير فى شبه واد صغير . الغرانق جمع غرنوق وجمع غرنيق (كزنبور وقنديل) وهو الشاب الأبيض الجميل . الأحشاد جمع حشد (ككتف) وهو من لا يدع عند نفسه شيئا من النصرة والجهد والمال . الدفنى ثوب مخطط . والبرد كذلك نوع من الثياب المخططة .

(٢٦ — ٢٩) الذوارع جمع ذروع وهو البعير . الفضال الخمر . الطارف المستحدث المكتسب . التليد الموروث القديم . ثقف حاذق . هل الرجل فرح وصاح . أقصد السهم إقصادا أصاب فقتل . اللقاح جمع لقحة (بكسر فسكون) وهى الناقة الحلوب. الأصيل وقت غروب الشمس . تروحت عادت من المرعى إلى حظيرتها .

٣٠- وتلوذ صغارها من شدة البرد بالخيام، تزج بنفسها فى مداخلها .

٣١- رأيتهم وقد قاموا على أضيافهم، يشوون لهم من سنام الإبل الضخام ومن الأكباد .

٣٢- وإذا لفح البرد القيان فاغبرت وجوههن، حتى لتحسبهن من الأحباش، وشح المرعى فجف اللبن فى ضروع النوق التى كانت تملأ الضخم من الأقداح .

٣٣- ________________

٣٤- أخذوا بمجالسهم، يجملهم الوقار، ولا يبدو عليهم أثر الضُر .

٣٥- يقول لهم الذين يرصدونهم بالنصح : أما لكم من مُتَحَوَّل عن هذا الجبروت الذى تترسمون به من خلا من قوم عاد ؟

٣٦- وإذا أعرض الرهط عن المكان المخيف متهيبين، وعدلت عنه مقاتلتهم لا يقومون فيه ولا يُغْنُون .

٣٧- فلقد نحل به ونرعى مراعيه، ونقوم عليه ونحميه، بما لنا من قوة ومن عتاد .

٣٨- نرصد بجانبيه الماشية تشرب يوما بعد يوم، والجمال قد انبثت جماعاتها الكثيفة فى مراتعه المخصبة.

٣٩- لا يصرفها طارد، ولا يتهددها مغير يذعر سربها، فتصوت مرغية، وقد تشردت مفزَّعة .

٤٠- وإذا هتف بهم الصارخ المتلهف مستغيثاً، واحتدم القتال فسطعت أعمدة الغبار ذاهبة فى السماء .

٤١- هبوا وقد ركبوا كرائم الخيل التى تسقى اللبن، فهى ضامرة البطون، تجول بما فوق ظهرها من ألباد .

٤٢- من كل فرس أملس سابح فى عدوه، وفرسة سابحة فى عدوها، ترجم الأرض بحوافرها حين تجرى بفرسان كأنهم الأسود فى أيديهم الرماح .

٤٣- إذ لا يعدل قومَنا من « قيس » قومٌ فى رفعة الأحساب، ولا يعدل بنيه أبناء بين سائر الناس .

٣٠— جَرْيًا يَلُوذُ رِبَاعُهَا مِنْ ضُرِّهَا … بِالْخَيْمِ بَيْنَ طَوَارِفٍ وَهَوَادِى

٣١— حَجَرُوا عَلَى أَضْيَافِهِمْ وَشَوَوْا لَهُمْ … مِنْ شَطِّ مُنْقِيَةٍ وَمِنْ أَكْبَادِ

٣٢— وَإِذَا ٱلْقِيَانُ حَسِبْتَهَا حَبَشِيَّةً … غُبْرًا وَقَلَّ حَلَائِبُ ٱلْأَرْفَادِ

٣٣— وَإِذَا .... …................................ ٱلْأَجْمَادِ

٣٤— أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ … .... ٱلْأَفْنَادِ

٣٥— وَيَقُولُ مَنْ يَبْقِيهِمُ بِنَصِيحَةٍ … هَلْ غَيْرُ فِعْلِ قَبِيلَةٍ مِنْ عَادِ

٣٦— وَإِذَا ٱلْعَشِيرَةُ أَعْرَضَتْ سُلَّافُهَا … جَنِفِينَ مِنْ ثَغْرٍ بِغَيْرِ سِدَادِ

٣٧— فَلَقَدْ نَحُلُّ بِهِ وَنَرْعَى رِعْيَهُ … وَلَقَدْ نَلِيهِ بِقُوَّةٍ وَعَتَادِ

٣٨— نَبْقِى الغِبَابَ بِجَانِبَيْهِ وَجَامِلاً … عَكَرًا مَرَاتِعُهُ بِغَيْرِ جِهَادِ

٣٩— لَمْ يُزْوِهِ طِرَدٌ فَيُذْعَرَ دَرْؤُهُ … فَيُلِجَّ فِى وَهَلٍ وَفِى تَشْرَادِ

٤٠— وَإِذَا يُثَوِّبُ صَارِخٌ مُتَلَهِّفٌ … وَعَلَا غُبَارٌ سَاطِعٌ بِعِمَادِ

٤١— رَكِبَتْ إِلَيْكَ نَزَائِعٌ مَلْبُونَةٌ … قُبُّ الْبُطُونِ يَجُلْنَ فِى ٱلْأَلْبَادِ

٤٢— مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ … تَرْدِى بِأُسْدٍ خَفِيَّةٍ وَصِعَادِ

٤٣— إِذْ لَا يُرَى قَيْسٌ يَكُونُ كَقَيْسِنَا … حَسَبًا وَلَا كَبَنِيهِ فِى ٱلْأَوْلَادِ

(٣٠ — ٣١) رتك البعير والنعام رتكا ورتكانا ، وهو عدو فى مقاربة خطو . يوم صرد وعشية صرد باردة . الرباع جمع ربع (بضم ثم فتح) وهو ولد الناقة فى أول الانتاج . الطوارف من الخباء ما رفعت من جوانبه للنظر إلى الخارج . الهوادى جمع هادوهو البوان ـ أى العمود ـ فى مقدم الخباء . حجر عليه حبسه . الشط جانب السنام أو نصفه . أنقت الابل سمنت فهى منقية.

(٣٢ — ٣٤) القيان جمع قينة وهى الفتاة التى لم تتزوج وقد بلغت سن الزواج . حسبتها حبشية اسودت من البرد . الحلائب جمع حلوبة وهى الناقة فيها لبن . الأرفاد جمع رفد (بفتح الراء) وهو القدح الضخم .

(٣٥ - ٣٨) بقاه رصده أو نظر إليه . عاد من العرب البائدة الذين لم يبق لهم أثر ، يضرب العرب بهم المثل فى الجبروت . سلاف العسكر مقدمتهم . الثغر الموضع الذى يخاف هجوم العدو منه . جنفين مائلين عادلين عنه . وسد الثلمة (كمد) أصلحها ووثقها ، وسداد الثغر سده فى وجه العدو والثبات فيه . ولى الأمر قام عليه ورعاه . العتاد العدة . نبقى أى ترصد . الغباب التى تشرب يوما وتدع يوما ، أو التى تدر اللبن يوما وتدع يوما . العكر الجماعة من الابل . الجهاد (بفتح الجيم) الأرض الصلبة لا نبات فيها .

(٣٩ — ٤١) لم يذوه لم يصرفه . طرد جمع طرد (بفتحتين) ، اسم من طرده أى ساقه ونحاه . درأ السيل درءا اندفع . ألجت الابل صوتت ورغت الوهل الفزع والخوف . ثوب يهتف مرة بعد مرة . سطع الغبار علا وارتفع . النزائع جمع نزيع وهو الفرس الكريم . ملبونة تسقى اللبن لكرامتها عند أصحابها . قب جمع أقب وهو الضامر البطن الدقيق الخصر من الخيل . الألباد جمع لبد (بكسر فسكون) وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

(٤٢ — ٤٣) أجرد أملس . سابح عداء حتى كأن أرجله لا تمس الأرض فهو سابح فى الفضاء . ردت الفرس رجمت الأرض بحوافرها . الصعاد جمع صعدة وهى القناة المستوية .

هذه القصيدة قصة مشهورة ، تتلخص فى أن الأعشى خرج إلى النبي يريد الاسلام ، وقد أعد له هذه القصيدة ليمدحه بها . وكان ذلك فى المدة التى بين صلح الحديبية سنة ٦ هـ وفتح مكة سنة ٨ هـ . فلما بلغ مكة ، وعرفت قريش ما قصد له ، لم يزالوا يبغضون إليه الاسلام ، ويحدثونه بأسوإ مايقدرون عليه ، ويغرونه بالمال ، حتى صدوه عن وجهه ، بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء . فقفل الأعشى راجعا إلى اليمامة . ثم لم يلبث أن مات من عامه(١) .

والقصيدة مروية فى كثير من كتب الادب . ولكن العجيب من أمرها أن القسم الثانى منها ، الذى خص فيه النبي بالمدح ، يريب الباحث لسببين . فهو أضعف بكثير من الشطر الاول ، يبلغ الضعف فى ابياته حد الركاكة والتفاهة . ثم هو متأثر ببعض آيات القرآن فى معناها أو فى ألفاظها ، أو هو على الأقل يصور الأعشى وقد ألم بتعاليم الاسلام إلماماً حسناً ، بما يناقض زعم الرواة أنه عاد حين علم أن الاسلام يحرم الخمر.

ومن أمثلة تأثر هذا القسم بالقرآن :

البيتان ١٧ ، ١٨ متأثران بقوله تعالى : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى ـ البقرة ١٩٧) فهو يستعير الزاد للعمل الصالح على أسلوب القرآن .

» ١٩ ، ٢٠ » » » (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ـ المائدة ٣) فهو يقرن فيهما بين الميتة والدم والذبح للأصنام على نحو ترتيب الآية .

البيت ٢١ » » » (واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار ـ آل عمران ٤١)

» ٢٢ » » » (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ـ الذاريات ١٩) فاستعمل كلمتى السائل المحروم وقرن بينهما على نحو الآية .

» ٢٣ » » » (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ـ الحجرات ١١)

» ٢٤ » » » (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ـ الاسراء ٣٢) فاستعمل كلمة (تقرب) للالمام بالفحش، وهو تلطف فى التعبير وتعفف فى العبارة عن هذا المعنى ، وذلك على أسلوب القرآن . وقوله بعد ذلك فى هذا البيت فانكحن أو تأبدا) متأثر بقوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ـ النور ٣٣) على مافى تحريك آخر الأمر (تابد) بالفتح من غرابة لضرورة القافية .

يقول الأعشى :

١ ـــ أحق أنك قضيت ليلة كليلة الأرمد لايغمض لك جفن ، وعادك ما يعود اللديغ المسهد ؟

٢ ـــ ولم يكن سهرك من عشق النساء ، فقد فارقتهن من زمن ، وتناسيت صداقة (مَهْدَد)

٣ ـــ ولكنما كان سهرك لطوارق الدهر الخؤون ونائباته ، كلما أصلحتَ يُدك كرَّ على ما أصلحت بالإفساد.

٤ ـــ لله هذا الدهر فى تقلبه . فما أعجب ترددى فيه بين الشباب والشيب ، والثروة والفقر .

٥ ـــ أنفقت عمرى دائباً فى جمع المال منذ راهقت ، صبياً أمرد ، وكهلا قد علانى المشيب .

٦ ـــ أبتذل العيس ، ترقِل بى مسرعة بين (النَّجِير) فى حضرموت (وصَرْخَد) فى العراق .

٧ ـــ فلا تسألى عنى . فما أكثر من يسأل عن الأعشى مظهراً العناية بأمره حين يمضى فى البلاد .

٨ ـــ ألا فليعلم الذى يسألنى أين تقصد ناقتى أنها على موعد عند أهل (يثرب) .

٩ ـــ تسير ليلها كله ، لها رقيبان لا يغيبان من نجمى (الجَدْى) و (الفرْقد) .

---

(١) الأغانى ٩ : ١٢٥ ، السيرة ٢ : ٢٦ ، خزانة الأدب ١ : ١٢٢

وقال يمدح النَّبىَّ صلى الله عليهِ وسلم :

(طويل)

١ — أَلَمْ تغتَمِضْ عَيناكَ لَيلَةَ أَرمَدَا ... وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المسَهَّدَا

٢ — وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا ... تَنَاسَيْتَ قَبلَ ٱلْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا

٣ — وَلٰكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِى هُوَ خَاتِرٌ ... إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّاىَ عَادَ فَأَفْسَدَا

٤ — شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ ... فَلِلَّهِ هَـٰذَا ٱلدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

٥ — وَمَا زِلْتُ أَبْغِى ٱلْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ ... وَلِيدًا وَكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا

٦ — وَأَبْتَذِلُ ٱلْعِيسَ ٱلْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِى ... مَسَافَةَ مَا بَيْنَ النُّجَيرِ فَصَرْخَدَا

٧ — فَإِنْ تَسْأَلِى عَنِّى فَيَارُبَّ سَائِلٍ ... حَفِيٍّ عَنِ ٱلْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا

٨ — أَلَا أَيُّهَـٰذَا السَّائِلِى أَيْنَ يَمَّمَتْ ... فَإِنَّ لَهَا فِى أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا

٩ — فَأَمَّا إِذَا مَا أَدْلَجَتْ فَتَرَى لَهَا ... رَقِيبَيْنِ جَدْيًا لَا يَغِيبُ وَفَرْقَدَا

١٠ — وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ ... إِذَا خِلْتَ حِرْبَاءَ ٱلظَّهِيرَةِ أَصْيَدَا

١١ — أَجَدَّتْ بِرِجْلَيهَا نَجَاءً وَرَاجَعَتْ ... يَدَاهَا خِنَافًا لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدَا

١٢ — فَآلَيْتُ لَا أَرْثِى لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ ... وَلَا مِنْ حَفًى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدَا

١٣ — مَتَى مَا تُنَاخِى عِنْدَ بَابِ ٱبْنِ هَاشِمٍ ... تُرِيحِى وَتَلْقَىْ مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا

١٤ — نَبِىٌّ يَرَى مَالَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ ... أَغَارَ لَعَمْرِى فِى ٱلْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

(١ — ٣) الأرمد الذى يشتكى وجعاً فى عينيه . السليم الذى لدغته الحيه أو العقرب سمى بذلك تفاؤلا. الخلة الصداقة . خاتر غادر .

(٤ — ٦) اليافع فى سن العشرين . الوليد الصبى . الأمرد الذى لم ينبت شعر لحيته . ابتذل الشىء استعمله وامتهنه ، المراقيل التى ترقل ، والارقال ضرب من عدو الابل . تغتلى تسرع فى السير . النجير بحضرموت . صرخد بالجزيرة .

(٨ — ٩) حفى بالرجل تلطف به وبالغ فى إكرامه والسؤال عن حاله . أصعد أصله من الصعود فى الأماكن المرتفعة . وأصعد فى الأرض ذهب . الادلاج سير الليل كله . الجدى نجم إلى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة . الفرقد نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به .

(١٠ — ١٢) هجرت سارت فى الهجير وهو وقت احتدام الحر . جمل عجرفى يسرع فى سيره ولا يبالى . الحرباء يدور مع الشمس ويستقبلها بعينيه ليستدفىء بها . الأصيد البعير المصاب بالصاد وهى قروح فى منخريه لا يضع منها رأسه . أجدت أسرعت . النجاء السرعة خنف البعير خنافاً قلب فى مسيره خف يده إلى اليمين . الحرد (بفتحتين) استرخاء عصب يد البعير ، حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(١٣ — ١٤) أراح رجعت إليه نفسه بعد الاعياء . أغار سار إلى الغور وهو المنخفض من الأرض . أنجد سار إلى النجاد وهى المرتفعات.

١٠ — وتندفع فى التهاب الحر لا تبالى شيئاً ، حين يستقبل الحرباء الشمس بوجهه ، حتى يخيل لناظره أنه مريض بداء (الصاد) فهو لا يستطيع أن يضع رأسه .

١١ — تنقل رجليها جادة فى سرعتها ، وتجدف بيديها السليمتين من الاسترخاء فى لين ومرونة .

١٢ — وقد آليت أن لا أرحمها مما تعانى من كلال ومن حفى حتى تزور (محمدا)

١٣ — متى ما تناخى عند بابه تجدى الراحة بعد إعياء ، وتعوّضى عما لقيت من فواضله ونداه .

١٤ — نبى يرى مالا يرى الناس ، قد سار ذكره فى البلاد ، وذهب صيته فى كل مكان .

١٥ — يغمر الناس بصدقاته وعطاياه التى لا تنقطع ، ولا يمنعه مايعطى اليوم ، أن يعطى فى الغد .

١٦ — أحقٌّ أنك لم تسمع وصاة (محمد) نبى الإله ، حين أوصى وأشهد الناس على ما يقول .

١٧ — إذا أنت لم تتزود من دنياك بالعمل الصالح ، ولقيت بعد الموت من تزود ،

١٨ — ندمت على ما فرط منك ، وودت لو أنك قد تزودت كما تزود ، وأخذت عدتك للذى أعد .

١٩ — فإياك أن تأكل الميتة ، أو الدم تفصده بسهم من حديد .

٢٠ — ولا تذبح القرابين للأنصاب ، واعبد الله وحده ولا تعبد الأوثان .

٢١ — وصل فى العشى وفى الضحى ، واجعل شكرك لله لا للشيطان .

٢٢ — ولا تترك السائل لحرمانه ولا الأسير لقيده .

٢٣ — ولا تسخر من البائس الذى مسه الضر ، فلست مخلداً على الدهر .

٢٤ — ولا تقرب جارتك فهى محرمة عليك ، فتزوج أو تعفف مبتعداً عن النساء .

١٥— لَه صَدَقاتٌ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ ... وَلَيْسَ عَطاءُ ٱلْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا

١٦— أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّ ٱلْإِلٰهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

١٧— إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ... وَلَاقَيْتَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

١٨— نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا

١٩— فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَأْكُلَنَّهَا ... وَلَا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لِتَفْصِدَا

٢٠— وَذَا النُّصُبَ ٱلْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكَنَّهُ ... وَلَا تَعْبُدِ ٱلْأَوْثَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا

٢١— وَصَلِّ عَلَى حِينِ ٱلْعَشِيَّاتِ وَٱلضُّحَى ... وَلَا تَحْمَدِ ٱلشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاحْمَدَا

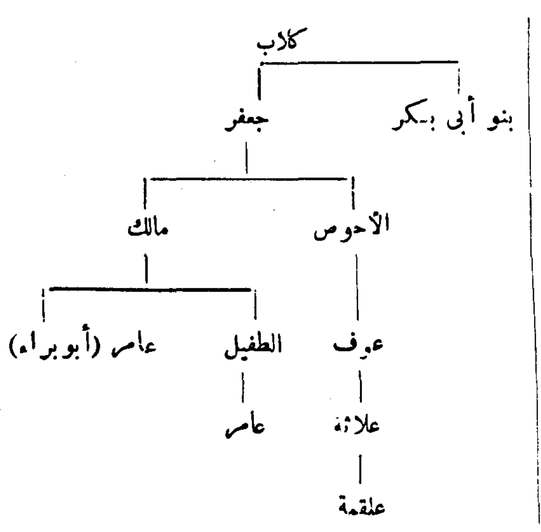
٢٢— وَلَا ٱلسَّائِلَ ٱلْمَحْرُومَ لَا تَتْرُكَنَّهُ ... لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ ٱلْمُقَيَّدَا

٢٣— وَلَا تَسْخَرَنْ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ ... وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَوْمًا مُخَلَّدَا

٢٤— وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً إِنَّ سِرَّهَا ... عَلَيْكَ حَرَامٌ فَٱنْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا

(١٥ — ١٨) لا تغب أى لا تبطىء عنه ولا تنقطع . أجدك أحق ماتقول . أرصد له الشىء أعده .
(١٩ — ٢١) فصد شق الجلد لاستخراج الدم . النصب الاصنام . نسك البيت أتاه ، ونسك كذلك ذبح .
(٢٢ — ٢٤) الضرارة ذهاب البصر والنقص فى الاموال والانفس . السر فرج المرأة والزنى . النكاح الزواج . التأبد التعزب والبعد عن النساء .

منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة من أشهر ماجرى فى الجاهلية من منافرات لكثرة من اشترك فيها من كبار الشعراء والحكام. وعامر وعلقمة كلاهما من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهما يلتقيان عند الجد الثالث لعلقمة والجد الثانى لعامر. وقد كانت السيادة فى بنى كلاب خاصة، وفى عامر بن صعصعة عامة، للأحوص جد علقمة.



وكان الأحوص على رأس عامر يوم (رحرحان) وأخوه مالك بن جعفر يشهدها، ومعه ابناه عامر والطفيل. فلما مات الأحوص انتقلت السيادة إلى ابن أخيه عامر بن مالك، وهو أبوبراء الملقب بملاعب الأسنة. فلما أسن أبوبراء تنازع عامر وعلقمة الرياسة. عامر يرى أنها يجب أن تنتقل إليه لأنها فى عمه، ثم هو يرى نفسه أحسن بلاء فى الحرب من علقمة وأجود منه. وعلقمة يرى أنها كانت فى جده الأحوص، وإنما انتقلت إلى أبى براء بسببه لأنه ابن أخيه.

وسرى الشر بينهما حتى صار إلى المنافرة. وانحاز لبيد إلى عامر وانحاز الحطيئة وبعض بنى الأحوص — وفيهم السندرى — إلى علقمة. واحتكما إلى رجل يقال له خزيمة بن عمرو بن الرجيد، ثم إلى أبى سفيان بن حرب، ثم إلى أبى جهل بن هشام ابن المغيرة، وكلهم يتحرج من الحكم فلا يقول بينهما شيئاً، إلى أن صار الأمر إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزارى، فاحتال للأمر، واستدعى كلا من الخصمين على حدة، فكان يصور لكل منهما أن خصمه أفضل منه، فيتخيل أحدهما أنه سيفضل صاحبه، ويرجوه أن لايفعل، وأن يكتفى بالتسوية بينهما. فلما كان يوم الحكم قام هرم فسوى بينهما قائلا (أنتما كركبتى البعير الأدرم الفحل، يقعان الأرض معا. وليس منكما واحد إلا وفيه ماليس فى صاحبه، وكلاكما سيد كريم)

وجاء الأعشى على أعقاب ذلك، فانحاز إلى عامر، وزعم أنهما قد حكماه فى أمرهما، وقال هذه القصيدة والقصيدة التى تليها، ينفرفيهما عامرا على علقمة، فذاع حكمه فى الناس. واشتد وقعه على علقمة. وقد تحرج صاحب السيرة وصاحب الخزانة من رواية القصيدتين، لأن النبى نهى عن روايتهما، وذلك بعد أن أسلم علقمة، بينما قتل عامر وفد الرسول من المسلمين إلى نجد، ومات كافراً (١).

هذا ملخص ماروى فى هذه القصة (٢). أما تاريخها فشىء لم تشر إليه المراجع التى بين يدينا. ولكننا نستطيع بمقارنة الحوادث أن نؤرخها بما بين ٤ قبل الهجرة، ٤ بعد الهجره. فهى بعد بعثة النبى على كل حال وقبل ٤ هـ. أما أنها بعد البعثة فذلك لأن أبابراء كان على راس عامر يوم (فيف الريح) وقد كان هذا اليوم بعد البعثة (٣). وإنما تنازع عامر وعلقمة الرياسة حين أسن أبوبراء وقعد عن الغزو، وينبغى أن يكون ذلك بعد فيف الريح بسنوات. وقد أصيب عامر فى هذا اليوم بطعنة رمح فى عينه (٤) وقد عيره علقمة نقص بصره فى هذه المنافرة حين قال (ولكنى أنافرك أنى خير منك أثراً، وأحد منك بصراً) وقول عامر (أنت رجل ثار، وليس لبنى الأحوص فضل على بنى عامر فى العدد. وبصرى ناقص وبصرك صحيح. ولكنى أنافرك أنى أسن منك سنة وأطول منك قمة. . . . الخ

ثم إن أبابراء لاينبغى أن يكون قد أسن قبل ظهور الاسلام، فقد كان فتى ناشئاً يوم (رحرحان)، وهو قبل الاسلام بواحد وأربعين عاما أو بستة وأربعين عاما (٥)

وليس ينبغى أن ينازع عامر بن الطفيل فى الرياسة قبل الاسلام، فقد ولد يوم جبله، وهو قبل الاسلام بأربعين عاما أو بخمسة وأربعين عاما (٦)

وأما أن المنافرة لاتتأخر عن ٤ هـ فذلك لأن أبابراء قد شهد المنافرة. وأبوبراء مات يوم (بئر معونة)، قتل نفسه بشرب الخمر (٧). وبئر معونة سنة ٤ هـ.

وقصيدة الأعشى هذه من بحر السريع. وهو بحر نادر فى الشعر الجاهلى، لم يرو للأعشى فيه غير هذه القصيدة، ولم يرو لزهير ولا النابغة ولا عنترة فيه شعر. أما طرفة فلم يرد له فيه غير ثلاثة أبيات:

أسلمنى قومى ولم يغضبوا لسوءة حلت بهم فادحة

ورووا لعلقمة خمسة أبيات.

دافعت عنه بشعرى إذ كان لقومى فى الفداء جحد

ورووا لامرىء القيس مقطوعتين، إحداهما ثلاثة أبيات والأخرى عشرة:

أحلت رحلى فى بنى ثعل إن الكريم للكريم محل

يادار ماوية بالحائل فالفرد فالجنبين من عاقل

---

(١) السيرة ٣ : ١٩٣، خزانة الأدب ١ : ١٢٧

(٢) راجع التفاصيل فى الأغانى ١٥ : ٥٠، ثعلب (شرح ديوان الأعشى) ١٦٥، بلوغ الأرب ١ : ٢٨٧، الهجاء والهجاءون ١ : ٨١

(٣) العقد الفريد ٦ : ٨٩ (٤) نقائض جرير والفرزدق ٤٧٠ (٥) العقد الفريد ٦ : ٩، النقائض ٢٣٠، ١٠٦٢

(٦) النقائض ٢٢٩، ٦٥٩ (٧) النقائض ١٩٩

وقال يَهْجُو عَلْقَمَةَ بْنَ عُلاثَةَ ويمدح عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فى المُنَافَرَةِ التى جرت بينهما :

١ — شَاقَتْكَ مِنْ قَتْلَةَ أَطْلَالُهَا ... بِالشَّطِّ فَالْوِتْرِ إِلَى حَاجِرِ (سريع)

٢ — فَرُكْنِ مِهْرَاسٍ إِلَى مَارِدٍ ... فَقَاعِ مَنْفُوحَةَ ذِى الحَائِرِ

٣ — دَارٌ لَهَا غَيَّرَ آيَاتِهَا ... كُلُّ مُلِثٍّ صَوْبُهُ زَاخِرِ

٤ — وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَا ... فِى الحَىِّ ذِى البَهْجَةِ وَالسَّامِرِ

٥ — كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا ... بِمُذْهَبٍ فِى مَرْمَرٍ مَائِرِ

٦ — أَوْ بَيْضَةٍ فِى الدِّعْصِ مَكْنُونَةٍ ... أَوْ دُرَّةٍ شِيفَتْ لَدَى تَاجِرِ

٧ — يَشْفِى غَلِيلَ النَفْسِ لَاهٍ بِهَا ... حَوْرَاءُ تُصْبِى نَظَرَ النَّاظِرِ

٨ — لَيْسَتْ بِسَوْدَاءَ وَلَا عِنْفِصٍ ... تُسَارِقُ الطَّرْفَ إِلَى الدَّاعِرِ

٩ — عَبْهَرَةُ الخَلْقِ بُلَاخِيَّةٌ ... تَشُوبُهُ بِالْخُلُقِ الطَّاهِرِ

١٠ — عَهْدِى بِهَا فِى الحَىِّ قَدْ سُرْبِلَتْ ... هَيْفَاءَ مِثْلَ المُهْرَةِ الضَّامِرِ

١١ — قَدْ نَهَدَ الثَّدْىُ عَلَى صَدْرِهَا ... فِى مُشْرِقٍ ذِى صَبَحٍ نَائِرِ

١٢ — لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(١ — ٣) شاقه الحب هاجه . الأطلال آثار الديار . الحائر مجتمع الماء ، والموضع المطمئن من الأرض . آيات جمع آية والآية العلامة. ملث مقيم . الصوب السحاب ذو الصوت . زخر البحر طما وكثر ماؤه .

(٤ — ٦) الترب من ولد معك ، السامر اسم فاعل من سمر أى لم ينم وتحدث ليلا . والسامر أيضا مجلس السمار . المحراب للغرفة وصدر البيت . مائر تصلح صفة المذهب وللمرمر ، فالذهب مائر فى المرمر أى غائر فيه داخل ، والمرمر مائر أى براق يتموج لجودة صقله . الدعص كثيب الرمل ، مكنونة مخبوءة . فهى لذلك محفوظة صافية اللون . شيفت جليت .

(٧ — ١٠) الغليل حرارة العطش . أصباه الشىء شاقه ودعاه إلى الصبا لحن إليه . عنفص بذيئة قليلة الحياء . الداعر الخبيث والفاسق . العبهرة الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة . بلاخية طويلة عظيمة فى نفسها . سربلت لبست السربال وهو القميص. الهيفاء الضامرة البطن الرقيقة الخصر . المهر ولد الفرس .

(١١—١٢) نهد برز . إشراق الحلى بريقها . الصبح بريق الحديد والحلى . النائر والنير المشرق . النحر أعلى الصدر . وقيل موضع القلادة .

يبدأ الأعشى قصيدته بغزل رقيق يحن فيه إلى صاحبته (قَتْلَة) وهى من أحب صواحبه إليه وأشهرن فى شعره، يسميها تارة (قَتْلَة) ويدللها تارة . فيسميها (قُتَيْلة أو (قَتْل) . وقد زعم أبو عبيدة أنها أمة لبنى عبيد كان قد تزوجها .

يقول الأعشى :

١ ــ هاجت أطلال قتلة فى قلبك شوقا قديما بين « الشط » و « الوِتْر » و « حاجر »

٢ ــ و « ركن مهراس » و « مارد » و « قاع منفوحة » حيث تجتمع مياه الأمطار .

٣ ــ دار غيرت معالمهَا الأمطارُ المتتالية الغزيرة .

ويرجع الأعشى بخياله إلى الماضى ليتصورها أيام كانت تحل هذه الديار فيقول :

٤ ــ لكأنى أراها بين أترابها ، أيام كان الحى آهلا بهم ، ملء جوانبه البهجةُ فى النهار ، والسُمَّار فى الليل.

٥ ــ كانت كدمية أقيمت فى محراب من المرمر زخرف بالذهب اللامع البراق .

٦ ــ أو بيضة مكنونة فى الرمال ، أو درة مصقولة عند التجار .

٧ ــ تشفى غليل نفس اللاهى لو أن يده تنالها ، وتملك على الناظر أمره ولبه فما ينفك متعلقاً بها .

٨ ــ ليست بسوداء ولا بذيئة قليلة الحياء تسترق النظر إلى الداعر من الرجال .

٩ ــ قد اكتمل حسنها فى ضخامة جسمها وامتداده الذى يضفى عليها ثوباً من الكبرياء تشوبه بالخلق الطاهر العفيف .

١٠ ــ عهدى بها فى الحى يكشف قميصها عن بطنها الضامر وخصرها الدقيق كأنها المُهْرَةُ الضامرة .

١١ ــ قد نهد الثدى على صدرها الذى تزينه الحلى البراقة اللامعة .

١٢ ــ لو أسندت ميتاً إلى نحرها الفتان لبعث من جديد ودبت فيه الحياة .

١٣ ــ حتى يقول الناس مما يرون (يا عجبًا للميت الناشر !)

وينتقل الأعشى من هذا الغزل الرقيق الممتع فجأة إلى مهاجمة علقمة قائلا :

١٤ ــ دع عنك صاحبتك ، فقد بان عذرك فى حبها بعد الذى وصفت من مفاتنها ، واذكر إفحاش علقمة الفاجر فى الكلام .

١٣— حَتى يقول النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا ... يَا عَجَبَا لِلْمَيِّتِ النَّـــاشِرِ

١٤— دَعْهَـا فَقد أَعْذَرْتَ فِى حُبِّهَا ... وَاذْكُرْ خَنَا عَلْقَمَةَ الفَاجِرِ

١٥— عَلْقَمَ لَا لَسْتَ إِلَى عَامِرٍ ... النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ

١٦— وَاللَّابِسِ الخَيْلَ بِخَيْلٍ إِذَا ... ثَارَ غُبَارُ الكَبَّةِ الثَّـائِرِ

١٧— سُدْتَ بَنِى الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ ... وَعَامِرٌ سَادَ بَنِى عَامِرِ

١٨— سَادَ وَأَلْفَى قَوْمَهُ سَـــادَةً ... وَكَابِرًا سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

١٩— مَا يُجْعَلُ الجُدُّ الظَّنُونُ الَّذِى ... جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الزَّاخِرِ

٢٠— مِثْلَ الفُرَاتِىِّ إِذَا مَا طَمَا ... يَقْذِفُ بِالبُوصِىِّ وَالْمَاهِرِ

٢١— إِن الَّذِى فِيــهِ تَمَارَيْتُمَا ... بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالنَّاظِرِ

٢٢— حَكَّمْتُمُونِى فَقَضَى بَيْنَكُمْ ... أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ البَـــاهِرِ

٢٣— لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِى حُكْمِهِ ... وَلَا يُبَالِى غَبَنَ الخَاسِرِ

٢٤— لَا يَرْهَبُ الْمُنْكَرَ مِنْكُمْ وَلَا ... يَرْجُوكُمُ إِلَّا تُقَى الآصِرِ

٢٥— يَا عَجَبَ الدَّهْرِ مَتَى سُوِّيَا ... كَمْ ضَاحِكٍ مِنْ ذَا وَكَمْ سَاخِرِ

(١٣—١٥) نشر الله الموتى أحياهم وبعثهم فكأنهم نشروا بعد ما طووا . أعذر صار ذا عذر . الخنا الفحش فى الكلام . لست إليه أى لاتشبهه ولا تقاس إليه . الأوتار جمع وتر وهو الثأر . الواتر الغالب الذى يترك ثأره فى الأعداء .

(١٦—١٨) اللابس الخالط . الكبة الدفعة من الخيل . الأحوص جد علقمة . عامر بن صعصعة هو الجد الأكبر الذى يجتمع عنده عامر وعلقمة وبقية الفروع الأخرى . ألفى قومه سادة ، يقصد أبابراء وهو عامر بن مالك بن جعفر عم عامر . وقد تنازع عامر وعلقمة الرياسة لما أسن . الكابر الكبير والرفيع القدر .

(١٩—٢٠) الجد البئر . الظنون الذى لايعرف أفيه ماء أم لا ، أو القليل الماء . جنبه الشيء أبعده عنه ، الصوب هنا الناحية . اللجب الذى له صوت وجلبة . الزاخر الكثير الماء . طما البحر ارتفع ماؤه . البوصى السفين وهو كذلك الملاح . الماهر السابح .

(٢١ - ٢٥) تماريتما اختلفتما . السامع الذى سمع الخبر من غيره ولم يشاهده . الناظر الذى حضره وعاينه ، أبلج واضح مشرق الوجه . الباهر الذى يبهر النجوم فيقطع ضوءها . الغبن النقص . المنكر الذى ينكر حكمه ولا يرضاه . النقا عظم العضد أو كل عظم ذى مخ فى داخله . أصر الشيء (كضرب) أصرا كسره .

١٥— إنك يا علقمة لا تقاس إلى عامر ولا تدانيه ، الآخذ ثأره من الخصم لا يتركه ، والتارك الثأر فيهم لا يأخذونه .

١٦— والخالط الخيل بالخيل إذا ثار غبار جماعاتها فى القتال .

١٧— سدت بيتك من (بنى الأحوص) لم تعد ذلك ولم تتجاوزه ، وساد عامر (بنى عامر) جميعاً .

١٨— ساد وكان قومه من قبل سادة ، ولقد سادوك سيداً من بعد سيد .

١٩— ليس البئر القليل الماء قد جانبه السيل الزاخر الدفاق ،

٢٠— مثلَ الفرات إذا جاش بالماء يقذف بالسفين وبالسبَّاح

٢١— إن الذى تماريان فيه من التنافس على السيادة أمر واضح يعرفه الغائب والحاضر .

٢٢— حكمتمونى فقضيت بينكم وكنت كالقمر المشرق الذى يبهر الأنظار .

٢٣— وماقاضيكم بالذى يصرفه عن العدل والصواب رشوة يأخذها ، ولاهو بالذى يبالى على أيكم تقع الخسارة .

٢٤— لا هو يرهب الذى ينكر حكمه ، ولا هو يرجوكم إلا رجاء الذى يكسر العظام مفتشاً عما فى داخلها من تافه الدسم .

٢٥— ياعجب الدهر ! متى كان عامر وعلقمة سواء ؟ كم ضاحكٍ من ذا وكم ساخرٍ !

٢٦— فالزم حياءك الذى أضعته يا علقمة ، فمالك بعد المشيب من عذر .

٢٧— فيم تزعم أنك أعز منه ، ولست بالأكثر منه قوما ، وإنما العزة لصاحب الكثرة .

٢٨— ولست فى شىء من قومه الأثرياء (بنى مالك) ، ولا أنت من (بنى أبى بكر) المنجدِين الأقوياء .

٢٩— فبنو مالك هم رءوس الحى وهامته يوم يُجْمَع الناس . وهم بمكان السؤدد القاهر من بنى جعفر .

٣٠— أقول لما جاءنى فخر علقمة على عامر « سبحان من علقمة الفاخر ! » .

٣١— فاربع على نفسك ، وكف عن سفهك ، ولا تجعل عرضك للوارد والصادر من الناس .

٣٢— إنى أرد الحكم إلى وجهه الصحيح من الحق والصواب ، ولا أصدر فيه عن الهوى الجائر .

٣٣— وقد حكمت حكما قضى بينكم ، واعترف المغلوب للغالب

٣٤— وكم قضيت فى مثله فمضى قضائى وسار قولى فى الناس لايرده شىء .

٢٦— فَاقْنَ حَيَاءً أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ مَالَكَ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ عَاذِرِ
٢٧— وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى وَإِنَّمَا العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ
٢٨— وَلَسْتَ فِي الأَثْرَيْنِ مِنْ مَالِكٍ وَلَا أَبِي بَكْرٍ ذَوِي النَّاصِرِ
٢٩— هُمْ هَامَةُ الحَيِّ إِذَا حُصِّلُوا مِنْ جَعْفَرٍ فِي السُّؤْدَدِ القَاهِرِ
٣٠— أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ
٣١— عَلْقَمَ لَا تَسْفَهْ وَلَا تَجْعَلَنْ عِرْضَكَ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ
٣٢— أُؤَوِّلُ الحُكْمَ عَلَى وَجْهِهِ لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى الجَائِرِ
٣٣— قَدْ قُلْتُ قَوْلًا فَقَضَى بَيْنَكُمْ وَاعْتَرَفَ المَنْفُورُ لِلنَّافِرِ
٣٤— كَمْ قَدْ مَضَى شِعْرِيَ فِي مِثْلِهِ فَسَارَ لِي مِنْ مَنْطِقٍ سَائِرِ
٣٥— إِنْ تَرْجِعِ الحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ فَلَسْتَ بِالمُسْتِي وَلَا النَّائِرِ
٣٦— وَلَسْتَ فِي السِّلْمِ بِذِي نَائِلٍ وَلَسْتَ فِي الهَيْجَاءِ بِالجَاسِرِ
٣٧— إِنِّي آلَيْتُ عَلَى حَلْفَةٍ وَلَمْ أُقِلْهُ عَثْرَةَ العَاثِرِ
٣٨— لَيَأْتِيَنْهُ مَنْطِقٌ سَائِرٌ مُسْتَوْسِقٌ لِلْمُسْمِعِ الآثِرِ

(٢٦—٢٨) قنى الحياء لزمه . الأثرى الكثير المال . ابو بكر هم بنو ابى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٩ - ٣١) هامة الحى رأسه . حصلوا جمعوا وميزوا . السؤد السيادة . القاهر الغالب . سبحان منه تعجب ، اى سبحان الله منه . الوارد الذى يجىء الماء ليشرب . الصادر الذى يعود من الماء بعد أن شرب .

(٣٢—٣٤) أول الحكم إلى آهله رده إليهم أى جعله يؤول ويرجع إليهم . الجائر المنحرف عن الصواب والحق . المنفور المغلوب فى المنافرة ، والنافر الغالب فيها . منطق سائر مشهور ذهب بين الناس وسار .

(٣٥—٣٨) أستى الثوب وأسداه أقام سداه ، السدى من الثوب مامد من خيوطه ، وهو خلاف لحمته . والنير هدب الثوب ولحمته ، يريد أن يقول له لست شيئاً . النائل العطاء . الهيجاء الحرب. الجاسر الجرىء الشجاع . أقال عثرته صفح عنه . منطق سائر شعر ينال شهرة بين الناس. استوسق له الامر أمكنه . الآثر الذى يأثر الخبر أو الشعر ويرويه ، فهو آثر والكلام مأثور .

٣٥ — فإن رجعت الحكم إلى أهله فما أنت بين الناس فى شىء .

٣٦ — ما أنت بالكريم فى السلم ، ولا أنت بالجرىء فى الحرب .

٣٧ — ولقد آليت على نفسى مقسما - ولم أصفح عنه حين عثر -

٣٨ — ليأتينه منى شعر سائر ذائع يطاوع السامعَ على إذاعته وروايته .

٣٩ — يعض حين يسمع قولى بما أبقت له المواسى من أمه فى غابر الأزمان .

٤٠ — وما أبقت إلا أذى عند رأس فرجها وافى الحروف .

٤١ — لا تحسبنى غافلا عنكم ، فلست بالفاتر ولا الكليل .

٤٢ — واستمع لقولى فأنى فطن حاذق ، وإنى عالم بأخبار الناس ، أعرف كيف أخرس المتطاول وأقطع شِقْشِقة الهادر .

٤٣ — يقسم بالله لئن بلغه عنى ما يؤذيه من سامع .

٤٤ — ليجعلنِّى بعدها سُبَّة فى الناس . ألا جَدْعًا لك ياعلقم من متهدد !

٤٥ — أذلك شىء جديد ، أن تتوعَّدنى وقد ركبت رأسك متحيراً ؟ وعهدى بك أضعف الناس عن أن تنال عدواً بأذى .

٤٦ — انظر إلى الكف وما انطوت عليك من غيب وأسرار ، ثم خبرنى : هل أنت إن أوعدتنى ضائرى ؟

٤٧ — ما أراك إن شمَّرت الحرب واشتد القتال إلا مغلوباً مدوَّخا .

٤٨ — وقد التف حولى قومى من سادة « وائل » ، منتشرين كأنهم الليل من بادٍ ومن حاضر .

٤٩ — المطعمو اللحم إذا أزم الشتاءُ الناسَ وضيق عليهم الرزق ، والجاعلو رزقَ فقرائهم على أغنيائهم المقامرين .

٥٠ — يذبحون كل ناقة ضخمة قد تراكم على سنامها الشحم ، حين تجف من اللحم سكاكينُ الجازرين .

٣٩ — عَضٌّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ ‏ ‏ مِنْ أُمِّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ
٤٠ — وَكُنَّ قَدْ أَبْقَيْنَ مِنْهَا أَذًى ‏ ‏ عِنْدَ الْمَلَاقِي وَافِي الشَّافِرِ
٤١ — لَا تَحْسَبَنِّي عَنْكُمُ غَافِلًا ‏ ‏ فَلَسْتُ بِالْوَانِي وَلَا الْفَاتِرِ
٤٢ — وَاسْمَعْ فَإِنِّي طَبِنٌ عَالِمٌ ‏ ‏ أَقْطَعُ مِنْ شِقْشِقَةِ الْهَادِرِ
٤٣ — يُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ جَاءَهُ ‏ ‏ عَنِّي أَذًى مِنْ سَامِعٍ خَابِرِ
٤٤ — لَيَجْعَلَنِّي سُبَّةً بَعْدَهَا ‏ ‏ جُدِّعْتَ يَا عَلْقَمُ مِنْ نَاذِرِ
٤٥ — أَجَذَعًا تُوعِدُنِي سَادِرًا ‏ ‏ لَسْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْقَادِرِ
٤٦ — انْظُرْ إِلَى كَفٍّ وَأَسْرَارِهَا ‏ ‏ هَلْ أَنْتَ إِنْ أَوْعَدْتَنِي ضَائِرِي
٤٧ — إِنِّي رَأَيْتُ الْحَرْبَ إِنْ شَمَّرَتْ ‏ ‏ دَارَتْ بِكَ الْحَرْبُ مَعَ الدَّائِرِ
٤٨ — حَوْلِي ذَوُو الْآكَالِ مِنْ وَائِلٍ ‏ ‏ كَاللَّيْلِ مِنْ بَادٍ وَمِنْ حَاضِرِ
٤٩ — الْمُطْعِمُو اللَّحْمَ إِذَا مَا شَتَوْا ‏ ‏ وَالْجَاعِلُو الْقُوتَ عَلَى الْيَاسِرِ
٥٠ — مِنْ كُلِّ كَوْمَاءَ سَحُوفٍ إِذَا ‏ ‏ جَفَّتْ مِنَ اللَّحْمِ مُدَى الْجَازِرِ
٥١ — وَالشَّافِعُونَ الْجُوعَ عَنْ جَارِهِمْ ‏ ‏ حَتَّى يُرَى كَالْغُصْنِ النَّاضِرِ

(٣٩ — ٤١) بما أبقى المواسى له من أمه . المواسى جمع موس ، يقطع به الشيء الزائد فى العورة وهو الذى نسميه (الطهارة) . الزمن الغابر الذاهب القديم . الملاقى شعب رأس الرحم ، جمع ملق (كتقى) . الشفر (بضم الشين) والشافر حرف الفرج . وافٍ ضخم . الوانى والفاتر بمعنى واحد وهو الضعيف والبطيء .

(٤٢ — ٤٤) طبن فطن . عالم يعرف أخبار الناس ولا يخفى عليه منها شيء . الشقشقة شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج ، ولا يعرف موضعها منه فى غير تلك الحال . هدر البعير ردد صوته فى حنجرته عند الغضب . جدعه (بتشديد الدال) دعا عليه فقال جدعك الله . والجدع القطع . ناذر متهدد .

(٤٥ — ٤٨) الجذع الشاب الحدث ، والذى أخذ فى الأمر حديثا . السادر المتحير ، والذى تحير بصره من شدة الحر . انظر إلى كف ، كانوا ينظرون إلى الكف ويرون فيها دلائل على المستقبل . شمرت الحرب اشتدت ، وكأنها كشفت عن يديها أو ساقيها . الآكال قطائع كانت الملوك تطعمها للأشراف ، البادى الذى يسكن البادية والصحراء . الحاضر الذى يسكن الحاضرة أى المدن .

(٤٩ — ٥١) القوت النفقة . الياسر الذى يلعب الميسر ، أو الرابح فى الميسر . وكان الرابح يفرق ما غنم من اللحم ؛ وهم يعيرون من يأخذه إلى بيته . إذا ما شتوا ، لأن الشتاء عندهم زمن الشدة والقحط وانقطاع الرزق . الكوماء الناقة الضخمة . السحيفة طبقة الشحم والجمع سحائف ، وناقة سحوف كثيرة السحائف . المدى جمع مدية (بضم الميم) وهى السكين . الجازر الجزار الذى يذبح . الشافعون الدافعون ، والشفع أصله الزوج ، فهو يكون معه ويقف بجانبه ولا يتركه وحده .

٥١- والدافعون الجوع عن جارهم حتى يقوى ويشتد ، ويصير كالغصن المورق النضير .

٥٢- كم فيهم من فرس طويلة سريعة ، ومن جواد سابح نشيط وثاب .

٥٣- ومن درع محكمة الصنع ، ومن سيف قاطع ذى رونق بتار .

٥٤- ومن قوس ذات رنين تُصوِّت حين تدفع بالسهام ، ومن رمح غليظ القناة مرن الكعوب .

ويختم الأعشى قصيدته بأبيات فى الناقة ، يصور فيها جرأته على اقتحام الصحراء وكثرة أسفاره . فيقول :

٥٥- إنى إذا نزلت بى الهموم تسليت بالرحلة فوق ناقة ضخمة جريئة على اقتحام الصحراء ، عاقر لم يذهب بعزمها الحمل والرضاع .

٥٦- تسرع متمايلة وهى تضرب بذنبها حتى إنها لتقذف بالرحل القوى المتماسك العيدان المتمكن من سنامها .

٥٧- وإن لى فوق ظهرها ليوماً عسيراً هو أشد هولا من يوم (حيَّان) أخى (جابر) ،

٥٨- وقد حبس فى حصن عال مشيد ، بنى من حجارة صماء ملساء يزل عنها ظفر الطائر .

٥٩- يحمع كتيبة كثيفة يعلو رجالها الحديد ، لها سطوة وبأس لا يقف فى سبيلها شىء ، فهى تعصف بالحاسر وبالدارع على السواء .

٦٠- شديدة الوقع ، تلمع فوق رجالها الدروع البيضاء ، وقد صفُّوا إلى جانب هذا الحصن المرتفع المنيع .

٥٢— كَمْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ خَيْفَقٍ ... وَسَابِحٍ ذِى مَيْعَةٍ ضَابِرِ

٥٣— وَكُلِّ جَوْبٍ مُتْرَصٍ صُنْعُهُ ... وَصَارِمٍ ذِى رَوْنَقٍ بَاتِرِ

٥٤— وَكُلِّ مِرْنَانٍ لَهُ أَزْمَلٌ ... وَلَيِّنٍ أَكْعُبُهُ حَادِرِ

٥٥— وَقَدْ أُسَلِّى الهَمَّ حِينَ اعْتَرَى ... بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ

٥٦— زَيَّافَةٍ بِالرَّحْلِ خَطَّارَةٍ ... تُلْوِى بِشَرْخَىْ مَيْسَةٍ قَاتِرِ

٥٧— شَتَّانَ مَا يَوْمِى عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِى جَابِرِ

٥٨— فِى مِجْدَلٍ شُيِّدَ بُنْيَانُهُ ... يَزِلُّ عَنْهُ ظُفُرُ الطَّائِرِ

٥٩— يَجْمَعُ خَضْرَاءَ لَهَا سَوْرَةٌ ... تَعْصِفُ بِالدَّارِعِ وَالحَاسِرِ

٦٠— بَاسِلَةُ الوَقْعِ سَرَابِيلُهَا ... بِيضٌ إِلَى جَانِبِهِ الظَّاهِرِ

(٥٢ — ٥٤) شطبة فرس طويلة . خيفق خفيفة سريعة . سابح فرس عداء . ذى ميعة سريع ، ماع الشىء سال وجرى على وجه الأرض . ضبر الفرس وضبر المقيد جمع قوائمه ووثب . جوب ترس . مترص محكم . صارم قاطع . رواق السيف ماؤه وطلاوته . أرنت القوس صوتت فهى مرنان كثيرة الرنين . الأزمل كل صوت مختلط . لين أكعبة رمح مرن . حادر غليظ .

(٥٥ — ٥٦) اعتراه عرض له ونزل به . جسرة ناقة ضخمة . وكذلك دوسرة . عاقر غير حامل . زاف البعير أسرع فى تمايل . ناقة خطارة تضرب بذنبها يميناً وشمالا . ألوى به ذهب به . الشرخ الحرف الناتىء من الشىء ، وشرخا الرحل آخرته وقادمته ، ولا يزال فلان بين شرخى رحله إذا كان مسافرا . الميسة شجرة تعمل منها الرحال . قتر الشىء ضم بعضه إلى بعض . والقاتر من الرحال والسرج هو الجيد الوقوع على الظهر ، أو اللطيف منها ، الذى يقى الظهر ولا يعقره .

(٥٧ — ٦٠) المجدل القصر . يزل يزلق ولا يستقر لأن أحجاره مصقولة ملساء لا يتعلق بها الظفر . خضراء كتيبة يعلوها الحديد فهى خضراء ، والعرب يسمى الأسود أخضر أحيانا . سورة الشىء حدته وشدته وسطوته . الدارع الذى يلبس الدرع . والحاسر العارى الذى لا درع عليه . غضب باسل ويوم باسل شديد . السربال القميص والدرع . إلى جانبه أى إلى جانب المجدل وهو القصر . الظاهر المرتفع وفعله كظهر (كجعل) اى برز وارتفع . والظهر (بفتح الظاء) ما ارتفع من الأرض .

تلى هذه القصيدة القصيدة السابقة . فالذى يبدو من الشعر أن علقمة تهدد الأعشى حين ذاع حكمه فى تنفير علقمة عليه . فرد الأعشى على تهدده بهذه القصيدة مستخفا به . وقد بنى الشاعر قصيدته على قافية صعبة هى الصاد ، ألجأته إلى كثير من التكلف والاغراب . وليس أدل على صعوبة القافية من أن الشاعر لم يستطع أن يمضى فى قصيدته إلى أكثر من خمسة وعشرين بيتا . وليس له على هذا الروى بعد ذلك فى ديوانه إلا ستة أبيات فى الاعتذار إلى علقمة (القصيدة ٨١) ، وأربعة عشر بيتا فى مدح آل جفنة (القصيدة ٣١) .

وقد كان من أشد أبيات هذه القصيدة إيلاما لعلقمة قول الأعشى :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

حتى لقد زعم الرواة أن علقمة بكى حين سمعه وقال : قاتله الله ! أنحن كذلك ؟

يقدم الأعشى لقصيدته بأربعة أبيات فى صاحبته عُفَيْرة (تصغير عفراء) فيقول :

١ — لئن أمسيت وقد شخصت من الحى ذاهباً لِطِيَّتى ، فما نلت من (عُفَيْرَة) إلا القليل اليسير .

٢ — إذا جُرِّدَتْ رأيتَ جسمها الأملس يبرق كأنه الذهب ، وقد انسدل عليه شعرها كأنه خطوط الكساء المُعْلَمَ .

٣ — تَصَيَّدها شيخ عجوز حين وقعت عليها عينه فى بعض العشيات ، فأصبحت فى (قضاعة) كارهة لزوجها تأتى الكواهن رجاء الخلاص منه .

٤ — فصوبت إليها سهمى فلم يخطئها ، ولكم أصاب أمثالها من نساء الحى فلم يخطئه .

ثم لا يلبث أن يتجه الأعشى إلى (بنى الأحوص) قوم علقمة قائلا :

٥ — لقد بلغنى وعيد بنى الأحوص من آل جعفر . فهلا نهيت يا (عبد عمرو) قومك عن سفههم ؟

٦ — لم أملك حين بلغنى وعيدهم أن أقول : يالبكر بن وائل ! متى كنت ضعيفا كنبت الكَمْأة التافه ينبت فى أصول شجر القَصَائِص ؟

٧ — وحولى قومى من بكر ومن اجتمع إليهم ، قد ملأوا (نُبَاكا) و (أَحْوَاضَ الرَّجا) و (النَّوَاعص)

٨ — وما ذنبى إليك ياعلقمة وقد حكمتنى فوجتنى عالما بكم وبما دق وخفى من شئونكم .

٩ — كان أبوكم وأبوهم كلاهما شريف ماجد . ولكنهم بنوا إلى مجدهم مجدا ، وهدمتم أنتم ما ورثتم من مجد .

١٠ — فهم الأشراف القاهرون لعدوهم ، وأنتم آخر الثلاثة من بيوت قومكم ، تأكلون القتيل الميت من الحيوان .

١١ — تبيتون فى الشتاء وقد ملأتم بطونكم ، ثم لا تبالون أن تبيت جاراتكم جوعى فارغات البطون ،

١٢ — فهن لا يزلن فى جوعهن يترقبن غفلة الحى فى الليل وطلوع النجوم ، ليخرجن فيلتقطن ما يقوتهن .

وَقَالَ يَهْجُو عَلْقَمَةَ أَيْضًا :

(طويل)

١ —	لَعَمْرِى لَئِنْ أَمْسَى مِنَ الْحَىِّ شَاخِصًا	لَقَدْ نَالَ خَيْصًا مِنْ عُفَيْرَةَ خَائِصًا
٢ —	إِذَا جُرِّدَتْ يَوْمًا حَسِبْتَ خَمِيصَةً	عَلَيْهَا وَجِرْيَالًا يُضِىءُ دُلَامِصَا
٣ —	تَقَمَّرَهَا شَيْخٌ عِشَاءً فَأَصْبَحَتْ	قُضَاعِيَّةً تَأْتِى الْكَوَاهِنَ نَاشِصَا
٤ —	فَأَقْصَدَهَا سَهْمِى وَقَدْ كَانَ قَبْلَهَا	لِأَمْثَالِهَا مِنْ نِسْوَةِ الْحَىِّ قَارِصَا
٥ —	أَتَانِى وَعِيدُ الْحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ	فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الْأَحَاوِصَا
٦ —	فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ ـ أَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ	مَتَى كُنْتُ فَقْعًا نَابِتًا بِقَصَائِصَا
٧ —	وَقَدْ مَلَأَتْ بَكْرٌ وَمَنْ لَفَّ لِفَّهَا	نُبَاكًا فَأَحْوَاضَ الرَّجَا فَالنَّوَاعِصَا
٨ —	أَعَلْقَمَ قَدْ حَكَّمْتَنِى فَوَجَدْتَنِى	بِكُمْ عَالِمًا عَلَى الْحُكُومَةِ غَائِصَا
٩ —	كِلَا أَبَوَيْكُمْ كَانَ فَرْعًا دِعَامَةً	وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحْتَ نَاقِصَا
١٠ —	هُمُ الطَّرَفُ النَّاكُو الْعَدُوَّ وَأَنْتُمُ	بِقُصْوَى ثَلَاثٍ تَأْكُلُونَ الْوَقَائِصَا
١١ —	تَبِيتُونَ فِى الْمَشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ	وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا
١٢ —	يُرَاقِبْنَ مِنْ جُوعٍ خِلَالَ مَخَافَةٍ	نُجُومَ السَّمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا

(١ — ٣) الخيص القليل ، والخائص مثله ، توكيد له . جردت نزعت عنها ثيابها فأصبحت عاريه . الخميصة كساء أسود مربع مخطط بخطين، شبه به شعرها . الجريال الذهب شبه به جسمها فى ملاسته وبريقه . دلامص لماع . تقمر الظباء تصيدها فى القمراء ، وتقمر المرأة تزوجها . قضاعية لأنها تزوجت رجلا من قبيلة قضاعة . نشصت المرأة على زوجها فهى ناشص كرهته وملت صحبته .

(٤ — ٦) أقصده السهم أصابه فلم يخطئه . الحوص ضيق العينين ، والحوص هم بنو الأحوص قوم علقمة . عبد عمرو زعيمهم وهو عبد عمرو بن الأحوص . لو للتمنى أى هلا نهيتهم . الفقع الأبيض الرخو من الكمأة . والكمأة نبات يقال له شحمة الأرض وهو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق لونه إلى الغبرة ، يضرب به المثل فى الذل ، لأنه يجتنى بسهولة أو لأن الأقدام تدوسه ، قصائص جمع قصيصة وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة .

(٧ — ٩) اللف (بكسر اللام) الجماعة من الناس والحزب . غائصا من الغوص وهو التعمق فى المعرفة . الدعامة عماد البيت . والدعامتان الخشبتان تنصب عليهما البكرة فوق البئر .

(١٠ — ١٢) نكأ العدو قتل فيهم وجرح وأثخن . أقصى الشىء آخره وأبعده . الوقائص والوقائذ المكسورة الأعناق ، أى أنهم يأكلون الميتة من البهائم التى سقطت فكسرت عنقها . المشتى بيت الشتاء أو زمن الشتاء . الغرثان والخميص الجائع الضامر البطن .

١٣ — ففيم وعيدك ؟ أتوعدنى اتكالا على شرف ابن عمك (عامر) أن جاش بحره ، وبحرك ساكن راكد لا يوارى أحقر الديدان ؟

١٤ — فلو كنتم نخلا ما كنتم إلا حثالة التمر ، ولو كنتم نَبْلاً ما كنتم إلا أردأ السهام .

١٥ — وإنما قذف بك فى أقصى القوم وفضل الناسَ عليك مراتب ودرجات ، أنك خامل لا تأخذ بأسباب المجد .

١٦ — فعض وجه الأرض بفيك إن كنت ساخطاً . أو عض أحجار (الكلاب) الراسية .

١٧ — فأن تتهددنى أتهددك بمثل ما تتهدد ، وأزيد على التهدد ما يبقى أثره ويؤلم لذعه .

١٨ — شِعْراً يذهب مذهب الأمثال ، ويظهر فى جلدك كالرقعة زيدت فى عرض القميص .

١٩ — وليس عداؤنا بالجديد . فقد كان كبيرنا وكبيركم إذا التقيا عدوين متباعدين يتقاذفان ويترامیان .

٢٠ — وما أظن أن الحروب الطويلة التى تَرْكَبُ فيها الإبل وتجْنَبُ الأفراس فتتقدمها ، تركت بيننا من المودة ما نحرص على استبقائه .

٢١ — فهل كنتم إلا عبيداً ؟ وهل أنتم حين يُعَدُّ الصديق إلا مخادعون كذابون يبدو الحقد فى عيونكم الخُوصِ الغائرة ؟

٢٢ — وما أرى نكوصكم عن حقكم سيجديكم نفعاً ، يوم لا ينبغى للكريم أن ينكص على عقبيه .

٢٣ — فأن قدر لقومى وقومك أن يلتقيا ، فسترى قتالا مريرا تتكسر فيه الرماح ويكثر فيه الطعان .

٢٤ — وإن لنا من القوة والثروة لما يجعلنا حقيقين أن نثيرها حربا شعواء . فما كنا فى وادى (العَرْض) مليئة بالنخيل والزروع وعلف الدواب .

٢٥ — تشرف من بينها قصورنا الباذخة التى يقصر الطير عن بلوغ شُرُفاتها ويعشش فيها الحمام .

١٣— أَتُوعِدُنِي أَنْ جَاشَ بَحْرُ ٱبْنِ عَمِّكُمْ ... وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا

١٤— فَلَوْ كُنْتُمُ نَخْلًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً ... وَلَوْ كُنْتُمُ نَبْلًا لَكُنْتُمْ مَعَاقِصَا

١٥— رَمَى بِكَ فِي أُخْرَاهُمُ تَرْكُكَ الْعُلَى ... وَفَضَّلَ أَقْوَامًا عَلَيْكَ مَرَاقِصَا

١٦— فَعَضَّ جَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا ... بِفِيكَ وَأَحْجَارَ ٱلْكُلَابِ الرَّوَاهِصَا

١٧— فَإِنْ تَتَعِدْنِي أَتَّعِدْكَ بِمِثْلِهَا ... وَسَوْفَ أَزِيدُ الْبَاقِيَاتِ ٱلْقَوَارِصَا

١٨— قَوَافِيَ أَمْثَالًا يُوَسِّعْنَ جِلْدَهُ ... كَمَا زِدْتَ فِي عَرْضِ الْقَمِيصِ الدَّخَارِصَا

١٩— وَقَدْ كَانَ شَيْخَانَا إِذَا مَا تَلَاقَيَا ... عَدُوَّيْنِ شَتَّى يَرْمِيَانِ الْفَرَائِصَا

٢٠— وَمَا خِلْتُ أَبْقَى بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ ... عِرَاضُ الْمَذَاكِي الْمُسْنِفَاتِ الْقَلَائِصَا

٢١— فَهَلْ كُنْتُمُ إِلَّا عَبِيدًا وَإِنَّمَا ... تُعَدُّونَ خُوصًا فِي الصَّدِيقِ لَوَامِصَا

٢٢— تَخَامُصُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ غَيْرُ طَائِلٍ ... عَلَى سَاعَةٍ مَا خِلْتُ فِيهَا تَخَامُصَا

٢٣— فَإِنْ يَلْقَ قَوْمِي قَوْمَهُ تَرَ بَيْنَهُمْ ... قِتَالًا وَأَكْسَارَ الْقَنَا وَمَدَاعِصَا

٢٤— أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعِرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا ... نَخِيلًا وَزَرْعًا نَابِتًا وَفَصَافِصَا

٢٥— وَذَا شُرُفَاتٍ يَقْصُرُ الطَّيْرُ دُونَهُ ... تَرَى لِلْحَمَامِ ٱلْوُرْقِ فِيهِ قَرَامِصَا

(١٣ — ١٥) جاش البحر غلا بالماء واضطرب . ساج ساكن لقلة مائه . الدعامص جمع دعموص (بضم الدال) وهى دودة سوداء تكون فى الغدران إذا قل ماؤها . الجرامة حثالة التمر . المعاقص جمع ممقص (بكسر الميم) وهو السهم المعوج أو الذى انكسر نصله . مراقصاً لعله تحريف مراهصاً والمرهصة المنزلة والمرتبة .

(١٦ — ١٨) جديد الأرض وجهها من الجدد وهو الغلظ . الكلاب موضع . الرواهص من الصخور المتراصفة الثابتة ، والواحدة راهصة . الباقيات القصائد التى تبقى على ألسن الرواه ولا تنسى . أمثالا يقصد ذائعه تسير سيرورة المثل . الدخارص واحدها دخرص (بكسر الدال والراء) أصله فارسى ، وهو كل رقعة تزاد فى ثوب أو دلو لتوسعه .

(١٩ — ٢١) الشيخ كبير القوم . قوم شتى من قبائل متفرقة . الفريصة لحمة بين الثدى والكتف ترعد عند الفزع . المذاكى من الخيل التى قد بلغت أسنانها . المسنفات المتقدمات . القلائص الابل . وكانوا فى غاراتهم يركبون الابل ويسوقون أمامها الخيل فلا يركبوها إلا إذا قاربوا موضع الغارة حتى لا يتعبوها ويجهدوها ، لينزلوا بها إلى القتال موفورة القوة والنشاط . خوص جمع أخوص وهو الذى ينظر بشق عينيه بغضاً أو عداوة. لوامص جمع لموص وهو الكذاب الخداع .

(٢٢ — ٢٥) تخامصكم عن حقكم تحافيكم عنه وترككم له . غير طائل غير مجد . المداعص الرماح . العرض واد باليمامة وهى موطن الأعشى . الفصفصة (بكسر الفاء) نبات تعلفه الدواب . يقصر الطير دونه لاتبلغه لعلوه وارتفاعه . الورقاء الحمامة التى يضرب لونها إلى الخضرة . القرموص الوكر والعش .

— ٢٠ —

يتصل موضوع هذه القصيدة بموضوع القصيدة (١٠) فهما فى هجاء شيبان بن شهاب الجحدرى ، أحد سادة بنى جحدر (ربيعة بن ضبيعة) ، وهم أبناء عمومة (سعد بن ضبيعة) بيت الأعشى(١).

والأعشى يتناول فى هذه القصيدة بعض بنى فزارة بالهجاء ، مصغراً من شأنهم ، حاطاً من قدرهم ، مقارناً بينهم وبين أشراف قومهم. والظاهر أن هؤلاء الذين يهجوهم من (فزارة) كانوا يعينون بنى جحدر على قوم الأعشى .

وهذا النوع من الشعر يدخل فى الشعر السياسى كما عرفه الجاهليون ، حين كان الوطن لا يتجاوز القبيلة .

وتصور هذه القصيدة الشعر القبلى . الذى ينطق فيه الشاعر بلسان قبيلته . ويحتاج الذى يتصدى لمثل هذا القصد إلى الاحاطة بالأنساب والأخبار وتكثر فى مثل هذا اللون من الشعر الاشارات التاريخية للأفراد والوقائع . بما يجعله أشبه بالسرد التاريخى وتقرير الواقع فى كثير من مواضعه . ولكنه تاريخ ضيق الأفق والنطاق . لأنه لا يتجاوز نطاق القبيلة كما قدمنا .

يقدم الأَعشى لقصيدته بمقدمة طويلة ، يتغنى فيها بصاحبته (عُفَارة) وبذكريات شبابه ، فيقول :

١ — أى جارة كنت لى ياصاحبتى ، وأى حزن أورثتنى من بعْدك !

٢ — كانت ترضيك بتدللها وبجهالها الذى تخالطه السذاجة وحداثة السن .

٣ — تبدو بشرتها بيضاء فى النهار ، فأذا دخل المساء وتطيبت بالطيب بدت صفراء كأنها نور (العرَار)

٤ — أسرت قلبك حين بدت من وراء الستارة تبتسم ومن خلفها سريرها المزين الوثير .

٥ — بقوامها الحسن الذى جمع بين الطول وجمال التنسيق .

٦ — تتثنى فى ثوبها المشقوق الذى يكشف عن ذراعيها ، وقد ائتزرت فوقه بمِلْحَفَتِها كأنها النشوان .

٧ — ....

٨ — ....

٩ — وتتيه بجيدها الصقيل الطويل وكأنه جيد غزال ، ووجهِها الفاتن النضير .

١٠ — أسنانها صافية كالبلور ، تبرق أطرافها ، ويشفى لثمها المتيم ، ويثلج لوعته وحرارته .

١١ — كأنها أوراق زهر (الأُقحوان) البيضاء ، قد صفى لونها ، وارتفع ساقها ، وقد نبتت فى منخفَض استقر فيه الماء .

١٢ — وتسترسل غدائر شعرها الأَسود على كَفَلِها الوثير الرجراج.

---

(١) راجع القصيدة (١٠)

وَقَالَ يَهْجُو شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ الجَحْدَرِيّ :

(مجزوء الكامل)

١ — يَا جَارَتِي مَا كُنْتِ جَارَهْ   بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عُفَارَهْ

٢ — تُرْضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ   حُسْنٍ مُخَالِطُهُ غَرَارَهْ

٣ — بَيْضَاءُ ضَحْوَتُهَا وَصَفْـ   ـرَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارَهْ

٤ — وَسَبَتْكَ حِينَ تَبَسَّمَتْ   بَيْنَ الْأَرِيكَةِ وَالسِّتَارَهْ

٥ — بِقَوَامِهَا الْحَسَنِ الَّذِي   جَمَعَ الْمَدَادَةَ وَالْجَهَارَهْ

٦ — كَتَمَيُّلِ النَّشْوَانِ يَرْ   فُلُ فِي الْبَقِيرَةِ وَالْأُزَارَهْ

٧ — .... هِرَارَهْ

٨ — ....الْعَمِيمِ بِلَاقِصَارَهْ

٩ — وَبِجِيدِ مُغْزِلَةٍ إِلَى   وَجْهٍ تُزَيِّنُهُ النِّضَارَهْ

١٠ — وَمَهًا تَرِفُّ غُرُوبُهُ   يَشْفِي الْمُتَيَّمَ ذَا الْحَرَارَهْ

١١ — كَذُرَى مُنَوِّرِ أُقْحُوَا   نٍ قَدْ تَسَامَقَ فِي قَرَارَهْ

١٢ — وَغَدَائِرٍ سُودٍ عَلَى   كَفَلٍ تُزَيِّنُهُ الْوَثَارَهْ

١٣ — وَأَرَتْكَ كَفًّا فِي الْخِضَا   بِ وَمِعْصَمًا مِلْءَ الْجِبَارَهْ

١٤ — وَإِذَا تُنَازِعُكَ الْحَدِيـ   ـثَ ثَنَتْ وَفِي النَّفْسِ ازْوِرَارَهْ

(١ — ٣) ماكنت أى كنت وما فى موضع نصب خبر كان . دلت المراة على زوجها أظهرت الجرأة عليه فى تغنج ، كأنها تخالفه وما بها خلاف . الغرارة التصابى والغفلة وحداثة السن . صفراء العشية لأنها تتزين وتطلى جسمها بالزعفران والطيب . العرارة شجر له نور أصفر قدر شبر .

(٤ — ٨) الاريكةسرير منجد مزين فى قبة أو بيت . جهرمراءه بجماله وهيئته.البقيرة ثوب يشق فيلبس بلا أكمام . الازار الملحفة وكل ماستر.

(٩ — ١٢) مغزلة معها غزال، أى غزالة ترعى ولدها ،فهو أجملها وأظهر لحنانها ووداعتها . النضارة الجمال . المها البلور. ترف تبرق . غرب كل شىء أوله وحده . المتيم الذاهب العقل . ذرى الشىء أعاليه . منور أخرج النور أو الزهر . الأقحوان نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر . تسامق علا وارتفع . قرارة الماء مستقره . الكفل المؤخرة . الوثارة كثرة اللحم والطراوة .

(١٣ — ١٤) الجبارة سوار عريض . ازور عدل وانحرف .

١٣— يزين كفها الخضاب ، ويملأ معصمها السوار .

١٤— إذا نازعتك الحديث انثنت معرضة عنك فى دلال .

١٥— نائية عن هواك ، فما ترجو لحبك المكظوم فى صدرك أن يؤتى الثمار .

١٦— ولقد تعود إلى اللين والمياسرة أحياناً فتحيي فى نفسك الأَمل ، ولكنها لا تلبث أن ترجع لما تعودت من الشح والإعسار .

١٧— ذهبت بلبك ثم لم تنوِّلك منها منالا ، على طول ما صبرتَ وكتمتَ همك مظهرا الحلم والوقار .

١٨— وما منعها أن تسخو فتثيبك على حبك وقد استطار

١٩— إلاَّ أن أمرك كان هينا عليها ، وقد حال من دونها الباب واحتوتها الدار .

٢٠— ورأت الشيب وقد اشتملك فجانبه البشاشة والجمال .

٢١— فاصبر فأَنك طالما أفنيت عمرك فى الخسارة .

٢٢— ولقد آن لك أن تفيق مما أنت بسبيله من الصبابة والدعارة

٢٣— بعد أن استمتعت بالحياة فى شتى ألوانها ، ولبست من نعيم العيش ما تشتهى وتريد .

٢٤— وأَصبت لذات الشباب تيّاها متبختراً ، ونعمت ناره .

٢٥— فشربتَ الراح تُسْقاها فى آنيتها وأَكوابها .

٢٦— حتى إذا أَخذت منك مأخذها اشتمل عليك الدوار ، وغشيتك النشوة .

وينتهى الشاعر من هذا الحديث الذى يسترجع به بعض ذكريات شبابه وقد أدركته الشيخوخة ليأخذ فيما هو بسبيله من مهاجمة خصمه ، فيبدأ ذلك ببعض من أَغراهم (شيبان بن شهاب) من (بنى فزارة الذيبانى) فأعانوا (بنى جحدر) على قومه . فيقول :

٢٧— دع عنك كل ذلك واقصد لغيره ، فشيطانى (مِسْحَل) يريد اليوم أن يذيع شراً منكراً .

٢٨— يعدو على الأعداء مضيقاً عليهم ، لا يستسلم لقوة ولا يُغْلَب على أمر .

١٥ — مِنْ سِرِّكَ الْمَكْتُومِ تَنْـ   أَى عَنْ هَوَاكَ فَلَا ثَمَارَهْ

١٦ — وَتُثِيبُ أَحْيَانًا فَتَطْـ   مِعُ ثُمَّ تُدْرِكُهَا الْغَرَارَهْ

١٧ — تَبَلَتْكَ ثُمَّتَ لَمْ تُنِلْـ   كَ عَلَى التَّجَمُّلِ وَالْوَقَارَهْ

١٨ — وَمَا بِهَا أَنْ لَا تَكُو   نَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى يَسَارَهْ

١٩ — إِلَّا هَوَانَكَ إِذْ رَأَتْ   مِنْ دُونِهَا بَابًا وَدَارَهْ

٢٠ — وَرَأَتْ بِأَنَّ الشَّيْبَ جَا   نَبَهُ الْبَشَاشَةُ وَالْبَشَارَهْ

٢١ — فَاصْبِرْ فَأَنَّكَ طَالَمَا   أَعْمَلْتَ نَفْسَكَ فِي الْخَسَارَهْ

٢٢ — وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تُفِيـ   قَ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالدَّعَارَهْ

٢٣ — وَلَقَدْ لَبِسْتُ الْعَيْشَ أَجْـ   مَعَ وَارْتَدَيْتُ مِنَ ٱلْأَبَارَهْ

٢٤ — وَأَصَبْتُ لَذَّاتِ الشَّبَا   بِ مُرَفَّلًا وَنَعِمْتُ نَارَهْ

٢٥ — وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ أُسْـ   قَى مِنْ إِنَاءِ الطَّهْرَجَارَهْ

٢٦ — حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مَا   خَذَهَا تَغَشَّتْنِي ٱسْتِدَارَهْ

٢٧ — فَاعْمِدْ لِنَعْتٍ غَيْرِ هـٰ   ذَا مِسْحَلٌ يَنْعِي النَّكَارَهْ

٢٨ — يَعْدُو عَلَى الْأَعْدَاءِ قَصْـ   رًا وَهْوَ لَا يُعْطِي ٱلْقَسَارَهْ

٢٩ — وَسْمَ الْعُلُوبِ فَأَنَّهُ   أَبْقَى عَلَى الْقَوْمِ ٱسْتِنَارَهْ

٣٠ — .... رَهْ

(١٥ — ١٨) ثمارة من ثمر الشجر (كنصر) أى طلع ثمره . تثيب تعاود . غارت الناقه (بتشديد الراء) غرارا نقص لبنها . تبله الحب أسقمه وأتلفه . تجمل الفقير لم يظهر على نفسه المسكنة والذل . الوقار الرزانة والحلم . اليسارة السهولة والغنى .

(١٩ — ٢١) الدارة الأرض السهلة تحيط بها الجبال ، وكل موضع يدار به شىء فهو دارة . البشارة الجمال .

(٢٢ — ٢٥) أنى لك آن لك . لبس العيش خبره ولازمه ملازمة الثوب للابسه . أبر الرجل (كفرح) صلح حاله . ترفل تتبختر كبرا . الطهر جارة والطهر جالة الفنجانه .

(٢٦ — ٣٠) المسحل الحمار ، وهو اسم شيطان الأعشى . ينعى عليه ذنوبه أى يظهرها ويشهرها . النكر الداهية والفطنة ، وكذلك النكارة . قصره فى بيته قصرا حبسه ، وقصره على الأمر رده إليه . قسره على الأمر أكرهه عليه وقهره . وسمه أعلمه بالكى . العلب (بفتح فسكون) الأثر والحز . استنارة وضوحا . و ستنار عليه ظفر به وغلبه .

٢٩ــ يترك على القوم آثاراً كحزّ المكواة ، تبقى ظاهره لاتزول .

٣٠ــ ....

٣١ــ إننا لا ينقصنا الشرف ولا تعوزنا القوة ، حين يحتاج غيرنا من الضعفاء المقصّرين إلى المدد والعون .

٣٢ــ ولانشبَّه : (الخَشْرَمَيْن) و (مالك) و (أبى زُخَارة)

٣٣ــ و (بنى بُدَيْد) . أولئك هم أهل اللؤم والذل والهوان .

٣٤ــ ليسوا بأكفاء حين توازنهم بأخوَىْ (فزارة) الماجدين.

٣٥ــ (بدرٍ) و (حصن) ، سيدَىْ (قيس عيلان) بما ضمت من قبائل كثيرة وجماعات .

٣٦ــ ولا هم يقاسون إلى (هرم بن قُطْبَة) و (هَرِم بن سِنان) فى بيت الحكومة والفضل.

٣٧ــ ولا إلى (قيس بن زهير) ولا (الربيع بن زياد) ولا (عُمارة بن زياد) سادة عبس.

٣٨ــ ولا إلى (خارجة بن سنان) الذى حقن دماء قومه ، وتولى عنهم دفع ديات القتلى متكفلا بها (١)

ثم يتجه الشاعر إلى شَيْبان بن شِهاب الجَحْدَرِىّ الذى يتهمه بتهييج الشر بين الحيين ، وبأغراء هذا النفر من بنى فَزَارَة ، فيقول:

٣٩ــ لقد حملتَ هؤلاء القوم على مركب صعب سينتهى بهم إلى الدمار .

٤٠ــ ولقد علمتَ ما فى الحرب من ضيق ومكاره لا أراك تصبر لها .

٤١ــ وليحبسنك هذا الضيق بأيدينا فيعصرك عصراً .

٤٢ــ ولسوف تعبس لمشهد الرماح حتى تبدو أسنانك فى فزعك ، وما تبدو لضحكٍ أو ابتسام .

٤٣ــ ولتزهقن روحك حتى تسير فوق لحيتك حين لا سبيل إلى الرجوع .

٤٤ــ ....

(١) كل من ذكرهم الشاعر فى الأبيات ٣٥ — ٣٨ من رجال عبس وذبيان المشهورين فى حرب داحس والغبراء التى جرت بينهما .

٣١— لَا نَاقِصِى حَسَبٍ وَلَا ‏ أَيْدٍ إِذَا مُدَّتْ قِصَارَهْ

٣٢— .... نِى بِٱلْخَشْرَمَيْـ ‏ نِ وَمَالِكٍ وَأَبِى زُخَارَهْ

٣٣— وَبَنِى بُدَيْدٍ إِنَّهُـمْ ‏ أَهْـلُ اللَّآمَةِ وَالصَّغَارَهْ

٣٤— لَيْسُوا بِعَدْلٍ حِينَ تَنْـ ‏ سُبُهُمْ إِلَى أَخَوَىْ فَزَارَهْ

٣٥— بَدْرٍ وَحِصْنٍ سَيِّدَىْ ‏ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ ٱلْكُثَارَهْ

٣٦— وَلَا إِلَى ٱلْهَرِمَيْنِ فِى ‏ بَيْتِ الْحُـكُومَةِ وَٱلْخِيَارَه

٣٧— وَلَا إِلَى قَيْسِ ٱلْحِفَا ‏ ظِ وَلَا الرَّبِيعِ وَلَا عُمَارَهْ

٣٨— وَلَا كَخَارِجَةَ ٱلَّذِى ‏ وَلِىَ ٱلْحَمَالَةَ وَٱلصَّبَارَهْ

٣٩— وَحَمَلْتَ أَقْوَامًا عَـلَى ‏ حَدْبَاءَ تَجْعَلُهُمْ دَمَارَهْ

٤٠— وَلَقَدْ عَلِمْتَ لَتَـكْرَهَـ ‏ نَّ ٱلْحَرْبَ مِنْ أَصْرٍ وَغَارَهْ

٤١— وَلَسَوْفَ يَحْبِسُكَ ٱلْمَضِيـ ‏ قُ بِنَا فَتَعْتَصِرُ ٱعْتِصَارَهْ

٤٢— وَلَسَوْفَ تَكْلَحُ لِلْأَسِنَّـ ‏ ةِ كَلْحَةً غَـيْرَ ٱفْتِرَارَهْ

(٣١ — ٣٥) الحسب ما يعد من مفاخر الآباء . الأيد القوة . مدت من مد القوم أى صار لهم مددا وأغاثهم بنفسه . قصارة جمع قصيرة ، ويقصد بها الضعاف الذين يحتاجون للعون والمدد من غيرهم . مالك بن بدر الفزارى . الصغارة الهوان والذل . العدل النظير . فزارة من ذبيان ، وأخوا فزارة هما اللذان بينهما فى البيت التالى . حذيفة بن بدر صاحب داحس والغبراء . حصن بن حذيفة ابن بدر الفزارى الذى طلب بدم حذيفة أبيه فى حرب داحس والغبراء التى كانت بين عبس وذبيان ، وفزارة كما قلنا من ذبيان . وعبس وذبيان أبناء عم ينتهى نسبهم إلى قيس عيلان . كثره غلبه فى كثرة العدد فهو كثر (بفتح الكاف) وكثير وكثار (بضم الكاف) .

(٣٦) الهرمين هما هرم بن سنان بن حارثة المرى صاحب زهير الشاعر ومضرب المثل فى الجود ، وهرم بن قطبة بن سنان الفزارى أحد حكام قيس ، وهو أحد الذين حكموا فى منافرة عامر وعلقمة . بيت الحكومة ، الذين يحكمون بين الناس فى خصوماتهم ويلجئون إليهم لشرفهم فيرضون حكمهم . خيار الشىء أفضله .

(٣٧) قيس بن زهير من زعماء عبس ، وهو الذى راهن حذيفة بن بدر على فرسيه داحس والغبراء بفرسيه الخطار والحنفاء ، فكان ذلك سبب الحرب بين الحيين . الحفاظ الأنفة والذب عن المحارم . الربيع بن زياد أحد زعماء بنى عبس كان نديما للنعمان ملك الحيرة . عمارة بن زياد من زعماء عبس .

(٣٨) خارجة بن سنان ، تحمل بعض حمالات الحرب بين عبس وذبيان . الحمالة الغرامة والدية يحملها قوم عن قوم . وكان القتال إذا طال بين الحيين قام أحد أشراف الحى فيتعهد على نفسه بدفع ديات القتلى من الحى الآخر ، ويدفع ذلك من عنده أو يستعين بنفوذه على جمعه من الأحياء الأخرى . الصبارة الكفالة .

(٣٩ — ٤٢) الحدباء الناقة التى بدت عظامها من الهزال فهى تتعب راكبها . والحدباء السنة الشديدة ، والأمور الشاقة . الأصر الكسر والحبس . الكلوح ظهور الأسنان عند العبوس . افتر تبسم وضحك .

٤٥ — ....

٤٦ — وعند ذاك تعلم أنك قد أثرت الشر بما قدمت يداك ، وأطرته وقد كان راقدا .

٤٧ — وعند ذاك يصدق ما ظننت وما أردت من قطع صلات القرابة . فلن تكون إلا الحرب . لا اجتماع ، ولا زيادة ،

٤٨ — ولا براءة لبرىء ، ولا إِسْجَاحَ ولا انقياد ، ولا حُرْمَةَ ولا جوار .

٤٩ — لن يكون بيننا إلا مفاجأة فرس طويل العنق والقوائم ، يستنفد القتالُ العُلَالَةَ الباقية من نشاطه ،

٥٠ — أو فرسة طويلة ملساء تثب بالفارس يغطى جسمَه ورأسه الدرعُ والمِغْفَر .

٥١ — تنطلق فى الصباح بفرسان كأنهم أسود (الرَّقْمَتَيْن) قد لزمت الغاب والآجام ، فى حمرتهم الدكناء

٥٢ — ولقد يعلم (بنو ضبيعة) أن الشراسةَ بعضُ خلقِ الجرىء الشجاع .

٥٣ — إنا لنواجه من يواجههم ، ونُثْخِنُ ذا العداوة بالقتل والجراح .

٥٤ — وليس قتالنا قرعا بالعصى ، ولا هو قذفا بالحجارة .

٥٥ — ....

٥٦ — ولكنه ضرب بالسيف الأبيض الصارم ، يتموَّج نصله بالخطوط التى تكشف عن أصالته .

٥٧ — ماضى الحد بتار ، يشفى النفوس مما تجد من حرارة الحقد والغيظ .

٥٨ — فلنلحقنَّك بمن سلف من (بنى مِنْقَر) و (بنى زُرَارة)

٥٩ — ولنذلَّنكم فتكونون كأبناء هؤلاء الذين قتلهم (عمرو بن هند) (يوم القُصَيْبة) فى (أُوارة)

٤٣— وَتَسِيرُ نَفْسٌ فَوْقَ لِحْـ يَتِهَا وَلَيْسَ لَهَـا إِحَارَهْ

٤٤— وَتَرَ .... ـسَارَهْ

٤٥— رَبَذِينَ فِي ٱلْأَفْزَاعِ بَيْـ ن ....ارَهْ

٤٦— وَهُنَاكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا قَدَّمْتَ كَانَ هُوَ ٱلْمُطَارَهْ

٤٧— وَهُنَاكَ يَصْدُقُ ظَنُّكُمْ أَنْ لَا ٱجْتِمَاعَ وَلَا زِيَارَهْ

٤٨— وَلَا بَرَاءَةَ لِلْبَرِي ءِ وَلَا عِطَاءَ وَلَا خُفَارَهْ

٤٩— إِلَّا عُـلَالَةَ أَوْ بُدَا هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ ٱلْجُزَارَهْ

٥٠— أَوْ شَطْبَةٍ جَرْدَاءَ تَضْـ بِرُ بِالْمُدَجَّجِ ذِي ٱلْغِفَارَهْ

٥١— تَغْدُو بِأَكْلَفَ مِنْ أُسُو دِ ٱلرَّقْمَتَيْنِ حَلِيفِ زَارَهْ

٥٢— وَبَنُو ضُبَيْعَةَ يَعْـلَمُو نَ بَوَارِدِ ٱلْخُلُقِ ٱلشَّرَاسَهْ

٥٣— إِنَّا نُوَازِي مَنْ يُوَا زِيهِمْ وَنَنْكِي ذَا ٱلضَّرَارَهْ

٥٤— لَسْنَا نُقَاتِلُ بِٱلْعِصِ يِّ وَلَا نُرَامِي بِٱلْحِجَـارَهْ

٥٥— .... الْبِكَارَهْ

٥٦— .... ذِي شُطَبٍ مِنَ ٱلْبِيضِ ٱلذِّكَارَهْ

٥٧— قَضِمِ ٱلْمَضَـارِبِ بَاتِرٍ يَشْفِي ٱلنُّفُوسَ مِنَ ٱلْحَرَارَهْ

(٤٣ — ٤٥) حار يحور رجع ، وأحار الشيء رده . ربذين سراع . الأفزاع جمع فزع وهو الاغاثة ، تقول فزعناهم أى أغثناهم .

(٤٦ — ٤٨) المطارة من أطار الطائر إطارة أى نفره وجعله يطير . العطاء الانقياد من عاطى بيده إذا انقاد . الخفارة (بكسر الخاء وضمها) الذمام ، من خفره أى أجاره وحماه وأمنه .

(٤٩ — ٥١) العلالة البقية من الشيء . البداهة المفاجأة. سابح فرس يسبح بيديه فى العدو . نهد ضخم القوائم . الجزارة أطراف الجزور وهى اليدان والرجلان والرأس ، سميت بذلك لأن الجزار يأخذها فهى جزارته . الشطبة الفرس السبطة اللحم .جرداء ملساء. ضبر الفرس والمقيد جمع قوائمه ووثب . المدجج المغطى بالسلاح . الغفارة المغفر الذى يلبسه المحارب فى رأسه . تغدو تنطلق فى الصباح . أكلف فى لونه حمرة تميل إلى السواد . الزارة الأجمة . الرقمتان روضتان بناحية الصمان . والرقمة جانب الوادى أو مجتمع مائه .

(٥٢ — ٥٥) بنو ضبيعة فرع من بكر وهو الجد الذى يجتمع فيه الأعشى بشيبان بن شهاب الجحدرى . الوارد الجرىء والسابق والشجاع. الشراسة مصدر من شرس الرجل أتى منه الشر. وازاه قابله وواجهه . نكى فى العدو نكاية أكثر الجراح . الضرارة العداوة .

(٥٦ — ٥٧) شطب جمع شطبة (بكسر فسكون) وهى طريقة السيف أو الواحدة من الخطوط التى فى نصله . قضم الشيء (كعلم وضرب) أكله بأطراف أسنانه . المضارب جمع مضرب اسم مكان أى حد السيف .

٦٠ــ فجروا على ما ألفوا من خنوع واستكانة ، ولـكل عادات أمارة .

٦١ــ وعصارة العود تنبىء عن نوعه ، ولـكل عيدان عصارة .

٦٢ــ إنا لنفرض أنفسنا على المياه ونَرِدُهَا أَوَّلَ الواردين ، ولا نُسْتَذَلُّ ولا نُطرَد عليها كما تطرد الكلاب .

٦٣ــ فاعرف قدر نفسك قبل أن توردها موارد الهلاك ، وانظر كيف ورطتها فى الحرج والضيق

٦٤ــ فأنى زعيم بأن تعضك الحرب عضة عقوراً .

٦٥ــ ولقد حلفت لتصبحن فى حيرة تعمى عليك فيها السبل جزاء بعض ظلمك الذى جنيت .

٦٦ــ ولتشربن غارتنا فى الصباح كأساً من السم مرة العواقب وخيمة الآثار .

٦٧ــ ولقد علمتم حين يُنْسَب كل حى ذى نعمة ويسار .

٦٨ــ أنّا عريقون فى العز والمجد ، ورثناه ثابتاً ، نحل منه فى أفضل مراتبه .

٦٩ــ لنا دونكم العدد الجم الـكثير . وما أرى لـكم بعد ذلك عقولا .

٧٠ــ فلقد كنتم لصوص ليل ، وغدا تصبحون عُزَّابًا حين تسبى نساؤكم فى الحروب .

٥٨— وَتَكُونُ فِى ٱلسَّلَفِ ٱلمُوَا   زِى مِنْقَرًا وَبَنِى زُرَارَهْ

٥٩— أَبْنَاءَ قَوْمٍ قُتِّلُوا   يَوْمَ ٱلْقُصَيْبَةِ مِنْ أُوَارَهْ

٦٠— فَجَرَوْا عَلَى مَا عُوِّدُوا   وَلِكُلِّ عَادَاتٍ أَمَارَهْ

٦١— وَٱلْعُودُ يُعْصَرُ مَاؤُهُ   وَلِكُلِّ عِيدَانٍ عُصَارَهْ

٦٢— وَلَا نُشَبَّهُ بِالْكِلَا   بِ عَلَى ٱلْمِيَاهِ مِنَ ٱلْحَرَارَهْ

٦٣— فَٱقْدِرْ بِذَرْعِكَ أَنْ تَحِيـ   نَ وَكَيْفَ بَوَّأْتَ ٱلْقَدَارَهْ

٦٤— فَأَنَا ٱلْكَفِيلُ عَلَيْهِمُ   أَنْ سَوْفَ تُعْتَقَرُ ٱعْتِقَارَهْ

٦٥— وَلَقَدْ حَلَفْتُ لَتُصْبِحَـ   نَّ بِبَعْضِ ظُلْمِكَ فِى مَحَارَهْ

٦٦— وَلَتَصْبَحَنَّكَ كَأْسُ سُـ   مٍّ فِى عَوَاقِبِهَا مَرَارَهْ

٦٧— وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ يُنْـ   سَبُ كُلُّ حَيٍّ ذِى غَضَارَهْ

٦٨— أَنَّا وَرِثْنَا ٱلْعِزَّ وَٱلْـ   مَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ ذَا السَّرَارَهْ

٦٩— وَوَرِثْتُ دَهْمًا دُونَكُمْ   وَأَرَى حُلُومَكُمُ مُعَارَهْ

٧٠— إِذْ أَنْتُمُ بِاللَّيْلِ سُرَّ   اقٌ وَصُبْحَ غَدٍ صَرَارَهْ

(٥٨ — ٦٠) منقر بيت من سعد بن زيد مناة بن تميم منهم قيس بن عاصم المنقرى . زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكان المنذر بن ماء السماء أودع عنده أصغر أبنائه، فعدا عليه زوج ابنته فقتله ، فكان ذلك سبب يوم أوارة الثانى ، إذ سار عمرو ابن هند — بعد وفاة أبيه للنذر — إلى بنى تميم ، فاتخذ لهم أخدوداً أضرم فيه النار وأحرقهم فيه . وأوارة جبل لبنى تميم . الأمارة العلامة .

(٦١ — ٦٤) اقدر بذرعك أى قس بذراعك ، يطلب إليه أن يقدر الأمور تقديراً صحيحا فيعرف أين هو منهم . تحين تهلك . بوأ المكان وتبوأه حله وأقام به . القدارة مصدر قدر عليه (بفتحتين) أى ضيق وأمسك . عقره جرحه ونحره . وعقر الفرس والابل قطع قوائمها بالسيف .

(٦٥ — ٦٧) محارة مصدر ميمى من حار يحار إذا نظر إلى الشىء فغشى عليه أو ضل ولم يهتد لطريقه . صبح القوم (كضرب) أتاهم وأغار عليهم صباحا . وصبحهم ناولهم الصبوح (بفتح الصاد) وهى خمر الصباح . الغضارة النعمة والسعة والخصب .

(٦٨ — ٧٠) أثل ماله أصله وعظمه وثبته ، والمؤثل الثابت . السرارة خالص النسب وأفضله . وسرار الوادى (بفتح السين) بطنه وأفضل مواضعه . الدهم العدد الكثير . الحلم الأناة والعقل . صرارة وصرار (بكسر الصاد) لم يتزوج ، للواحد والجمع . يقصد أن نساءهم أخذن سبايا فى الحرب .

إياس بن قبيصة الطائى يمنى من (طىء) وأمه ربعية من (شيبان بن ثعلبة) ، وهى أمامة بنت مسعود (١) ، أخت هانىء بن مسعود الذى أودع عنده النعمان أسلحته قبل أن يقدم على كسرى . وكان إياس عامل كسرى على (عين التمر) وما والاها إلى (الحيرة) . وقد أطعمه كسرى أبرويز ثلاثين قرية على شاطىء الفرات ، واستعمله على الحيرة ، وما كان عليه النعمان بن المنذر ، بعد قتله (٢). وكان المنذر قد أوصاه ببنيه قبل وفاته(٣) ، وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رايه . فمكث مملكا عليها أشهرا ، حتى اختار كسرى النعمان بن المنذر . فلما قتل النعمن جعل ملكه لاياس . وقد ظل إياس على الحيرة من بعد النعمان أربع عشرة سنة وثمانية أشهر . ولما غزا كسرى بنى بكر بعد مقتل النعمان فى (ذى قار) كان إياس أحد قواده . ولما قدم عليها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ كان أحد نقباء الحيرة الخمسة الذين أبرموا معه الصلح على تسعين ومائة ألف درهم(٤) (أو ستين ألف)(٥)، فكانت أول جزية حملت من أرض المشرق وأول مال قدم به من المشرق على أبى بكر . وذكر أبو يوسف فى كتاب الخراج أن إياساً ظل والياً على الحيرة حتى قدم خالد .

وقد كان إياس مترفا فيما يصور لنا التاريخ والقصص . لحسان بن ثابت يحدثنا عن نفسه فى الجاهلية ، ويصف مجلسا لجبلة بن الأيهم كانت فيه عشر قيان ، خمس يغنين بالرومية على برابط ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة . ثم يقول إن إياس بن قبيصة كان قد أهداهن إليه (٦).

وكان أيضاً ذا جاه ومكانة يعتد بها . فهو يدخل على النعمان محتداً ينتصر لحاتم الطائى . فى بعض خلاف قام بينه وبين بيت آخر من بيوت طىء ، كانت تصله بالنعمان صلة المصاهرة . فينصفه النعمان (٧).

وقد روى للأعشى فى مدح إياس هذا خمس قصائد وهى : (٢١) ، (٢٩) ، (٣٦) ، (٥٥) ، (٧٩) .

ونظام هذه القصيدة هو النظام المألوف : غزل وذكريات للشباب من خمر ونساء ، ثم وصف للصحراء والناقة فى رحلتها الطويلة الشاقة ينتهى به المدح .

وهو لا يذكر اسم صاحبته . ولكنه يشير إليها بـ (تيا) كما يفعل فى كثير من غزله . يقول :

---

١ — ألا قل لـ (تَيَّاك) فيم تجمع حوائجها وأحمالها ؟ أو قد اعتزمت الرحيل فهى تشد الرحال ؟

٢ — أم أنها تفعل ذلك عن تيه ودلال ؟ فمن حق فتاة مثلها على شيخ مثلى الإعزاز والإدلال .

٣ — فقد مضى الشباب ، ومضى معه تطلاب الغانياتَ .

٤ — وكيف لك أن تعود ذا لِمَّة وقد ذهب شعرك . وكيف لك أمثالها من البيض الحسان !

٥ — إذا قامت راعتك بقوام مديد كأنه جريدة النخل ، وإذا قعدت برز ردفها كأنه كثيب الرمال ، رقيقة ناعمة العيش والبال .

٦ — إذا أدبرت خلتها كثيباً مركوما ، وإن أقبلت رأيت ظبيا رشيقاً .

٧ — حيثما حللت ، وفى كل منزلة بت ، يؤرق خيالها الفتان عينيك .

٨ — إنها همى وشغلى الشاغل ، فليت دارها تقرب وتواتى ! ولكنها تحل بعيداً نائية . .

٩ — ياللشباب الذاهب ! رب خمر صِرْفٍ كأنها حدق العيون فى صفائها ، تسرع نشوتها وفترتها إلى الشاربين

---

(١) الأغانى ٢٠ : ١٣٢ (٢) الأغانى ٢٠ : ١٣٢ ، النقائض ١٣٩ (٣) الأغانى ٢ : ١٠٦
(٤) الطبرى ١ : ٢٠٦١٤ : ٢ ، ٢٠٦٢ (٥) الخراج لأبى يوسف ١٤٢ — ١٤٥ (٦) الأغانى ١٦ : ١٤ (٧) الأغانى ١٦ : ٩٦

وَقَالَ يَمْدَحُ إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِيَّ :

١ — أَلَا قُلْ لِتَيَّاكَ مَا بَالُهَا   أَلِلْبَيْنِ تُحْدَجُ أَحْمَالُهَا   (متقارب)

٢ — أَمْ لِلدَّلَالِ فَإِنَّ ٱلْفَتَا   ةَ حَقٌّ عَلَى الشَّيْخِ إِدْلَالُهَا

٣ — فَإِنْ يَكُ هٰذَا الصِّبَى قَدْ مَضَى   وَتِطْلَابُ تَيَّا وَتَسْآلُهَا

٤ — فَأَنَّى تَحَوَّلُ ذَا لِمَّةٍ   وَأَنَّى لِنَفْسِكَ أَمْثَالُهَا

٥ — عَسِيبُ ٱلْقِيَامِ كَثِيبُ ٱلْقُعُو   دِ وَهْنَانَةٌ نَاعِمٌ بَالُهَا

٦ — إِذَا أَدْبَرَتْ لِمَتَهَا دِعْصَةٌ   وَتُقْبِلُ كَالظَّبْيِ تِمْثَالُهَا

٧ — وَفِى كُلِّ مَنْزِلَةٍ بِتَّهَا   يُؤَرِّقُ عَيْنَيْكَ أَهْوَالُهَا

٨ — هِىَ ٱلْهَمُّ لَوْ سَاعَفَتْ دَارُهَا   وَلٰكِنْ نَأَى عَنْكَ تَحْلَالُهَا

٩ — وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَوْنِ الْفُصُوصْ   سَرِيعٍ إِلَى ٱلشَّرْبِ إِرْسَالُهَا

١٠ — تُرِيكَ ٱلْقَذَى وَهْيَ مِنْ دُونِهِ   إِذَا مَا تُصَفَّقُ جِرْيَالُهَا

١١ — شَرِبْتُ إِذَا الرَّاحُ بَعْدَ الْأَصِيـ   لِ طَابَتْ وَرُفِّعَ أَطْلَالُهَا

١٢ — وَأَبْيَضَ كَالنَّجْمِ آخَيْتُهُ   وَبَيْدَاءَ مُطَّرِدٍ آلُهَا

١٣ — قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا   وَنُطْقٍ بِالْهَوْلِ أَغْفَالُهَا

(١ — ٣) تيا تصغير تى اسم إشارة للمفرد المؤنث . البين الفراق . حدج الأحمال شدها ووسقها ، وحدج البعير شد عليه الحدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج .

(٤ — ٦) العسيب الجريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . الكثيب القطعة المتراكمة من الرمل . الوهنانة من النساء التى فيها فتور وأناة ، أو الكسلى عن العمل تنعما . الدعصة كثيب صغير. تمثالها صورتها وشخصها.

(٧ — ٩) الأهوال جمع هول وهو مصدر من هالت المرأة بحسنها إذا تزينت بزينة اللباس والحلى ، فهى تهول بحسنها من رآها . الصهباء الخمر . صرف لم تمزج بالماء . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين .

(١٠ — ١٣) القذى مايقع فى العين والشراب من غبار ونحوه . صفق الشراب حوله من إناء إلى إناء ليصفو . الجريال صبغ أحمر . الراح الخمر . الأصيل وقت غروب الشمس . رفعه قدمه ، ورفعه كذلك ضد وضعه . الطلة (بالتشديد والفتح) الخمر اللذيذة ، واللذيذ من الروائح . يقال خمر طلة ورائحة طلة ، والروضة بلها الطل وهو الندى . اطرد الأمر تبع بعضه بعضا واستقام. خب طال وارتفع . الريعان السراب . الأغفال جمع غفل (بضم فسكون) وهى الأرض التى لاعلم بها .

١٠- إذا صفيت من إناء إلى إناء بدت فى حمرتها رائقة تشف عما وراءها من أقذاء .

١١- شربتها حين تطيب الخمر للشاربين بعد الغروب ، وتسطع رائحتها العبقة فتملأ الأَرجاء

١٢- كم من رفيق أبيض صبيح كأنه النجم قد آخيته . وكم من بيداء يطرد فيها السراب ،

١٣- قطعتها وقت الهاجرة حين يخفق فيها الآل ويرتفع ، وتنطق بالهول مسالكها المضلة التى لايهتدى فيها بأعلام

١٤- فوق ناقة سريعة من خيرة الهِجَان ، تأتى على مسالك الصحراء وتغتال فجاجها فَجًّا من بعد فجاج .

١٥- كأنها فى نشاطها حمار وحش ذو خطين ، يجمع القطعان من الأتن فيسوقها أمامه ويجول بها فى الصحراء .

١٦- حُولًا لا ولد لها ولا لبن ، جمعها من شتى البقاع ، واختارها على ما يحب ويشتهى ، فاتخذها حلائل لم يغرم فيها مهراً ولا مالا .

١٧- وهو على نشاطه ، عنيف فى الجمع بين هذا العدد الضخم من الضرائر ، يسوقه أمامه حيث يشاء .

١٨- إذا حال بينها وبينه دفعة من التراب ، فارتفع ستاره ذاهبا فى السماء ،

١٩- لم يرض بالقرب منها حتى يلصق رأسه بأعجازها ، فيتخذه لفكه وسادا .

٢٠- أقام ميلها وشذوذها حتى استوى له أمرها واجتمع ، فكأنه الحبل المُسْتَحْصِد المفتول .

٢١- فذلك شبيه ناقتى فى العنف والنشاط . وما تدْمِنُ السير وتديم الرحلة لسواك .

٢٢- وكم دون بيتك من تيه من الصحارى والرمال ، ومن أرض إذا قُدِّرت ميلا من ورائه أميال ،

٢٣- خيف منها على المسافرين الهلاك فى مسالكها المضلة ، وأقطارها المترامية التى تغتال الرجال .

٢٤- من عندك تعود ناقتى يا إياس ، وإليك تُقْبِل ، حين تقطع مثل هذه المسالك فى العودة والإقبال .

٢٥- وإنك لَلْفَرْدُ الذى لانظير له فى القوم ولا مثال .

٢٦- وإنك لأبرهم باليمين إذا أقسمت ، وأفضلهم إذا عدت الأفضال .

٢٧- وإن المستجير بجواره ليعيش تحت ظله فى خير حال ، حتى ما يتمنى شيئاً وراء مااختار له من نعمة البال .

١٤— بِناجِيَةٍ مِنْ سَراةِ ٱلْهِجا   نِ تأْتى ٱلْفِجاجَ وتَغْتالُها

١٥— تَراها كَأَحْقَبَ ذِى جُدَّتَيْـ   ـنِ يَجْمعُ عُونًا ويَجْتالُها

١٦— نَحائِصَ شَتَّى عَلَى عَيْنِهِ   حَلائِلَ لَمْ يُؤْذِهِ مالُها

١٧— عَنِيفٌ وإِنْ كانَ ذا شِرَّةٍ   بِجَمْعِ ٱلضَّرائِرِ شَلّالُها

١٨— إِذا حالَ مِنْ دُونِها غَبْيَةٌ   مِنَ التُّرْبِ فَٱنْجالَ سِرْبالُها

١٩— فَلَمْ يَرْضَ بِٱلْقُرْبِ حَتَّى يَكُو   نَ وِسادًا لِلَحْيَيْهِ أَكْفالُها

٢٠— أَقامَ ٱلضَّغائِنَ مِنْ دَرْئِها   كَفَتْلِ ٱلْأَعِنَّةِ فَتّالُها

٢١— فَذٰلِكَ شَبَّهْتُهُ ناقَتِى   وَما إِنْ لِغَيْرِكَ إِعْمالُها

٢٢— وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ مَهْمَهٍ   وأَرْضٍ إِذا قِيسَ أَمْيالُها

٢٣— يُحاذِرُ مِنْها عَلَى سَفْرِها   مَهامِهُ تِيهٌ وأَغْوالُها

٢٤— فَمِنْكَ تَؤُوبُ إِذا أَدْبَرَتْ   وَنَحْوَكَ يُعْطَفُ إِقْبالُها

٢٥— إِياسُ وأَنْتَ ٱمْرُؤٌ لا يُرَى   لِنَفْسِكَ فِى ٱلْقَوْمِ مِعْدالُها

٢٦— أَبَرُّ يَمِينًا إِذا أَقْسَمُوا   وأَفْضَلُ إِنْ عُدَّ أَفْضالُها

٢٧— وَجارُكَ لا يَتَمَنَّى عَلَيْـ   ـهِ إِلَّا ٱلَّتِى هُوَ يَقْتالُها

(١٤ — ١٥) ناجية سريعة . سراة كل شيء خياره وأحسنه . الهجين الكريم من كل شيء . الفجاج جمع فج وهو الطريق والناحية . تغتالها تقطع غولها أى بعدها . الأحقب حمار الوحش ، سمى بذلك لبياض فى حقويه ، والحقو (بفتح الحاء) الخصر . الجدة الطريقة والعلامة والخطة فى ظهر الحمار تخالف لونه . عون جمع عانة وهى القطعة من الحمير ، اجتاله حوله عن قصده، واجتالته الشياطين صرفته عن هداه إلى ضلالتها وأخذته بأن يجول معها . واجتاله كذلك اختاره .

(١٦ — ١٨) النحوص (بفتح النون) الحائل غير الحامل . حلائل جمع حليلة وهى الزوجة . الشرة الحدة والنشاط والحرص. الضرائر جمع ضرة، وهى النساء التى يجمع بينهن زوج واحد . الشل الطرد . الغبية الدفعة من كل شيء . انجال التراب ذهب وسطع وارتفع . السربال القميص والدرع وكل ما يلبس .

(١٩ — ٢١) اللحى منبت اللحية ولكل حيوان لحيان فى كل صدغ لحى و هما الفك الأسفل . الكفل المؤخرة . الدرء الميل والاعوجاج فى القناه ونحوها . وقومت درء فلان أى عوجه . الأعنة جمع عنان وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . أعمل الناقة كلفها العمل والسير .

(٢٢ — ٢٥) المهمه الصحراء . الميل ما أحاط به البصر . السفر (بفتح فسكون) جماعة المسافرين . تيه يضل سالكها . الغول (بفتح الغين) بعد المسافة لأنه يغتال من يمر به . والغول كذلك المشقة . عدل الرجل ومعداله نظيره .

(٢٦ — ٢٧) لايتمنى عليه أى على نفسه . اقتال الشيء اختاره .

٢٨— فهو من جواره فى حصن حصين ، وكأن بيته فى صخرة ممتنعة تُطِيف حولها الأوعال .

٢٩— وكم من كتيبة كاملة الآلات من الأقواس والدروع تمضى فى القوم سريعة الإيغال .

٣٠— سموت إليها بكتيبة كثيفة مَوَّارة ، فغادرت أبطالها مجندلين فيما ثار من غبار القتال .

٣١— ولقد تحل بقومه النازلة المستغلقة التى يُعجِز ذوى الرأى فى حلها الاحتيال ،

٣٢— فلا يزال يعالجها حتى يجد لهم منها مخرجا ، ويمضى فى إتمامها إلى غاية الكمال .

٣٣— إذا دعوته فى الليلة المدلهمة الخطب ، التى تطول فيها الهموم وتعظم الأهوال ،

٣٤— وجدت حامياً للمحارم حمالا لأعبائها ، يحشد على حمايتها أقصى الجهد والمال .

٣٥— وإذا احتدمت الحرب وتوقدت نيرانها وجدت بطلا يُبْلِى أَحسن البلاء فى القتال .

٣٦— وإذا نزلت به النازلة صبر لها غير مبال ، وإذا وهب أجزل النوال .

٣٧— يقود الخيل فى القتال حتى يطول كر القائمين عليها وإيغالهم فى الغزو والترحال .

٣٨— يسيرون الليل كله وقد غارت أعين الإبل وتضعضعت قواها وجفت ضروعها من الألبان .

٣٩— وتتعالى الأصوات مختلطة بزجر الخيل بين مهيأة عليها أرسانها أو مطلقة لا قلائد عليها ولا رأسان .

٤٠— يكف القائمون على تدبير الجيش له صفوفه ويسوونها حتى إذا حان وقت النزال ،

٤١— انطلقت جماعاته تندفق تدفُّقَ دلاء الماء قد انطلقت من محبسها ، فتكتسح من حان حَيْنُه وكتب عليه النكال .

٢٨- كَأَنَّ الشَّمُوسَ بِهَا بَيْتَهُ   يُطِيفُ حَوَالَيْهِ أَوْعَالُهَـا

٢٩- وَكَامِلَةِ الرِّجْلِ وَالدَّارِعِينْ   سَرِيعٍ إِلَى ٱلْقَوْمِ إِيغَالُهَا

٣٠- سَمَوْتَ إِلَيْهَا بِرَجْرَاجَةٍ   فَغُودِرَ فِي النَّقْعِ أَبْطَالُهَا

٣١- وَمَعْقُودَةِ ٱلْعُقْمِ مِنْ قَوْمِهِ   قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ مُحْتَالُهَا

٣٢- تَمَمْتَ عَلَيْهَا فَأَتْمَمْتَهَا   وَتَمَّ بِأَمْرِكَ إِكْمَالُهَـا

٣٣- وَإِنَّ إِيَاسًا مَتَى تَدْعُهُ   إِذَا لَيْلَةٌ طَـالَ بَلْبَالُهَـا

٣٤- أَخٌ لِلْحَفِيظَةِ حَمَّالُهَـا   حَشُودٌ عَلَيْهَا وَفَعَّالُهَا

٣٥- وَفِي ٱلْحَرْبِ مِنْهُ بَلَاءٌ إِذَا   عَوَانٌ تَوَقَّدَ أَجْذَالُهَـا

٣٦- وَصَبْرٌ عَلَى الدَّهْرِ فِي رُزْئِهِ   وَإِعْطَاءُ كَفٍّ وَإِجْزَالُهَـا

٣٧- وَتَقْوَادُهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّى يَطُو   لَ كَرُّ الرُّوَاةِ وَإِيغَالُهَـا

٣٨- إِذَا أَدْلَجُوا لَيْلَةً وَالرِّكَا   بُ خُوصٌ تَخَضْخَضَ أَشْوَالُهَا

٣٩- وَتُسْمَعُ فِيهَا هَبِى وَاقْدَمِى   وَمَرْسُونُ خَيْلٍ وَأَعْطَالُهَا

٤٠- وَنَهْنَهَ مِنْهُ لَهُ ٱلْوَازِعُو   نَ حَتَّى إِذَا حَانَ إِرْسَالُهَا

٤١- أُجِيلَتْ كَمَرِّ ذَنُوبِ ٱلْقَرَى   فَأَلْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعَالُهَـا

(٢٨ — ٣١) الشموس الهضبة الصعبة المرتقى . رجل القوس ماعطف من طرفيها . ورجل السهم حرفاه ، والرجل كذلك القطعة العظيمة من الجراد . الدارعين جمع دارع ، ورجل دارع عليه درع . أوغل فى البلاد إيغالا ذهب وبالغ وأبعد . سموت إليها إلى هذه الكتيبة الضخمة وهى كتيبة الأعداء . كتيبة رجراجة من الرجرجة وهى الاضطراب والاهتزاز . النقع غبار المعركة . حرب عقيم ويوم عقيم وعقام أى شديد . معقودة العقم أى خطة شديدة صارت عقيما لا يهتدى لها . والعقيم فى الأصل هى التى لا تلد .

(٣٢ — ٣٥) تم على الأمر لزمه . أتممتها أى أصلحتها . البلبال الحزن والقلق وما يشغل البال . الحفيظة الغضب فيما يجب أن يحفظ والذب عن المحارم والمنع لها عند الحرب . الحشود من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والمال والنصرة والاعانة . العوان من الحروب التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، وأصله الناقة التى ولدت بعد ولادتها الأولى . أجذال جمع جذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر .

(٣٦ — ٣٨) الاجزال الاكثار . الراوى من يقوم على الخيل والجمع رواد . الايغال مصدر أوغل فى السير أى أبعد . أدلجوا ساروا فى الليل . الركاب الابل والواحدة منها راحلة (من غير لفظها) . خوص جمع أخوص ، والنعل خوص (كطرب) أى غارت عينه . الخضخضة تحريك الماء ونحوه . الأشوال جمع شائلة ، وهى ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .

(٣٩ — ٤١) هبى واقدمى زجر للخيل تحث بها على التقدم . المرسون من الخيل الذى له رسن . والأعطال هى التى لا قلائد عليها ولا أرسان لها . الشج الشق والكسر ، وشج الأرض براحلته شجا سار بها سيرا سريعاً . الذنوب الدلو فيها ماء . القرى كل ما حبس الماء كالحوض ، وقرى الماء فى الحوض جمعه . ألوى به ذهب به . حان هلك ودنت منيته .

٤٢ـــ ويعود بجيشه الظافر آخر النهار يسوق الجمال والأسلاب والأنفال .

٤٣ـــ إلى بيت كريم بَذَّال ، يعتريه ما تعود من الجود ، حين يغلب على النفس الشح والإعجاب بالمال .

٤٤ـــ وليس كمن ختم البخل على عطائه ومعروفه بالخواتم والأقفال .

٤٥ـــ على هذا يعيش . وما ضره لومَ الجهال وما يفترون من أقوال .

٤٦ـــ يعم بعطائه عشيرته ، ويغفر زلة سفيههم إذا استطال .

٤٧ـــ ولقد شُدَّتْ حبالُ بيتك من (سِنْبِسٍ) إلى ذروة العز والمجد والكمال .

٤٢ــ فَآبَ لَهُ أُصُلاً جَامِلٌ　　وَأَسْلَابُ قَتْلَى وَأَنفَالُهَا

٤٣ــ إِلَى بَيْتِ مَنْ يَعْتَرِيهِ ٱلنَّدَى　　إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَالُهَا

٤٤ــ وَلَيْسَ كَمَنْ دُونَ مَاعُونِهِ　　خَوَاتِمُ بُخْلٍ وَأَقْفَالُهَا

٤٥ــ فَعَاشَ بِذَلِكَ مَاضَرَّهُ　　صُبَاةُ ٱلْحُلُومِ وَأَقْوَالُهَا

٤٦ــ يَنُولُ ٱلْعَشِيرَةَ مَاعِنْدَهُ　　وَيَغْفِرُ مَا قَالَ جُهَّالُهَا

٤٧ــ وَبَيْتُكَ مِنْ سِنْبِسٍ فِي الذُّرَى　　إِلَى العِزِّ وَٱلْمَجْدِ أَحْبَالُهَا

(٤٢ ــ ٤٤) أصل جمع أصيل وهو وقت غروب الشمس . جامل جمع جمل . الأسلاب والأنفال الغنائم . اعتراه ألم به وعرض له . الندى الكرم والسخاء . الماعون فى الجاهلية الاعطاء والمعروف ، وفى الاسلام الطاعة والزكاة .

(٤٥ ــ ٤٧) صبا الرجل مال إلى الصبوة وجهلة الفتوة . وصبا للشىء مال . ناله العطية ونال له العطية وناله بالعطية كلها سواء . الجهال من الجهل وهى السفه والطيش . سنبس فرع من قبيلة طىء منه الممدوح . الذرى جمع ذروة وهى القمة .

نجران أحد مراكز المسيحية الثلاثة فى الجاهلية . وكان يلى أمرها بنو الحارث بن كعب، وهم قبيلة يمنية من مذحج . يقول ابن فضل الله العمرى « وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمن نصارى يتبارون فى البيع وزيها وحسن بنائها ، آل المنذر بالحيرة وغسان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران ، فتكون دياراتهم فى المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغدران الشامخة البناء ، ويجعلون آلاتها من الذهب والفضة، وستورها الديباج، ويجعلون حيطانها الفسافس، وفى سقوفها الذهب »(١) وتروى كتب التاريخ أن النصرانية دخلت نجران على يد راهب اسمه (فيمون) فى قصة طويلة ذكرها صاحب السيرة (٢). وهم أصحاب الأخدود الذين أحرقهم ذو نواس حين أراد أن يهودهم فأبوا (٣) .

وقد اختلفوا فى حقيقة (كعبة نجران) التى أشار إليها الأعشى فى هذه القصيدة . فقال بعضهم إنها قبة من جلد ، وقال آخرون إنها غرفة ، وجعلها بعضهم بيعة، وجعلها البعض الآخر ديرا كبيرا . أما ابن الكلبى فقد ذهب إلى أنها لم تكن كعبة عبادة وإنما كانت غرفة لأولئك القوم (٤) وأما صاحب الأغانى فقد روى فى أمرها روايتين ، تزعم إحداهما أنها كانت بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها ،ضاهاة لها وسموها كعبة نجران . وتزعم الرواية الأخرى أنها كانت قبة من أدم سموها الكعبة ، إذا نزل بها مستجير اجير ، أو خائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترفد أعطى ما يريد (٥) . وتبعه فى نقل الروايتين ياقوت فى معجم البلدان ، وأضاف إلى الرواية الثانية أنها كانت قبة ضخمة من ثلثمائة جلد ، وكانت على نهر بنجران ، وكان صاحبها ينفق عليها عشرة آلاف دينار كل عام (٦) .أما ابن فضل الله العمرى فقد هول من أمرها فسماها (دير نجران) وروى أن بناءها أعجب بناء وأحسنه على نحو عمارة غمدان (٧) .

وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان أربعة مواضع بهذا الإسم : نجران اليمن التى نحن بصددها وهى بين عدن وحضرموت على القرب من صنعاء ونجران العراق على يومين من الكوفة بينها وبين واسط . وإليها انتقل أهل نجران اليمن حين أجلاهم عمر ، ونجران البحرين ، ونجران الشام وكانت فى موضع بحوران . وقال فى وصف الأخيرة إنها بيعة عظيمة عامرة حسنة ، مبنية على العمد الرخام . منمقة بالفسيفساء .

ويبدو أن هذا التعدد والتشابه فى الأسماء كان داعية إلى الخلط ، ولذلك فنحن نرجح أن ماذهب إليه ابن فضل الله العمرى كان نتيجة لاختلاط أمر نجران اليمن بنجران الشام وتشابههما عليه ، أو اختلاط أمر كعبة نجران هذه بالقليس التى بناها أبرهة فى صنعاء بالقرب من نجران ، وانفق عليها أموالا طائلة (٨) · ويؤيد ذلك أن المراجع القديمة كالأصنام والسيرة والأغانى لم تذهب إلى هـذا التهويل من أمرها . ثم إنها لم تذكر فى شعر قديم . ولم يرو فيها غير هذه الأبيات للأعشى . وقد قال ابن الكلبى بعد أن ذكر مايروى من أنها لم تكن كعبة عبادة وإنما كانت غرفة لأولئك القوم « وما أشبه ذلك عندى بأن يكون كذلك ، لأنى لم أسمع بنى الحرث تسموا بها فى شعر . »

وقدم وفد بنى الحارث بن كعب ، فيهم يزيد بن عبد المدان ، وعبد المسيح ، وقيس بن الحصين ، (الذين ذكرهم الأعشى فى القصيدة) سنة ١٠هـ، فأسلموا فيما يروى الطبرى (٩) ، وامتنعوا عن الاسلام فيما يروى صاحب السيرة (١٠) ، بعد نقاش طويل فى أمر المسيح وحقيقته ، نزل فيه صدر من صورة آل عمران ، حتى دعاهم الرسول إلى المباهلة فأبوا . فصالحهم على ألفى حلة تؤدى فى شهر صفر وألف تؤدى فى رجب ثمن كل حلة منها أوقية (١١) .

وفى ديوان الأعشى ــ عدا هذه القصيدة ــ أربعة أبيات فى مدح بنى الحرث بن كعب هى القطعة (٤٢) وإشارة لهم فى آخر القصيدة (٣٢). وفى أبيات القصيدة تقديم وتأخير. وهى مروية فى كتب الأدب بروايات يختلف فيها الترتيب باختلافها . وربما كان من الراجح أن يجىء البيت (٢٦) بعد البيت (١٦) مباشرة ، فمن الطبيعى أن ينتقل الشاعر من حديث الرحلة إلى الممدوح . ومن الراجح كذلك أن تكون الأبيات (١٧ — ٢٤) بعد البيت (٩) .

والأعشى لا يصور فى صدر القصيدة امرأة من الحرائر . ولكنه يتحدث عن إحدى هذه الطبقة من الجوارى اللائى يحترفن الفجور . وذلك واضح من الأبيات (٤ — ٩) . وقد كان الاماء فى الجاهلية يساعين (أى يزنين)(١٢) . يدل على ذلك قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ــ النور ٣٣) أى لا تكرهوا إماءكم على الزنا لتأخذوا من أجورهن على ذلك ويدل عليه كذلك ما رواه المسعودى فى قصة استلحاق زياد إذ يقول « وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف ، تؤدى الضريبة إلى الحارث ابن كلدة . وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر ، فى محلة يقال لها حارة البغايا(١٣) »

يقول الأعشى :

١ ــ ألم تنه نفسك عن التصابى والمجون ؟ بلى ، فقد عاودها بعض شوقها القديم ،

٢ ــ لجارتنا ، حين قالت وقد رأت شعر لمتى : لك الويل ! من أين لك هذا الشيب الذميم ؟

٣ ــ فأن تعهدينى ولى لمة سوداء ، فقد ذهبت بها الحوادث والأرزاء .

---

(١) مسالك الأبصار ٣٠٩ (٢) السيرة ١ : ٣٢ — ٣٤ (٣) السيرة ١ : ٣٧
(٤) الأصنام ٤٥ (٥) الأغانى ١١ : ٣٨١ (٦) معجم البلدان : « نجران »
(٧) مسالك الأبصار ٣٥٩ (٨) أخبار مكة ٨٨ - ٩٠ ، معجم البلدان : « القليس »
(٩) الطبرى ٢ : ٣٨٦ (١٠) السيرة ٢ : ٢٢٢ ــ ٢٣٣ (١١) السيرة، فتوح البلدان ٧٥-٧٩، الخراج لأبى يوسف ٧١-٧٥
(١٢) أساس البلاغة: مادة «سعى» (١٣) مروج الذهب ٢ : ٥٦ ، الفخرى ٨٠

وَقَالَ يَمْدَحُ رَهْطَ عَبْدِ ٱلْمَدَانِ بْنِ الدَّيَّانِ سَادَةَ نَجْرَانَ مِنْ بَنِي ٱلْحَرِثِ بْنِ كَعْبٍ :

١ — أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَمَّا بِهَا   بَلَى عَادَهَا بَعْضُ أَطْرَابِهَا   (متقارب)

٢ — لِجَارَتِنَا إِذْ رَأَتْ لِمَّتِي   تَقُولُ لَكَ ٱلْوَيْلُ أَنَّى بِهَا

٣ — فَإِنْ تَعْهَدِينِي وَلِي لِمَّةٌ   فَإِنَّ ٱلْحَوَادِثَ أَلْوَى بِهَا

٤ — وَقَبْلَكِ سَاعَيْتُ فِي رَبْرَبٍ   إِذَا نَامَ سَامِرُ رُقَّابِهَا

٥ — تُنَازِعُنِي إِذْ خلت بُرْدَهَا   مُفَضَّلَةً غَيْرَ جِلْبَابِهَا

٦ — فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا عَلَى بَابِهَا   وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا

٧ — بَذَلْنَا لَهَا حُكْمَهَا عِنْدَنَا   وَجَادَتْ بِحُكْمِي لِأُلْهِي بِهَا

٨ — فَطَوْرًا تَكُونُ مِهَادًا لَنَا   وَطَوْرًا أَكُونُ فَيُعْلَى بِهَا

٩ — عَلَى كُلِّ حَالٍ لَهَا حَالَةٌ   وَكُلُّ الْأَجَارِيِّ يُجْرَى بِهَا

١٠ — فَكَيْفَ بِدَهْرٍ خَلَا ذِكْرُهُ   وَكَيْفَ لِنَفْسٍ بِأَعْجَابِهَا

١١ — وَإِذْ لِمَّتِي كَجَنَاحِ ٱلْغُدَافْ   تَرْنُو الْكَعَابُ لِأَعْجَابِهَا

١٢ — وَعَنْسٍ .... السَّبَاسِبِ .. وَكَّابِهَا

١٣ — وَيَعْلُنُ مِنْهَا صَرِيفُ السَّدِيسْ   إِذَا ....

١٤ — أَكَلْتُ السَّنَامَ فَأَفْنَيْتُهُ   وَشَدَّ النُّسُوعُ بِأَصْلَابِهَا

(١ — ٣) أطراب جمع طرب وهو الشوق . اللمة الشعر الذى جاوز شحمة الأذن . ألوى بها الحوادث ذهبت بها .

(٤ — ٦) المساعاة الفجور وهو خاص بالاماء . الربرب القطيع من بقر الوحش يشبه به النساء . سامر اسم فاعل من سمر القوم اجتمعوا ليلا للحديث . مفضلة من التفضل والابتذال وهو أن تلبس الجارية ثوبا رقيقا كقميص النوم إذا خلت لنفسها وإنما تلبسه فى خدرها وخلوتها . غير جلبابها أى لا تلبس غيره مباشرا لجسمها . السبب الحبل وما يتوصل به إلى غيره .

(٧ — ٩) حكمها ماحكمت به واشترطته . المهاد الفراش والأرض . وطوراً أكون أى وطوراً أكون مهاداً . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة والراء وتشديد الياء) وهى الطريقة التى يجرى عليها .

(١٠ — ١٢) الأعجاب جمع عجب (بفتحتين) وهو الاستحسان والروعة التى تعترى الانسان عنداستحسان الشىء . الغداف الغراب الأسود. الكعاب جمع كاعب وهى التامة الحسن أو التى نهد ثديها ، العنس الناقة الصلبة القوية . السباسب جمع سبسب وهى الأرض المستوية . وكاب من وكب (كضرب) مشى فى تؤدة أو قام وانتصب .

(١٣ — ١٤) يعلن يعلو ويظهر . الصريف صوت الأسنان إذا تحاكت ، السديس الناقة التى ألقت سدسها وهى الأسنان فى السنة السادسة . النسوع جمع نسع (بكسر فسكون) وهى السيور التى يشد بها الرحل . أصلاب جمع صلب (بضم فسكون) وهو عظم الظهر أو ما نسميه السلسلة الفقرية .

٤ — ولكم سعيت من قبلك ألتمس الفجور فى القطيع من البقر ، بعد أن نام السُّمَّار والرقباء .

٥ — أجاذبها إذ خلوت بها جلبابها الذى لا ثياب تحته ، وتنازعنى إياه فى إباء .

٦ — ولما التقينا على الباب ، وبسطت سبيل الوصل وبينَتْ ما تطلب من جزاء .

٧ — بذلت لها ما أرادت ، فسخت بما اشتهيت منها لألهو كيف أشاء .

٨ — فطورا هى من تحتى ، وطورا أنا من تحتها ولها الإعلاء .

٩ — على كل حال لها حال ، ولك منها كل ما خطر من أساليب اللهو ببال .

١٧— ولكم شربت الكأس على اللذات ، ثم اتبعتها بأخرى أتداوى منها بها .

١٨— لكى يعلم الناس أنى خبير بضروب العيش ، آتى اللذات من أبوابها .

١٩— خمر حمراء ، تشف لصفائها عما تحت قعر الكأس من مثل قذى العيون الضئيل .

٢٠— ومن حولنا الورد والياسمين ، والزامرات بالمزامير .

٢١— والناقرات على الدُّف لا يفترن ولا ينثنين ، فبأى هذه اللذات الثلاث يعيبنى العائبون .

٢٢— وترى الصنج يبكى مستجيبا للدف بكاء الحزين ، مخافة أن يلومه اللائمون .

٢٣— أبليت من عمرى ثمانين عاما ، وكذلك يزعم الحاسبون .

٢٤— فأصبحت وقد ودعت اللهو والخمر لأصحابها من الشباب .

٢٥— أحب (أثافت) وقت القطاف ، وحين تعصر الأعناب .

١٠— فكيف لك بدهر قد مضى وفات ، وكيف لنفسك بما كان يروعها من اللذات العِذَاب .

١١— أيام كان شعر لمتى كجناح الغراب ، ترنو له الحسان فى إعجاب

(١٢، ١٣) ....

١٤— أفنيت سنام ناقتى من إدمان الرحلة ، وشُدَّت فوق ظهرها السيور والحبال .

١٥— وترى النوق وقد أدمنَّ السير طول الليل ثم وصلنه بالنهار دائبات ،

١٦— طوالَ الأعناق ، غائرات العيون ، ناحلات البطون فى موضع الحزام .

٢٦— ليس لها دون « كعبة نجران » من مرام ، حتى تناخ بأبوابها .

٢٧— نزور « يزيد » و « عبد المسيح » و « قيسا » خير ساداتها .

٢٨— إذا تموجت البرود فوق قاماتهم المديدة ، يجرون هدابها تياهين .

٢٩— لهم غرفات تروق بهجتُها وعجيب صنعتها العيون .

١٥— تَرَاهُنَّ مِنْ بَعْدِ إسْآدِهِنْ　　وَسَيْرِ النَّهَارِ وَتَدْآبِهَا

١٦— طِوَالَ الْأَخَادِعِ خُوصَ الْعُيُونْ　　خِمَاصًا مَوَاضِعُ أَحْقَابِهَا

١٧— وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ　　وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

١٨— لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي امْرُؤٌ　　أَتَيْتُ الْمَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا

١٩— كُمَيْتٍ يُرَى دُونَ قَعْرِ الْأَنَى　　كَمِثْلِ قَذَى الْعَيْنِ يُقْذَى بِهَا

٢٠— وَشَاهِدُنَا الْوَرْدُ وَالْيَاسَمِيـ　　ـنُ وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا

٢١— وَمِزْهَرُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ　　فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا

٢٢— تَرَى الصَّنْجَ يَبْكِي لَهُ شَجْوَهُ　　مَخَافَةَ أَنْ سَوْفَ يُدْعَى بِهَا

٢٣— مَضَى لِي ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلِدِي　　كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حُسَّابِهَا

٢٤— فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهْوَ الشَّبَا　　بِ وَالْخَنْدَرِيسَ لِأَصْحَابِهَا

٢٥— أُحِبُّ أُثَافِتَ وَقْتَ الْقِطَافْ　　وَوَقْتَ عُصَارَةِ أَعْنَابِهَا

٢٦— وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْـ　　ـكِ حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوَابِهَا

٢٧— نَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ الْمَسِيحْ　　وَقَيْسًا هُمُ خَيْرُ أَرْبَابِهَا

٢٨— إِذَا الْحَبَرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ　　وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابِهَا

٢٩— لَهُمْ مَشْرَبَاتٌ لَهَا بَهْجَةٌ　　تَرُوقُ الْعُيُونَ بِتَعْجَابِهَا

(١٥ — ١٨) الاسآد سير الليل كله . الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى العنق ، وهما أخدعان ، عرقان فى صفحتى العنق . خوص غائرة العينين . الخمص الجوع ويقصد به الضمور . الأحقاب جمع حقب (بفتحتين) وهو شىء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى وتشده إلى وسطها ، ويقصد به موضع الحزام من بطن الناقة .

(١٩ — ٢١) كميت حمراء تضرب للسواد . الأنى الاناء قصر المد للتخفيف . القذى ما يسقط فى العين أو فى كأس الخمر من الغبار ونحوه . المسمعات الجوارى التى تغنى . قصاب جمع قاصب وهو الزامر فى القصب، وهو غاب أجوف له ثقوب يلعب عليها الزامر بأصابعه . المزهر العود ويسمى البربط أيضا (بفتح الباءين) ، والمزهر كذلك ، وقد يطلق على الدف الكبير ينقر عليه وهو المشهور . أزرى به وأزرى عليه عابه .

(٢٢ — ٢٦) الصنج دوائر صغار من النحاس تعلق بالأصابع وتنقر عليها الراقصة . الشجو الهم والحزن والشوط من البكاء . دعا فلانا بمكروه أنزله به . الخندريس الخمر القديمة ، قيل هى لفظة عربية وقيل إنها يونانية معربة . أثافت قرية باليمامة كثيرة الكروم يقال إن الأعشى كان يعصر فيها الخمر فى معصر له .

(٢٧ — ٢٩) الحبرات جمع حبرة (بثلاث فتحات) وهى ضرب من برود اليمن . الهداب الخيوط التى تبقى فى طرف الثوب ، أو هو طرف الثوب . المشربة أرض لينة دائمة النبات . وهى كذلك الغرفة لأنهم يشربون فيها ، أو هى العلية والصفة والمشرفة .

يتجه الأعشى بهذه القصيدة إلى أبناء عمومته (بنى جحدر) ، وهى تتصل بالقصيدتين السابقتين (١٠) ، (٢٠) اللتين هجا فيهما شيبان ابن شهاب الجحدرى . وللأعشى بعد هذا قصيدة أخرى فى بنى جحدر ، هى القصيدة (٥٣) ، وكل هذه القصائد تصور ما كان بين الحيين القريبين من علائق لا يسودها الوئام . والقصيدة خير ما يمثل هذا اللون من الشعر القبلى الذى يتصل بأبناء العمومة الأقربين ، فيتراوح بين العنف واللين ، ويجمع بين الغضب والحنين ، والاباء والوفاء .

يقول الأعشى :

١ — عفت أطلال « ميثاء » ، وقد تعاورتها ريح الصَّبا بما تحمل من أمطار .

٢ — فوقفت عند ساحتها بما بقى فيها من رماد أبكى ، فلا يجيبنى داثر الآثار .

٣ — أبكى على « ميثاء » إذ كان أهلها وأهلى متقابلى الديار ، وإذ يسعى رسولها بيننا بالأخبار .

٤ — وإذ أظن الحب المستقر فى قلبى دائماً من الدهر ، لا يبليه الليل والنهار .

وينتقل الأعشى من هذه المقدمة القصيرة ، التى تلائم ماهو مقبل عليه ، من تصوير الأسى على انقطاع ما بين أبناء العمومة من ود لم يكن ينبغى أن ينقطع ، ليقول :

٥ — صرفنى عنك يا « مَيْثَاَء » - لو تعلمين - شئون متدافعة ، لم ينزل بسواى خَطْبُها الجليل .

٦ — مصارع إخوان ، ونفر أبناء عمومة علينا ، كأنهم من قبيل ونحن من قبيل .

ويمضى الشاعر مناقشا فى رفق ولين فيقول :

٧ — تعالوا ياقوم فأن الحق واضح كالفرس السوداء المعلمة الأرجل ببياض التحجيل ، فهى متميزة لا تخفى بين الخيول .

٨ — تعالوا نتعاط الحق بيننا ، حتى تعرفوا على أينا يقع اللوم ، إذا قيس الإحسانُ بالإحسان والجميلُ بالجميل .

ثم لا يلبث أن تدركه الشدة ويثور ، فيقول :

٩ — فأن لم تقبلوا فشأنكم وما تريدون . ولتمدكم « الهُجَيْم » و « مازن » ، فـ « شَيْبان » معنا برجالها ، وهم كثير غير قليل .

١٠ — أولئك حكام العشيرة كلها وساداتها ، وقوامها عند كل خطب ثقيل .

١١ — إن دعوتهم يوما لنصرى ، أتتنى منهم الكتائب والخيول ، مأمونة الخُذُول .

وَقَالَ فِى الحَرْبِ الَّتِى كَانَتْ بَيْنَهُ وبين الحِرْقَتَيْن يُعَاتِبُ بَنِى مَرْثَدٍ وبَنِى جَحْدَرٍ

(طويل)

١ — لِمَيْثَاءَ دَارٌ قَدْ تَعفَّتْ طُلُولُهَا ... عَفَتْهَا نَضِيضَاتُ الصَّبَا فَمَسِيلُهَا

٢ — لِمَا قَدْ تَعَفَّى مِنْ رَمَادٍ وَعَرْصَةٍ ... بَكَيْتُ وَهَلْ يَبْكِى إِلَيْكَ مُحِيلُهَا

٣ — لِمَيْثَاءَ إِذْ كَانَتْ وَأَهْلُكَ جِيرَةٌ ... رِئَاءٌ وَإِذْ يُفْضِى إِلَيْكَ رَسُولُهَا

٤ — وَإِذْ تَحْسِبُ الحُبَّ الدَّخِيلَ لَجَاجَةً ... مِنَ الدَّهْرِ لَا تُمْنَى بِشَىْءٍ يُزِيلُهَا

٥ — وَإِنِّى عَدَانِى عَنْكِ لَوْ تَعْلَمِينَهُ ... مَوَازِئُ لَمْ يُنْزِلْ سِوَاىَ جَلِيلُهَا

٦ — مَصَارِعُ إِخْوَانٍ وَنَخْرُ قَبِيلَةٍ ... عَلَيْنَا كَأَنَّا لَيْسَ مِنَّا قَبِيلُهَا

٧ — تَعَالَوْا فَإِنَّ العِلْمَ عِنْدَ ذَوِى النُّهَى ... مِنَ النَّاسِ كَالبَلْقَاءِ بَادٍ حُجُولُهَا

٨ — نُعَاطِيكُمُ بِالحَقِّ حَتَّى تَبَيَّنُوا ... عَلَى أَيِّنَا تُؤْدِى الْحُقُوقَ فُضُولُهَا

٩ — وَإِلَّا فَعُودُوا بِالهُجَيْمِ وَمَازِنٍ ... وَشَيْبَانَ عِنْدِى جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا

١٠ — أُولَئِكَ حُكَّامُ العَشِيرَةِ كُلِّهَا ... وَسَادَاتُهَا فِيمَا يَنُوبُ وَجُولُهَا

١١ — مَتَى أَدْعُ مِنْهُمْ نَاصِرِى تَأْتِ مِنْهُمُ ... كَرَادِيسُ مَأْمُونٌ عَلَىَّ خُذُولُهَا

١٢ — رِعَالًا كَأَمْثَالِ الْجَرَادِ لِخَيْلِهِمْ ... عُكُوبٌ إِذَا ثَابَتْ بَطِىءٌ نُزُولُهَا

١٣ — فَأَنِّى بِحَمْدِ اللهِ لَمْ أَفْتَقِدْكُمُ ... إِذَا ضَمَّ هَمًّا إِلَىَّ حُلُولُهَا

١٤ — أَجَارَتُكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ ... وَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَا

(١ — ٣) النضيضة المطر القليل ، والريح التى تنض بالماء فيسيل ، أو هى الضعيفة . الصبا الريح الشرقية . تعفى انطمس . العرصة ساحة الدار ، وهى كذلك البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء . محيل داثر مطموس . قوم رئاء يقابل بعضهم بعضا . ودورهم رئاء أى متقابلة مترائية . أفضى إليه وصل إليه وأصله أنه صار فى فضائه .

(٤ — ٦) داء دخيل داخل فى أعماق البدن . اللجاجة التمادى فى العناد إلى الفعل المزجور عنه . منى بالأمر أصيب به . عدانى صرفنى. موازىء من وزأ القوم أى دفع بعضهم عن بعض ووزأت الناقة به صرعته . الجليل العظيم .

(٧ — ٩) النهى العقل . فرس بلقاء سوداء الجسم فى أرجلها بياض ، والحجول هو هذا البياض . عاطاه أخذ منه وأعطاه . تبين الشىء عرفه وتحققه . تؤدى من أداه أى أوصله والأداء الايصال والقضاء . الفضول جمع فضل وهو الزيادة والاحسان ، وفضل الزمام طرفه . جمها كثرتها . حفيلها جماعتها .

(١٠ — ١٢) الجول جدار البئر الذى يمسكها من التهدم والانهيار . الكراديس جمع كردوسة (بضم الكاف) وهى القطعة العظيمة من الخيل . خذولها أى خذلانها (وهو مصدر غير مذكور فى المعاجم) . رعال جمع رعيل وهو القطعة المتقدمة من الخيل والرجال وغير ذلك . عكوب غبار وأصوات من عكبت الابل أى ازدحمت واعتكب الغبار ثار . ثابت رجعت .

(١٣ — ١٤) افتقد الشىء طلبه عند غيبته . حلول جمع حال اسم فاعل من حل المكان أى نزل به . بسل حرام ، وهو من الأضداد يطلق على الحرام والحلال ، ولذلك بينه بقوله (محرم) بعده . حليلها زوجها .

١٢- جماعات كثيفة كأنها الجراد ، تثير خيولها حين تندفع الغبار ، فينعقد فى الجو عالياً بطىء النزول ، لا يكاد يزول .

١٣- فأنى بحمد الله فى غنى عنكم ، لا أفتقدكم حين تغيبون ، إذا اجتمعت على (هام) بما ضمت من جماعات وقبيل .

ويعود الشاعر إلى هدوئه ، مناقشاً نقاش الذى يريد أن يلزم خصمه الحجة فيقول :

١٤- أتحلون لأنفسكم ما تحرمون علينا ؟ جارتكم حرام علينا ، وجارتنا حِلٌّ لكم وزوجها الحليل !

١٥- فأن كان هذا ما تحكمون ، فذلَّ إذنْ من يرضى بحكمكم من قبيل .

ثم يعود إلى شدته فيقول :

١٦- إنى أقسم برب الساجدين فى العشيات ، ورب راهب النصارى يدق الناقوس ،

١٧- لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم ، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة فى المخاض .

١٨- ....

١٩- ولو تدبرتم أمركم لا نتهيتم عنا ، وقد كان فيكم جماعات من القتلى ، لا تزال جثثهم مبعثرة فى ميدان القتال ، لم يوسَّدوا فى القبور .

٢٠- وإن ذلك الذى يسعى للقتل ظلماً ليُعِدُّ جريمة لا سبيل إلى التحلل منها .

٢١- تحدثه نفسه أنا لسنا أقوياء ، ولسنا له بأكفاء .

٢٢- ويخبركم « حمران » أن بناتنا سيُهْزَلْن من الجوع ، إذا لم ترتفع العيرُ إلينا بالمؤَن والطعام .

٢٣- فَعيرُكم أذل ، وأرضكم على ما تعلمون من الجدب والمَحْل .

٢٤- فأن حُلْتُمْ بيننا وبين « المشقَّر » و « الصفا » ، فنخيل « الخَطِّ » جم لا ينفد .

٢٥- ولنا « دُرْنَى » يُحْمَل إلينا كلَّ عشية منها الخمرُ ولَيِّن الطعام .

٢٦- وإنكم لتأكلون دم الفصيد ، ونغدو أولادنا الشحم واللبن الغزير .

٢٧- أبالمَوْت تخوفنى « عِبَاد » ، والموت يسعى دليله بين الناس ؟

٢٨- فما ميتة إن متُّها غَيْرَ ذليل بعار ، إذا غال نفسى ما يغول الأعمار .

١٥— فَإِنْ كَانَ هَذَا حُكْمُكُمْ فِى قَبِيلَةٍ ... فَإِنْ رَضِيتَ هَذَا فَقَلَّ قَلِيلُهَا

١٦— فَأَنِّى وَرَبِّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً ... وَمَا صَكَّ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا

١٧— أُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبُولُهَا

١٨— .... أَمَا يُحِيلُهَا

١٩— تَنَاهَيْتُمُ عَنَّا وَقَدْ كَانَ فِيكُمُ ... أَسَاوِدُ صَرْعَى لَمْ يُوَسَّدْ قَتِيلُهَا

٢٠— وَإِنَّ امْرَءًا يَسْعَى لِيَقْتُلَ قَاتِلاً ... عَدَاءً مُعِدٌّ جَهْلَةً لَا يُقِيلُهَا

٢١— وَلَسْنَا بِذِى عِزٍّ وَلَسْنَا بِكُفْئِهِ ... كَمَا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهَا وَدَخِيلُهَا

٢٢— وَيُخْبِرُكُمْ حُمْرَانُ أَنَّ بَنَاتِنَا ... سَيُهْزَلْنَ إِنْ لَمْ يَرْفَعِ العِيرَ مِيلُهَا

٢٣— فَعِيرُكُمُ كَانَتْ أَذَلَّ وَأَرْضُكُمْ ... كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ جَدْبُهَا وَمُحُولُهَا

٢٤— فَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا الْمُشَقَّرَ وَالصَّفَا ... فَأَنَّا وَجَدْنَا الخَطَّ جَمًّا نَخِيلُهَا

٢٥— وَإِنَّ لَنَا دُرْنَى فَكُلَّ عَشِيَّةٍ ... يُحَطُّ إِلَيْنَا خَمْرُهَا وَخَمِيلُهَا

٢٦— فَأَنَّا وَجَدْنَا النِّيبَ إِنْ تَفْصِدُونَهَا ... يُعِيشُ بَنِينَا سِيئُهَا وَجَمِيلُهَا

٢٧— أَبِالْمَوْتِ خَشَّتْنِى عِبَادٌ وَإِنَّمَا ... رَأَيْتُ مَنَايَا النَّاسِ يَسْعَى دَلِيلُهَا

٢٨— فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ ... بِعَارٍ إِذَا مَاغَالَتِ النَّفْسَ غُولُهَا

(١٥ — ١٨) الأبيل الراهب ، من أبلت الابل (كضرب) إذا توحشت وانفردت ليس معها راع . تبوءوا تعودوا. يسرتها سهلت ولادتها وأعانتها فيها . القبول المرأة التى تستقبل الولد عند الولادة .

(١٩ — ٢١) الأساود الجماعة من الناس الكثير . عداء ظلما . أقال الرجل البيع فسخه ، وأقال الله عثرته صفح عنه .

(٢٢ — ٢٥) الميل قدر امتداد البصر من الأرض . العير الابل لا واحد لها من لفظها . المحول الجدب . المشقر والصفا مدينتان فى البحرين قرب هجر (المشهورة بالتمر) وفيهما حصنان قديمان يقال إنهما من بناء طسم وبينهما نهر يجرى يقال له « العين » الخط جزيرة بالبحرين وهى التى تنسب إليها الرماح . درنى قرية باليمامة ، واليمامة موطن الأعشى . الخميل ما الازمن الطعام .

(٢٦ — ٢٨) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . فصدها شق جلدها ليستخرج الدم ، وكانوا يأكلونه إذا جد ، وقد نهى عنه الاسلام بقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم) تفصدونها كان حقها الجزم لأنها فعل الشرط . السىء (بكسر السين) اللبن الذى ينزل قبل الحلب ويكون فى أطراف الأخلاف لغزارته . الجميل الشحم المذاب . خشتنى خوفتنى . غير عاجز غير ضعيف . غولها ما يغتالها من الهلاك .

(٢٤)

تروى هذه الأبيات فى هجاء رجل يمنى زعم جامع ديوان الأعشى أنه من قضاعة ، وروى الأصفهانى وابن قتيبة أنه من كلب (١) وكان هذا الرجل قد أصاب الأعشى أثناء عودته من بعض غاراته ، فأسره وهو لايعرفه ، ثم إنه نزل ضيفا على شريح بن السموءل فى حصنه المسمى الأبلق فى تيماء . فاستغاث الأعشى بشريح ، فاستوهبه من هذا الرجل ، فوهبه له . فأكرمه شريح وأعانه على العودة لقومه .

ويقول صاحب الأغانى إن الأعشى هجا الرجل بالبيتين قبل أن يأسره ، فلما علم بعد إطلاقه أنه الأعشى ، ندم على ما فعل ، وأراد أن يسترجعه فوجد شريحاً قد أطلقه .

ويقول جامع الديوان إن الأعشى إنما هجا الرجل بالبيتين بعد أن أطلقه شريح فلامه فى ذلك ، فكف عنه ولم يزد .

وهؤلاء الذين ذكرهم الشاعر فى البيتين رجال من أشراف كلب . وهو يقول لعمرو بن ثعلبة هذا إنه لا ينتسب لواحد من هؤلاء ، وأنه دونهم شرفا . وهذا أسلوب جاهلى معروف فى الهجاء اشتهر به الحطيئة ، ونهاه عنه عمر لما يستتبع من إثارة العداوة والتنافس بين الأهل والأقرباء .

(٢٥)

يذهب صاحب الأغانى إلى أن شريحاً الذى مدحه الأعشى بهذا الشعر هو ابن السموءل ، الذى يضرب به المثل فى الوفاء (٢) . أما ثعلب فقد نسبه فى ديباجة هذه القصيدة هكذا : شريح بن حصن بن عمران بن السموءل بن حيا بن عاديا . وعلى ذلك فالسموءل جد أبيه . وأكمل الأصفهانى بقية نسبه فقال : عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . وربما كانت رواية ثعلب أشبه بالصواب ، لأن الأصفهانى رد قول الذين وصلوا عاديا بعمرو مزيقيا بعد ثلاثة آباء ، محتجاً بأن الأعشى أدرك ابنه شريح بن السموءل ، وبأن عمرو مزيقيا أقدم من ذلك (٣) .

والسموءل يهودى كان ينزل فى « تيماء » ببادية الشام . كان بها حصنه المعروف « الأبلق » الذى أشار إليه الأعشى فى هذه القصيدة ، وكان مبنيا بحجارة بيضاء وحجارة سوداء . وكان له حصن آخر فى « دومة الجندل » اسمه « مارد » ، وكان مبنياً بحجارة سوداء . وكانت العرب تنزل بالسموءل فيضيفها ، وتمتار من حصنه ، وتقيم هناك سوقا (٤) .

وقد اشتهر السموءل حتى ضرب به المثل ، بسبب هذه القصة التى فصلها الأعشى فى شعره . فقد زعموا أن امرأ القيس أودع عند السموءل دروعه وسلاحه قبل أن يقصد إلى قيصر فى رحلته المشهورة . فلم تزل عنده حتى أتاه الحارث بن ظالم (أو الحارث بن شمر الغسانى) فطلبها منه . فامتنع عليه السموءل وتحصن فى حصنه . وكان للسموءل ابن قد خرج للصيد، فصادفه الحارث فى عودته واتخذه رهينة عنده، وخير السموءل بين أن يدفع إليه وديعة امرىء القيس أو يقتل ابنه ، فأصر على إبائه . فقتل الحارث ولده الذى عنده . وأدى السموءل الوديعة إلى أهل امرىء القيس .

ولسنا نحب أن نتعرض لمناقشة هذه القصة بما فيها من مبالغة تخرج عن المألوف . ولكنا نلاحظ أن شعر الأعشى قد فصل هذه القصة تفصيلا لا نجده فى غيره من الشعر الجاهلى الذى بين أيدينا . وهو تفصيل يطابق ما يروون من هذه القصة فلا يخرج شىء منها عنه . بما يكاد يوحى إلى قارئها أنها مستنبطة منه . ثم إنهم يروون أن الأعشى قد ارتجل هذه الأبيات حين مر به شريح ، متحرماً به ، متوسلا إليه أن لا يتركه ، كما يبدو من البيت الأول . وليس يستقيم مع هذه الرواية أن يقول الأعشى كل هذه الأبيات ، ولم يكن المقام مقام تفصيل . ولكأن المقصود نظم القصة وتدوينها على هذا النحو الذى يشبه الشعر التعليمى . ومع كل ذلك فالقصيدة ضعيفة البناء مهلهلة النسج .

ولسنا نقصد بهذا إلى إنكار القصة برمتها . ولكنا نميل إلى القول بأن أبيات الأعشى قد لا تتجاوز البيت السادس . وأن باقى القصيدة من إضافة الرواة .

يقول الأعشى :

١ — لا تتركنى اليوم ياشريح فى سيور القيد بعد أن علقت أظفارى بحبالك .

٢ — فلقد طوفت الآفاق ، وترددت بين « بانقيا » و « عدن » وبلاد العجم .

---

(١) الأغانى ٦ : ٣٢٣ ، ٩ : ١١٨ الشعر والشعراء ٢١٧
(٢) الأغانى ٩ : ١١٨ ، ١٩ : ٩٨
(٣) الأغانى ١٩ : ٩٨
(٤) الأغانى ، بلوغ الأرب ١ : ٢١٠ ، ٢١١

(٢٤)

وَقَالَ الأَعْشَى يَهْجُو عَمْرَو بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ الحٰرِثِ القُضَاعِيّ :

١ — بَنُو الشَّهْرِ الحَرَامِ فَلَسْتَ مِنْهُمْ ۞ وَلَسْتَ مِنَ الْكِرَامِ بَنِى العُبَيْدِ (وافر)

٢ — وَلاَ مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطٍ ۞ وَلاَ مِنْ رَهْطِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ

(٢٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ شُرَيْحَ بْنَ حِصْنِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ السَّمَوْءَلِ بْنِ عَادِيَا :

١ — شُرَيْحُ لَا تَتْرُكَنِّى بَعْدَ مَا عَلِقَتْ ۞ حِبَالَكَ ٱلْيَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أَظْفَارِى (بسيط)

٢ — قَدْ طُفْتُ مَا بَيْنَ بَانِقْيَا إِلَى عَدَنٍ ۞ وَطَالَ فِى ٱلْعُجْمِ تَرْحَالِى وَتَسْيَارِى

٣ — فَكَانَ أَوْفَاهُمُ عَهْدًا وَأَمْنَعَهُمْ ۞ جَارًا أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ إِنْكَارِ

٤ — كَالْغَيْثِ مَا ٱسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ ۞ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ ٱلْمُسْتَأْسِدُ الضَّارِى

٥ — كُنْ كَالسَّمَوْءَلِ إِذْ سَارَ ٱلْهُمَامُ لَهُ ۞ فِى جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

٦ — جَارُ ٱبْنِ حَيَّا لِمَنْ نَالَتْهُ ذِمَّتُهُ ۞ أَوْفَى وَأَمْنَعُ مِنْ جَارِ ٱبْنِ عَمَّارِ

٧ — بِٱلأَبْلَقِ ٱلْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ ۞ حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ

٨ — إِذْ سَامَهُ خُطَّتَىْ خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ ۞ مَهْمَا تَقُلْهُ فَإِنِّى سَامِعٌ حَارِ

٩ — فَقَالَ ثُكْلٌ وَغَدْرٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا ۞ فَٱخْتَرْ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ

(١ — ٣) القد السير من الجلد غير المدبوغ ، كان يربط به الأسير . أظفارى فاعل علقت . العرف ما استقر فى النفوس وقبلته الطباع .

(٤ — ٦) الذمة العهد والأمان والضمان . الهمام هو الحرث بن أبى شمر الغسانى أو هو الحارث بن ظالم على خلاف بين الرواة . حيا أبو السموءل .

(٧ — ٩) الأبلق حصن السموءل . الفرد الذى لا نظير له . الخسف الذل . حار ترخيم حارث .

٣ — فلم أر كأبيك وفاء للعهد وحماية للجار . ذلك مشهور معروف ، غير مدافع ولا منكور .

٤ — إذا سئل العطاء انهمر كالغيث ، وإذا أعطى عهده دافع عنه دفاع الأسد المفترس .

٥ — كن لي وفياً ، وفاء (السموءل) إذ سار له (الحارث) فى جحفل جرار كسواد الليل ، لا تدرك العين مداه.

٦ — ومن نال عهد (ابن حيّا) ولجأ إلى جواره ، فهو آمن إلى منعته ووفائه .

٧ — منزله من « تيماء » فى « الأبلق » الذى لا شبيه له ، حصن حصين ، وجار غير غدار .

٨ — خيّره (الحارث) بين أمرين كلاهما ذل . فأجابه : قل ما شئت يا حارث فإنى مصغ إليك .

٩ — فقال : اختر لنفسك بين الثكل والغدر . وما فيهما حظ لمختار

١٠ — فتردد طويلا ثم قال : اذبح أسيرك ، فقد قررت أن أمنع جارى ولا أغدر به .

١١ — وإن لى خَلَفاً من ولدى إن قتلته ـ وإن كنتَ إنما تقتل كريماً غير ضعيف ولا جبان ـ

١٢ — مالا كثيراً ، وعرضاً ناصعاً غير ذى دنس ، وإخوة مثله غير أشرار .

١٣ — ورثوا عنى أدبا جما لا يخالطه طيش أو حمق ، وحنكة وتجربة إذا شمرت الحرب للقتال .

١٤ — وسوف يُعْقِبُنى خَلَفًا منه ـ إن قتلته ـ ربٌّ كريم ، ونساء بيض وَلُودَات.

١٥ — أرعى ودهن ، فهو عندى غير مضيع ولا مشوب بكدر . ويكتمن ما أستودعهن من أسرار .

١٦ — فقال ـ تَقَدِمَةً لما عزم عليه من أمر فظيع ـ إذ هم به ليقتله : أشرف سموءل ! فانظر للدم الجارى .

١٧ — أأحبس ابنك حتى الموت ، أم تجيئنى طوعا بوديعة امرىء القيس ؟ فأنكر السموءل مايقول أيما إنكار.

١٨ — فشك الحارث عروق رقبته بالسيف . وصدرُ أبيه ينطوى على ألم موجع لاذع كالنار .

١٩ — واختار أن يحفظ وديعته من الدروع ، حتى لا تكون سبة فيه . وكان لعهده وفيا غير غدار ،

٢٠ — وقال : لا أبيع شرفى وذكرى بين الناس لأشترى العار .

٢١ — وقديماً كان الصبر منه عادة وخلقاً ، وكان أسرع الناس إلى الوفاء وحفظ الجار .

١٠— فَشَكَّ غَيْرَ قَلِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ ... اذْبَحْ هَدِيَّكَ إِنِّى مَانِعٌ جَارِى

١١— إِنَّ لَهُ خَلَفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُ ... وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ عُوَّارِ

١٢— مَالًا كَثِيرًا وَعِرْضًا غَيْرَ ذِى دَنَسٍ ... وَإِخْوَةً مِثْلَهُ لَيْسُوا بِأَشْرَارِ

١٣— جَرَوْا عَلَى أَدَبٍ مِنِّى بِلَا نَزَقٍ ... وَلَا إِذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارِ

١٤— وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ ... رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ

١٥— لَا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ضَائِعٌ مَذِقٌ ... وَكَاتِمَاتٌ إِذَا ٱسْتُودِعْنَ أَسْرَارِى

١٦— فَقَالَ تَقْدِمَةً إِذْ قَامَ يَقْتُلُهُ ... أَشْرِفْ سَمَوْءَلُ فَانْظُرْ لِلدَّمِ ٱلْجَارِى

١٧— أَأَقْتُلُ ٱبْنَكَ صَبْرًا أَوْ تَجِىءُ بِهَا ... طَوْعًا فَأَنْكَرَ هٰذَا أَىَّ إِنْكَارِ

١٨— فَشَكَّ أَوْدَاجَهُ وَٱلصَّدْرُ فِى مَضَضٍ ... عَلَيْهِ مُنْطَوِيًا كَاللَّذْعِ بِالنَّارِ

١٩— وَٱخْتَارَ أَدْرَاعَهُ أَنْ لَا يُسَبَّ بِهَا ... وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِخَتَّارِ

٢٠— وَقَالَ لَا أَشْتَرِى عَارًا بِمَكْرُمَةٍ ... فَٱخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيَا عَلَى ٱلْعَارِ

٢١— وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةٌ خُلُقٌ ... وَزَنْدُهُ فِى ٱلْوَفَاءِ الثَّاقِبُ ٱلْوَارِى

(١٠ — ١٢) الهدى الأسير . العوار الضعيف الجبان .

(١٢ — ١٥) النزق الخفة والطيش. أغمار جمع غمر (بفتح فسكون) وهو الأبله الذى لم يجرب الأمور . وبيض يقصد زوجاته ، ذات أطهار إشارة إلى أنهن فى سن وحالة ينتظر معها الولد ، والأطهار أيام طهر المرأة من الحيض ، أى أنهن يلدن له غيره إن مات . السر النكاح ، يكنى به عما بينه وبينهن من عشرة وود. مذق اللبن والشراب مزجه فأكثر ماءه ، ومذق الود شابه بكدر ولم يخلصه .

(١٦ — ١٨) الصبر الحبس ، وصبره على القتل حبسه ورماه حتى يموت . أوداج جمع ودج (بفتحتين) وهو عرق فى صفحة العنق يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة .

(١٩ — ٢١) ختار غدار . ثقبت النار اتقدت ، وكذلك ورت .

يتصل الكلام عن هذه القصيدة بحديث (ذى قار) ، وهى واقعة مشهورة كانت بين الفرس وبين بكر ، هزمت فيها جيوش كسرى شر هزيمة، فكان ذلك أول نصر أحرزه العرب على الفرس . وسأفصل الكلام عن هذه الواقعة فى القصيدة (٣٤) .

أما قيس بن مسعود الذى قيلت فيه هذه القصيدة ، فهو أحد أشراف بكر المشهورين . وقد عظم أمره بعد أن ولاه كسرى الأبلة (وهى بلد على شاطىء دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى الموضع الذى بنيت عليه البصرة بعد ذلك)

روى صاحب الأغانى أن بكراً جعلت تغير على السواد بعد مقتل النعمان . فوفد قيس بن مسعود على كسرى ، فسأله أن يجعل له أجراً ، على أن يضمن له على بكر أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه . فأقطعه كسرى (الأبلة) وما والاها . فكان يأتيه من يأتيه من بكر فيرضيهم ، حتى قدم الحارث بن وعلة (من ذهل بن ثعلبة) والمكسر بن حنظلة (من عجل بن لجيم) ، فاستقلا عطاءه ، واستغويا رجالا أغاروا بهم على السواد . فلما بلغ ذلك كسرى حنق عليه واستدعاه ، فحبسه بساباط حتى مات(١) . والأصفهانى يذهب فى هذه الرواية إلى أن قيس بن مسعود قد رحل إلى كسرى قبل وقعة ذى قار .

ويخالفه فى ذلك الطبرى وابن الأثير وابن عبد ربه . فهم يروون أن قيس بن مسعود كان لايزال والياً لكسرى عند غزوه بكرا . وقد أمره كسرى أن يوافى جيوشه ويصحبها فى غزوها . فسار إلى قومه سراً فأعلمهم بقدوم الجيوش ، وأشار عليهم برأيه . فلما هزم جيش كسرى ، وعلم بما فعل قيس استدعاه فسجنه حتى مات (٢) . وقد روى ابن الأثير أنه سار مع جيوش كسرى كما أمره ، ولم يذكر شيئاً عن مسيره إلى قومه وإشارته عليهم ، ولا عن رحلته لكسرى وسجنه .

وقصيدة الأعشى التى بين أيدينا تنفى ما يذهب إليه أبو الفرج ، وتؤيد رواية الطبرى وابن الأثير والعقد الفريد . فهى تشير إلى أن قيس بن مسعود قد سار مع جيوش كسرى فى يوم (ذى قار) ، ثم رحل بعد ذلك إليه حين استدعاه . والأعشى يلومه على مسيره إليه ويسفه رأيه ، ويقول له إن قومه كانوا كفيلين بحمايته وإغنائه عن كسرى . وهو يأخذ عليه رحلته إليه طالباً رضاه ، بعد الذى سفك من دماء قومه فى يوم ذى قار .

يقول الأعشى :

١ — ياقيس بن مسعود ـ وأنت امرؤ تعاق (وائل) عليك الآمال ، وترجو فى حياتك وشبابك الخير !

٢ — أتخيب آمالنا فيك مرتين فى عام واحد ؟ فتصحب كسرى فى غزوه قومك ، ثم ترحل إليه بعد الذى كان بيننا وبينه ؟ ألا ليتك مت ساعة ولدت ، وغرقتك القوابل فى الماء الذى يكون مع الجنين .

٣ — وليت بيننا وبينك البحر ، أوليتك كنت متاعا تافهاً ملقى فى عرض الطريق ، تجرى عليه السيول فتكتسحه وتجرفه .

٤ — لكأنك لم تشهد القتلى الكثيرين من أشراف قومك المقربين إلى الملوك ، وقد بُعثِرت جثثهم فى الصحراء ، تعيث فيهم الضباع والذئاب .

٥ — تركتهم صرعى عند موارد الماء ، وأقبلت تصالح كسرى وتطلب رضاه . ثكلتك أمك من رجل !

٦ — أتصرُّ خيامَك ، وتجمع متاعك من (جبل الأَمْرار) لأَملٍ عرض لك ، ونبأً سمعته ، أنَّ وادى (الأَشافى) قد أخصب وسال بالأمطار ؟

٧ — ما أتفه أمرك علينا إذن . وما أهون أن يبلغنا عنك أنك مت أو قتلت ، فصفِرَ وِطَابُك ، وجف سقاؤك من اللبن ، حين سرت إلى كسرى محتملا متاعك .

---

(١) الأغانى ٢ : ١٢٦ (٢) الطبرى ١ : ٦٠٨ ، ٦٠٩ — ابن الأثير ١ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ — العقد الفريد ٦ : ١١٣

وَقَالَ لِقَيسِ بْنِ مَسْعُودِ بن قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ الشَّيْبَانِيّ حِينَ وَفَدَ على كِسْرَى بَعْدَ ذِى قَار :

(طويل)

١ — أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ

٢ — أَطَوْرَيْنِ فِى عَامٍ غَزَاةٌ وَرِحْلَةٌ ... أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقَتْهُ القَوَابِلُ

٣ — وَلَيْتَكَ حَالَ ٱلْبَحْرُ دُونَكَ كُلُّهُ ... وَكُنْتَ لَقًى تَجْرِى عَلَيْهِ السَّوَائِلُ

٤ — كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ قَرَابِينَ جَمَّةً ... تَعِيثُ ضِبَاعٌ فِيهِمُ وَعَوَاسِلُ

٥ — تَرَكْتَهُمُ صَرْعَى لَدَى كُلِّ مَنْهَلٍ ... وَأَقْبَلْتَ تَبْغِى الصُّلْحَ أُمُّكَ هَابِلُ

٦ — أَمِنْ جَبَلِ ٱلْأَمْرَارِ صُرِّتْ خِيَامُكُمْ ... عَلَى نَبَأٍ أَنَّ ٱلْأَشَافِىَّ سَائِلُ

٧ — فَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ تَجِفَّ وِطَابُكُمْ ... إِذَا حُنِيَتْ فِيهَا لَدَيْهِ الزَّوَاجِلُ

٨ — ....ـهِرِ مُتَرَاحِلُ

٩ — لَقَدْ كَانَ فِى شَيْبَانَ لَوْ كُنْتَ رَاضِيًا ... قِبَابٌ وَحَىٌّ حِلَّةٌ وَقَنَابِلُ

(١ — ٣) القوابل جمع قابل وهى المرأة التى تتلق المولود عند الولادة . غرقته فى ماء السلى . السوائل جمع سائل وهو السيل .

(٤ — ٦) القرابين جمع قربان وهو ما يتقرب به إلى الله . يقصد القتلى فى الحروب . غاث الشىء وعاث فى الشىء أفسده . عواسل جمع عاسل وهو الذئب، والعسلان فى الأصل الاضطراب . المنهل مورد الماء . هابل ثاكل . الأمرار جبال . الأشافى واد فى بلاد بنى شيبان . سائل أى سائل بالأمطار هذا مثل ضربه الشاعر ، لأن أهل جبل الأمرار لا يرحلون إلى الأشافى ينتجعو نه لبعده، إلا أن يجدبوا كل الجدب ويبلغهم أنه مطر وسال .

(٧ — ٩) الوطاب جمع وطب (بفتح فسكون) وهو سقاء اللبن . جفت وطابه وصفرت كذلك أى مات وقتل فأصبحت وطابه بغير ابن لأنه لا يأكل ولا يشرب حتى جفت . الزواجـل جمع زاجل وهو عود يكون فى طرف الحبـل يشد به الوطب . قباب جمع قبة وهى الخيمه الضخمة الكبيرة . الحلة القوم الحلول فيهم كثرة . القنابل جمع قنبل وقنبلة (بفتح القاف والباء) وهى الطائفة من الناس والخيل .

٨ — ....

٩ — ولو أنك قنعت بقومك ورضيت ، لقد كان فيهم قباب ضخمة ، وجماعات كثيرة ، وطوائف من الخيل والرجال .

١٠ — وكتائب ضخمة تموج بما ازدحم فيها من فرسان ، ومن سلاح يرد بريقه عين الناظر عشواء ، وأفراس جياد ، تحيط بها كرائم الإبل ونجائب الجمال .

١١ — ولكنك تركت قومك سفهاً ، وأنت كبيرهم وعميدهم . فلا بلغنى عنك خبر ، ولا سمعت عنك نبأ .

١٢ — أى شر قد جنيت على نفسك حين رحلت إليه ، فَجُرِّدت مما جمعت من ثروة ومال ، ولم تك إلا كالمغزل ، ليس له مما يغزل شيء ، ولا يتراكم عليه الغزل إلا ليجرد منه من جديد ، فإذا هو عارسليب.

١٣ — لقد شفى النفسَ ما قتلنا من رجال تفرقت جثثهم فى غربتهم لا يضمها قبر ، ولا يبكى عليها نادب ، ولا يعض عليها إصبعه صديق .

١٤ — بعينيك قد أبصرتهم يوم الحنو فى (ذى قار) ، إذ غَشِيَتْهم فى الصباح كتائبُ تحمل الموت ، لا يمنعها عنهم لوم اللائمين ، ولا يكف شرها نصح الناصحين .

(٢٧)

الحارث بن وعلة هو أحد رجال بنى رقاش بن ذهل بن ثعلبة . وذهل بن ثعلبة . هم إخوة قيس بن ثعلبة الذين ينتهى إليهم بيت الأعشى فى سعد بن ضبيعة . والحارث هو جد الحضين بن المنذر صاحب راية على يوم صفين . وقد كان — كما ذكرنا فى التعليق على القصيدة السابقة — أحد الذين أغاروا على السواد فى ولاية قيس بن مسعود ، ونقضوا عهده لكسرى ولم يحترموه . وهاهو ذا يغير على إبل قوم اجتمعوا بجوار بعض قبائل بكر ، فينقض عهدهم مرة أخرى ولا يحترمه . فيهجوه الأعشى متهدداً بهذه القصيدة . وللأعشى قصيدة أخرى فى هجائه ، هى القصيدة (٣٠) . وله بعد ذلك قصيدة ثالثة لم يتفرغ فيها لهجائه ، ولكنه قدم به لمدح هوذة ، وهى القصيدة (٧) ، التى مضى ذكرها . والظاهر أن الأعشى كان يقدم على الحارث مسترفدا حتى هجاه . فلما قدم عليه يسأله قال : ولا كرامة . ألست القائل « آلا من مبلغ عنى حريثاً » تهجونى وتصغرنى ثم تسألنى ؟ وحرمه . فقال الأعشى فى ذلك القصيدة (٧) التى شهر فيها ببخله ، مقارنا بينه وبين كرم هوذة .

يقول الأعشى :

١ — ألا من يحمل عنى رسالة إلى « حُرَيْث » ـ الذى يتعجل لنفسه الموت إذ يزدرينا ـ فيسأله : أحان حَيْنُه ، أم استخف بأمرنا واستهان ؟

٢ — فأنا قد أقمنا فى وادى « الرِّداع » حين فشلتم وأعوزتكم الجرأة والثبات للإقامة فيه ، لانبالى أمر من يبغينا بالعدوان .

١٠ — وَرَجْرَاجَةٌ تُعْشِى النَّوَاظِرَ فَخْمَةٌ ... وَجُرْدٌ عَلَى أَكْنَافِهِنَّ الرَّوَاحِلُ

١١ — تَرَكْتَهُمُ جَهْلًا وَكُنْتَ عَمِيدَهُمْ ... فَلَا يَبْلُغَنِّى عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ

١٢ — وَعُرِّيتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ ... كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ ٱلْمَغَازِلُ

١٣ — شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى لَمْ تُوَسَّدْ خُدُودُهَا ... وِسَادًا وَلَمْ تُعْضَضْ عَلَيْهَا ٱلْأَنَامِلُ

١٤ — بِعَيْنَيْكَ يَوْمَ الْحِنْوِ إِذْ صَبَّحَتْهُمْ ... كَتَائِبُ مَوْتٍ لَمْ تَعُقْهَا ٱلْعَوَاذِلُ

(٢٧)

وَقَالَ يَهْجُو الحَارِثَ بْنَ وَعْلَةَ حِينَ أَغَارَ عَلَى إِبِلِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ جِيرَانِ بَكْرٍ:

(وافر)

١ — أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى حُرَيْثًا ... مُغَلْغَلَةً أَحَانَ أَمِ ٱزْدَرَانَا

٢ — فَأَنَّا قَدْ أَقَمْنَا إِذْ فَشِلْتُمْ ... وَإِنَّا بِالرِّدَاعِ لِمَنْ أَتَانَا

٣ — مِنَ النَّعَمِ الَّتِى كَحِرَاجِ أَبْلٍ ... تَحُسُّ ٱلْأَرْضَ شِيمًا أَوْ هِجَانَا

٤ — وَكُلِّ طُوَالَةٍ شَنِجٍ نَسَاهَا ... تَبُدُّ بَدَا ٱلْمَعَارِقِ وَٱلْعِنَانَا

(١٠ — ١٢) كتيبة رجراجة تموج من كثرتها وكثرة ما عليها من الحديد. تعشى تعمى العينين لشده بريق آلاتها. الرواحل جمع راحلة وهى النجيب الصالح لأن يرحل من الابل، والقوى على الأسفار. الأكناف جمع كنف (بفتحتين) وهو الجانب، كانوا يركبون الابل فى الغارات البعيدة ويجنبون الخيل، فاذا قاربوا الأعداء ركبوا الخيل. عميد القوم سيدهم ورئيسهم. الوفر الثروة والغنى، تمر من أمر الحبل والخيط أى فتله.

(١٣ — ١٤) شفى النفس أراحها وسرها. وسده دفنه أو وسده التراب فى قبره. الأنامل أطراف الأصابع. تعض من الغيظ أو الأسف. صبحه هاجه فى الصباح. عذله لامه وزجره ونهاه فهو عاذل وهم عواذل.

(١ — ٣) حريث هو الحارث يصغره تحقيراً له. رسالة مغلغلة محمولة من بلد إلى بلد. غلغل إليه رسالة بعث بها إليه محمولة من بلد إلى بلد. حان وقع فى الهلاك. أقمنا ثبتنا. الرداع واد. النعم الابل. الحراج الشجر الملتف. أبل جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع. تحس تأكل، شيما جمع شامة وهى الناقة السوداء. تقول ماله شامة ولا زهراء، أى ليس له ناقة سوداء ولا بيضاء. الهجان من الابل البيض الكرام يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع.

(٤) الطوالة الطويلة الظهر. تشنج تقبض. والنسا عرق من الورك إلى الفخذ. وفرس شنج النسا منقبضه، وذلك أقوى له وأشد لأنه إذا تشنج لم تسترخ رجلاه. بد (كعلم) تباعد ما بين فخذيه من كثرة لحمها. وبده (كنصر) فرقه والبداة (بالفتح) الكمأة والتراب. والعرقة (بفتح) هى الطرق فى الجبال والمعنى على هذا انها تبدد التراب وتثيره فى مسالك الجبال، ويصعب على راكبها أن يحتفظ بالعنان فى يده لطول عنقها ولعل بدا تخفيف للبدة (بالكسر) وهى الطاقة. والمعارق جمع معراق وهو الشد، والمعنى على هذا أن نشاطها يفوق طاقة العدو وطاقة الزمام.

٣ — لنا إبل ضخمة كثيرة ، كأنها أدغال « أيل » الملتفة الأشجار ، قد انتشرت ترعى الأرض بين سُودٍ وبِيضٍ هِجَان .

٤ — ولنا كل فرس طويلة الظهر مشدودة القوائم ، تبدد لنشاطها وقوة أرجلهـــا تراب المسالك بين الجبال وتثيره ، ويصعب على راكبها لطول عنقها أن يحتفظ فى يده بالعنان .

٥ — ولنا كل جواد أملس من فحول الخيل كريم ، يلمع جلد خاصرته ، كأنه قد طلى بزيت أو دهان .

٦ — يقوم على حمايتنا جيش ضخم ، يضطرب بما حوى من الدروع والرجال ، يتقدم الحى كأنه الإيوان.

٧ — فلا وأبيك لن تنال منّا ما حيينا إلا الطعان

٨ — وإلا كلّ رمح أسمر صلب ، كأن قناته لمرونتها من خيزران .

٩ — وإلا كل صقيل يتموج متنه ، يقدُّ الفِقَارَ إذا علا الأعناق .

١٠— أكب عليه فتَـانَا « أبو عَجْلان » يوما كاملا ، يصقله بمصقلتيه غير مُتَوان .

١١— وظل العرق يتساقط عليه من صفحتى وجهه إذ يحد شفرتيه ، فما ألان .

١٢— إننا لا نعطى ما نعطى إلا راضين مختارين . وليس يستطيع أحد أن يحملنا على مايتمنى ويريد ، كائناً من كان .

١٣— فلسنا بالقليلى السلاح ، فنسأمَ الحرب إذا التقى الجمعان .

١٤— يسوق لنا « عبدُ عمرو » « قلابةَ » ويثيرهم علينا ، ليرمينا بهم فيمن يبغينا بالعدوان .

١٥— ولو انتظروا حربنا وغارتنا ، لعرفوا كيف نُضَيِّفُ الضيفان بالطعان .

١٦— إنا نحل « الصُّلَيْب » و « بَطْن فَـلْج » جميعاً ، نوقد بها النيران.

١٧— فيرتفع لظاها فى النهار بالدخان . ولا نستخفى على الذى يبغينا من ذوى الأضغان.

١٨— فأَن يسأل عنا « أبو عمران » ، فإنى أقسم بالنجوم ، لو أنا برزنا للعيان .

١٩— لصاح النادبات عليه من قومه والأخدان ، « لقد حانت مَنِيَّتُه وحان!»

٥ — وَأَجْرَدَ مِنْ فُحُولِ ٱلْخَيْلِ طِرْفٍ   كَأَنَّ عَلَى شَوَاكِلِهِ دِهَانَا

٦ — وَيَحْمِى ٱلْحَىَّ أَرْعَنُ ذُو دُرُوعٍ   مِنَ ٱلسُّلَّافِ تَحْسَبُهُ إِوَانَا

٧ — فَلَا وَأَبِيكَ لَا نُعْطِيكَ مِنْهَا   طِوَالَ حَيَاتِنَا إِلَّا سِنَانَا

٨ — وَإِلَّا كُلَّ أَسْمَرَ وَهْوَ صَدْقٌ   كَأَنَّ ٱللِّيطَ أَنْبَتَ خَيْزُرَانَا

٩ — وَإِلَّا كُلَّ ذِى شُطَبٍ صَقِيلٍ   يَقُدُّ إِذَا عَلَا ٱلْعُنُقَ ٱلْجِرَانَا

١٠ — أَكَبَّ عَلَيْهِ مِصْقَلَتَيْهِ يَوْمًا   أَبُو عَجْلَانَ يَشْحَذُهُ فَتَانَا

١١ — فَظَلَّ عَلَيْهِ يَرْشَحُ عَارِضَاهُ   يُحِدُّ ٱلشَّفْرَتَيْنِ فَمَا أَلَانَا

١٢ — وَلَا نُعْطِى ٱلْمُنَى قَوْمًا عَلَيْنَا   كَمَا لَيْسَ ٱلْأُمُورُ عَلَى مُنَانَا

١٣ — وَلَا كُشُفٌ فَنَسْأَمَ حَرْبَ قَوْمٍ   إِذَا أَزَمَتْ رَحًى لَهُمُ رَحَانَا

١٤ — يَسُوقُ لَنَا قِلَابَةَ عَبْدُ عَمْرٍو   لِيَرْمِينَا بِهِمْ فِيمَنْ رَمَانَا

١٥ — وَلَوْ نَظَرُوا الصَّبَاحَ إِذًا لَذَاقُوا   بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ مَا قِرَانَا

١٦ — وَإِنَّا بِالصُّلَيْبِ وَبَطْنِ فَلْجٍ   جَمِيعًا وَاضِعِينَ بِهَا لَظَانَا

١٧ — نُدَخِّنُ بِالنَّهَارِ لِتُبْصِرِينَا   وَلَا نَخْفَى عَلَى أَحَدٍ بَغَانَا

١٨ — فَأَنْ يَحْتَفْ أَبُو عِمْرَانَ عَنَّا   فَأَنَّا وَالثَّوَاقِبِ لَوْ رَآنَا

١٩ — لَقَالَ ٱلْمُعْوِلَاتُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ   لَقَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ وَحَانَا

(٥ — ٨) الطرف الكريم من الخيل . الشاكلة الخصر . الأرعن الجيش الذى يضطرب لكثرته . سلاف العسكر مقدمته . الاوان بيت مرتفع البناء غير مسدود الوجه ، (وهو فارسى معرب) . الليطة شجرة يصنع منها القوس والقناة . الصدق الصلب المستوى من الرماح .

(٩ — ١٢) الشطبة (بضم الشين) طريقة السيف فى صفحته وتموج ربقه . الجران مقدم العنق . المصقلة ما يجلى به السيف ويكشف صداه . فتانا بدل من (أبو عجلان) . العارض صفحة الخد . شفرة السيف حده .

(١٣ — ١٦) كشف جمع أكشف وهو الذى لا ترس معه فى الحرب . أزمه عضه ، وأزم عليهم الدهر اشتد . نظروا انتظروا . الصباح يوم الغارة . القرى إضافة الضيف ، وهو يقصد هنا النكاية بالعدو . اللظى النار أو لهيبها .

(١٧ — ١٩) يحتفى يستخبر، حفى عنه أكثر السؤال عن حاله . الثواقب النجوم ،شهاب ثاقب ونجم ثاقب شديد الاضاءة . المعولات النادبات يعولن والعويل البكاء .

هذه هي القصيدة الوحيدة في ديوان الأعشى . التي رويت له في مدح النعمان بن المنذر . وقد سقط اسم الممدوح من ديباجة هذه القصيدة في الأصل وفي طبعة أوربا . فجاءت هكذا (. . . وقدم النابغة وزهير وعلقمة بن عبدة فمدحوه ومدحه الأعشى) ثم جاء في نهاية القصيدة (وفضل النعمان يومئذ الأعشى عليهم بهذا الشعر) . وليس في القصيدة مايدل على اسم الممدوح . ولكنا استدللنا على أنها في مدح النعمان بما جاء في نهاية القصيدة، وبما جاء في خزانة الأدب البغدادي ، إذ روى البيت (١٢) من هذه القصيدة ، وقال إنه من قصيدة للأعشى في مدح النعمان بن المنذر .

والنعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة من آل المنذر . وهو الذي غضب عليه كسرى أبرويز بن هرمز ، لمكيدة دبرها له زيد بن عدى ، انتقاماً منه لقتله أباه عدى بن زيد قبل ذلك فقتله . وقد اختلفوا في قتله ، فقيل إنه سجنه في سجن (خانقين) الذي خنق فيه عدى بن زيد من قبل ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات . وقيل إنه حبسه في موضع بالمدائن يسمى (ساباط) ، وقيل إنه ألقاه تحت أرجل الفيلة فقتلته . ولقتله قصة طويلة فصلها صاحب الأغاني في كتابه (١) .

وكان النعمان متزوجا من كندة . وكانت له من زوجته الكندية ابنة جميلة اسمها هند ، تزوجها عدى بن زيد . ثم غدر النعمان بزوجها فسجنه حتى مات . فترهبت هند بعد موته ، وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة . وقد عاشت هند بعد الاسلام بزمان طويل ، وتوفيت في ولاية المغيرة بن شعبة بالكوفة (٢) . ورووى أن المغيرة خطبها لنفسه ، فردته حين علمت أنه إنما قصد إلى الفخر ، بعد أن ذهب شبابها وجمالها . وكان النعمان بن المنذر نصرانيا فيما يروى ، نصره عدى بن زيد .

يقدم الشاعر للمديح بثلاثة أبيات في الغزل فيقول :

١ — أترحل عن (ليلى) بغير زاد ، وكأنك قضيت من اللهو حاجتك وبلغت المراد ؟

٢ — إن من فساد رأى الرجل ، أن يعلق قلبه بغانية ناعمة ، كلما دنا منها أمعنت في الصد والبعاد .

٣ — أتنسين ماقضينا في (دُحَيْضَة) وبين (البَدِيّ) و (ثَهْمَد) من أيام الوداد؟

ثم لايلبث الشاعر أن ينتقل إلى وصف الصحراء والرحلة للممدوح ، فيقول :

٤ — كم من صحراء مضلة ، يلعب فوقها السراب متموجاً ، كأنه كساء الكتان الأبيض المخطط بسواد .

٥ — قطعتها بناقة حمراء من خيرة النوق، تمرح طول ليلها في نشاط، ثم تصبح مكتملة القوى لم يعتورها الكلال.

٦ — لم تزل تعلف النوى المدقوق قد خلط بالحشيش ، وتسق صافى المـــاء ، وتطعم الشعير يكال لها بالمكيال .

٧ — عند (ابن يزيد) أو (ابن مُعَرِّف) ، يفتّ لها العلف طوراً بأصابعه ويحش لها الكلأ تارة أخرى بالمنجل .

٨ — حتى أصبحت في ضخامتها كبنيان (التهّامى) الشامخ ، شيد بالحجارة والآجر والطين والجير .

٩ — فلما جاء اليوم الذى يرقد فيه النوّام ، وأمضى أنا لما عقدت عليه العزم ، وما تهيأت له من أمر ،

١٠ — شددت عليها الرحل ، فنهضت به مسرعة ، تنحرف عن ظهر الطريق تارة ، وتعود تارة أخرى للرشاد .

---

(١) الأغانى ٢ : ١٠٦ — ١٤٦ (٢) ولى المغيرة الكوفة سنة ٤١ هـ وتوفى سنة ٥٠ .

وَقَالَ يَمدَحُ النُّعمانَ بنَ المُنذِر :

(طويل)

١ — أَتَرْحَلُ مِنْ لَيْلَى وَلَمَّا تَزَوَّدِ ... وَكُنْتَ كَمَنْ قَضَى اللُّبَانَةَ مِنْ دَدِ

٢ — أَرَى سَفَهًا بِالْمَرْءِ تَعْلِيقَ لُبِّهِ ... بِغَانِيَةٍ خَوْدٍ مَتَى تَدْنُ تَبْعُدِ

٣ — أَتَنْسَيْنَ أَيَّامًا لَنَا بِدُحَيْضَةٍ ... وَأَيَّامَنَا بَيْنَ الْبَدِىِّ فَثَهْمَدِ

٤ — وَبَيْدَاءَ تِيهٍ يَلْعَبُ الآلُ فَوْقَهَا ... إِذَا مَا جَرَى كَالرَّازِقِيِّ الْمُعَضَّدِ

٥ — قَطَعْتُ بِصَهْبَاءِ السَّرَاةِ شِمِــلَّةٍ ... مَرُوحِ السُّرَى وَالْغِبِّ مِنْ كُلِّ مِسْأَدِ

٦ — بَنَاهَا السَّوَادِىُّ الرَّضِيخُ مَعَ الْخَلَى ... وَسَقْيِي وَإِطْعَامِي الشَّعِيرَ بِمَحْفَدِ

٧ — لَدَى ابْنِ يَزِيدٍ أَوْ لَدَى ابْنِ مُعَرِّفٍ ... يَفُتُّ لَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا بِمِقْلَدِ

٨ — فَأَضْحَتْ كَبُنْيَانِ التِّهَامِيِّ شَادَهُ ... بِطِينٍ وَجَيَّارٍ وَكِلْسٍ وَقَرْمَدِ

٩ — فَلَمَّا غَدَا يَوْمُ الرُّقَادِ وَعِنْدَهُ ... عَتَادٌ لِذِى هَمٍّ لِمَنْ كَانَ يَغْتَدِى

١٠ — شَدَدْتُ عَلَيْهَا كُورَهَا فَتَشَدَّدَتْ ... تَجُورُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ وَتَهْتَدِى

١١ — ثَلَاثًا وَشَهْرًا ثُمَّ صَارَتْ رَذِيَّةً ... طَلِيحَ سِفَارٍ كَالسِّلَاحِ الْمُفَرَّدِ

١٢ — إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ كَلَالُهَا ... إِلَى الْمَاجِدِ الْفَرْعِ الْجَوَادِ الْمُحَمَّدِ

١٣ — إِلَى مَلِكٍ لَا يَقْطَعُ اللَّيْلُ هَمَّهُ ... خَرُوجٍ تَرُوكٍ لِلْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ

١٤ — طَوِيلِ نِجَادِ السَّيْفِ يَبْعَثُ هَمَّهُ ... نِيَامَ الْقَطَا بِاللَّيْلِ فِى كُلِّ مَهْجَدِ

(١ — ٣) الدد والددن اللهو . الخود الشابة الحسنة المنظر الناعمة .

(٤ — ٦) الآل السراب . الرازقى ثوب أبيض من الكتان . المعضد ثوب مخطط فى موضع العضد . الصهبة حمرة مشربة بالسواد . سراة كل شىء خياره . شملة ومروح بمعنى واحد وهى النشيطة . غب كل شىء عقيبه وما يليه . الاسآد سير الليل كله . السوادى النوى . الرضيخ فعيل بمعنى مفعول من رضخه أى دقه بالمرضخة . الخلى الحشيش . المحفد شىء تعلف به الدواب ، وقدح يكال به .

(٧ — ٩) فت الشىء وفتته دقه وكسره بالأصابع . المقلد الوعاء والمخلاة . الكلس الحجارة . القرمد الآجر (وهو معرب) . الهم ما يشغل البال . يغتدى ينطلق فى الغداة وهو الصباح المبكر .

(١٠ — ١٢) تجور تنحرف عن الجادة أى الطريق . الرذية الناقة المهزولة من السير ، وكذلك الطليح . المفرد الذى لا نظير له . المحمد المحمود .

(١٣ — ١٤) همه ما يشغل باله وما يدبره من كبار الامور . الفراش الممهد اللين الوثير . نجاد السيف حمائله ، يكنى بطوله عن طول قامته . القطا طائر فى حجم الحمام .

١١ — وظلت تدمن السير شهراً كاملا وثلاثة أيام ، حتى هزلت وأعيتها الأسفار ، وذهب كل صحبها فبقيت هي وحدها كالسيف الفريد .

ثم يتخلص الشاعر إلى ممدوحه قائلا :

١٢ — إليك - أَبَيْتَ اللعن - كان هزالها وإعياؤها ، إلى ماجد الأصل الكريم المحمود الخصال .

١٣ — إلى ملك لا يعوقه الليل عما هم به من أمر ، ولا يحول دون إنفاذه ، فهو كثير الخروج فيه ، كثير الهجر لفراشه الناعم الوثير .

١٤ — تتدلى على قامته المديدة علائق سيفه الطويلة ، ويثير قطا الصحراء الراقدة فى مكامنها .

١٥ — إذا كشفت الحرب عن أنيابها لم تجدك وانياً ولا نعَّاساً على مراصدها ومسالكها .

١٦ — ولكن توقدها وتصطلى نارها ، إذا بعثوك لها أوسعتها حطباً ، وأشعلتها غير متوان .

١٧ — وإنى أقسم بالذى تحج إليه قريش ، لقد كدت أعداءك كيد رجل غير دعى ولا ضعيف .

١٨ — كدتهم جميعاً غير معتد ولا ظالم ، ووطئتهم وطأ البعير المقيد الذى يدوس بكلتا يديه .

١٩ — بكتيبة مجتمعة مضمومة ، لا تبلغ مداها العين ، وخيل وأرماح ، وجنود مؤيدة بروحك وقوتك .

٢٠ — رابطى الجأش ، حين يفزع الناس أشتاتاً ، ويتعالى صوت المستغيث ، حتى لكأن نعام الصحراء المجفل النفور قد باض عليهم ، حين خيل إليه لثباتهم أنهم جماد .

ويشبه الشاعر ممدوحه بالأسد . ثم ينصرف إلى إبراز صورة هذا الأسد وتصوير شجاعته ، حتى إذا أرضى نفسه من ذلك ، عاد فقال إن ممدوحه لا يقل جرأة عن مثل هذا الأسد . وهذا أسلوب جاهلى معروف ، أكثر ما نجده فى شعر الناقة . وقد تقدمت له أمثلة كثيرة فيما مضى من شعر فى هذا الديوان . يقول الأعشى :

٢١ — وليس الأسد فى خدره ، وكأن جبينه قد طُلِىَ بصبغ (الوَرْس) الأصفر ، أو ضُمِّخ بالزعفران .

٢٢ — تراكم عليه بعوض (القَرْيَتين)، حتى أصبح جبينه كثوب القطيفة المخمَّل، كلما آذته بلدغها ضاق صدره وثار.

٢٣ — كأن ثياب القوم من حول عرينه ، وقد تمزقت فلم يبق منها إلا قطع متناثرة ، سراويل الملاحين القصيرة ، قد ألقيت إلى جنب نبات استوى على سوقه جافا وقد بلغ الحصاد .

١٥ــ فَمَا وَجَدَتْكَ ٱلْحَرْبُ إِذْ فَرَّ نَابُهَا ‏ ‏ عَلَى ٱلْأَمْرِ نَعَّاسًا عَلَى كُلِّ مَرْصَدِ

١٦ــ وَلٰكِنْ يَشُبُّ ٱلْحَرْبَ أَدْنَى صِلَاتِهَا ‏ ‏ إِذَا حَرَّكُوهُ حَشَّهَا غَيْرَ مُبْرِدِ

١٧ــ لَعَمْرُ ٱلَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ قَطِينَهُ ‏ ‏ لَقَدْ كِدْتَهُمْ كَيْدَ ٱمْرِئٍ غَيْرِ مُسْنَدِ

١٨ــ أُولَى وَأُولَى كُلٌّ فَاسْتَ بِظَالِمٍ ‏ ‏ وَطِئْتَهُمُ وَطْءَ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُقَيَّدِ

١٩ــ بِمَلْمُومَةٍ لَا يَنْفُضُ ٱلطَّرْفُ عَرْضَهَا ‏ ‏ وَخَيْلٍ وَأَرْمَاحٍ وَجُنْدٍ مُؤَيَّدِ

٢٠ــ كَأَنَّ نَعَامَ ٱلدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمُ ‏ ‏ إِذَا رِيعَ شَتَّى لِلصَّرِيخِ ٱلْمُنَدَّدِ

٢١ــ فَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ ‏ ‏ يُطَلَّى بِوَرْسٍ أَوْ يُطَانُ بِمُجْسَدِ

٢٢ــ كَسَتْهُ بَعُوضُ ٱلْقَرْيَتَيْنِ قَطِيفَةً ‏ ‏ مَتَى مَا تَنَلْ مِنْ جِلْدِهِ يَتَزَنَّدِ

٢٣ــ كَأَنَّ ثِيَابَ ٱلْقَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِ ‏ ‏ تَبَابِينُ أَنْبَاطٍ إِلَى جَنْبِ مُحْصَدِ

٢٤ــ رَأَى ضَوْءَ نَارٍ بَعْدَ مَا طَافَ طَوْفَةً ‏ ‏ يُضِيءُ سَنَاهَا بَيْنَ أَثْلٍ وَغَرْقَدِ

٢٥ــ فَيَا فَرَحًا بِٱلنَّارِ إِذْ يَهْتَدِي بِهَا ‏ ‏ إِلَيْهِمْ وَإِضْرَامِ ٱلسَّعِيرِ ٱلْمُوَقَّدِ

٢٦ــ فَلَمَّا رَأَوْهُ دُونَ دُنْيَا رِكَابِهِمْ ‏ ‏ وَطَارُوا سِرَاعًا بِٱلسِّلَاحِ ٱلْمُعَتَّدِ

٢٧ــ أُتِيحَ لَهُمْ حُبُّ ٱلْحَيَاةِ فَأَدْبَرُوا ‏ ‏ وَمَرْجَاةُ نَفْسِ ٱلْمَرْءِ مَا فِي غَدٍ غَدِ

٢٨ــ فَلَمْ يَسْبِقُوهُ أَنْ يُلَاقِي رَهِينَةً ‏ ‏ قَلِيلَ ٱلْمَسَاكِ عِنْدَهُ غَيْرَ مُفْتَدِي

(١٥ — ١٨) فر الدابة فتح فاها وكشف عن أسنانها ليعرف سنها . المرصد اسم مكان من رصد . رصده قعد له على طريقه وراقبه . (أدنى صلاتها) حال من الفاعل المستتر فى (يشب) . شب النار أوقدها . صلى النار (كعلم) قاسى حرها . حش النار حركها . مبرد اسم فاعل من أبرد الشيء أى برده ، يعنى أنه لا يدعها تطفأ . يقال لأهل مكة قطين الله ، والقطين القاطن . والأنسب هنا أن تكون قطين بمعنى المقطون ودار الاقامة . المسند الدعى . البعير المقيد أثقل وطأ لأنه يطأ بكلتا رجليه .

(١٩ — ٢١) كتيبة ملمومة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض . نفض المكان نظر جميع ما فيه حتى يعرفه . مؤيد قوى يؤيده الممدوح أى يقويه . الدو المفازة والصحراء . ريع من راعه أى أفزعه . شتى متفرقون . الصريخ المغيث والناصر وهو كذلك المستغيث ، من الأضداد . ندد صوته رفعه . مخدر أسد فى خدره أى عرينه . الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع فى اليمن ويصبغ به . ثوب مجسد مصبوغ بالزعفران . والجسد الزعفران . يطان يطلى .

(٢٢ — ٢٥) القريتان مكة والطائف . القطيفة نوع معروف من النسيج له وبر . تزند غضب وضاق صدره . التبان سراويل صغير يلبسه الملاحون والمصارعون (فارسى معرب) . النبط جيل كان يسكن العراق ، سموا بذلك لكثرة الماء فى أرضهم . محصد زرع حان حصاده ، اسم مفعول من أحصد الزرع حان حصاده . الأثل والغرقد شجرتان . السعير النار .

(٢٦ — ٢٨) دنيا مؤنث أدنى من الدنو وهو القرب . المعتد أى المعد من أعتد أى أعد وهيأ . أتيح له الأمر هيىء وقدر . ما فى غد هو خبر المبتدأ (مرجاة) . غد الثانية توكيد للأولى ، أى أن رجاءهم لما فى الغد قد حملهم على الفرار . الرهينة الأسير . المساك الاحتباس والثبات والاعتصام .

٢٤ — ظل يطوف باحثاً عن فريسة ، حتى رأى ناراً يلمع ضوؤها ، وقد استعرت فى خشب (الأَثْل) و(الغرْقَد)

٢٥ — ففرح بها إذ هدته إلى موضع القوم ودلته على مكانهم .

٢٦ — فلما رأوه وقد بلغ أقرب ركابهم ، وفزعوا إلى أسلحتهم وعتادهم مسرعين ،

٢٧ — عاودهم التعلق بالحياة فتراجعوا مدبرين ، وثناهم ما يداعب نفوس الناس فى غدهم من آمال .

٢٨ — ولكنه عاجلهم باختطاف أحدهم ، واحتجزه عنده رهينة قليلة البقاء ، لا تُفْتَدَى بمال .

٢٩ — ولم يكد يصرخ مستغيثاً بأصحابه إلا صرخة واحدة، ثم كان الذى لا يسمعون له بعده صوتاً ولا استغاثة .

ويعود الشاعر بعد هذا التفصيل الطويل فى وصف الأسد وجرأته ليقول :

٣٠ — ليس مثل هذا الأسد بأصدق منك بأساً ونجدة ، إذا اشتد الحرج فنكص الأبطال هاربين .

٣١ — وليس النهر الفياض الذى يمد بمائه الجداول فى (صَعْنَبَى) ، وقد مُهِّدت لمورده المسالك والطرقات .

٣٢ — يروى (النبيطُ) الزُّرْقُ ديارَهم من نواحيه ، وقد مدوا إليها القنوات فاجتمع فيها الماء .

٣٣ — بأجود منه بالعطاء ، حين يذود بعض الناس عن ماله بكاذب الوعود وهى هباء .

٣٤ — يهب الإبل البيضاء . ضخمةً كأنها النخيل ، والجيادَ الملساء ، طويلةَ الظهور كأنها الرماح ، بين مستحدَث أفاءته عليه الحروب والغارات ، وقديمٍ ورثه عن آبائه السادات .

ويختم الشاعر قصيدته بالاعتذار إلى النعمان عن إقلاله من زيارته ، لضعف بصره أو ذهابه ـ ونحن نعلم أن الأعشى فقد بصره فى آخر أيامه ـ فيقول :

٣٥ — فلا تحسبنى جاحداً لفضلك ونعمتك على ، فأنى أُشْهِدُ اللهَ والحاضرين على صدق ما أقول .

٣٦ — ولكن مثلى ممن لا تبصر عينه الأرض ولا يستطيع أن يميز الطريق ، يحتاج إلى الذى يصاحبه ويؤنس وحدته من صديق أو رفيق .

٢٩ــ فَأَسْمَعَ أُولَى الدَّعْوَتَيْنِ صِحَابَهَ ... وَكَانَ الَّتِى لَا يَسْمَعُونَ لَهَا قَدِ

٣٠ــ بِأَصْدَقَ بَأْساً مِنْكَ يَوْماً وَنَجْدَةً ... إِذَا خَامَتِ ٱلْأَبْطَالُ فِى كُلِّ مَشْهَدِ

٣١ــ وَمَا فَلَجٌ يَسْقِى جَدَاوِلَ صَعْنَبَى ... لَهُ شَرَعٌ سَهْلٌ عَلَى كُلِّ مَوْرِدِ

٣٢ــ وَيُرْوِى النَّبِيطُ الزُّرْقُ مِنْ حَجَرَاتِهِ ... دِيَارًا تُرَوَّى بِٱلْأَتِيِّ ٱلْمُعَمَّدِ

٣٣ــ بِأَجْوَدَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ ... كَفَى مَالَهُ بِٱسْمِ ٱلْعَطَاءِ ٱلْمُوَعَّدِ

٣٤ــ تَرَى ٱلْأُدْمَ كَٱلْجَبَّارِ وَٱلْجُرْدَ كَٱلْقَنَا ... مُوَهَّبَةً مِنْ طَارِفٍ وَمُتَلَّدِ

٣٥ــ فَلَا تَحْسَبَنِّى كَافِرًا لَكَ نِعْمَةً ... عَلَىَّ شَهِيدٌ شَاهِدُ اللهِ فَٱشْهَدِ

٣٦ــ وَلَٰكِنَّ مَنْ لَا يُبْصِرُ ٱلْأَرْضَ طَرْفُهُ ... مَتَى مَا يُشِعْهُ الصَّحْبُ لَا يَتَوَحَّدِ

(٢٩ — ٣١) أسمع أولى الدعوتين صاح صيحة واحدة ثم لم يمهله الاسد ليصيح صيحة ثانية . قد اسم فعل بمعنى يكفى . الباس القوة . النجدة إغاثة المستغيث . خام نكص وجبن . المشهد يقصد به القتال . الفلج والجدول النهر الصغير . صعنبى موضع باليمامة . الشرع الطريق إلى الماء . المورد موضع الورود على الماء .

(٢٢ — ٢٣) النبيط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقيين ، ويستعمل كذلك فى أخلاط الناس وعوامهم . الزرق يقصد الزرق العيون لأنهم ليسوا عربا . حجراته نواحيه . الأتى جدول تؤتيه إلى ارضك . المعمد من عمد السيل إذا سد وجهه بتراب ونحوه حتى يجتمع فى موضع . العطاء الموعد أى الذى يظل وعدا ولا ينفذه صاحبه ولا يفى به .

(٣٤ — ٣٦) الأدم جمع آدم وهو من الابل لون مشرب سواداً أو بياضا أو هو البياض الواضح ، من الاضداد . الجبار النخله الطويلة . الجرد الخيول ، كالقنا طويلة الظهور كالرماح . طارف مستحدث من الغنائم . متلد قديم . من لا يبصر الأرض طرفه ، ذلك لأن الاعشى عمى فى آخر أيامه . أشاعه الصحب كانوا له شيعة ورفيقا . توحد تفرد . لا يتوحد أى لا يستوحش بوحدته .

هذه هى القصيدة الثانية فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وقد مضت ترجمة إياس مع القصيدة الأولى (٢١) .

يقول الأعشى :

١ — وقفت اليوم عند ديار (تيّا) فى (جو) ، فاهتديت إلى منزلها ، وإلى عيدان الشجر المسقوفة التى كانت تستظل بها من الحر .

٢ — فهيجت الآثار الحنين فى قلب حزين مكروب ، فأرسل دمعه يجرى غزيراً فوق هذه الأطلال . .

٣ — وغنت الحمامة فى (قرماء) تدعو أليفها ، وقد فترت الحرارة حين بدأت السحب فى التجمع ، فهاجت أشواقك للحبيب .

٤ — ومن عجب أن يشتاق مثلك من آثار ذهبت وانمحت ، فلم يبق منها إلا يابس الحشائش ، وإلا ما كانت تسد به الفتحات والثقوب من خوص (الثمام) .

٥ — تعيبنى (قُتَيْلة) - وإن كانت هى نفسها لا تخلو من عيب - فتقول حين رأتنى :

٦ — أراك كبرت ، وتغير خلقك عما عهدت ، فانصرفت عن الخمر والنساء .

٧ — فأن يك شعر صدغى قد شاب يا (قَتْل) ، وأضحت رأسى وكأن نور (الثَّغَام) الأبيض قد نثر فوق مفرقها ،

٨ — وعاد باطلى إلى القصد والاعتدال ، وصحوت من سكرة الغواية حتى كأن لم أكن غلاما عابثا فى يوم من الأيام ،

٩ — فأن دوران الزمن وتتابع أحداثه الجسام ، تفنى السيف الصلب الحسام .

* * *

١٠ — ولقد تحل بى الهموم وتثقل على ضيافتها ، فأطعمها ناقة شديدة مكتنزة اللحم ، قد ادخرت للرحلة ومنع عنها الفحول فهى عقام .

١١ — يتجافى مُرفقها المفتول عن إبطها ، وتسمع لسيور الرحل حين تحز فى هيكلها الضخم أطيطا كأنه صوت الرماح فى يد الذى يلينها ويقومها على النار .

١٢ — إذا رعتها بالزجر هبت مسرعة ، لهـــا فى جريها حفيف كحفيف ذكر النعام حين ينشر جناحيه مطاردا أنثاه .

وقال يمدح إِيَاسَ بْنَ قبيصةَ الطّائِى :

١ — عَرَفْتَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تيَّا مُقَامَا ... بِجَوٍّ أَوْ عَرَفْتَ لَهَا خِيَامَا (وافر)

٢ — فَهَاجَتْ شَوْقَ مَحْزُونٍ طَرُوبٍ ... فَأَسْبَلَ دَمْعَهُ فِيهَا سِجَامَا

٣ — وَيَوْمَ ٱلْخَرْجِ مِنْ قَرْمَاءَ هَاجَتْ ... صِبَاكَ حَمَامَةٌ تَدْعُو حَمَامَا

٤ — وَهَلْ يَشْتَاقُ مِثْلُكَ مِنْ رُسُومٍ ... عَفَتْ إِلَّا ٱلْأَيَاصِرَ وَالثُّمَامَا

٥ — وَقَدْ قَالَتْ قُتَيْلَةُ إِذْ رَأَتْنِي ... وَقَدْ لَا تَعْدَمُ ٱلْحَسْنَاءُ ذَامَا

٦ — أَرَاكَ كَبِرْتَ وَاسْتَحْدَثْتَ خُلْقًا ... وَوَدَّعْتَ ٱلْكَوَاعِبَ وَٱلْمُدَامَا

٧ — فَإِنْ تَكُ لِمَّتِي يَا قَتْلُ أَضْحَتْ ... كَأَنَّ عَلَى مَفَارِقِهَا ثَغَامَا

٨ — وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَصَحَوْتُ حَتَّى ... كَأَنْ لَمْ أَجْرِ فِي دَدَنٍ غُلَامَا

٩ — فَإِنَّ دَوَائِرَ ٱلْأَيَّامِ يُفْنِي ... تَتَابُعُ وَقْعِهَا الذَّكَرَ ٱلْحُسَامَا

١٠— وَقَدْ أَقْرِى ٱلْهُمُومَ إِذَا ٱعْتَرَتْنِي ... عُذَافِرَةً مُضَبَّرَةً عُقَامَا

١١— مُفَرَّجَةً يَئِطُّ النِّسْعُ فِيهَا ... أَطِيطَ ٱلسَّمْهَرِيَّةِ أَنْ تُقَامَا

١٢— إِذَا مَا رُعْتَهَا بِالزَّجْرِ أَجَّتْ ... أَجِيجَ مُصَلَّمٍ يَزْفِي نَعَامَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة تصغير تى . الخيمة بيت يبنى من عيدان الشجر ويلقى عليه ثمام ويتبرد به فى الحر . والثمام نبت ضعيف له خوص . هاجت حركت وأثارت . طروب حزين وهو من الاضداد . انسجم الدمع سال . الخرج السحاب أول ما ينشأ . قرماء موضع باليمامة . الصبا الشوق .

(٤ — ٦) الأيصر والاصار الحشيش . الثمام نبت ضعيف له ورق شبيه بالخوص تسد به خصائص البيوت . الذام العيب . هذا مثل عربى له قصة ذكرها الميدانى فى كتابه « مجمع الأمثال » يقصد به أن الحسناء — مهما يبد من كمالها — لا تخلو من نقص يعيبها .

(٧ — ٩) اللمة الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فاذا بلغ المنكبين فهو جمة (بضم الجيم) . المفرق وسط الرأس وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر . الثغام نبت له نور أبيض يشبه به الشيب . أقصر عن الأمر انتهى وكف . الددن اللهو . الذكر السيف الصارم . الحسام القاطع الذى يحسم أى يقطع .

(١٠ — ١٢) قرى الضيف أضافه وأطعمه . اعتراه حل به . عذافرة ناقة شديدة . مضبرة مجتمعة . عقام بازل شديدة ، أو لم يولد لها ، والولادة تضعفها وتذهب بقوتها . مفرجة بعد مرفقها عن إبطها لامتلائه . الأطيط صوت الرحل . النسع السير الذى يشد به الرحل إلى بطن الناقة . السمهرية الرماح . تقام يقوم اعوجاجها على النار . راعها أفزعها . أجت عدت وكان لها حفيف فى عدوها . المصلم المقطوع الأذنين وهو النعام . زفى الظليم نشر جناحيه ، وزفت الريح السحاب طردته .

١٣ــ تشق الليل وبرد الصباح ، بعنقها الطويل الكثير الحركة إذ يضطرب فيه الزمام .

١٤ــ ويملأ هيكلها الضخم ــ وكأنه هيكل الفحل المكرم الذى أدُّخِر للضِّراب ــ سيورَ الرحل ، حتى ما تتحرك فوقه ، وتسرع حين يقوم قائم الظهيرة ويركد الحر ويصوم النهار .

١٥ــ إذا فتر صحبها من النوق الآثمات ، تحاملت على ماتعانى من آلام ، تطوى الطريق وتجتزع الآكام .

١٦ــ ولقد أبادر صحبى من الشاربين بالراح فى الصباح ، من دَنٍّ أسود ضخم عتيق .

١٧ــ من نادر الخمر ، التى اجتلبت من مواطنها محمولة فوق النوق والدواب، تنفذ رائحتها القوية إلى الأنف وكأنها ريح المسك ، فتستل الزكام .

١٨ــ إذا مزجت بالماء ، بدا سطحها — بعد أن يذهب زبده ــ متوهجاً براقاً ، كأنما صبت الشمس فوقه قطعاً من شعاعها .

١٩ــ ظل تاجرها فى (عانات) شهراً يختارها وينتقيها ، ثم حبسها عنده ، يرجى مايعود عليه منها عاماً بعد عام .

٢٠ــ كان يعلق عليها الآمال ، ويرجو أن يصيب بها الثراء ، فأغلق دونها يساوم فى ثمنها ، مغاليا فى السوام .

٢١ــ فوفيناه ماطلب ولم نبخل عليه به . فلمثلها كنا نهين الإبل ، فنشربها بأثمانها .

٢٢ــ إذا فت الخمَّار عن فم دنها السداد . انبعث ضوؤها كشعاع الشمس الوهاج .

٢٣ــ ولكم خلوت ليلة كاملة بمضاجعة بيضاء المعاصم صاحبة لهو لعوب .

وبعد هذا الحديث الطويل ، الذى تنقل فيه الشاعر بين ذكريات شبابه ، ينتقل فجأة ، وبغير تقديم ، إلى المدح . فيتجه بالخطاب إلى بعض أعداء ممدوحه ، أو بعض رعيته ممن كان يلى عليهم . وكأنه كان مريضاً ، فجرأهم مرضه عليه . فهو يقول لهم إنه جدير أن ينكل بهم إن أبلَّ من مرضه

٢٤ــ إنى أقسم لكم بمن قتل من رجالكم فى (رأس العين) ، لئن قام من فراشه ونفض عنه السقام ،

٢٥ــ ـ وذلك قريب غير بعيد ـ ثم اجتمعت إليه الجموع من جيوشه ، ليسعينَّ إليكم فى دياركم حتى يروم مالا يرام .

١٣— تَشُقُّ اللَّيْلَ وَالسَّبَرَاتِ عَنْهَا ... بِأَتْلَعَ سَاطِعٍ يُشْرِى الزِّمَامَا

١٤— وَتَقْتَالُ النُّسُوعَ بِجَوْزِ قَرْمٍ ... مُوَاشِكَةً إِذَا مَا ٱلْيَوْمُ صَامَا

١٥— إِذَا مَا ٱلْآئِمَاتُ وَنَيْنَ حَطَّتْ ... عَلَى ٱلْعِلَّاتِ تَجْتَرِعُ ٱلْأَكَامَا

١٦— وَأَدْكَنَ عَاتِقٍ جَحْلٍ سِبَحْلٍ ... صَبَحْتُ بِرَاحِهِ شَرْبًا كِرَامَا

١٧— مِنَ اللَّاتِى حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايَا ... كَرِيحِ ٱلْمِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا

١٨— مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ عَلَى قَرَاهَا ... إِذَا مَا صَرَّحَتْ قِطَعًا سَهَامَا

١٩— تَخَيَّرَهَا أَخُو عَانَاتَ شَهْرًا ... وَرَجَّى أَوْلَهَا عَامًا فَعَامَا

٢٠— يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ لَهُ ثَرَاءً ... فَأَغْلَقَ دُونَهَا وَعَلَا سِوَامَا

٢١— فَأَعْطَيْنَا ٱلْوَفَاءَ بِهَا وَكُنَّا ... نُهِينُ لِمِثْلِهَا فِينَا السَّوَامَا

٢٢— كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا ... إِذَا مَا فَتَّ عَنْ فِيهَا ٱلْخِتَامَا

٢٣— وَبَيْضَاءِ ٱلْمَعَاصِمِ إِلْفِ لَهْوٍ ... خَلَوْتُ بِشَكْرِهَا لَيْلًا تَمَامَا

٢٤— حَلَفْتُ لَكُمْ عَلَى مَا قَدْ نَعَيْتُمْ ... بِرَأْسِ ٱلْعَيْنِ إِنْ نَفَضَ السَّقَامَا

٢٥— وَشِيكًا ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ جَمْعٌ ... لِيَلْتَمِسَنْ بِلَادَكُمُ إِلَى مَا

(١٣ — ١٥) السبرة الغداة الباردة . أتلع عنق طويل . ساطع مرتفع . أشرى الزمام حركه . اقتال عليه احتكم . النسوع السيور التى يشد بها الرحل . جوز الشىء وسطه . القرم الفحل الذى لم يمسه حبل ولم يحمل عليه وترك للنسل . مواشكة سريعة . صام النهار قام قائم الظهيرة واشتد حره ، وأصل الصوم الامساك والسكون . الآئمات التى لا تصدق السير . حط انحدر من أعلى إلى أسفل ، وحط البعير اعتمد فى الزمام على أحدشقيه . العلة المرض ، والعلات الحالات المختلفة . الآكام المرتفعات .

(١٦ — ١٨) أدكن هو الدن لأنه يطلى بالقطران لتسد مسامه فلا يرشح مافيه من الخمر . عاتق قديم . لجحل السقاء العظيم . سبحل ضخم . الشرب (بفتح الشين) جماعة الشاربين . الروايا جمع راوية وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه . المشعشعة الخمر التى أرق مزجها . القرى الظهر . صرحت ذهب زبدها . السهام (بفتح السين) مخاط الشيطان وهو لعاب الشمس ، شىء تراه كأنه ينحدر من السماء إذا حميت الظهيرة وقام قائمها .

(١٩ — ٢١) عانات بلد بالشام . أولها مايؤول إليه أى يعود عليه من ربحها . ساوم السلعة غالى بها سواماً . السوام (بفتح السين) الابل الراعية .

(٢٢ — ٢٥) قرن الشمس أول شعاعها أو هو أول مايبدو عند طلوعها . إلف لهو معتادة ذلك . الشكر (بفتح الشين) النكاح والفرج أو لحمه . نعاه أخبر بموته . يقسم لهم بهزيمتهم فى ذلك اليوم . وشيكا سريعاً . ثاب رجع . الى ما ، يوم ما أو شىء ما أو الى ما قد كان .

٢٦- ليسعين إلى دياركم بجيش عظيم يثير الغبار كثيفا مظلماً فوق الفيافى والقفار .

٢٧- جيش عريض تضيق به أرجاء الصحراء ، يستنفد أوله الموارد الغزيرة الماء ، قبل أن يبلغها آخره من الظّماء .

٢٨- يحمل إليكم الموت ، يتقدمه (إياس) راكبا فرسا جرداء ، يملأ جنباها العظيمان حزام السرج .

٢٩- تبارى ظل رمح مستقيم مفتول - وكأنها تريد أن تسبقه - مرن فى يد الفارس الذى يركبها ، إذا هزّه ارتعش متذبذبا ثم استقام .

٣٠- أخو نجدة يخف للمستغيث ، صبور إذا مسه الضر لا يرزح تحته ، وقور إذا دام عليه الخير لا يستخفه ولا يزدهيه .

٣١- يقسم أيامه بين اللهو والحرب ، فيوم للعاب الغوانى ويوم لركوب الأهوال العظام .

٣٢- مشرق الوجه ، يكشف الشدائد الجسام ، ويجلو ضوء طلعته الظلام .

٣٣- إذا بليت قوى العاجز المستضام ، والتذّ لينَ الفراش فنام ،

٣٤- كفاه (إياس) الحرب إذ هاجت بعد سكون ، وخفّ عن الوسائد فقام .

٣٥- إذا سار نحو بلاد قوم ، حمل إليهم الموت الزؤام .

٣٦- تعود جياده من الغارة آخر النهار كأنها الغيلان ، تتفتت تحت وقع حوافرها الصلبة الصخور .

٣٧- وهو قائم فوقها ، ممشوق القد ، ماضى العزم ، كأنه السيف الصقيل يهتز مشهورا فى يد الفارس المغوار .

٢٦— لِيَلْتَمِسَنْ بِلَادَكُمُ بِمَجْرٍ يُثِيرُ بِكُلِّ بَلْقَعَةٍ قَتَامَا

٢٧— عَرِيضٍ تَعْجِزُ الصَّحْرَاءُ عَنْهُ وَيَشْرَبُ قَبْلَ آخِرِهِ ٱلْجِمَامَا

٢٨— يَقُودُ ٱلْمَوْتَ يَهْدِيهِ إِيَاسٌ عَلَى جَرْدَاءَ تَسْتَوْفِي ٱلْحِزَامَا

٢٩— تُبَارِي ظِلَّ مُطَّرِدٍ مُمَرٍّ إِذَا مَا هُزَّ أَرْعَشَ وَٱسْتَقَامَا

٣٠— أَخُو النَّجَدَاتِ لَا يَكْبُو لِضُرٍّ وَلَا مَرِحٌ إِذَا مَا ٱلْخَيْرُ دَامَا

٣١— لَهُ يَوْمَانِ يَوْمُ لِعَابِ خَوْدٍ وَيَوْمٌ يَسْتَمِي ٱلْقُحَمَ ٱلْعِظَامَا

٣٢— مُنِيرٌ يَحْسُرُ ٱلْغَمَرَاتِ عَنْهُ وَيَجْلُو ضَوْءُ غُرَّتِهِ الظَّلَامَا

٣٣— إِذَا مَا عَاجِزٌ رَثَّتْ قُوَاهُ رَأَى وَطْءَ ٱلْفِرَاشِ لَهُ فَنَامَا

٣٤— كَفَاهُ ٱلْحَرْبَ إِذْ لَقِحَتْ إِيَاسٌ فَأَعْلَى عَنْ نَمَارِقِهِ فَقَامَا

٣٥— إِذَا مَا سَارَ نَحْوَ بِلَادِ قَوْمٍ أَزَارَهُمُ ٱلْمَنِيَّةَ وَٱلْحِمَامَا

٣٦— تَرُوحُ جِيَادُهُ مِثْلَ السَّعَالِي حَوَافِرُهُنَّ تَهْتَضِمُ السِّلَامَا

٣٧— كَصَدْرِ السَّيْفِ أَخْلَصَهُ صِقَالٌ إِذَا مَا هُزَّ مَشْهُورًا حُسَامَا

(٢٦ — ٢٨) المجر الجيش العظيم . البلقعة الارض القفر التى لا شىء فيها . القتام الغبار الأسود . تعجز الصحراء عنه من كثرته . الجمام جمع جم (بفتح الجيم) وهو الكثير من كل شىء . يهديه يرشده ويقوده .

(٢٩ — ٣١) مطرد رمح مستقيم. ممر صلب مفتول . كبا يكبو انكب على وجهه . الضر (بضم الضاد وفتحها) سوء الحال والشدة . الخود الشابة المنعمة . يستمى يطلب . القحم الأهوال جمع قحمة (بضم القاف) .

(٣٢ — ٣٤) حسر الشىء (كنصر) كشفه ، لازم ومتعد . الغمرة (بفتح الغين) الشدة . غرته وجهه . رث الشىء بلى ، القوى الحبال . وطؤ الفراش وطأ سهل ولان . لقحت الحرب هاجت بعد سكون، وأصله لقحت الناقة أى حملت . النمارق جمع نمرقة (بضم النون والراء) وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . أعلى عن الدابة نزل عنها وخفف حملها .

(٣٥ — ٣٨) تروح تعود آخر النهار . السعالى جمع سعلاه (بكسر السين) وهى الغول . السلمة (بفتح ثم كسر) الحجارة جمعها سلام . هضم الشىء كسره . صدر الشىء أعلاه ومقدمه . أخلصه صفاه وميزه من غيره . الصقال الجلاء . مشهوراً أى مرفوعا فى اليد . حسام قاطع ، من حسم الشىء أى قطعه .

هذه هى القصيدة الثالثة فى الحارث بن وعلة . وقد سبقتها القصيدتان (٧) ، (٢٧) وكلتاهما هجاء ، وترجمة الحارث بن وعلة مذكورة فى القصيدة (٢٧).

يقول الأعشى :

١ — أوقد تصابيت وشاقك لهو الشباب ، أم أنك قد فقدت الصواب ، حين آذن ود (زينب) بالذهاب ؟

٢ — وهاجت هوادج (زينب) منذ الصباح فى قلبك الأحزان والعذاب ، وقد جعل القوم يهيئونها للرحيل طوال النهار حتى توارت الشمس بالحجاب .

٣ — فلما ارتحلوا قلتُ يانخل (ابن يامن) ، أيهما أدنى إلى النعمة والثراء ، أهن أم اللاتى تغذوهن برطبك الحلو العُجَاب ؟

٤ — ونخلك الطويل المرتفع الضخم الجذوع ، تحط عليه من الطيور أسراب، تتجاوب أصواتها بالتنعاب .

٥ — واستوين فوق هوادجهن وقد غطيت بغالى الثياب ، فى ألوانها الرِّغاب ، وقد حفت حواشيها بلون الورد وبالحمرة القانية .

٦ — وأسرعوا السير وقد حثوا المطى ، فلما خفت أن يتفرقوا فى الشِّعاب ، بين منحدر فى الوديان ومُصْعِد فى الهضاب .

٧ — تبعتهم تطوى بى البيد ناقة ضخمة نشيطة بارزة الأنياب .

٨ — مكتنزة اللحم صلبة ، فكأنما الرحل منها فوق حمار وحش من حمر (بَيَّان) الصِّلاب .

٩ — فلما بلغت الحى تطلع الفتيات ينظرن إلى وقد تطاولن بأجيادهن ، كأنهن القطيع من بقر الوحش المستظل بالأشجار وقد مد الرقاب .

١٠ — وفى الحى من يحب لقاءنا ويشتهيه ، ومنهم من قتلتهم الغيرة فهم ظاهرو العداوة غضاب .

١١ — فما أنس من شىء : فلن أنسى قولها : لعل النوى تجمعنا بعد التفرق والاغتراب .

١٢ — ولست أنسى خدها الأملس المسترسل وقد تحدر فوقه الدمع ، تكفكفه بأنامل كأنها هُدَّاب الحرير الناعم الطويل وقد زانها الخضاب .

وقالَ يَهجُو الحارثَ بنَ وَعْلَة :

(طويل)

١ — تَصَابَيْتَ أَمْ بَانَتْ بعقلك زَيْنَبُ ... وَقَدْ جعَلَ ٱلْوُدُّ الَّذى كَانَ يَذْهَبُ

٢ — وَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ لِزَيْنَبَ غُدْوَةً ... تَحَمَّلْنَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ

٣ — فَلَمَّا ٱسْتَقَلَّتْ قُلْتُ نَخْلَ ابْنِ يَامِنٍ ... أَهُنَّ أَمِ اللَّاتِي تُرَبِّتُ يَتْرَبُ

٤ — طَرِيقٌ وَجَبَّارٌ رِوَاءٌ أُصُولُهُ ... عَلَيْهِ أَبَابِيلٌ مِنَ الطَّيْرِ تَنْعَبُ

٥ — عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَعَقْمَةٍ ... جَوَانِبُهَا لَوْنَانِ وَرْدٌ وَمُشْرَبُ

٦ — أَجَدُّوا فَلَمَّا خِفْتُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ... فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ

٧ — طَلَبْتُهُمْ تَطْوِى بِىَ ٱلْبِيدَ جَسْرَةٌ ... شُوَيْقِئَةُ النَّابَيْنِ وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ

٨ — مُضَبَّرَةٌ حَرْفٌ كَأَنَّ قُتُودَهَا ... تَضَمَّنَهَا مِنْ حُمْرِ بَيَّانَ أَحْقَبُ

٩ — فَلَمَّا ادَّرَكْتُ ٱلْحَىَّ أَتْلَعَ أُنَّسٌ ... كَمَا أَتْلَعَتْ تَحْتَ الْمَكَانِسِ رَبْرَبُ

١٠ — وَفِى ٱلْحَىِّ مَنْ يَهْوَى لِقَانَا وَيَشْتَهِى ... وَآخَرَ مَنْ أَبْدَى ٱلْعَدَاوَةَ مُغْضَبُ

١١ — فَمَا أَنْسَ مِلْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا ... لَعَلَّ النَّوَى بَعْدَ التَّفَرُّقِ تُصْقِبُ

١٢ — وَخَدًّا أَسِيلًا يَحْدُرُ الدَّمْعَ فَوْقَهُ ... بَنَانٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ مُخَضَّبُ

(١ — ٣) تصابى الرجل مال إلى الصبوة واللهو واللعب وجهلة الفتوة . كان هنا تامة أى الذى مضى وانقضى . شاقتك هاجتك . أظعان جمع ظعينة وهى الهودج . غدوة صباحا . تحملوا وضعوا أحمالهم على الابل يريدون الرحيل . استقل القوم ذهبوا وارتحلوا . ربت الربيب رباه . ترب (كطرب) اغتنى وافتقر ضد .

(٤ — ٦) الطريق والجبار من النخل الطويل . أبابيل جماعات . أنماط جمع نمط (بفتحتين) وهو ثوب ملون من صوف يطرح على الهودج . عتاق جمع عتيق وهو الكريم من كل شىء . العقم والعقمة (بفتح فسكون) ضرب من الوشى ، وهو أن تظهر خيوط أحد النيرين فيعمل العامل ، فاذا أراد أن يوشى بغير ذلك اللون لواه فأغمضه وأظهر مايريد عمله . وأصل الاعتقام اللى . أشرب اللون أشبعه فهو مشرب .

(٧ — ٩) جسرة ناقة ضخمة . شقأ نابه طلع حده فهو شاقىء ، وشويقئة تصغيره للأنثى . وجناء غليظة ، والوجين ماغلظ من الأرض . ذعلب خفيفة . مضبرة مكتنزة اللحم . حرف صلبة . بيان موضع . القتود الرحل . حمر جمع حمار . أحقب فى حقويه بياض ، والحقو الخصر . أدرك افتعل من درك وأدرك أى لحق . أتلعت رفعت رؤوسها . أنس جمع آنسة وهى الطيبة النفس . المكانس جمع مكنس (اسم مكان) وهو موالج الوحش من الظباء وبقر الوحش تستكن فيه من الحر . الربرب القطيع من بقر الوحش

(١٠ — ١٢) النوى البعد ، وهى كذلك الدار ، والوجه الذى يذهب فيه المسافر وينويه . تصقب تدنى وتقرب . خد أسيل لين أملس طويل مسترسل . البنان أطراف الأصابع . الهداب ما فضل فى أطراف النسيج من الخيوط . الدمقس الحرير . مخضب صفة للبنان مصبوغ بالحناء .

١٣ — لكم اصطبحت بخمر صافية كعين الديك ، أغدو إليها قبل مطلع الشمس فأشربها على قرع النواقيس ، مع فتية صلاب .

١٤ — من سلاف الخمر وخالصها الرائق ، كأنها الزعفران الأصفر خلط بصبغ العنْدَم الأحمر، حين تروّق في إنائها الفخارى الضخم ثم تمزج بالماء .

١٥ — تسطع رائحتها فواحة فى البيت ، فكأنما حط به تجارُ (دارين) الرّكاب، بما يحملون من مسك وأطياب .

١٦ — ألا أبلغا (حُرَيْثاً) منى رسالة ، فأنى أراك متنكباً للإنصاف ، منحرفا عن الصواب.

١٧ — أتفاخر مزهواً بوفائك مَرَّةً للجار ؟ إن هذا لشيء عُجَاب !

١٨ — فلقد وفى (الرقاد) قبلك لجاره ، فأنجاه مما كان يخشى ويهاب .

١٩ — وأظله بجواره وحمايته، ومنحه قدحا نفيساً مستوى الريش ، يشارك به الياسرين فى القمار . فوفى لجاره وقد كان على وشك الذهاب .

٢٠ — تداركه فى شهر رجب الذى تنزع فيه نصال الحراب ، ويكف فيه الناس عن القتال ، وقد مضى الشهر الحرام فلم تبق منه إلا ليلة واحدة ، ثم يحل به العطب والدمار .

٢١ — وإنا لأصلب الناس عوداً بين بكر وتغلب جميعاً إذا عد الرجال وقيست الأنساب .

٢٢ — لنا إبل لا يحل بأصحابها ذم ولا عاب ، فهم يقرون بها الضيفان ، ويطعمون ألبانها ولحومها لمن يحل بهم من الغرباء .

٢٣ — ويعينونه بها ليدفعها فى ديات القتلى إذا أثقلته ،حين يستخفى الأغنياء والموسرون مخافة أن يطلب منهم العون.

٢٤ — ويحل فى جوارهم آمناً ، تحميه خيل ادخرت للشدائد ، تسرع إلى المستغيث ، وتركب الوعور والصعاب.

٢٥ — ضامرة من سلالة (الصريح) و (أعوج) ، تندفع إلى القتال جريئة لا تهاب ، ولا يأمن الفرسان الحاذقون بالقتال ، أن تكر عليهم المرة بعد المرة لا ينالها كلال .

١٣— وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرْتُ حَدَّهَا ... بِفِتْيَانِ صِدْقٍ وَالنَّوَاقِيصُ تُضْرَبُ

١٤— سُلَافٍ كَأَنَّ الزَّعْفَرَانَ وَعَنْدَمًا ... يُصَفَّقُ فِى نَاجُودِهَا ثُمَّ تُقْطَبُ

١٥— لَهَا أَرَجٌ فِى ٱلْبَيْتِ عَالٍ كَأَنَّمَا ... أَلَمَّ بِهِ مِنْ تَجْرِ دَارِينَ أَرْكُبُ

١٦— أَلَا أَبْلِغَا عَنِّى حُرَيْثًا رِسَالَةً ... فَأَنَّكَ عَنْ قَصْدِ ٱلْمَحَجَّةِ أَنْكَبُ

١٧— أَتَعْجَبُ أَنْ أَوْفَيْتَ لِلْجَارِ مَرَّةً ... فَنَحْنُ لَعَمْرِى ٱلْيَوْمَ مِنْ ذَاكَ نَعْجَبُ

١٨— فَقَبْلَكَ مَا أَوْفَى الرُّفَادُ لِجَارِهِ ... فَأَنْجَاهُ مِمَّا كَانَ يَخْشَى وَيَرْهَبُ

١٩— فَأَعْطَاهُ حِلْسًا غَيْرَ نِكْسٍ أَرَبَّهُ ... لُؤَامًا بِهِ أَوْفَى وَقَدْ كَادَ يَذْهَبُ

٢٠— تَدَارَكَهُ فِى مُنْصِلِ ٱلْأَلِّ بَعْدَمَا ... مَضَى غَيْرَ دَأْدَاءٍ وَقَدْ كَادَ يَعْطَبُ

٢١— وَنَحْنُ أُنَاسٌ عُودُنَا عُودُ نَبْعَةٍ ... إِذَا ٱنْتَسَبَ ٱلْحَيَّانِ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ

٢٢— لَنَا نَعَمٌ لَا يَعْتَرِى الذَّمُّ أَهْلَهُ ... تُعَقَّرُ لِلضَّيْفِ ٱلْغَرِيبِ وَتُحْلَبُ

٢٣— وَيُعْقَلُ إِنْ نَابَتْ عَلَيْهِ عَظِيمَةٌ ... إِذَا مَا أُنَاسٌ مُوسِعُونَ تَغَيَّبُوا

٢٤— وَيَمْنَعُهُ يَوْمَ الصِّيَاحِ مَصُونَةٌ ... سِرَاعٌ إِلَى الدَّاعِى تَثُوبُ وَتُرْكَبُ

٢٥— عَنَاجِيجُ مِنْ آلِ الصَّرِيحِ وَأَعْوَجٍ ... مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلْأَرِيبِ مُعَقَّبُ

(١٣ — ١٥) كمين الديك لأن عين الديك صافية . باكرها شربها فى الصباح . حدا الخمر سورتها وحدتها . الصدق الفضل والجد والشدة والصلابة . السلاف ما تحلب وسال قبل عصر الخمر وهو أجودها . العندم شجر له عروق حمر يصبغ به . صفق الخمر روقها وصفاها . ناجود الخمر الاناء الفخارى الذى تحفظ فيه وهو الباطية . قطب الخمر مزجها . الأرج الرائحة القوية . دارين موضع بالبحرين مشهور بالمسك . والمسك الدارى مشهور . أركب جمع ركب وهم جماعة المسافرين .

(١٦ — ١٩) حريث هو الحارث يصغره تحقيراً له . المحجة الطريق . القصد استقامة الطريق . أنكب منحرف . الرفاد هو عمرو بن عبد الله بن جعدة بن كعب . الحلس القدح الرابع فى الميسر . وكان الرجل ربما أكرم ضيفه بأن يهبه السهم من السهام فى الميسر فيكون له ربحه . النكس السهم المكسور الرأس . ربه وأربه جمعه وألزمه . سهم لأم (بفتح فسكون) عليه ريش لؤام أى يلائم بعضه بعضاً . وكان السهم إذا انكسر جبروه وربطوه لأنه عزيز عليهم . أوفى بالعهد وفى وأتمه وأنجزه . وقد كاد يذهب يعنى الضيف الذى أكرمه بأن وهبه ذلك السهم .

(٢٠ — ٢٢) الألة (بتشديد اللام) الحربة . المنصل اسم فاعل من أنصل أى نزع نصل الحربة . ومنصل الأل هو شهر رجب ، كانت تنزع فيه الأسنة من الرماح لأنه كان شهرا حراما لا يقاتلون فيه . الدأداء آخر ليلة من رجب . العطب التلف . يقول مضى الشهر الحرام الذى يمنعهم من قتل هذا الطريد الذى أجاره ، ولم يبق إلا ليلة واحدة ثم يقتل . النبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قمم الجبال . النعم (بفتحتين) الابل . عقر الناقة ذبحها . وعقرها كذلك قطع قوائمها بالسيف .

(٢٣ — ٢٥) عقل القتيل دفع لأهله العقل وهى الدية ، وعقل عن الرجل أدى عنه الدية . ناب حل ، والنوائب الحوادث لأنها تنوب الناس لوقت معروف . موسعون من السعة واليسار . مصونة من صان الشىء أى حفظه ، يقصد أفراس مصونة لوقت الحاجة . ثاب رجع . عناجيج ضمر . الصريح وأعوج فرسان مشهوران . أرب بالشىء درب به وصار فيه حاذقا فهو أريب ، والأريب العاقل الحصيف الرأى والداهية . معقب أى غزو يعقبه غزو .

٢٦- ورماح مرنة قد اجتلبت عيدانها من (الخَطّ)، وركبت فيها سنان مما صنع (أَبْزَى) و (شَرْعَب)

٢٧- وسيوف بيض قاطعة تلمع كالبرق، لا نزال نصونها ونصقلها ونعدها لإذلال الأعداء.

٢٨- ودروع لينة ملساء، تبرق متموجة كأنها الغدران، تغطي جسم لابسها وتحميه، وتتذبذب عليه أطرافها.

(٣١)

آل جفنة هم ملوك الشام فى الجاهلية المعروفون بالغساسنة. وهم ينتسبون إلى مؤسس دولتهم جفنة بن عمرو بن مزيقياء. والخلاف كثير حول مدة حكمهم وعدد ملوكهم. فكتاب العرب يرون أن مدة حكمهم تتراوح بين أربعة قرون وستة قرون قبل الاسلام. ومؤرخوا اليونان وكتاب الغرب يروون أن أقدم من عرف الروم من ملوكهم كان فى آخر القرن الخامس الميلادى، وهو جبلة أبو شمر المتوفى سنة ٥٠٠ م. وربما كان الصواب وسطاً بين الرأيين. فبطارقة الروم لم يتصلوا بالغساسنه قبل القرن الخامس الميلادى، ولكن الغساسنة قضوا مدة من الزمن قبل ذلك التاريخ يحكم عليهم أمير منهم لم تتسع سلطته وشهرته، حتى احتاج ملوك الروم إليهم فى حربهم ضد الفرس، وفى حماية أطراف أمبراطوريتهم من غارات الأعراب فنصبوهم أمراء، ومنحوهم لقب (Phylarch) - ومعناها باليونانية رئيس قبيلة أو رئيس فرسان القبيلة - وأنشأوا معهم علاقات سياسية ثابتة وتنصر هؤلاء الأمراء الذين كانوا يلقبون بين قومهم بالملوك، وانتشرت النصرانية بين أفراد رعيتهم، واصطبغت حضارتهم بالصبغة الرومانية(١)

وقد كان بعض شعراء العرب، مثل النابغة وحسان، يفدون على الغساسنة مادحين، ويقيمون فى الشام زمنا، يستمتعون بهذه الألوان الزاهية من الحضارة المترفة التى لا عهد لهم بها فى البادية.

ولم يرو للأعشى فى ديوانه غير هذه الأبيات فى مدح الغساسنة. ولكن صاحب الأغانى يروى له قصة مع حسان بن ثابت فى بعض دور الخمر بالشام، إذ ظلا يشربان حتى نام حسان، فظن الأعشى أنه إنما يتناوم تفادياً من دفع ثمن ما شرب. فلما نام الأعشى وصحا حسان فعرف ما قاله للخمار، اشترى خمر الخمارة فسكبه فى البيت حتى سال تحت الأعشى وقال فى ذلك شعراً(٢).

يقول الأعشى:

١ - ....

٢ - ....

٣ - اكتمل حسنها، وتم شبابها واستحكمت حلقاته، فأين أذهب منها اليوم؟

٤ - فتلك التى منعتك نفسها، وحرمتك ما تتلهف عليه من المتاع، وذهبت بقلبك فلم تترك منه إلا أقل القليل.

---

(١) زيدان: تاريخ العرب قبل الاسلام ١٧٢-١٨٤ (٢) الأغانى ٤: ١٦٧

٢٦ — وَلَدْنٌ مِنَ ٱلْخَطِّيِّ فِيهِ أَسِنَّةٌ ... دَخَائِرُ مِمَّا سَنَّ أَبْزَى وَشَرْعَبُ

٢٧ — وَبِيضٌ كَأَمْثَالِ ٱلْعَقِيقِ صَوَارِمٌ ... تُصَانُ لِيَوْمِ الدَّوْخِ فِينَا وَتُخْشَبُ

٢٨ — وَكُلُّ دِلَاصٍ كَٱلْأَضَاةِ حَصِينَةٍ ... تَرَى فَضْلَهَا عَنْ رَبِّهَا يَتَذَبْذَبُ

(٣١)

وقالَ يَمْدَحُ آلَ جَفْنَةَ :

١ — أَأَزْمَعْتَ .... (متقارب)

٢ — كَذَٰلِكَ بَعْضُ خَيَالِ الشَّتَا ... يَحِدُّ إِلَى رَهْنٍ ....

٣ — وَقَدْ أَغْلَقَتْ حَلَقَاتُ الشَّبَابْ ... فَأَنَّى لِيَ ٱلْيَوْمَ أَنْ أَسْتَفِيصَا

٤ — فَتِلْكَ الَّتِي حَرَّمَتْكَ ٱلْمَتَاعَ ... وَأَوْدَتْ بِقَلْبِكَ إِلَّا شَقِيصَا

---

(٢٦) لدن مرن . الخطى الرمح ينسب إلى الخط ، وهو مرفأ للسفن بالبحرين كانت تباع به ، وليس هو منبتها كاقديتوهم . الأسنة جمع سنان وهو حديدة الرمح المحددة . دخائر مدخرة للحرب . سن الرمح ركب فيه السنان . أبزى وشرعب رجلان من صناع الرماح .

(٢٧) العقيق البرق الذى يستطيل فى عرض السحاب . وقد أكثروا استعارتها للسيوف حتى جعلوها من أسمائها ، فقالوا : سلوا عقائق كالعقائق أى سيوفا تلمع كالبرق . صوارم جمع صارم أى قاطع ، وصرم الحبل قطعه . الدوخ الذل من داخ الرجل أى ذل وخضع . تخشب تصقل .

(٢٨) الدلاص اللين البراق ، ودرع دلاص لينة ملساء ، للمفرد والجمع . الأضاة غدير الماء يشبه به سطح الدرع فى تموج بريقه . فضل الدرع ما فضل منها أى زاد .

(٣١)

(١ — ٤) فاص فى الأرض ذهب ، وفاص منه حاد ، واستفاص برح . الشقص (بكسر فسكون) والشقيص النصيب والسهم والقطعة من الشىء والقليل من الكثير . أودت بقلبك ذهبت به .

٥ — ولقد تراها متفردة بالحسن ، فتسير طول العمر باحثاً عن شبيه لها ، مدققاً فى التنقيب .

٦ — ثم تعود مستحسناً للذى كنت تطلبه ، وقد عرفت أن الغوانى سواء ، فكلهن له بريق خلاب فى رائعة النهار .

٧ — فأن كنت قد يئست من ودها وزهدت فيها ، وأزمعت أن ترحل عنها قاصداً لوجهك ،

٨ — فأدن من رحلك ناقة شديدة ، تنشط للرحلة فى الليل ، ولا تمل الاستجابة لراكبها كلما استحثها على الإسراع.

٩ — إذا اطَّرَدَتْ فى السير ، واندفعت لوجهها وقد انتصف الليل ، لا تكل ولا ينالها الفتور ، خُيِّل لصحبى أنها حمارة وحش مكتنزة اللحم ، لم يُهْزِلْها ولد ترضعه وترعاه .

١٠— إليك يا (ابن جفنة) قد أدمنت السير ، وواصلت الرحلة فى الليل ، وأنضيت الإبل ، على بعد الشقة وطول الطريق .

١١— تشتكى إلىَّ ناقتى أخفافها ، وقد أدمى السفر حروفها ، وأكلت الأحجار بطونها ، فلا أرحمها ولا أرثى لشكواها .

١٢— يراك الأعداء وقد حللت منهم مكان المتحكم القاهر على الرغم منهم .

١٣— كأنك حية من حيات (سَلْع) القاتلات ، تنشق عن مناكب الدروع ، حين تمضى يدك صاعدة هابطة بالسيف ، فى صرامة لا تفتر ولا تلين .

١٤— إذا ما برز فبدا للعيون ، لم ير أعداؤه بدأ من أن يحيدوا عن طريقه هاربين .

٥ — وَإِنَّكَ لَوْ سِرْتَ عُمْرَ ٱلْفَتَى ... لِتَلْقَى لَهَا شَبَهًا أَوْ تَغُوصَا

٦ — رَجَعْتَ لِمَا رُمْتَ مُسْتَحْسِنًا ... تَرَى لِلْكَوَاعِبِ كَهْرًا وَبِيصَا

٧ — فَأَنْ كُنْتَ مِنْ وُدِّهَا يَائِسًا ... وَأَجْمَعْتَ مِنْهَا بِحَجٍّ قَلُوصَا

٨ — فَقَرِّبْ لِرَحْلِكَ جُلْذِيَّةً ... هَبُوبَ السُّرَى لَا تَمَلُّ ٱلنَّصِيصَا

٩ — يُشَبِّهُهَا صُحْبَتِي مَوْهِنًا ... إِذَا مَا ٱسْتَتَبَّتْ أَتَانًا نَحُوصَا

١٠ — إِلَيْكَ ٱبْنَ جَفْنَةَ مِنْ شُقَّةٍ ... دَأَبْتُ السُّرَى وَحَسَرْتُ ٱلْقَلُوصَا

١١ — تَشَكَّى إِلَيَّ فَلَمْ أُشْكِهَا ... مَنَاسِمَ تَدْمَى وَخُفًّا رَهِيصَا

١٢ — يَرَاكَ ٱلْأَعَادِى عَلَى رَغْمِهِمْ ... تَحُلُّ عَلَيْهِمْ مَحَلًّا عَوِيصَا

١٣ — كَحَيَّةِ سَلْعٍ مِنَ ٱلْقَاتِلَاتْ ... تَقُدُّ الصَّرَامَةُ عَنْكَ ٱلْقَمِيصَا

١٤ — إِذَا مَا بَدَا بَدْوَةً لِلْعُيُونْ ... تَذَكَّرَ ذُو الضِّغْنِ مِنْهُ ٱلْمَحِيصَا

(٥ — ٧) رام الشيء طلبه . الكواعب جمع كاعب وهى الحسناء . كهر النهار ارتفع ، وكهر الحر اشتد ، كهراً ظهراً أى نصف النهار . الوبيص البريق ، وبص البرق وبصا ووبيصاً لمع وبرق . حج فلاناً (كنصر) قصده ، وحج علينا قدم . القلوص من الابل الشابة ، بمنزلة الجارية من النساء .

(٨ — ٩) جلذية سريعة شديدة ، اجلوذ (بفتح اللام وبتشديد الواو) أسرع فى السير . هبوب نشيط . السرى سير الليل . النصيص مصدر نص ، ونص ناقته استحثها ليستخرج آخر ماعندها . الوهن والموهن نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل . استتبت أقامت فى السير ، واستتب الامر اطرد واستقام . الاتان أنثى الحمار . نحوص لا ولد لها ولا لبن ، والنحوص كذلك الشديدة السمن ، والتى منعها السمن من الحمل .

(١٠ — ١٢) الشقة السفر والمسافة . حسر البعير ساقه حتى أعياه ، وحسر البعير (كعلم) أعيي من السير وكل . أشكاه قبل شكواه وأرضاه وأزال عنه ما يشكوه . المنسم خف البعير ، وقيل طرفه الذى هو له كالظفر . خف رهيص أصابه الحجر ، والرواهص الحجارة المتراصفة . أمر عويص صعب .

(١٣ — ١٤) سلع جبل بالمدينة . صرم السيف (ككرم) صرامة كان صارماً أى ماضياً ، ورجل صرامة أى مستبد برايه منقطع عن المشاورة . تقد الصرامة عنك القميصا أى أنه لصرامته يقطع أكمام القميص حتى لا يعوق يده عن الحركة . حاص عنه عدل وحاد . والمحيص المحيد والمهرب .

رأينا فى القصيدة (٢٣) أن الأعشى كان يقصد (نجران) فيمدح سادتها بنى الحارث بن كعب ، ويقيم عندهم ماحلت له الاقامة . وهذه إحدى القصائد التى أنشأها الأعشى أثناء إقامته عندهم ، يتشوق إلى قومه مفاخراً بهم ، وهى من جيد شعره .

يقول الأعشى :

١ — ....

٢ — يوم تجمعت الإبل عليها هوادجهم وأمتعتهم ، فتولوا مسافرين ، وفارقوا موطن الأصدقاء والخُلَطَاء ، حركوا فى قلوبنا الشوق والحنين .

٣ — جعلوا أرض (اليمامة) عن شمالهم ، وانطلقوا قد استعجلهم الرحيل مسرعين .

٤ — قاطعين (بطن العتيق) ، تمضى إبلهم الرقيقة وقد أهزلتها الرحلة الطويلة متتابعات .

٥ — قطعوا حبل ودك فى ذاك الصباح وساقوا الإبل راحلين ، بعد قرب من دارهم وائتلاف .

٦ — يوم بدت (قُتَيْلَةُ) تكشف عن جيد طويل ، يزينه ماالتف به من حلى وأطواق .

٧ — وثغر متفرق الأسنان ، فيه عذوبة واستواء ، كأنه نور (الأُقْحُوَان) الناصع ، جلاه الندى وأذهب ماعليه من الغبار ، فأشرق زاهيا له بريق .

٨ — وشعر كثيف قد نما غزيرا ، ترويه هذه الفاتنة اللعوب الساذجة التى تنعم بعيش رقيق .

٩ — كريمة العنصر ، بضة الأنامل ، جميلة كالدمية ، لايفسد جمالها العبوس ، ولايذهب بوقارها الإسراف فى الضحك .

١٠ — كأنها ظبية تخلفت عن صحبها من الغزلان ، ترعى مُنْهَبَطَ الوادى الخصيب فى (تَثْلِيث) ، حيث يجرى الماء فيزدهر النبات ، وقد خلا لها القاع .

١١ — تهز شجر الأراك بقرنيها اللطيفين ، وكأنهما منفاخان صغيران قد تباعد ما بينهما وانفرج ، فتتساقط فوقها أوراقه وثماره رطبةً ويابسة .

١٢ — تحت أغصان الأراك ، يكاد إذا طلعت الشمس عليه أن يترقرق ويذوب .

١٣ — تتبع طفلا لها ضئيلا لين العظام فاتر الطرف ضعيف القوى ،

١٤ — لاتبعد عنه طول النهار ، ولا تؤخر رضاعته ، إلا ريثما يجتمع فى ضرعها بعض اللبن .

وَقَالَ بِنَجْرَانَ يَتَشَوَّقُ إِلَى قَوْمِهِ مُفْتَخِرًا بِهِمْ :

١ — .... ـاقُ (خفيف)

٢ — يَوْمَ قَفَّتْ حُمُولُهُمْ فَتَوَلَّوْا   قَطَّعُوا مَعْهَدَ ٱلْخَلِيطِ فَشَاقُوا

٣ — جَاعِلَاتٍ جَوْزَ ٱلْيَمَامَةِ بِٱلْأَشْـ   ـمُلِ سَيْرًا يَحُثُّهُنَّ ٱنْطِلَاقُ

٤ — جَازِعَاتٍ بَطْنَ ٱلْعَتِيقِ كَمَا تَمْـ   ـضِى رِفَاقٌ أَمَامَهُنَّ رِفَاقُ

٥ — بَعْدَ قُرْبٍ مِنْ دَارِهِمْ وَٱئْتِلَافٍ   صَرَمُوا حَبْلَكَ ٱلْغَدَاةَ وَسَاقُوا

٦ — يَوْمَ أَبْدَتْ لَنَا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ   ـدٍ تَلِيعٍ تَزِينُهُ ٱلْأَطْوَاقُ

٧ — وَشَتِيتٍ كَٱلْأُقْحُوَانِ جَلَاهُ ٱلـ   طَّلُّ فِيهِ عُذُوبَةٌ وَٱتِّسَاقُ

٨ — وَأَثِيثٍ جَثْلِ النَّبَاتِ تُرَوِّيـ   ـهِ لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْنَاقُ

٩ — حُرَّةٌ طَفْلَةُ ٱلْأَنَامِلِ كَالدُّمْـ   ـيَةِ لَا عَابِسٌ وَلَا مِهْزَاقُ

١٠ — كَخَذُولٍ تَرْعَى النَّوَاصِفَ مِنْ تَثْـ   ـلِيثَ قَفْراً خَلَا لَهَا ٱلْأَسْلَاقُ

١١ — تَنْفُضُ ٱلْمَرْدَ وَٱلْكَبَاثَ بِحِمْلَا   جٍ لَطِيفٍ فِي جَانِبَيْهِ انْفِرَاقُ

١٢ — فِي أَرَاكٍ مَرْدٍ يَكَادُ إِذَا مَا   ذَرَّتِ الشَّمْسُ سَاعَةً يُهْرَاقُ

(١ — ٣) قف انضم بعضه إلى بعض ، والقف (بضم القاف) المتجمع الغليظ من الارض . الحمول الهوادج أو الابل عليها الهوادج . الخليط من يخالطك من الناس . المعهد مصدر ميمي أو اسم مكان من العهد وهو المودة واللقاء . جوز الشيء وسطه ومعظمه. حثه على الأمر حضه عليه .

(٤ — ٧) جزع الوادى قطعه عرضاً . ناقة رفيقة ضعفت أنقاؤها ورقت واتسم مجرى مخها ، والنقا عظم العضد وكل عظم ذى مخ. صرموا قطعوا. الحبل يكنى به عن الود . الغداة الصباح المبكر ظرف زمان . تليع طويل . شتيت متفرق وهو اسنانها المتفرقة غير متلاصقة وذلك أدعى للاحتفاظ بها نظيفة دائما لأن بقايا الطعام لا تتخللها . الأقحوان نبت زهره أبيض . جلاه أذهب ماعليه من الغبار فأشرق وحسن . الطل الندى والمطر الخفيف . اتساق استواء .

(٨ — ٩) أثيث غزير . جثل كثيف . ترويه تنميه بالعناية به . غريرة ساذجة لم تجرب الأمور ، والسذاجة تزين المرأة فهى لا توصف بالمكر ولا القوة . مفناق منعمة مترفة . حرة كريمة ، والحر الكريم والخالص من كل شيء . طفلة ناعمة رخصة . الدمية التمثال والصورة . مهزاق كثيرة الضحك .

(١٠ — ١٢) خذلت الظبية وغيرها من الدواب تخلفت عن صحبها وانفردت فهى خاذل وخذول . النواصف جمع ناصفة وهى مجرى الماء والمكان الكثير النبات الخصب . تثليث بلد فى اليمن . الأسلاق جمع سلق (بفتحتين) وهو القاع ، والقاع الوادى المطمئن الذى يستقر فيه الماء . المرد ثمر الأراك الأخضر ، فاذا نضج وأدرك فهو كباث (بفتح الكاف) . الحملاج منفاخ الصائغ شبه به قرنيها . الانفراق انفساح مابين القرنين . الأراك شجر تستعمل قضبانه فى السواك . هراق الماء وأراقه صبه .

١٥ـــ قد ملأ قلبَها الإشفاقُ عليه ، حتى شف جسمها وأهزلها ، فهى لا تتركه ولا تتجاوزه .

١٦ـــ وإذا خافت عليه السباع من الأدغال ، وحل بها المساء لحان انطلاقها عن هذا الموضع الخطير ،

١٧ـــ عادت هذه الظبية الطويلة العنق بطفلها ، لاتبيت حيث كانت ترتع وترعى فى النهار ، حتى لاتعرضه للأخطار . لاتمنع عنه لبنها ، ولاتمل رعايته ، ولاتضيق به .

١٨ـــ لم يُغْن كل ذلك عنها ولا عن وليدها شيئا . فاصبرى على مصابك ، فلا بد من نفاذ المقدور ، ولا سبيل إلى إصلاح مافات ، فصدع الزجاجة لا يلتئم .

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء فيقول :

١٩ـــ وصحراء قفر كأنها ظهر تُرْس ، لاتتَبَلَّغ فيها الإبل إلا الاجترارَ واسترجاعَ مافى بطنها من طعام .

٢٠ـــ تجاوزتها مسافرا ، وتخطيت أهوالها فوق ناقة نشيطة صلبة ، تمد عنقها فى سيرها حين توسع الخطو ، مسترسلة فى سير فسيح مديد .

٢١ـــ ترجم الآكام بأخفافها الصلبة فيتكسر من تحتها الحصى والأحجار .

٢٢ـــ ولقد أقطع ود الخليل حين أستيئس من وصله ـ وإنما الإخاء صدق الود والصفاء ـ

٢٣ـــ بناقة دكناء صلبة الخف ، رعت مَاءَىْ (عَوانة) و (فِتاق) .

٢٤ـــ ذات حدة ونشاط ، تمضى فى طريقها رامية صدرها بالأعجاز ، إذا تدافع سائرُ جسدها فى حركة لا تفتر

٢٥ـــ تستظل بالأشجار حين يلتهب الحر وتقوم الشمس فوق الرءوس فتنكمش الظلال .

٢٦ـــ وكأن الرحل والقربة وسائر المتاع ، حين مضت تتلاحق أرجلها الطوال ،

٢٧ـــ فوق حمار وحش تضخم وسمن بعد أن رعى النبت وأكل البقول ، يقاسى حر الصيف وعضّ الفحول والتَّنْهاق .

٢٨ـــ أو كأن رحلى ومتاعى فوق ثور وحش هزله الجوع ، فاندس تحت شجرة من أشجار (الارطَى) يبيت فى جانبها ، على ضيق المكان .

٢٩ـــ أفزعته سحابة مظلمة حمراء غزيرة المطر ، تقصف رعودها ، وينهلُّ مقدَّمها بالماء .

١٣— وَهِىَ تَتْلُو رَخْصَ ٱلْعِظَامِ ضَئِيلًا   فَاتِرَ الطَّرْفِ فِى قُوَاهُ ٱنْسِرَاقُ
١٤— مَا تَعَادَى عَنْهُ النَّهَارَ وَلَا تَعْـ   ـجُوهُ إِلَّا عُفَافَةٌ أَوْ فُوَاقُ
١٥— مُشْفِقًا قَلْبُهَا عَلَيْهِ فَمَا تَعْـ   ـدُوهُ قَدْ شَفَّ جِسْمَهَا ٱلْأَشْفَاقُ
١٦— وَإِذَا خَافَتِ السِّبَاعَ مِنَ ٱلْغِيـ   ـلِ وَأَمْسَتْ وَحَانَ مِنْهَا ٱنْطِلَاقُ
١٧— رَوَّحَتْهُ جَيْدَاءُ ذَاهِبَةُ ٱلْمَرْ   تَعِ لَا خَبَّةٌ وَلَا مِغْلَاقُ
١٨— فَٱصْبِرِى النَّفْسَ إِنَّ مَاحُمَّ حَقٌّ   لَيْسَ لِلصَّدْعِ فِى الزُّجَاجِ اتِّفَاقُ
١٩— وَفَلَاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْرُ تُرْسٍ   لَيْسَ إِلَّا الرَّجِيعَ فِيهَا عَلَاقُ
٢٠— قَدْ تَجَاوَزْتُهَا وَتَحْتِى مَرُوحٌ   عَنْتَرِيسٌ نَعَّابَةٌ مِعْنَاقُ
٢١— عِرْمِسٌ تَرْجُمُ ٱلْأَكَامَ بِأَخْفَا   فٍ صِلَابٍ مِنْهَا ٱلْحَصَى أَفْلَاقُ
٢٢— وَلَقَدْ أَقْطَعُ ٱلْخَلِيلَ إِذَا لَمْ   أَرْجُ وَصْلًا إِنَّ ٱلْأَخَاءَ الصِّدَاقُ
٢٣— بِكُمَيْتٍ عَرْفَاءَ مُجْمَرَةِ ٱلْخُفْـ   ـفِ غَذَتْهَا عَوَانَةٌ وَفِتَاقُ
٢٤— ذَاتِ غَرْبٍ تَرْمِى ٱلْمُقَدَّمَ بِالرِّدْ   فِ إِذَا مَا تَدَافَعَ ٱلْأَرْوَاقُ
٢٥— فِى مَقِيلِ ٱلْكِنَاسِ إِذْ وَقَدَ ٱلْيَوْ   مُ إِذَا الظِّلُّ أَحْرَزَتْهُ السَّاقُ

(١٣ — ١٥) تتلو تتبع . رخص لين . انسراق نقص وضعف . تعادى تتباعد . عجت الأم ولدها أخرت رضاعته عن مواقيته ، وعجته أيضاً أرضعته ، من الأضداد . العفافة اجتماع اللبن فى الضرع ، والبقية من اللبن فى الضرع بعد ما استنزف أكثره . الفواق (بضم الفاء) ما بين الحلبتين من الوقت . تعدوه تتجاوزه وتتركه . شف جسمها أنحله وأسقمه .

(١٦ — ١٨) الغيل الشجر الملتف . أمست حل بها المساء . روحته من الرواح وهو العودة إلى المنزل فى آخر النهار . جيداء طويلة العنق . المرتع المكان الذى ترتع فيه أى ترعى وتلعب . ذاهبة المرتع يريد أنها إذا أمست لم تبت فى المرتع . خبة تخبأ درتها ولبنها . مغلاق من غلق الرجل (كفرح) إذا ضجر وقلق . حم الأمر (على البناء للمجهول) قضى .

(١٩ — ٢٠) الفلاة الصحراء . الترس صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه . الرجيع الجرة (بكسر الجيم) لأن الدابة تسترجم ما أكلت حين تجتر . العلاق ما تتبلغ به الماشية من الشجر . مروح نشيطة . عنتريس صلبة شديدة . نعابة من نعبت الابل إذا مدت أعناقها فى سيرها . معناق من العنق (بفتحتين) وهو سير مسبطر فسيح واسع للابل والدابة .

(٢١ — ٢٣) العرمس الصخرة والناقة الصلبة . الاكام المرتفعات . أفلاق جمع فلقة (على وزن قطمة) وهى الكسرة من الشىء . الصداق مصدر صادق . ناقة كميت حمراء تضرب للسواد . عرفاء عالية السنام صار سنامها فوقها كالعرف . مجمرة مجتمعة صلبة . عوانة وفتاق ماءان .

(٢٤ — ٢٥) الغرب الحدة والنشاط . الرداف العجز (بفتح ثم ضم) الأرواق جماعة الجسم ، والروق الجثة ، وأرواق الليل أثناء ظلمته ، والروق (بفتح فسكون) الطائفة من الليل . المقيل الموضع الذى يستكن فيه من الحر . الكناس شجرة يأوى إليها الحيوان ليستظل بها . وقد اليوم اشتد حره .

٣٠- فظل طول ليله ساهراً يعانى المتاعب والآلام . حتى إذا أشرق الصباح ، لاح له على ضوء النهار ،

٣١- صائد عابس الوجه من (جَدِيلة) أو (نَبْهان)، أفنى كلابه الضارية كثرةُ الملاحقة للصيد وطولُ الطِّراد .

٣٢- فظل طول نهاره يتفادى منها ، متواريا بالرمال العريضة و بصغار الكثبان .

٣٣- تطارده كلاب مسترخية الآذان ، قد انتشرت كأنها النحل ، لا هم لها إلا اقتناصه وقد عضها الجوع .

٣٤- فذلك شبيه ناقتى حين يجهدها السير ، وحين تتقاذفنى فوقها رمال الصحراء المتلبدة بالحصى والأحجار .

* * *

٣٥- على مثلها أزور قومى من (بنى قيس) إذا طال بالحبيب الفراق .

٣٦- فأنا منهم وهم قومى وإننى إليهم لمشتاق .

٣٧- وهم ما يعلم الناس من الجود فى الجدب ، حين تعز الخمر ، وتجف القِرَب ، ويخلو كلُّ وعاء .

٣٨- المنفقون مالهم فى زمان الجدب ، حتى إذا عاد إلى الخصب ، عادوا إلى ما تعودوا من العطاء .

٣٩- وإذا ضن الموسرون وطووا مالهم عن الصديق، وكشفت الشدة عن مخبوء الطبائع وعن حقائق الأخلاق ،

٤٠- وهزل الإبلَ الجوعُ فسقطت على الأرض من الإعياء ، ومشى الناس إليها ، يضعون الأعمدة تحت بطونها ليعينوها على الوقوف ، وأعيي الراعى أن يجد المرعى لاستحكام الجدب ،

٤١- جَرَوا عند ذاك على ما طُبِعوا عليه من الفضل ، كما يجرى القدح الكريم فى الميسر على ما تعود من الفوز .

٤٢- فاذا جادت الأمطار ، فعم الزرع الآفاق ، وكلل الزهر الربى والمرتفعات ، وضعوا القداح وأبطلوا الميسر وقد أخصب الناس .

٤٣- يشربون الخمر ، ويشاركون فى ضروب اللهو ، ويُجْرون الخيل فى السباق ، فلا يذهب شىء من ذلك بأحلامهم ، ولا يخرجهم عن وقارهم فيسفهوا .

٤٤- وإذا كلحت الوجوه فى الحروب ، وتقلصت الشفاه عن الأسنان ، حتى يبدو قصيرها طويلا ، وجفت الحلوق من البصاق ،

٢٦— وَكَأَنَّ ٱلْقُتُودَ وَٱلْعِجْلَةَ وَٱلْـ   وَفْرَ لَمَّا تَلَاحَقَ السُّوَّاقُ

٢٧— فَوْقَ مُسْتَبْقِلٍ أَضَرَّ بِهِ الصَّيْـ   فُ وَزَرٌّ ٱلْفُحُولِ وَالتَّنْهَاقُ

٢٨— أَوْ فَرِيدٍ طَاوٍ تَضَيَّفَ أَرْطَا   ةً يَبِيتُ فِى دِفْئِهَا وَيُضَاقُ

٢٩— أَخْرَجَتْهُ قَهْبَاءُ مُسْبِلَةُ ٱلْوَدْ   قِ رَجُوسٌ قُدَّامَهَا فُرَّاقُ

٣٠— لَمْ يَنَمْ لَيْلَةَ التَّمَامِ لِكَىْ يُصْـ   ـبِحَ حَتَّى أَضَاءَهُ ٱلْأَشْرَاقُ

٣١— سَاهِمَ ٱلْوَجْهِ مِنْ جَدِيلَةَ أَوْ لِحْـ   ـيَانَ أَفْنَى ضِرَاءَهُ ٱلْأَطْلَاقُ

٣٢— وَتَعَادَى عَنْهُ ٱلنَّهَارَ تَوَارِيـ   ـهِ عِرَاضُ الرِّمَالِ وَالدَّرْدَاقُ

٣٣— وَتَلَتْهُ غُضْفٌ طَوَارِدُ كَالنَّحْـ   ـلِ مَغَارِيثُ هَمُّهُنَّ اللِّحَاقُ

٣٤— ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِى إِذْ تَرَامَتْ   بِى عَلَيْهَا بَعْدَ الْبِرَاقِ ٱلْبِرَاقُ

٣٥— فَعَلَى مِثْلِهَا أَزُورُ بَنِى قَيْـ   ـسٍ إِذَا شَطَّ بِٱلْحَبِيبِ ٱلْفِرَاقُ

٣٦— إِنَّنِى مِنْهُمُ وَإِنَّهُمُ قَوْ   مِى وَإِنِّى إِلَيْهِمُ مُشْتَاقُ

٣٧— وَهُمُ مَاهُمُ إِذَا عَزَّتِ ٱلْخَمْـ   ـرُ وَقَامَتْ زِقَاقُهُمْ وَٱلْحِقَاقُ

٣٨— الْمُهِينِينَ مَالَهُمْ لِزَمَانِ ٱلسَّـ   ـوْءِ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا

٣٩— وَإِذَا ذُو ٱلْفُضُولِ ضَنَّ عَلَى ٱلْمَوْ   لَى وَصَارَتْ لِخِيمِهَا ٱلْأَخْلَاقُ

٤٠— وَمَشَى ٱلْقَوْمُ بِٱلْعِمَادِ إِلَى الرَّزْ   حَى وَأَعْيَى ٱلْمُسِيمُ أَيْنَ ٱلْمَسَاقُ

(٢٦ — ٢٨) القتود الرحل بأداته. العجلة المزادة وهى قربة صغيرة لحفظ الماء والخمر. الوفر من المال والمتاع الكثير. السواق جمع سائق والسواق كذلك الطويل الساق. تبقلت الماشية واستبقلت سمنت من أكل البقل. صاف بالمكان صيفاً أقام به فى الصيف. زره طرده وعضه، وزر الشعر نتفه. طاو جائع. تضيفه أتاه ضيفاً. الأرطاة شجرة ثمارها مرة تأكلها الابل غضة. دفها جنبها.

(٢٩ — ٣١) الأقهب الذى فيه حمرة فيها غبرة. الودق المطر. رجست السماء رعدت رعدا شديداً وأمطرت. الفراق جمع فارق وهى الناقة يشتد بها المخاض ثم تلقى ولدها من شدة الوجع. لم ينم يقصد الثور. ليلة التمام كل ليلة كابدها صاحبها. سهم وجهه (كقطع وكرم) تغير لونه. جديلة ولحيان حيان. الضرو والضارى من الكلاب جمعها ضراء. الاطلاق مصدر أطلق المواشى أى سرحها وأرسلها.

(٣٢ — ٣٥) تمادى تباعد. النهار ظرف زمان. الدرداق دك صغير متلبد من الرمال. الغضف كلاب الصيد، وغضفت الأذن (كعلم) طالت واسترخت. مغاريث من غرث (كطرب) جاع. البراق جمع برقة (بضم الباء) وهى الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين. شط بعد.

(٣٦ — ٤٠) الحقاق جمع حقة (بالضم ثم التشديد) وهى وعاء من خشب وقد يصنع من العاج. أفاق رجع إلى الخصب. أفاقوا رجعوا إلى العطية. الخيم (بكسر الخاء) الطبيعة والسجية. الرزحى الابل تهزل فلا تستطيع المشى فتسقط، جمع زارح. يضعون العماد تحت بطونها ثم يرفعونها. المسيم اسم فاعل من أسام الماشية أرعاها فى المرعى.

٤٥- ركبوا الخيول إلى القتال ، ثابتين فوق سروجها لا يميلون ، حين ترتبك الأيدى فى وضع السهام موضعها من الأقواس .

٤٦- ....

* * *

٤٧- مقيما بين سادة (نجران) ، مغموراً بالخير والنعيم ، غير أننى مشتاق .

٤٨- بين مطايا عَجِل أصحابها عن المقام ، ولا هَمَّ لهم إلا العراق .

٤٩- لنا فى الصباح طعام طيب من دقيق القمح الأبيض الخالص ، واللحم الكثير تتخطفه الأيدى من القدور ، تدور علينا كؤوس الخمر فى الصباح وفى المساء .

٥٠- ينادمنا فتيان بيض الوجوه ، كأنهم الفحول المكرمة عند أصحابها ، لا تُركب ولا يمسها حبل .

٥١- فيهم الخصب والسماحة والنجدة ، والخطيب الذى يُدوِّى صوته مجلجلا .

٥٢- أبيون لا يُسامون الذل ، وُقُرٌ راجحو الأحلام .

٥٣- لهم مجلس يَغَصُّ صدرُه برجال كالأسود ، عليهم ناعم الملبس ورقيق الثياب .

٤١- أَخَذُوا فَضْلَهُمْ هُنَاكَ وَقَدْ تَجْ ... رِى عَلَى فَضْلِهَا ٱلْقِدَاحُ ٱلْعِتَاقُ

٤٢- فَأَذَا جَادَتِ ٱلدُّجَى وَضَعُوا ٱلْقِدْ ... حَ وَجُنَّ التِّلَاعُ وَٱلْآفَاقُ

٤٣- لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً شَرْبَةُ ٱلْكَأْ ... سِ وَلَا ٱللَّهْوُ بَيْنَهُمْ وَالسِّبَاقُ

٤٤- وَإِذَا مَا ٱلْأَكَسُّ شُبِّهَ بِٱلْأَرْ ... وَقِ عِنْدَ ٱلْهَيْجَا وَقَلَّ ٱلْبُصَاقُ

٤٥- رُكِبَتْ مِنْهُمُ إِلَى الرَّوْعِ خَيْلٌ ... غَيْرُ مِيلٍ إِذْ يُخْطَأُ ٱلْإِيفَاقُ

٤٦- أَنْ تَكُونُوا وَدَعْتُمُ و ....

٤٧- وَاضِعًا فِي سَرَاةِ نَجْرَانَ رَحْلِي ... نَاعِمًا غَيْرَ أَنَّنِي مُشْتَاقُ

٤٨- فِي مَطَايَا أَرْبَابُهُنَّ عِجَالٌ ... عَنْ ثَوَاءٍ وَهَمُّهُنَّ ٱلْعِرَاقُ

٤٩- دَرْمَكٌ لَنَا غُدْوَةً وَنَشِيلٌ ... وَصَبُوحٌ مُبَاكِرٌ وَٱغْتِبَاقُ

٥٠- وَنَدَامَى بِيضُ ٱلْوُجُوهِ كَأَنَّ ٱلْ ... شَّرْبَ مِنْهُمْ مَصَاعِبٌ أَفْنَاقُ

٥١- فِيهِمُ ٱلْخِصْبُ وَٱلسَّمَاحَةُ وَالنَّجْ ... دَةُ فِيهِمْ وَٱلْخَاطِبُ ٱلْمِصْلَاقُ

٥٢- وَأَبِيُّونَ مَا يُسَامُونَ ضَيْمًا ... وَمَكِيثُونَ وَٱلْحُلُومُ وِثَاقُ

٥٣- وَتَرَى مَجْلِسًا يَغَصُّ بِهِ ٱلْمِحْ ... رَابُ كَٱلْأُسْدِ وَالثِّيَابُ رِقَاقُ

(٤١ - ٤٤) القداح أسهم الميسر . العتيق الكريم والخيار من كل شيء، وكانوا يتفاءلون ببعض القداح ويعتزون بها لأنهم يعتقدون أنها ميمونة كثيرة الربح . الدجى الأمطار جمع دجية (بضم فسكون) . وضعوا القدح تركوا الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقدح فى الشدة والقحط ، فاذا أخصبوا تركوا ذلك ، لأن الميسر إنما يحمد فى الجدب . وجن التلاع حسن نباتها . آفاق الارض نواحيها . السباق سباق الخيل وهو إجراؤها فى مضمار تتسابق فيه. الأكس القصير الاسنان . الأروق الطويل الاسنان . الهيجى والهيجاء الحرب .

(٤٥ — ٤٨) الأميل من يميل على السرج فى جانب ، ومن لاترس معه ولا رمح . أوفق السهم إيفاقاً وضع الفوق فى الوتر ليرمى، والفوق مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . سراة كل شيء خياره وأجوده . الثواء الاقامة . الهم ما يشغل البال .

(٤٩ — ٥١) الدرمك الدقيق الأبيض من لباب القمح . النشيل اللحم المنشول من القدر باليد لا بالمغرفة ، وهو كذلك ماطبخ من اللحم بغير توابل . الصبوح خمر الصباح . والغبوق (بفتح الغين) خمر المساء . الشرب (بفتح الشين) جماعة الشاربين . المصعب الفحل الذى لا يركب ولا يمس لكرامته عند أصحابه . الفنيق (على وزن كريم) هو المصعب (بضم الميم وفتح العين) . الصلق (بفتح الصاد وسكون اللام) الصوت الشديد .

(٥٢ — ٥٣) أبيون يأبون الضيم . الضيم الذل . المكاثة التؤدة . الوثيق المحكم . المحراب مقدم المجلس وصدره .

لهذه القصيدة قصة مشهورة ، خلاصتها أن المحلق - وقيل إنه لقب بذلك لبعير عضه فترك فى وجهه أثراً كالحلقة ، أو لـكدنة كانت فى خده كالحلقة - كان فقيراً ذا بنات . واتفق أن قدم الأعشى مكة - وكان يوافى سوق عكاظ فى كل عام - فأسرع إليه المحلق فضيفه وبالغ فى إكرامه ، رجاء أن يصيبه خير من مدحه . فلما أصبح الأعشى وافى عكاظاً فأنشد هذه القصيدة . قالوا ، فتسارع إليه الناس يخطبون بناته ، فلم تمس منهن واحدة إلا هى فى عصمة رجل ثرى شريف (الأغانى ٩ : ١١٣ - ١١٧)

يبدأ الأعشى قصيدته شاكياً مما اجتمع عليه من ضعف الشيخوخة وكلال البصر وتتابع النوائب فيقول :

١ - قضيت ليلى ساهراً لا أنام ، ولست بالعاشق ولا السقيم .

٢ - ولـكن أحداث الدهر تنتابنى وتطرقنى كل يوم بجديد ، فلى منها فى الصباح مالم يكن عندى فى المساء .

٣ - ولئن أمسيت وقد اجتمع على الشيب والهم وكلال البصر - وإن الأحجار لتتفلق ويفنيها الزمان -

٤ - فما أثارت هذه المصائب إلا شجاعا جلداً قد علمته النكبات ، وتتابع عليه من الدهر القضاء يتلوه القضاء ، فتعلم منه واستفاد ، حتى ماتخيفه النكبات والأحداث .

ويمضى الشاعر فى إبراز هذا المعنى الذى يقصد إليه من تفاهة الدنيا وهوانها ، فيقص طرفا من أخبار الملوك وماكانوا فيه من نعيم لم يرد عنهم الموت ، فكل الناس يصيرون إلى نهاية واحدة، لافرق بين كبير وحقير . وهذه الأخبار التى يرويها الأعشى هى جزء من ثقافة الشاعر فى ذلك الوقت . وهى خليط من التاريخ والأساطير . يقول الأعشى :

٥ - وهل هذا الألم إلا إلى نهاية كما أن النعيم إلى نهاية ، فما أنا بالمخلد ، وما خلد من قبل (ساسان) ملك الفرس ولا (مُورَق) ملك الروم .

٦ - ولا خلد (كسرى شَهِنْشَاه) بعد أن اجتمع له من دنياه ما اشتهى من خمر عتيق ومن رياحين .

٧ - ولا منعت أموال (عاديا) عنه الموت ، ولا رده عنه حصنه (الأبلق) فى (تيماء) ،

٨ - وقد بناه (سليمان) فى سالف الأحقاب وقديم الزمان ، عالياً وثيق البناء .

٩ - يرتفع إلى كبد السماء ، قد فرشت أرضه بالبلاط ، وأحاطت به الأسوار بنيت بالأحجار ، ودار من حول كل ذلك خندق عميق .

١٠ - فى أعلاه غرف الشراب فرشت بالطنافس ، ونثر فيها المسك والريحان ، حيث تقدم الخمر الرائقة للشاربين.

١١ - وقيان ناصعات البياض كأنهن التماثيل ، وخدم ، وطباخ يقوم على طهو ألوان الطعام فى القدور ، وأقداح ، وخوان .

١٢ - كل ذلك كان له ، فلم يُعجِزِ اللهَ أن يتوفاه ، ولـكن أتاه الموت ظاهراً عارياً لا يتخفى ولا يستتر .

وَقَالَ يَمْدَحُ الْمُحَلَّقَ بْنَ حَنْتَمِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ رَبِيعَةَ :

١ — أَرِقْتُ وَمَا هَذَا ٱلسُّهَادُ ٱلْمُؤَرِّقُ وَمَا بِىَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِىَ مَعْشَقُ (طويل)

٢ — وَلَـكِنْ أَرَانِى لَا أَزَالُ بِحَادِثٍ أُغَادَى بِمَا لَمْ يُمْسِ عِنْدِى وَأُطْرَقُ

٣ — فَإِنْ يُمْسِ عِنْدِى الشَّيْبُ وَٱلْهَمُّ وَالْعَشَى فَقَدْ بِنَّ مِنِّى وَالسِّلَامُ تُفَلَّقُ

٤ — بِأَشْجَعَ أَخَّاذٍ عَلَى الدَّهْرِ حُكْمَهُ فَمِنْ أَىِّ مَا تَجْنِى ٱلْحَوَادِثُ أَفْرَقُ

٥ — فَمَا أَنْتَ إِنْ دَامَتْ عَلَيْكَ بِخَالِدٍ كَمَا لَمْ يُخَلَّدْ قَبْلُ سَاسَا وَمُورَقُ

٦ — وَكِسْرَى شَهِنْشَاهُ الَّذِى سَارَ مُلْكُهُ لَهُ مَا ٱشْتَهَى رَاحٌ عَتِيقٌ وَزَنْبَقُ

٧ — وَلَا عَادِيَا لَمْ يَمْنَعِ ٱلْمَوْتَ مَالُهُ وَحِصْنٌ بِتَيْمَاءَ ٱلْيَهُودِىِّ أَبْلَقُ

٨ — بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ حِقْبَةً لَهُ أَزَجٌ عَالٍ وَطَىٌّ مُوَثَّقُ

٩ — يُوَازِى كُبَيْدَاءَ السَّمَاءِ وَدُونَهُ بَلَاطٌ وَدَارَاتٌ وَكِلْسٌ وَخَنْدَقُ

١٠ — لَهُ دَرْمَكٌ فِى رَأْسِهِ وَمَشَارِبٌ وَمِسْكٌ وَرَيْحَانٌ وَرَاحٌ تُصَفَّقُ

١١ — وَحُورٌ كَأَمْثَالِ الدُّمَى وَمَنَاصِفٌ وَقِدْرٌ وَطَبَّاخٌ وَصَاعٌ وَدَيْسَقُ

١٢ — فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ ٱلْمَوْتِ رَبَّهُ وَلَـكِنْ أَتَاهُ ٱلْمَوْتُ لَا يَتَأَبَّقُ

(١ — ٣) معشق مصدر ميمى من العشق . غاداه باكره، والغدوة بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . طرقه صكه وضربه بالمطرقة ، وطرق الرجل القوم أتاهم ليلا . بن أى فارقن، يقصد الشيب والهم والعشى . السلام (بكسر السين) جمع سلمة (بثلاث فتحات) وهى الحجارة .

(٤ — ٦) الأشجع الشجاع . أخاذ تحتمل أن تكون من أخذ عن فلان أى نقل ، وتحتمل أن تكون من أخذ على يده أى منعه وكفه . الحكم القضاء . ما مصدرية . الفرق الخوف والفزع . ساسان ملك الفرس . مورق قالوا إنه ملك الروم . شهنشاه كلمة فارسية معناها ملك الملوك . الزنبق نبات له زهر طيب الرائحة طويل كالدربة يغلب عليه اللون الخمرى.

(٧ — ٩) تيماء اليهودى ، اليهودى مضاف إليه ، نسب تيماء التى كان بها حصنه (الأبلق) إليه . وكان عاديا يهوديا ، وهو أبو السموءل . وتزعم الروايات والأساطير أن هذا الحصن من بناء سليمان عليه السلام . الأزج ضرب من الأبنية يبنى طولا . وأزج البناء علاه . طوى البئر يطويها طيا عرشها بالحجارة والآجر . الدارة ما أحاط بالشىء . الكلس الحجارة . الخندق حفير حول أسوار المدن (فارسى معرب) .

(١٠ — ١٢) الدرمك التراب الناعم ، ودرمك البناء ملسه . مشارب غرف يشربون فيها . صفق الخمر روقها بأن يصبها من إناء إلى إناء . الحور جمع حوراء وهى البيضاء . مناصف جمع منصف وهو الخادم . الصاع قدح يكال به . الديسق خوان من فضة (فارسى معرب) . يتأبق يختفى ويتستر .

١٣— وكذلك كان أمر (النعمان) . ولقد لقيتُه فى نعمته ، يصرف العطاء بين الناس فيفضل هذا على ذاك، ويدفع إليهم صكوكهم بما قسم لهم من الجوائز .

١٤— تتدفق على خزائنه الأَموال والمكوس ، من (السَّيْلَحُون) ، ومن ورائها (صَرِيفُون) ذات الأَنهار ، و (الخورنق) .

١٥— يقسم أمر الناس بين السعادة والشقاء ، فهذا نهار مشرق بهيج ، وذاك ليل مظلم بهيم ، وهم ساكتون ، والموت يتكلم .

١٦— ويأمر لفرسه (اليَحْمُوم) كل مساء فيعلف القت والشعير ، حتى يمتلىء ويكتظ بالطعام .

١٧— يغطى ظهره بالأَكسية التى تصونه من البرد فى الليل ، ويروضه القائم عليه فى النهار ، فيجريه حتى يتصبب منه العرق .

١٨— كل ذلك كان له ، فلم ينجه من الموت ، حتى مات سجيناً فى (ساباط) .

فأذا فرغ الأَعشى من إبراز هذا الذى قصد إليه من تصوير تفاهة الحياة ، راح يتسلى باسترجاع ذكريات شبابه ، فيقول :

١٩— كم قصَّرْتُ اليومَ الطويل بين فتية كرماء ، نشرب الخمر فى خباء قد أظل بَابَه سقفٌ ممدود.

٢٠— وعندنا جارية قد طلت جسمها بالمسك والزعفران فبدت بشرتها صفراء ، يتحسس الندماء جسمها من فتوق قميصها المشقوق الأَكمام .

٢١— إذا طلبتُ إليها الغناء ، نهضت إلى مزهرها ، تدير أصابعها على أوتاره، فتنبعث منه أنغام كأنها الكلام.

٢٢— يشوى لنا اللحم خادم نشيط حين نشاء ، ونشرب الخمر حمراء يعلوها الزبد حين تصفَّى من إناء إلى إناء .

٢٣— لو سقط فيها القذى لظهر لصفائها واضحاً فى قعر الكأس ، فكأنه فى سطحها ، يذوقها الشارب فيظل يتلمظ متلذذاً مستعذبا .

٢٤— وعندنا قربة تفيض بالماء ، ودن أسود ملىء بالراح .

٢٥— وكم من صحراء واسعة مخيفة ، قد قطعتها بناقة ضخمة، حين يخفق فوقها السراب ويضطرب .

٢٦— قطعتها وحدى لا أستعين عليها إلا بناقتى ، فهى الصديق القريب ، من فوقها رَحْلٌ عظيم قد فرش ببساط وألقيت عليه وسادة .

١٣ — وَلَا ٱلْمَلِكُ ٱلنُّعْمٰنُ يَوْمَ لَقِيتَهُ   بِأُمَّتِهِ يُعْطِي ٱلْقُطُوطَ وَيَأْفِقُ

١٤ — وَيُجْبَى إِلَيْهِ ٱلسَّيْلَحُونَ وَدُونَهَا   صَرِيفُونَ فِي أَنْهَارِهَا وَٱلْخَوَرْنَقُ

١٥ — وَيَقْسِمُ أَمْرَ ٱلنَّاسِ يَوْمًا وَلَيْلَةً   وَهُمْ سَاكِتُونَ وَٱلْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ

١٦ — وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ   بِقَتٍّ وَتَعْلِيقٍ وَقَدْ كَادَ يَسْنَقُ

١٧ — يُعَالَى عَلَيْهِ ٱلْجُلُّ كُلَّ عَشِيَّةٍ   وَيُرْفَعُ نَقْلًا بِالضُّحَى وَيُعَرَّقُ

١٨ — فَذَاكَ وَمَا أَنْجَى مِنَ ٱلْمَوْتِ رَبَّهُ   بِسَابَاطَ حَتَّى مَاتَ وَهْوَ مُحَزْرَقُ

١٩ — وَقَدْ أَقْطَعُ ٱلْيَوْمَ ٱلطَّوِيلَ بِفِتْيَةٍ   مَسَامِيحَ تُسْقَى وَٱلْخِبَاءُ مُرَوَّقُ

٢٠ — وَرَادِعَةٍ بِٱلْمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا   لِجَسِّ ٱلنَّدَامَى فِي يَدِ ٱلدِّرْعِ مَفْتَقُ

٢١ — إِذَا قُلْتُ غَنِّى ٱلشَّرْبَ قَامَتْ بِمِزْهَرٍ   يَكَادُ إِذَا دَارَتْ لَهُ ٱلْكَفُّ يَنْطِقُ

٢٢ — وَشَاوٍ إِذَا شِئْنَا كَمِيشٌ بِمِسْعَرٍ   وَصَهْبَاءَ مِزْبَادٌ إِذَا مَا تُصَفَّقُ

٢٣ — تُرِيكَ ٱلْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهْيَ دُونَهُ   إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

٢٤ — وَظَلَّتْ شَعِيبٌ غَرْبَةُ ٱلْمَاءِ عِنْدَنَا   وَأَسْحَمُ مَمْلُوءٌ مِنَ ٱلرَّاحِ مُتْأَقُ

٢٥ — وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ   إِذَا خَبَّ آلٌ فَوْقَهُ يَتَرَقْرَقُ

(١٣ — ١٥) الامة النعمة . القطوط جمع قط (بكسر القاف) وهو الصك بالجائزة . أفق (كضرب) فى العطاء فضل وأعطى بعضاً أكثر من بعض . السيلحون وصريفون قريتان . الخورنق قصر مشهور للنعمان ، وأصله خورنكاه ومعناه بالفارسية موضع الشرب .

(١٦ — ١٨) اليحموم اسم فرس النعمان . القت نبات تعلفه الدواب واسمه الفصفصة (بكسر الفاءين) ، فاذا يبس سمى قتا . التعليق ما تعلفه الدواب من الشعير ونحوه . السنق للحيوان كالتخمة للانسان ، فعله سنق (كعلم) ، وقد أخذ النقاد على الأعشى هذا البيت ، فقالوا إن هذا قليل جداً فى ملك ، فذلك ما يفعله أقل الناس لفرسه . الجل ما تغطى به الدابة ليصونها . رفع الفرس كلفه المرفوع ، وهو عدو دون الحضر (بضم فسكون) . نقل الفرس أسرع نقل القوائم ، أو سار بين العدو والخبب . ربه صاحبه . محزرق مضيق عليه . وقد استشهد المؤرخون بهذا البيت على أن النعمان مات عند كسرى سجيناً فى (ساباط) .

(١٩ — ٢٢) بيت مروق أى مد فيه الرواق ، والرواق سقف فى مقدم الخباء . ردعه بالشىء لطخه به . الدرع القميص . شاو هو الذى يشوى اللحم . كميش مسرع . المسعر والمسعار ما تسعر به النار أى توقد .

(٢٣ — ٢٥) يتمطق يتلمظ . الشعيب المزادة . الغرب والغربة (بسكون الراء) الفيضة من الخمر ومن الدمع ، وكثرة الريق وبلله . أسحم يقصد دن الخمر لأنه يطلى من خارجه بالقار . الخرق الصحراء الواسعة تنخرق فيها الريح أى يشتد هبوبها . الجسرة الناقة الضخمة . الآل السراب . خب خفق وطال واضطرب . يترقرق يجىء ويذهب .

٢٧— تدمن السير طول الليل ، وتصبح بعد هذا الجهد المتصل الشاق موفورة النشاط ، كأن بها مَسًّا من الجنون .

ثم ينتقل الأَعشى إلى التعريض بخصم له اسمه (شراحيل بن طود) ويشير إلى آخر يكنى (أبا ليلى) . ويعترض فى هذا الجزء ثلاثة أبيات نرجح أنها فى غير موضعها ، وهى الأَبيات (٤١-٤٣) التى يمدح بها المحلق ، فموضعها الطبيعى بعد البيت (٥٠) ، فهى متصلة بما بعده من مدح المحلق الذى يمضى إلى نهاية القصيدة . وتعترضه كذلك ثلاثة أبيات أخرى فى الحكم تبدو غريبة على شعر الأَعشى ، فليس من المألوف فى شعره إرسال الحكم على هذا النحو ، وهى الأَبيات (٣٥-٣٧) ، وهى لا تتصل بهذا الحديث .

يقول الأَعشى مخاطباً (شراحيل بن طودٍ) وهو أحد أقاربه كما يبدو من رفقه به ونصحه له ،فيقول:

٢٩— ما لهذا السفيه الذى يتعرض للناس بالشر يهدى إلى فاحش الكلام . إن هذا لهو الهم الذى ينحل الجسم ويبتريه

٣٠— لست بغافل عما تعملون ، ولكنى لست سفيها يتدفق لسانى بفاحش القول .

٣١— نهار (شراحيل بن طود) يبعث فى نفسى الوساوس والشكوك . وليل (أبى ليلى) أدهى وأمر .

٣٢— ولست أعيي بالكلام ، فما هو إلا أن يسدى إلى شيطانى (مِسْحَلُ) القولَ حتى أقول .

٣٣— فنحن شريكان فيما بيننا من هوادة ولين ، صديقان متصافيان ، جِنِّيٌّ وإنْسٌ موفق .

٣٤— يوحى إلى القول فلا أعيي به ولا أضيق ، كفانى مئونته شيطان ليس بالعاجز الحَصِر ولا الجاهل الغرير .

وهنا يستطرد الأَعشى إلى هذه الحكم التى لا تكاد تتصل بموضوعه فيقول :

٣٥— إنما يحسن التصلب وجمع الإرادة فى الرشد ، فذلك أدنى إلى الخير . وبمثل ما يحسن التصلب فى الرشد ، يحسن تركه فى الغى ، فذلك أدنى إلى السلامة والصواب .

٣٦— وليس اللجاج ولا التشبث من الحكمة فى شىء ، والعاقل مَنْ إذا أعجزه الشىء واستعصى عليه ، تركه إلى غيره حين يفوته .

٣٧— فذلك أدنى أن ينال الجسيم الضخم من المطالب . فالاعتدال أدوم وأبقى فى المسير ، وأحرى بأن يُبلِّغ صاحبه ويُلْحِقه بما قصد إليه .

٢٦ — هِيَ الصَّاحِبُ ٱلْأَدْنَى وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا مُجُوفٌ عِلَافِيٌّ وَقِطْعٌ وَنُمْرُقُ

٢٧ — وَتُصْبِحُ مِنْ غِبِّ السُّرَى وَكَأَنَّمَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ ٱلْجِنِّ أَوْلَقُ

٢٨ — فَأَنَّ ....

٢٩ — مِنَ ٱلْجَاهِلِ ٱلْعِرِّيضِ يُهْدِي لِيَ ٱلْخَنَا وَذَلِكَ مِمَّا يَبْتَرِينِي وَيَعْرُقُ

٣٠ — فَمَا أَنَا عَمَّا تَعْمَلُونَ بِجَاهِلٍ وَلَا بِشَبَاةٍ جَهْلُهُ يَتَدَفَّقُ

٣١ — نَهَارُ شَرَاحِيلَ بْنِ طَوْدٍ يُرِيبُنِي وَلَيْلُ أَبِي لَيْلَى أَمَرُّ وَأَعْلَقُ

٣٢ — وَمَا كُنْتُ شَاحِرْدًا وَلَكِنْ حَسِبْتُنِي إِذَا مِسْحَلٌ سَدَّى لِيَ ٱلْقَوْلَ أَنْطِقُ

٣٣ — شَرِيكَانِ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ هَوَادَةٍ صَفِيَّانِ جِنِّيٌّ وَإِنْسٌ مُوَفَّقُ

٣٤ — يَقُولُ فَلَا أَعْيَى لِشَيْءٍ أَقُولُهُ كَفَانِيَ لَا عِيٌّ وَلَا هُوَ أَخْرَقُ

٣٥ — جِمَاعُ ٱلْهَوَى فِي الرُّشْدِ أَدْنَى إِلَى التُّقَى وَتَرْكُ ٱلْهَوَى فِي ٱلْغَيِّ أَنْجَى وَأَوْفَقُ

٣٦ — إِذَا حَاجَةٌ وَلَّتْكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تَسْبِقُ

٣٧ — فَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَنَالَ جَسِيمَهَا وَلَلْقَصْدُ أَبْقَى فِي ٱلْمَسِيرِ وَأَلْحَقُ

٣٨ — أَتَزْعُمُ لِلْأَكْفَاءِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَتَخْتَالُ إِذْ جَارُ ٱبْنِ عَمِّكَ مُرْهَقُ

(٢٦ — ٢٨) المجوف العظيم الجوف الضخمه . العلافى الرحل العظيم ، منسوب إلى رجل من قضاعة اسمه علاف . القطع (بكسر القاف) البساط والنمرقة . النمرقة وسادة تلقى على الرحل . غب الشيء عاقبته وما يليه . السرى السير فى الليل ألم به خالطه . الطائف ما يلم بالانسان ويطوف به . ألق الرجل (على البناء للمجهول) ألقا أى جن فهو مألوق . وبه أولق أى مس من جنون .

(٢٩ — ٣١) الجاهل السفيه . العريض (بالكسر والتشديد) الذى يتعرض للناس بالشر . الخنا الفحش من القول . يبترينى أى ينحل جسمى، من برى العودأى كشطه . عرق العظم أكل ما عليه من اللحم ونهسه بأسنانه . رجل شباة أى سفيه ، وأشباه ألقاه فى مكروه . أرابه ورابه أوقعه فى الريبة والشك . أعلق أشد مرارة ، أفعل تفضيل من العلقم .

(٣٢ — ٣٤) شاحردا قالوا إن معناها متعلم . مسحل اسم شيطان الأعشى ، والمسحل حمارالوحش . سدى إليه وأسدى إليه أحسن ، وأصله من السدى وهى خيوط النسيج . الهوادة اللين والرفق . العى العاجز والحصر الذى لا يستطيع أن يبين . خرق بالشيء (كعلم) جهله ولم يحسن عمله ، فهو أخرق .

(٣٥ — ٣٨) جماع الشيء جمعه . الهوى إرادة النفس ، والشيء الذى تحبه وتشتهيه محمودا كان أو مذموماً ، وقد غلب استعماله على المذموم . الغى الضلال والانهماك فى الجهل . ولتك أى فاتتك وانصرفت عنك . القصد مصدر قصد (كضرب) ضد أفرط ، وقصد فى مشيه مشى مستويا . الأكفاء جمع كفء وهو المثل والنظير . الارهاق أن تحمل الانسان مالا يطيق . وقد كان وجه الكلام عندى أن يقول (مالست أهله) .

ثم يعود الشاعر إلى مخاطبة خصمه فيقول :

٣٨- أتزعم لأندادك ونظرائك ما أنت مستوجب له خليق به ، وتتيه مختالا وجار ابن عمك مرهق مكدود؟

٣٩- وتظن أنك قد فعلت ما تحمد عليه ، حين أصبت بالأمس قطيعاً من الإبل؟ وإنما هو أمر له ما يليه ، وستجنى ثماره حين تتتابع عليك عواقبه بعد حين .

٤٠- فتفجع ذا المال الكثير فى ماله ، وتُغنى الفقير وتلحقه بأصحاب الثراء .

٤٤- لقد نهيتكم عن سفهكم وتهوركم ، وإن كنت قد أديت حقكم فنصرتكم على ظلمكم ، وإنما كان حرصى على إصلاحكم بدافع من الحزم .

٤٥- أنذرتكم قومكم الذين تظلمونهم ، على ما يتصفون به من الكرم ، ولتلتقين بهم إن كان فى العمر بقية .

وينتقل الشاعر من هذا الحديث انتقالا مفاجئاً إلى صاحبته (ليلى) وما تكلف فى الرحلة إليها من مشاق فيقول :

٤٦- كم دون (ليلى) من عدو ، ومن بلاد ، ومن صحارى يخفق فوقها السراب .

٤٧- ليس فيها ماء إلا الراكد قد اصفرّ كأنه الحنَّاء ، وطمسته الرياح والرمال . إذا ذاقه من لم يألفه ممن اعتاد شرب الماء العذب ، بصقه ولم يستطع أن يُسيغه .

٥٠- ولا بد لسالك هذه الصحراء أن يتودد إلى الذين يمر بهم من القبائل ، وينال جوارهم ليجيزوه وينفذوه ، كما ينفذ النجار المسمار فى الباب .

٤٨- وإن الذى سار إليك الليالى الطوال ، وبينه وبينك الصحارى والقفار ، والبيد المترامية الأطراف يخفق فوقها السراب ،

٤٩- لحقيق أن تستجيبى له وأن تعينيه ، فالمعان موفق للرشاد .

وهنا ينتقل الشاعر إلى (المحلَّق) فيمضى فى مدحه إلى نهاية القصيدة ، فيقول :

٤١- يا (أبا مَسمع) ، لقد سار الذى صنعتم وذاع ، فتحدث به الناس فى نجد وفى العراق .

٤٢- وستزوركم كرائم الإبل . قد عُلقّ على أعجازها الثناء .

٣٩ — وأَحْمَدْتَ أَنْ أَلْحَقْتَ بِالْأَمْسِ صِرْمَةً ... لَهَا غُدُرَاتٌ وَاللَّوَاحِقُ تَلْحَقُ

٤٠ — فَيَفْجَعْنَ ذَا الْمَالِ الْكَثِيرِ بِمَالِهِ ... وَطَوْرًا يُقَنِّينَ الضَّرِيكَ فَيَلْحَقُ

٤١ — أَبَا مِسْمَعٍ سَارَ الَّذِى قَدْ صَنَعْتُمُ ... فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَعْرَقُوا

٤٢ — وَإِنَّ عِتَاقَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ... ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ

٤٣ — بِهِ تُنْفَضُ الْأَحْلَاسُ فِى كُلِّ مَنْزِلٍ ... وَتُعْقَدُ أَنْسَاعُ الْمَطِىِّ وَتُطْلَقُ

٤٤ — نَهَيْتُكُمْ عَنْ جَهْلِكُمْ وَنَصَرْتُكُمْ ... عَلَى ظُلْمِكُمْ وَالْحَازِمُ الرَّأْىِ أَشْفَقُ

٤٥ — وَأَنْذَرْتُكُمْ قَوْمًا لَكُمْ تَظْلِمُونَهُمْ ... كِرَامًا فَأَنْ لَا يَنْفَدِ الْعَيْشُ تَلْتَقُوا

٤٦ — وَكَمْ دُونَ لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ وَبَلْدَةٍ ... وَسَهْبٍ بِهِ مُسْتَوْضِحُ الْآلِ يَبْرُقُ

٤٧ — وَأَصْفَرَ كَالْحِنَّاءِ طَامٍ جِمَامُهُ ... إِذَا ذَاقَهُ مُسْتَعْذِبُ الْمَاءِ يَبْصُقُ

٤٨ — وَإِنَّ امْرَءًا أَسْرَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ ... فَيَافٍ تَنُوفَاتٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ

٤٩ — لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِى لِصَوْتِهِ ... وَأَنْ تَعْلَمِى أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقُ

٥٠ — وَلَابُدَّ مِنْ جَارٍ يُجِيزُ سَبِيلَهَا ... كَمَا جَوَّزَ السَّكِّىَّ فِى الْبَابِ فَيْتَقُ

٥١ — لَعَمْرِى لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِى يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

(٣٩ — ٤١) أحمد الرجل فعل مايحمد عليه . ألحقه كلحقه أدركه . الصرمة (بكسر فسكون) القطعة من الابل . غدرات جمع غدرة (بضم الغين) وهو ماأغدر أى بقى من الشيء . اللواحق جمع لاحقة وهو الثمر بعد الثمرة الأولى . فيفجعن الضمير عائد على اللواحق. قنا المال جمعه وكسبه ، وقناه ، بالتشديد) أغناه وجعله يجمعه ويكسبه. الضريك الفقير ، (وليس له فعل من لفظه) . يلحق أى يلحق ذا المال ويدركه . سار اشتهر وذهب فى الناس . أنجد أتى نجداً . أعرق أتى العراق .

(٤٢ — ٤٤) العيس الابل . عتاقها كرامها . أعجاز جمع عجز (كرجل وكتف) وهو المؤخر من كل شيء . يقصد أن الركبان تحمل هذا الثناء . الأحلاس جمع حلس (بكسر فسكون) وهو مايوضع تحت الرحل مباشرا لظهر المطية حتى لا يؤذيها . المنزل مكان النزول . الأنساع السيور التى يشد بها الرحل إلى الناقة . الحزم ضبط الأمر وأخذه بالشدة . شفق الناصح عليه (كعلم) حرص على إصلاحه . والشفقه عطف مع خوف ، لذلك لايوصف الله تعالى بالشفقة .

(٤٦ — ٤٨) السهب الصحراء . الآل السراب . أصفر يقصد مورد ماء أصفر . طام مطموس . الجمام جمع جمة (بضم ثم تشديد) وجم (بالفتح) وهو مااجتمع من الماء . أسرى سار ليلا . فياف صحارى ، جمع فيفاء . التنوفة القفر . الخيفق الصحراء الواسعة يخفق فيها السراب أى يضطرب .

(٤٩ — ٥١) البيت (٤٩) قال المرزبانى فى الموشح إن عجزه لا يلائم صدره . أجازه أعطاه الاجازة والاذن . السكى ذكروا فيه معانى كثيرة فقالوا إنه المسمار أو الدينار أو البريد . والفيتق قالوا إنه النجار أو البواب أو الملك . وسئل الأصمعى عن الكلمتين فلم يعرفهما. لاح الشيء بدا وظهر. عيون يقصد عيون الناس ، أطلق الجزء وأراد الكل . اليفاع الأرض المرتفعة . وإنما يوقد الكريم النار على التلال والجبال ليعرف مكانه ، وليراها الناس من بعيد فيقصدوا إلى ضيافته .

٤٣— يتحدث به الركبان حيثما نزلوا فنفضوا عن مَطِيِّهم الأحلاس ، ويرددونه حين يشدون على مَطِيِّهم الحبال وحين يفكونها ، فى الحل والترحال .

٥١— ولعمرى إن أشخاص الناس لتبدو وهى تقصد إلى ناركم ، وقد أوقدت فوق التلال .

٥٢— بات عليها اثنان يستدفئان من البرد ويَسْمُرَان ، هما الكَرَمُ (والمحلَّق)

٥٣— هما أخوان قد رضعا ثدى أم واحدة ، وتحالفا بحرمة الثدى الذى رضعاه لا يفترقان .

٥٤— يداك يدا فضل ، فكف تفيد الغنى ، وكف تنفق فى الشدة ، حين يضن الناس بالقليل الذى عندهم من القوت والزاد .

٥٥— ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه فيزينه ، كما يجرى رونق السيف البراق متموجا على صفحته .

٥٦— وإذا اشتد القحط واستحكم الجدب ، فرد الرعاة إبلهم لا يجدون العشب ، وبدت الأرض فى العشيات صفصفاً جرداء ليس على ظهرها نبات ،

٥٧— صان (آل المحلق) أعراضهم بالجود . ونفى عنهم الذمَّ جفنةٌ ضخمةٌ تقدم للضيفان، كأنها حوض الماء يُمِدُّه نهر العراق.

٥٨— يغدو عليهم هذا الفتى المفضال ويروح ، بجفان مملوءة من شحم السنام ، يتدفق عليها بغير انقطاع .

٥٩— ويعود وقد نقل إليهم القِدْرَ بما فيها من الطعام الذى لم يُكَثَّر بمزجه بالماء .

٦٠— ترى القوم من حولها مادِّينَ أيديهم إليها يغترفون ، صفوفا من خلفهم صفوف ، من الناس ومن صغار الأطفال .

٦١— طويل الباع لا تقصر يده عن تناول مكرمة وإن بعدت ، ليس رهطه ممن يجيئون فى المكان الثانى من قومهم . فهم السادة غيرَ شك . أبى كريم ، لا يغشى جاره الشر ، ولا يسمو إليه الأذى .

٦٢— كذلك فليكن صنيعك إلى الناس ما حييت . وكذلك فليكن إقدامك حين يتراجع الناس فى ساعة الفزع ، فتزيغ الأبصار ، وتُعمِى الدهشةُ العيون .

٥٢— تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ

٥٣— رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَحَالَفَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ

٥٤— يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ ... وَأُخْرَى إِذَا مَاضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ

٥٥— تَرَى ٱلْجُودَ يَجْرِي ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ ... كَمَا زَانَ مَتْنَ ٱلْهِنْدُوَانِيِّ رَوْنَقُ

٥٦— وَأَمَّا إِذَا مَا أَوَّبَ ٱلْمَحْلُ سَرْحَهُمْ ... وَلَاحَ لَهُمْ مِنَ ٱلْعَشِيَّاتِ سَمْلَقُ

٥٧— نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ ٱلْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ السَّيْحِ ٱلْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

٥٨— يَرُوحُ فَتًى صِدْقٍ وَيَغْدُو عَلَيْهِمُ ... بِمِلْءِ جِفَانٍ مِنْ سَدِيفٍ يُدَفَّقُ

٥٩— وَعَادَ فَتَى صِدْقٍ عَلَيْهِمْ بِجَفْنَةٍ ... وَسَوْدَاءَ لَأْيًا بِٱلْمَزَادَةِ تُمْرَقُ

٦٠— تَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ وَدُونَهُمْ ... مِنَ الْقَوْمِ وِلْدَانٌ مِنَ النَّسْلِ دَرْدَقُ

٦١— طَوِيلُ ٱلْيَدَيْنِ رَهْطُهُ غَيْرُ ثُنْيَةٍ ... أَشَمُّ كَرِيمٌ جَارُهُ لَا يُرَهَّقُ

٦٢— كَذَلِكَ فَٱفْعَلْ مَا حَيِيتَ إِلَيْهِمُ ... وَأَقْدِمْ إِذَا مَا أَعْيُنُ النَّاسِ تَبْرَقُ

(٥٢ — ٥٤) تشب توقد أى النار. المقرور من أصابه البرد. اصطلى النار استدفأ بها. الندى الكرم. بأسحم داج يحتمل أن يكون المقصود هو الليل، أو يكون المقصود هو حلمة الثدى ويقصد الثدى الذى رضعا منه. عوض أى أبد الدهر، مبنى على الضم. مثل قط وقبل وبعد. الصدق الفضل والصلاح. مفيدة معطية، وأفاده أعطاه. ضن بالشىء بخل به وحرص عليه.

(٥٥ — ٥٧) رونق السيف طلاوته وماؤه وبريقه الذى يتلألأ متموجا. متن السيف صفحته. أوب أرجع. المحل القحط والجفاف. السرح الابل، أرجعوها لأنهم لا يجدون لها مكانا معشبا ترعاه. السملقة والسملق القاع الصفصف المستوى من الأرض. الجابية الحوض الذى يجبى فيه الماء للابل لتشرب منه. السيح النهر. فهق الاناء امتلأ حتى صار يتصبب.

(٥٨ — ٥٩) الجفان جمع جفنة وهى القصعة التى يقدم فيها الطعام. السديف شحم السنام. سوداء يقصد القدر، وهى سوداء الظاهر لكثرة استعمالها فى الطبخ لأنه يطعم ضيفانه دائما. اللاى الشدة والبطء والمشقة. المزادة الراوية، وهى قربة من جلدين يوصلان بثالث بينهما ليوسعهما. مرق القدر أكثر مرقها. يقول إن هذه القدر لا يكاد يصب عليها من ماء القربة إلا القليل، فالقدر مملوءة لحما وطعاما وهو لا يكثرها بالماء.

(٦٠ — ٦٢) شرع الرجل فى الماء شرب بكفيه أو تناوله بفمه. الدردق الاطفال والصغير من كل شىء. ثنية جمع ثنى (بفتح فكسر) وهو من دون السيد فى المرتبة. رهقه اتهمه بشر، أو حمله ما لا يطيق. برق (كعلم) تحير حتى لا يطرف، أو دهش فلم يبصر.

يتصل حديث هذه القصيدة بواقعة (ذى قار) . وقد وعدت فى القصيدة (٢٦) التى تتصل بهذا الحديث ، أن أفصل خبرها فى هذا الموضع.

(ذو قار) موضع قريب من الكوفة ـ بينها وبين واسط ـ كانت فيه واقعة مشهورة بين الفرس وبكر ، اختلفوا فى تاريخها. فقال الطبرى وابن الأثير وابن عبد ربه إنها كانت بعد مبعث النبى ، ولم يعينوا تاريخها (١) . وحدد صاحب الأغانى تاريخها فقال إنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر (٢) . وزعم ياقوت فى معجم البلدان عند حديثه عن (ذو قار) أنها كانت يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وضعف الرأى الأول فقال : « وقيل ، كانت وقعة ذى قار عند منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من وقعة بدر الكبرى » . ورأى ياقوت بعيد عن الصواب . فالثابت أن المعركة كانت بعد مقتل النعمان ، وفى ولاية إياس بن قبيصة الطائى . وقد بعث النبى لثمانية أشهر ، أو لسنة وثمانية أشهر ، من ولايته (٣).

وقد اختلف الرواة فى سبب هذا اليوم . فقيل إن كسرى لما حبس النعمان بساباط حتى مات قبيل الاسلام غضبت له العرب ، وكان قتله سبب ذى قار . وقيل إنه كان بسبب أسلحة النعمان التى أودعها عند رجل من أشراف بكر اسمه هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود (على الأرجح) قبل رحلته إلى كسرى . وقالوا إنه كان بسبب غارات البكريين على السواد . وكانت بكر قد جعلت تغير على السواد بعد مقتل النعمان . فوفد (قيس بن مسعود) ـ الذى تقدمت قصته فى القصيدة (٢٦) ـ على كسرى ، فسأله أن يجعل له أجراً على أن يضمن له على بكر أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه . فأقطعه كسرى الأبلة وما والاها ، فكان يأتيه من أتيه من بكر فيرضيهم بالعطاء وينصرفون . ولكن ذلك لم يمنع أن يغير بعض سفهائهم على السواد فى بعض الأحيان ، كالذى يروى من أن (الحارث بن وعلة) و (المكسر بن حنظلة) قدما فى رجال من بكر على قيس فاستقلوا عطاءه وأغاروا على السواد.

ويبدو أن وقعة ذى قار لا ترجع إلى واحد من هذه الأسباب ، ولكنها ترجع إليها جميعاً . ولعلها ترجع بنوع خاص إلى غارات الأعراب من البكريين على أطراف المملكة الفارسية . فهى شبيهة بيوم (الصفقة) الذى تحدثنا عنه فى القصيدة (١٣) والذى أوقع فيه كسرى بتميم بسبب غاراتهم على قوافله .

قال الرواة فى خبر هذا اليوم إن كسرى أرسل إلى هانىء بن قبيصة ، يطلب منه رد دروع النعمان وأسلحته فرفض . فبعث كسرى إلى بكر بالجيوش يقودها (الهامرز) على ألف من الأساورة ـ وكان على مسلحة كسرى بالسواد . ومن قوادها من العرب (إياس بن قبيصة الطائى) ـ وكان يحكم على ما كان يحكمه النعمان ، ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسرة . وقد أمر كسرى قيس بن مسعود أن يسير معه كما قدمنا فى القصيدة (٢٦) و (خالد بن يزيد البهرانى) على قضاعة وإياد . وزعموا أن (النعمان بن زرعة التغلبى) كان مع جيوش كسرى يقود تغلب والنمر ، وانه هو الذى دل كسرى على عورتهم من ذى قار فى الصيف . ولكن الشعر الذى بين يدينا لا يرجح ذلك . فليس فيه إشارة واحدة إلى خروج تغلب عليهم. ولو أنها فعلت لكان شيئاً بشعاً أن تنضم قبيلة عربية إلى الفرس ضد أبناء عمومتها ، ولاستحق هذا الحادث الخطير أن يسجل . على أن البيت (٤١) من القصيدة (٣٤) التى بين يدينا يثبت غير ذلك . فالأعشى يتهدد كسرى فى هذا البيت بقوة قومه فيقول :

فى عارض من وائل إن تلقه يوم الهياج يكن مسيرك أنكدا

فقوله (وائل) معناه أن (تغلب) كانت مع (بكر) ولو أنها كانت منفذة عليهم لحصر فقال : فى عارض من (بكر) .

وكان كسرى قد طلب من بكر أن يسلموا حلقة النعمان ، ويقدموا أمانة فلا يكون رهناً بما يحدث سفهاؤهم فى السواد . وخيرهم بين ذلك وبين الجلاء عن أرضهم أو القتال . فاختاروا القتال وتزعمهم فى هذا اليوم (حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى) الذى عرف من ذلك اليوم بمقطع الوضن (والوضين الحزام ، سمى بذلك لأنه قطع وضن الابل التى تحمل النساء حتى لا يفر المقاتلة ، وحتى يعرف الواحد منهم أنه إن هرب لم تستطع امرأته أن تفر معه) و (يزيد بن مسهر الشيبانى) ، و (هانىء بن قبيصة الشيبانى) . وقد ذهب بنو شيبان خاصة بفخر هذا اليوم .

وروى للأعشى فيه أربع قصائد : (٢٦) وهى فى رحلة قيس بن مسعود إلى كسرى بعد ذى قار و (٣٤) وهى هذه القصيدة التى قدمنا لها بهذا الحديث . وقد قيلت قبيل ذى قار . فالشاعر يتهدد فيها كسرى بالحرب ، رافضا ما كان يطلب من الرهن. و (٤٠)، (٥٦ وهما بعد ذى قار . وسيأتى حديثها فى مواضعها من الديوان .

يقول الأعشى :

١ ـــ عدل عن سفره فأقام ، وتخلف ليلة ليتزود من (قُتَيْلَة) فمضت الليلة ، وأخلفته (قتيلة) الموعد .

٢ ـــ ومضى هو لحاجته . وقد أصبح ودها بالياً ، وكان يظن أنه دائم لا ينقطع .

٣ ـــ أدركنى الشيب : فهجرتنى الغوانى حين فارقتنى نضرة الشباب .

---

(١) الطبرى ١ : ٦٠٠ ، ٦٠٨ — ابن الأثير ١ : ٢٩٠ — العقد الفريد ٦ : ١١١ (٢) الأغانى ٢٠ : ١٣٨

(٣) الطبرى ١ : ٦١٤ — ابن الأثير ١ : ٢٩٢

وَقَالَ الأَعْشَى لِكِسْرَى حِينَ أَرَادَ مِنْهُمْ رَهَائِنَ ، لَمَّا أَغَارَ ٱلْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ عَلَى بَعْضِ السَّوَادِ :

(كامل)

١ — أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا ... فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا

— وَمَضَى لِحَاجَتِهِ وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا ... خَلَقًا وَكَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُنْكَدَا

٣ — وَأَرَى ٱلْغَوَانِيَ حِينَ شِبْتُ هَجَرْنَنِي ... أَنْ لَا أَكُونَ لَهُنَّ مِثْلِيَ أَمْرَدَا

٤ — إِنَّ ٱلْغَوَانِيَ لَا يُوَاصِلْنَ ٱمْرَءًا ... فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ ٱلْأَمْرَدَا

٥ — بَلْ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعُودَنْ نَاشِئًا ... مِثْلِي زُمَيْنَ أَحُلُّ بُرْقَةَ أَنْقَدَا

٦ — إِذْ لِمَّتِي سَوْدَاءُ أَتْبَعُ ظِلَّهَا ... دَدَنًا قُعُودَ غَوَايَةٍ أَجْرِي دَدَا

٧ — يَلْوِينَنِي دَيْنِي النَّهَارَ وَأَجْتَزِي ... دَيْنِي إِذَا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدَا

٨ — هَلْ تَذْكُرِينَ ٱلْعَهْدَ يَا بْنَةَ مَالِكٍ ... أَيَّامَ نَرْتَبِعُ السِّتَارَ فَثَهْمَدَا

٩ — أَيَّامَ أَمْنَحُكِ ٱلْمَوَدَّةَ كُلَّهَا ... مِنِّي وَأَرْعَى بِٱلْمَغِيبِ ٱلْمَأْحَدَا

١٠ — قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِجِسْمِكَ سَايِئًا ... وَأَرَى ثِيَابَكَ بَالِيَاتٍ هُمَّدَا

١١ — أَذْلَلْتَ نَفْسَكَ بَعْدَ تَكْرِمَةٍ لَهَا ... أَوْ كُنْتَ ذَا عَوَزٍ وَمُنْتَظِرًا غَدَا

١٢ — أَمْ غَابَ رَبُّكَ فَٱعْتَرَتْكَ خَصَاصَةٌ ... فَلَعَلَّ رَبَّكَ أَنْ يَعُودَ مُؤَيَّدَا

(١ — ٣) ثوى وأثوى بمعنى واحد أى أقام . قصر توانى . مضت أى الليلة . أخلف فلاناً وجد موعده خلفاً (بكسر الخاء) أى مختلفاً. خلقا باليا . نكدت البئر (كعلم) قل ماؤها . ونكده منعه ما سأله ولم يعطه . الأمرد الناعم الوجه الذى لم ينبت شعر لحيته .

(٤ — ٦) يطلق العرب البرقة (بضم الباء) على كل أرض غليظة . وبرقة أنقد واحدة من هذه البراق ، وهى كثيرة ، أحصى منها صاحب القاموس أكثر من مائة موضع . يكنى العرب بالظل عن الراحة ، لاشتداد الحرارة فى الصحراء ، فهم يعانون منها الآلام . ولذلك وصفت الجنة بالظل . وقالوا هو فى ظل أى فى عز ومنعة ورفاهة . وقالوا هو يتبع ظل لمته ، ويبارى ظل رأسه ، إذا اختال . ومنه قول الشاعر (فراح يبارى ظل رأس مرجل) . الدد والددن اللهو واللعب . قعود غواية ، أطلق المصدر وأراد اسم الفاعل ، أى قاعداً فى الغواية .

(٧ — ٩) يلويننى يمطلننى . أجتزى أتقاضى . وقذ صرع . يقول إن له حقاً على صاحباته بما بينه وبينهن من ود ومن صلات ، ولكنهن يمطلنه حقه إذا طالب به نهارا ، ولا يقبلن أداءه والوفاء به إلا ليلا حين ينام الناس . ارتبع وتربع أقام فى الربيع . المأحد الانفراد مصدر ميمى من وحد فهو وحيد . وقيل إنه يريد (المعهد) فقلب العين همزة .

(١٠ — ١٢) سايئ يسوء من رآه . همد الثوب تقطع من طول الطى ، ينظر إليه الناظر فيحسبه صحيحاً ، فاذا مسه تناثر من البلى . عوز فقر . ربك سيدك . الخصاصة الفقر وسوء الحال والحاجة .

٤ ــ والغوانى لا يواصلن من فقد الشباب ولكنهن يصلن الأمرد الناعم الوجه الغض الإهاب.

٥ ــ يالشباب الذاهب ! كيف لى أن أعود ناشئاً ، كما كنت أيام أحل (برقة أنقد).

٦ ــ أيام كانت لمتى سوداء ، أختال فى لهو وفى عبث لا ينقطع.

٧ ــ أسعى إلى صواحبى فى الليل ، حين يصرع النوم الراقدين ، أتقاضى منهن دينى وقد أنكرنه فى النهار.

٨ ــ هل تذكرين العهد يا (ابنة مالك) ، أيام كنا نقضى الربيع فى (السِّتار) و (ثَهْمَدِ).

٩ ــ أيام أمنحك ودى كله لا شريك لك فيه ، وأحفظ حين تغيبين العهود .

١٠ ــ تقول (قُتَيْلَة) : ما لجسمك يسوء من رآه ، وما لثيابك باليات ؟

١١ ــ أأذللت نفسك وقد كنت لها مكرما ، أم أدركك الفقر فأنت ترجو الفرج من غد ؟

١٢ ــ أم غاب ولى نعمتك فساء حالك ؟ فلعله أن يعود من القتال مظفراً منصوراً .

١٣ ــ فأجبتها : سيدى كريم لا يشوب نعمته كدر ولا نكد ، إذا نُوشِدَ بما فى الكتب أجاب .

وينتقل الشاعر من هذا الغزل الرقيق ، الذى تحدث فيه عن (قتيلة) ، أحب صواحبه إليه ، ليصف الصحراء ؛ فيقول :

١٤ ــ رب ناقة صلبة خفيفة . كأنما وضعتُ الرحل منها فوق نعام أسود الظهر سريع .

١٥ ــ تصبح بعد إدمان السير فى الليل الطويل ، وكأنها حمار وحش مخطط ، قد اكتمل شبابه ، وبلغ أشده ، يتلو أتناً مخططة الظهور .

١٦ ــ أو كأنها نعامة رمادية اللون بـ (القارتين) ، أسرعت فى أثر ذكر النعام ، عائدين إلى وكرها ، وقد بدا الليل وتصرم النهار .

١٧ ــ يتجاريان مسرعين قبل أن يدركهما الظلام فيتعرضان للتلف ، إذ يضطران للإقامة فى مكانهما العارى المكشوف من الصحراء .

١٨ ــ فهى تارة تسبقه فى عدوها فتكون أمامه ، وتارة أخرى يشتد هو فى عدوه فيفوتها .

١٩ ــ ولقد أركب الجمل الضخم الفتى ، قد تماسكت فقاره ، فكأنها برج (النبيط) قد شيدوه بالآجر .

٢٠ ــ إذا أرغى وهدر ، فالتف زبده بأسنانه ، هب بجدد نشاطه ، وانطلق فى عدو سريع .

٢١ ــ فكأنه ذكر نعام يبارى نعامة رمادية اللون فى سرب من النعام .

٢٢ ــ دخل عليه الظلام فى (ذى العجلان) ، فهو يسرع ميمما إلى مأواه ، فى روضة خضراء قد التف نباتها المتموج المياس .

١٣— رَبِّى كَرِيمٌ لَا يُكَدِّرُ نِعْمَةً ‌‌‌‌‌ وَإِذَا يُنَاشَدُ بِٱلْمَهَارِقِ أَنْشَدَا

١٤— وَشِمِلَّةٍ حَرْفٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا ‌‌‌‌‌ جَلَّلْتُهُ جَوْنَ السَّرَاةِ خَفَيْدَدَا

١٥— وَكَأَنَّهَا ذُو جُدَّةٍ غِبَّ السُّرَى ‌‌‌‌‌ أَوْ قَارِحٌ يَتْلُو نَحَائِصَ جُدَّدَا

١٦— أَوْ صَعْلَةٌ بِٱلْقَارَتَيْنِ تَرَوَّحَتْ ‌‌‌‌‌ رَبْدَاءَ تَتَّبِعُ الظَّلِيمَ ٱلْأَرْبَدَا

١٧— يَتَجَارَيَانِ وَيَحْسَبَانِ إِضَاعَةً ‌‌‌‌‌ مُكْثَ ٱلْعِشَاءِ وَإِنْ يُغِبَّا يَفْقِدَا

١٨— طَوْرًا تَكُونُ أَمَامَهُ فَتَفُوتُهُ ‌‌‌‌‌ وَيَفُوتُهَا طَوْرًا إِذَا مَا خَوَّدَا

١٩— وَعُذَافِرٍ سَدَسٍ تَخَالُ مَحَالَهُ ‌‌‌‌‌ بُرْجًا تُشَيِّدُهُ النَّبِيطُ ٱلْقَرْمَدَا

٢٠— وَإِذَا يَلُوثُ لُغَامَهُ بِسَدِيسِهِ ‌‌‌‌‌ ثَنَّى فَهَبَّ هِبَابُهُ وَتَزَيَّدَا

٢١— وَكَأَنَّهُ هِقْلٌ يُبَارِي هِقْلَةً ‌‌‌‌‌ رَمْدَاءَ فِي خِيطٍ نَقَانِقَ أَرْمَدَا

٢٢— أَمْسَى بِذِي ٱلْعَجْلَانِ يَقْرُو رَوْضَةً ‌‌‌‌‌ خَضْرَاءَ أَنْضَرَ نَبْتُهَا فَتَرَادَا

٢٣— أَذْهَبْتُهُ بِمَهَامِهٍ مَجْهُولَةٍ ‌‌‌‌‌ لَا يَهْتَدِي بُرْتٌ بِهَا أَنْ يَقْصِدَا

٢٤— مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إِذَا مَا جَاءَهُ ‌‌‌‌‌ عَنِّي مَآلِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرَّدَا

٢٥— آلَيْتُ لَا نُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا ‌‌‌‌‌ رُهُنًا فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

(١٣ — ١٤) يناشد من قولهم نشدتك الله ، أى أستحلفك به . المهارق الصحف (أعجمية معربة) جمع مهرق (بضم فسكون ففتح) وقيل المهرق حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . أنشده أى أجابه إلى طلبه . وفى البيت إشارة إلى ان هـــذا الممدوح متدين بأحد الأديان السماوية . شملة خفيفة . حرف صلبة . القتود عيدان الرحل . الخفيدد الظليم وهو ذكر النعام .

(١٥ — ١٦) الجدة (بضم الجيم) العلامة والخطة فى ظهر حمار الوحش . القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل ، وهو البعير إذا بزل نابه ، وذلك فى سن التاسعة . النحائص جمع نحوص وهى من الأتن مالا ولد لها ولا لبن ، وهى أوفر نشاطاً وأكثر اكتنازا. يشبه ناقته بحمار وحش هذه صفته . صعلة صغيرة الرأس ، يقصد النعامة ، يشبه ناقته بها لسرعتهـا . الأربد الأبيض المشوب بسواد . الظليم ذكر النعام .

(١٧ — ١٩) أغام بالمكان أقام . التخويد ضرب من العدو . العذافر العظيم الشديد من الابل . السدس قبل البازل فى نحو الثامنة من عمره : المحالة الفقرة من فقر البعير . القرمد الجص والحجارة والآجر والخزف المطبوخ .

(٢٠ — ٢٢) لاث عمامته أدارها . لغامه زبده . السديس السن قبل البازل . ثنى بالأمر إذا فعل أمرا ثم ضم إليه أمرا آخر . هب هبا وهبوبا وهبابا نشط وأسرع . التزيد سير فوق العنق . الهقل ذكر النعام . الهقلة النعامة . رمداء أى ربداء رمادية اللون . الخيط (بكسر الخاء) الجماعة من النعام . نقانق جمع نقنق (بكسر النونين) وهو ذكر النعام . القرو القصد والتتبع . ذو العجلان شجر . ترأد اهتز وتمايل واضطرب .

(٢٣ — ٢٥) المهامة جمع مهمه وهى الصحراء . البرت الدليل . مآلك جمع مألكة (بفتح فسكون فضم) وهى الرسالة . ألكه أبلغه الرسالة . مخمشات مغضبات ، والخمش الخدش واللطم . شرد أى تأتى فى كل مكان لشهرتها وذيوعها ، وأصله من الناقة الشرود وهى التى تذهب على رأسها .

٢٣— صرفت هذا الجمل إلى صحار مضلة مجهولة المسالك ، لا يكاد يهتدى بها الدليل الخبير .

ثم ينتقل من حديث الصحراء ، فيوجه خطابه إلى (كسرى) قائلا :

٢٤— من يبلغ عنى (كسرى) إذا جاءه ، رسائل تخمش الوجوه ، وتذهب مشهورة فى كل مكان ، فتجرى على كل لسان .

٢٥— آليت أن لا نجيبه إلى ما يسألنا من تقديم رهائن من أبنائنا ، لنعرضهم للتلف ، كالذين أتلفهم وآذاهم من قبل .

٢٦— حتى ترهنه نجوم (نعش) أبناءها ، أو يرهنه (السِّماك) (الفَرْقَد)

٢٧— إلا ماسبق من أمر (خارجة) ، الذى يكلف نفسه أن يحضر حين أغيب .

٢٨— و(ابنى قبيصة) اللذين أخذ منهما الخوف ، فأرهقا أنفسهما وحملا إليك الرهائن ـ والخائف جدير بأن يرهق نفسه ـ

٢٩— كلا ، يمين الله ، لتنزلن لنا (الأسود) من حيث سجنته فى رأس الجبل .

٣٠— أو لنقاتلنك على مانشاء ونختار ، ولنبعثنها على المتمردين الطغاة ،

٣١— حرباً لا تهدأ بين (عانة) (والفرات) ، كأنها النار المستعرة ، يمدها الغواة بالحطب والأخشاب .

ويهاجم الأعشى قبيلة (إياد) التى يضطرها موقعها فى أطراف الجزيرة إلى ممالأة الفرس ، فينفيهم عن العرب ، ويشبههم بالأنباط ، ويتهكم بهم لأنهم يعتمدون فى حياتهم على الزراعة . وهذا يصور احتقار العرب ـ والأعراب منهم خاصة ـ لأصحاب الصناعة والزراعة . ذلك لأن مثلهم الأول أن يكون الرجل فارساً مقاتلا . والزراعة والصناعة والتجارة تقوم على الاستقرار ، وأصحابها يتجنبون الحروب والغارات ما استطاعوا . يقول الأعشى :

٣٢— خربت بيوت هؤلاء الأنباط ! لكأنهم لا يلقون بعدك من يقيم أمرهم ويتعهدهم ويعمر أرضهم .

٣٣— أظننتنا كـ(إياد) حرَّاثين أذلاء ، قد اتخذوا (تكريت) داراً ، فهم لاصقون بأرضهم ينتظرون الحصاد ؟

٣٤— خاملين يقطعون الوقت فى معالجة القمل المنتشر فى أبدانهم ، وقد أُوثِقوا بالسلاسل ، وغُلِّقتْ دونهم الأبواب .

٣٥— ليس هذا شأننا ، فقد جعل الله طعامنا فى الإبل ، نَرْحَلُها حيث نشاء ، رزقا لا ينفد .

٣٦— ضخمة كالهضاب ، نعقرها بسيوفنا للضيفان ، لا يطردها مُرَوِّعٌ أو مغير .

٣٧— ضمنت أعجازُها قدورَنا أن تفرغ ، وضمنت ضروعُها لنا اللبنَ خالصاً صافياً .

٢٦- حَتَّى يفيدَكَ مِنْ بنيهِ رهينةً ... نعشٌ ويرهنَكَ السِّماكُ ٱلْفَرْقَدَا

٢٧- إلَّا كخَارِجَةَ ٱلمُكَلِّفِ نَفْسَهُ ... وٱبْنَيْ قَبيصَةَ أنْ أغيبَ ويَشْهَدَا

٢٨- أَنْ يأْتِيَاكَ بِرَهْنِهِمْ فَهُمَا إذَنْ ... جُهِدَا وحُقَّ لخَائِفٍ أَنْ يُجْهَدَا

٢٩- كلَّا يَمِينَ اللهِ حَتَّى تُنْزِلُوا ... مِنْ رأْسِ شَاهِقَةٍ إلَيْنَا ٱلأَسْوَدَا

٣٠- لَنقَاتِلَنَّكُمُ عَلَى مَا خَيَّلتْ ... ولنجعلَنَّ لِمَنْ بَغَى وتَمَرَّدَا

٣١- مَا بَيْنَ عانَةَ وٱلفُرَاتِ كأنَّمَا ... حشَّ ٱلْغُوَاةُ بِهَا حَرِيقًا مُوقَدَا

٣٢- خُرِبَتْ بُيُوتُ نَبِيطَةٍ فَكَأَنَّمَا ... لَمْ تَلْقَ بَعْدَكَ عَامِرًا مُتَعَهِّدَا

٣٣- لَسْنَا كَمَنْ جَعَلتْ إيادٌ دارَهَا ... تَكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا

٣٤- قَوْمًا يُعَالِجُ قُمَّلًا أَبْنَاؤُهُمْ ... وَسَلَاسِلًا أُجُدًا وَبَابًا مُؤْصَدَا

٣٥- جَعَلَ ٱلْإِلٰهُ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا ... رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا

٣٦- مِثْلَ الْهِضَابِ جَزَارَةً لِسُيُوفِنَا ... فَإذَا تُرَاعُ فَإنَّهَا لَنْ تُطْرَدَا

٣٧- ضَمِنَتْ لَنَا أَعْجَازُهُنَّ قُدُورَنَا ... وَضُرُوعُهنَّ لنا الصَّرِيحَ ٱلأَجْرَدَا

(٢٦) بنات نعش سبعة كواكب ، أربعة منها نعش (أى على شكل مستطيل) وثلاث بنات (كالذيل لهذا المربع) ، فمن الأربع الفرقدان ، وهما المتقدمان ، ومن البنات الجدى وهو آخرها . السماكان كوكبان نيران. يقول لكسرى إن رهنك (نعش) بنيه من النجوم، وإن رهنك السماك الفرقد فنحن نرهنك أبناءنا . أى أن ذلك مستحيل .

(٢٧ — ٢٨) فى البيتين تقديم وتأخير . يقصد : إلا كخارجة المكلف نفسه أن أغيب ويشهد ، وابنى قبيصة ، أن يأتياك ... إلا كخارجة استثناء من (لا نعطيه من أبنائنا). يشهد يحضر . جهد (على البناء للمجهول) بلغ الجهد وأقصى الطاقة .

(٢٩ — ٣١) الشاهقة والحالقة أرفع موضع فى الجبل . الأسود هو أخو الحوفزان ، كان فى يد كسرى فى رهن قيس بن مسعود . أما خارجة وابنا قبيصة فنحن لا نعرفهما . تقول للرجل : افعل ذلك على ماخيلت ، أى على ماأرتك نفسك وشبهت لك وأوهمتك. حش النار أطعمها الحطب كما تحش الدابة وتطعمها . الغواة جمع غاو اسم فاعل من غوى (كضرب وعلم) أى ضل وانهمك فى الجهل والسفه .

(٣٢ — ٣٥) النبيط جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين . قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . وإنما سمى أولاد شيث ابن نوح أنباطاً لأنهم نزلوا هناك. هذا أصله، ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم . والشاعر هنا ينفى إيادا عن العرب ويجعلهم من النبيط . وكانت إياد تسكن البطائح بين العراقين ، وكانوا من جند كسرى حين حارب بكرا يوم ذى قار . عامر يعمر ديارهم ويدبر أمرهم . متعهد من تعهد الضيعة أى تفقدها وقام على إصلاحها . أجد موثقة . مؤصد مغلق . المال الابل .

(٣٦ — ٣٧) الهضبة القطعة من الجبل خلقت من صخرة واحدة. الجزر كل شىء مباح للذبح ، والواحد جزرة (بالتحريك) . راعه أفزعه . طرد الابل ضمها من نواحيها . أعجاز الابل أفخاذها وهى أسمن موضع منها وأحسن ما يؤكل من لحمها . الصريح الخالص . الأجرد الصافى .

فاذا بلغ الشاعر هذا الحد فقارب الانتهاء ، اتجه إلى كسرى وقد بلغ به الهياج أشده فيختم قصيدته متهدداً يقول :

٣٨ — فاقعد عليك تاجك معتصباً به ، ولا تسمنا الذل والاستعباد .

٣٩ — فما نحن بغافلين عن كيدك ، ولا نحن ممن يرهبون التهديد .

٤٠ — فلعمر جدك لو رأيتنا حيث نقيم ، لرأيت منا منظراً يروع ، وقوة لا تلين .

٤١ — فى جبل من (وائل) ، إن لقيته فى القتال ، لقيت به الشؤم والنكال .

٤٢ — وترى الجياد الجرد مربوطة حول الخيام ، وقد أسندت إليها الرماح .

(٣٥)

هذه هى القصيدة الثانية والأخيرة ، التى رويت فى مدح سلامة ذى فائش . والقصيدة الأولى هى القصيدة (٨) . وقد تقدمت فيها ترجمة الممدوح.
وفى هذه القصيدة أشياء تستوقف نظر الباحث: فقد شكك ابن قتيبة فى صحة نسبتها للأعشى . فقال بعد أن روى منها الأبيات الأربعة الأولى (وهذا الشعر منحول ، لا أعرف فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكف من بخلا)

والواقع أن فى القصيدة ما يشكك فى نسبتها . فهى من بحر (المنسرح) . وهو بحر غريب على الأعشى ، لم يرو له فيه غير هذه القصيدة . ثم إنه بحر نادر فى الشعر الجاهلى عامة ، لم يرو فيه لامرىء القيس غير عشرة أبيات (فى ثلاث مقطوعات) . ولم يرو فيه لزهير غير قصيدتين ، إحداهما ١١ بيتا ، والأخرى ١٢ بيتا . ولم يرو فيه لحسان غير قصيدتين أيضاً ، إحداهما ١٢ بيتاً والأخرى ١٩ بيتاً .
على أن هذا النوع من التفكير ، الذى نراه فى صدر القصيدة ، غير مألوف فى الشعر الجاهلى عامة وفى شعر الأعشى خاصة . فهو أشبه بشعر من نظر فى الفلسفة أو علم الكلام . وقد كان جل ما يصل إليه تفكير الشاعر الجاهلى أن يذكر الذين ماتوا من الملوك والجبابرة متخذا من موتهم عظة ، أو يقول فى سذاجة إنه يستمتع بالحياة لأنه لا يعلم ما يكون من غد ، كما قال طرفة فى مطولته ، وكما قال الأعشى فى غير هذا الموضع . أما هذا التفكير الذى يستشهدون به على أن الأعشى كان قدرياً فهو كثير على شاعر جاهلى ، وغير معروف فى بقية شعر الأعشى .
والقصيدة مع كل ذلك قلقة الألفاظ تافهة .

يقول الأعشى :

١ — إن لنا فى هذه الدنيا لمقاما ، وإن لنا عنها لمرتحلا . وإن الناس فيها لمسافرون يُمْهَلُون إلى حين .

٢ — ولقد خلق الله الخلق على ما أراد واختار . ثم خصّ نفسه بالوفاء وبالعدل ، وجعل اللوم على الناس.

٣ — وإنما تحمل الأرض ما أراد لها الله أن تحمل ، لا تستطيع لذلك رداً ولا دفعاً .

٤ — يعتريها الخصب حيناً ، فتكسوها الزهور ، كأنها حلة من برود اليمن الزاهية الألوان . ويعتريها القحط حيناً آخر ، فإذا هى مجدبة يتقشر أديمها من الجفاف .

٥ — وقد بث فيها الله الحيوان مختلفاً أنواعه ، منه ذو الخف ومنه ذو البراثن وذو الحوافر ، ومنه الوعول العُصْم .

٦ — وجعل الناس مختلفى الطبائع ، فمنهم الحافى الغليظ القدم ، ومنهم المنتعل .

٧ — وقد رحلت المطى المختارة أزجيها ثقالا قد أوقرتها الأحمال ، وخفافا تمضى مُصْعِدَةً فى الجبال .

٨ — أسوق أفراساً ضامرة كأنها قِسِىُّ (الشَّوْحط) ، فتجرى أمامى كأنها الحجل تطاردها الصقور .

٣٨ـــ فَاقْعُدْ عَلَيْكَ التَّاجُ مُعْتَصِبًا بِهِ   لَا تَطْلُبَنَّ سَوَامَنَا فَتَعَبَّدَا

٣٩ـــ لَا تَحْسَبَنَّا غَافِلِينَ عَنْ ٱلْـ ....

٤٠ـــ فَلَعَمْرُ جَدِّكَ لَوْ رَأَيْتَ مَقَامَنَا   لَرَأَيْتَ مِنَّا مَنْظَرًا وَمُؤَيَّدَا

٤١ـــ فِي عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ إِنْ تَلْقَهُ   يَوْمَ ٱلْهِيَاجِ يَكُنْ مَسِيرُكَ أَنْكَدَا

٤٢ـــ وَتَرَى ٱلْجِيَادَ ٱلْجُرْدَ حَوْلَ بُيُوتِنَا   مَوْقُوفَةً وَتَرَى ٱلْوَشِيجَ مُسَنَّدَا

(٣٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ سَلَامَةَ ذَا فَائِشٍ :

١ ـــ إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلَا   وَإِنَّ فِي السَّفْرِ مَا مَضَى مَهَلَا   (منسرح)

٢ ـــ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِٱلْوَفَاءِ وَبِٱلْـ   ـعَدْلِ وَوَلَّى ٱلْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

٣ ـــ وَٱلْأَرْضُ حَمَّالَةٌ لِمَا حَمَّلَ ٱلـ   ـلَّهُ وَمَا إِنْ تَرُدُّ مَا فَعَلَا

٤ ـــ يَوْمًا تَرَاهَا كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ ٱلْـ   خِمْسِ وَيَوْمًا أَدِيمُهَا نَغِلَا

٥ ـــ أَنْشَى لَهَا ٱلْخُفَّ وَٱلْبَرَاثِنَ وَٱلْـ   حَافِرَ شَتَّى وَٱلْأَعْصَمَ ٱلْوَعِلَا

٦ ـــ وَالنَّاسُ شَتَّى عَلَى سَجَائِحِهِمْ   مُسْتَوْقِحًا حَافِيًا وَمُنْتَعِلَا

٧ ـــ وَقَدْ رَحَلْتُ ٱلْمَطِيَّ مُنْتَخِلًا   أُزْجِي ثِقَالًا وَقُلْقُلًا وَقِلَا

٨ ـــ أُزْجِي سَرَاعِيفَ كَٱلْقِسِيِّ مِنَ الـ   شَوْحَطِ صَكَّ ٱلْمُسَفَّعِ ٱلْحَجَلَا

(٣٨ — ٤٢) سامه الأمر كلفه إياه . تعبده واستعبده صيره كالعبد . الجد (بفتح الجيم) الحظ ، يقسم له بحظه ـ على سبيل التهكم ـ والجد أيضا أبو الأب والأم . المنظر مانظرت إليه فأعجبك أو ساءك . الأيد القوة وأيده قواه فهو مؤيد . العارض السحاب المعترض فى الأفق والجبل ، شبه به الجيش . الهياج الحرب . الوشيج شجر الرماح .

(٣٥)

(١ — ٣) استشهد سيبويه بالبيت الأول على حذف خبر إن لأنه معلوم . أى إن لنا محلا فى الدنيا ومرتحلا . المهل التؤدة والرفق . السفر المسافرون . ما مصدرية ظرفية .

(٤ — ٦) الخمس (بكسر الخاء) ضرب من برود اليمن . نغل الأديم فسد فى الدباغ ، ونغل وجه الأرض إذا تهشم من الجدوبة . الأعصم من الظباء والوعول مافى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائر جسمه أسود أو أحمر . السجائح جمع سجيحة وهى الطبيعة والخلق . وقح حافر الدابة (كضرب) وقحا (بالتحريك) صلب . وكذلك استوقح .

(٧ — ٨) انتخل الشىء اختاره . أزجى أى أسوق . القلقل (بضم القافين) الخفيف فى السفر والسريع الحركة . وقل فى الجبل (كضرب) صعد فيه فهو وقل (كفرح) ، وكذلك توقل . السرعوف (بضم السين) الفرس الطويل ، والجمع سراعيف . الشوحط ضرب من النبع (بفتح فسكون) ؛ وهو شجر تتخذ منه القسى ينبت فى السهل ، وأما النبع فينبت فى الجبل ، والواحد شوحطة . المسفع الصقر أو البازى لأن فى وجهه سفعة (وهو السواد المشرب بحمرة) . الحجل ذكر القبج (بفتح فسكون) وهو الكروان . والقبج فارسى معرب .

٩ — وأمتطى الإبل المسنة ، والناقة الضخمة الصلبة ، والجمل .

١٠ — يرشح البول على فخذيه وقد لصق به الغبار ، كما ترشح الإبل (العبدية) المسنة .

١١ — تسرع فى السير وتنساب حين تهبط السهول ، وترجم الأرض بأخفافها الصلاب ، شأن الفتىّ الصغير من الإبل ، حين تُصْعِدفى الوُعُور .

١٢ — تمضى بمن يقطع الصحارى والقفار البعيدة ، قاصداً من يكافئه على رحلته الشاقة بالإبل

١٣ — ويعطيه الضخم القوى من الأفراس ، والجوارى والعبيد . والإبل الضخام يتبعها أطفالها الصغار .

١٤ — تقيم المطايا عنده مكرمة ما أقامت . ويجزيها بما عملت أخفافُها وما لقيت من متاعب وصعاب .

* * *

١٥ — أصبح « سلامة ذو فائش » منشرح الصدر مسروراً .

١٦ — أبيض ميمون ، لايشح خوف الفقر والهزال ، ولا يقطع الأقرباء ، ولا يخون العهود .

١٧ — ياخير من يركب المطى ، ويامن لا يشرب كأساً بكف بخيل .

١٨ — قلدتك شعرى ياذا الفضل والإنعام ، وأنت به جدير .

١٩ — والشعر يستنزل الكريم ويدنيه ، كما يستنزل رعد السحابة الأمطار .

٢٠ — لو كنتَ ينبوعا لاجتمع ماؤك وتكاثر حين يَرِدُ القوم ، ولم يكن بالنزر ولا القليل .

٢١ — لقد أنجب والداك إذ ولداك ، فنعم ما ولدا من كريم .

٩ — وَٱلْهَوْزَبَ ٱلْعَوْدَ أَمْتَطِيهِ بِهَا ... وَٱلْعَنْتَرِيسَ ٱلْوَجْنَاءَ وَٱلْجَمَلَا

١٠— يَنْضَحُ بِٱلْبَوْلِ وَٱلْغُبَارِ عَلَى ... فَخْذَيْهِ نَضْحَ ٱلْعَبْدِيَّةِ ٱلْجُلَلَا

١١— وَسَّاجَ سَابَ إِذَا هَبَطْتَ بِهِ ٱلـ ... سَّهْلَ وَفِى ٱلْحَزْنِ مِرْجَمًا حَجَلَا

١٢— بِسَيْرِ مَنْ يَقْطَعُ ٱلْمَفَاوِزَ وَٱلْـ ... بُعْدَ إِلَى مَنْ يُثِيبُهُ ٱلْأَبِلَا

١٣— وَٱلْهَيْكَلَ ٱلنَّهْدَ وَٱلْوَلِيدَةَ وَٱلْـ ... عَبْدَ وَيُعْطِى مَطَافِلاً عُطُلَا

١٤— يُكْرِمُهَا مَاثَوَتْ لَدَيْهِ وَيَجْـ ... زِيهَا بِمَا كَانَ خُفُّهَا عَمِلَا

١٥— أَصْبَحَ ذُو فَائِشٍ سَلَامَةُ ذُو ٱلـ ... تَّفْضَالِ هَشًّا فُؤَادُهُ جَذِلَا

١٦— أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ ٱلْهُزَالَ وَلَا ... يَقْطَعُ رِحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَا

١٧ — يَاخَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ ٱلْمَطِىَّ وَلَا ... يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

١٨— قَلَّدْتُكَ ٱلشِّعْرَ يَاسَلَامَةَ ذَا ٱلـ ... تَّفْضَالِ وَٱلشَّىْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا

١٩— وَٱلشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ ٱلْكَرِيمَ كَمَا ٱسْـ ... تَنْزَلَ رَعْدُ ٱلسَّحَابَةِ ٱلسَّبَلَا

٢٠— لَوْ كُنْتَ مَاءً عِدًّا جَمَمْتَ إِذَا ... مَاوَرَدَ ٱلْقَوْمُ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا

٢١— أَنْجَبَ أَيَّامُ وَالِدَيْهِ بِهِ ... إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا

(٩ — ١٠) الهوزب والعود (بفتح فسكون) المسن من الابل . العنتريس الناقة الصلبة . الوجناء الضخمة . ينضح يرشح العرق . العبدية منسوبة إلى قبائل عبد القيس . الجلل (بضم ثم فتح) جمع جليل وجل (بكسر الجيم) وهو المسن ، فعله جل (كضرب) أى أسن واحتنك .

(١١ — ١٢) وسجت الابل أسرعت فى السير ، والجمل وساج أى سريع . ساب يسيب أسرع فى السير . مرجما أى يرجم الأرض بأخفافه . الحجل معناها هنا صغار الابل .

(١٣ — ١٥) الهيكل الضخم من كل حيوان . النهد الفرس الحسن الجميل الجسم . الوليدة الجارية . مطافل جمع مطفل (بصيغة اسم الفاعل) أى معها طفلها . العطل من الابل (ككتف) الحسن الجسم . هش ارتاح وتبسم . جذل فرح .

(١٦ — ١٨) الرحم (بكسر فسكون) والرحم (بفتح فكسر) القرابة . الال العهد والميثاق . خير من يركب المطى أى خير الناس جميعا ، والراكب خير من الراحل . لا يشرب كأساً بكف من بخلا ، أى أنه ليس بخيلا ، لأنه إنما يشرب بيده هو نفسه .

(١٩ — ٢١) السبل المطر . العد (بكسر العين) الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والينبوع . جم الماء كثر واجتمع . الوشل الماء القليل يتحلب من جبل أى صخرة ولا يتصل قطره . أنجب الرجل ولد ولدا نجيباً أى كريما . نسب الانجاب للأيام كما تقول نام ليل فلان ، تريد أنه هو الذى نام .

٢٢— قد علمت (فارس) و (حِمْيَر) والأعراب فى الصحراء، أيكم أجدر بالثبات فى الحروب .

٢٣— هل تذكر أيامنا فى (تَنَمُّص) وقد تهيأت للقتال ، إذ تضرب لى بشجاعتك الأمثال ؟

٢٤— هو الليث فى الحرب ، حتى تذل له وتخضع . قد فاق بصنيعه كل الملوك .

(٣٦)

هذه هى القصيدة الثالثة فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وقد تقدمت فى مدحه القصيدتان (٢١) ثم (٢٩) ، حيث ترجمنا له فى القصيدة الأولى. يقول الرواة إن الأعشى مدح إياسا بهذه القصيدة ، حين استعان به كسرى أبرويز بن هرمز ، على مدافعة هرقل قيصر الروم ، حين غزاه بجيش ضخم ، حتى بلغ أطراف مملكته . فهب إياس لمناهضة الروم . فأدركهم فى (ساتيدما) وقد ولوا منهزمين ، ثم عاد من هذه الغزوة مريضاً(١). وفى القصيدة إشارة إلى مرضه فى الأبيات ٢ ، ٣ ، ٢٤. ومن الواضح أن كل ماروى للأعشى فى مدح إياس سابق على يوم ذى قار ، لأن إياساً كان فى جانب الفرس ضد بكر فى هذا اليوم ، كما سبقت الاشارة إلى ذلك فى القصيدة (٣٤) .

وترتيب القصيدة على هذا النحو الذى رويت به فى الديوان غريب غير مألوف . بدأها متشائماً ضيقاً بالحياة ثم أشار إلى مرض إياس ، وإلى تقلب الدنيا بالناس . وانتهى إلى مدحه متمنياً له الشفاء . حتى بلغ البيت (٢٨) ــ ثم وصف الصحراء فى أربعة أبيات ــ وانتقل منها إلى تصوير لهوه ومجونه حتى بلغ البيت (٥٤)ــ وهذا الجزء هو أطول أجزاء القصيدة وأجلها ــ وختم قصيدته بسبعة أبيات يفتخر فيها بنفسه ، ويشدد وقع هجائه على خصمه.

وصلب القصيدة وصميمها هى أبيات الخمر واللهو (من ٣٣ ــ ٥٤) . وهذا القسم صالح لأن يكون قصيدة قائمة بنفسها . والأبيات التى تسبقه لاتصلح أن تكون تقديما له . فهى أشبه بأن تكون قصيدة أخرى مستقلة عما بعدها . على أن هذا القسم الأول من القصيدة ردىء ركيك فى كثير من مواضعه . وربما كانت غرابة الروى الذى بنى على الحاء الساكنة من أسباب هذه الركاكة . وقد نتج عن إضافة القسم الثانى إلى الأول أن وقع فى القصيدة إيطاء فى أربعة مواضع ، تسلم منها لقصيدة إذا فصل الجزآن . فقافية البيت (١٥) مكررة فى البيت (٣٧) . وقافية البيت (٢١) مكررة فى البيت (٥٧) . وقافية البيت (٢٦) مكررة فى البيت (٤٧) . وقافية البيت (٣٢) مكررة فى البيت (٤٥) .

على أن الطبرى وابن الأثير والمسعودى قد ذكروا نهوض هرقل لتحرير الشام من الفرس بعد قتل (موريقس) صهر (أبرويز) ملك الفرس ، وغارته على العراق . ولكنهم لم يشيروا إلى استعانة كسرى بإياس ، التى بنى عليها القسم الأول من القصيدة . وليس فى هذا القسم مايدل دلالة صريحة على أن المقصود بالمدح هو (إياس) . وإنما يستفاد ذلك من قول الشراح .

يقول الأعشى :

١ ـــ بأى شىء تخبرك الطير الراجعة إلى أوكارها ، من غراب ينعق للبين ، أو تيس يمر من يسارك ؟

٢ ـــ وأنت جالس بين قوم قد يئسوا من أسير من صحب (قزح) ، قد أتى عليه حول ، وهو فى قيود المرض والسقم رهين .

٣ ـــ عند ملك كلما قيل له : فادِ أسيرك بالمال ، تراخى مماطلا ، ومزح ساخراً .

٤ ـــ فلئن كشف عنا ربك الضيق برحمته ، وفرج الكروب .

٥ ـــ أو كنا هالكين كمن هلك ، وما لأحد ـ يالقومى ـ فى الدنيا من بقاء .

٦ ـــ ليعودن لقبائل (معد) عزها ، فتسرى فى الليل آمنة فى حمايته حيث تشاء ، وتغمرها نعمه وعطاياه .

٧ ـــ وما نحن إلا كشىء فاسد ، إن أراد به الله الصلاح صلح .

---

(١) راجع تفاصيل الغزوة فى الطبرى ١ : ٥٩٢ ، ٥٩٥ ــ ابن الأثير ٢ : ٢٨٢ ــ مروج الذهب ١ : ١٧٣

٢٢ — قَدْ عَلِمَتْ فَارِسٌ وَحِمْيَرُ وَٱلْـ ... أَعْرَابُ بِالدَّشْتِ أَيُّهُمْ نَزَلَا

٢٣ — هَلْ تَذْكُرُ ٱلْعَهْدَ فِى تَنَمُّصَ إِذْ ... تَضْرِبُ لِى قَاعِدًا بِهَا مَثَلَا

٢٤ — لَيْثٌ لَدَى ٱلْحَرْبِ أَوْ تَدُوخَ لَهُ ... قَسْرًا وَبَذَّ ٱلْمُلُوكَ مَا فَعَلَا

(٣٦)

وَقَالَ يَمْدَحُ إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِى :

١ — مَا تَعِيفُ ٱلْيَوْمَ فِى الطَّيْرِ الرَّوَحْ ... مِنْ غُرَابِ ٱلْبَيْنِ أَوْ تَيْسٍ بَرَحْ (رمل)

٢ — جَالِسًا فِى نَفَرٍ قَدْ يَئِسُوا ... مِنْ مُحِيلِ ٱلْقِدِّ مِنْ صَحْبِ قُزَحْ

٣ — عِنْدَ ذِى مُلْكٍ إِذَا قِيلَ لَهُ ... فَادِ بِٱلْمَالِ تَرَاخَى وَمَزَحْ

٤ — فَلَئِنْ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ ... كَشَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَفَسَحْ

٥ — أَوْ لَئِنْ كُنَّا كَقَوْمٍ هَلَكُوا ... مَا لِحَىٍّ يَا لَقَوْمِى مِنْ فَلَحْ

٦ — لَيَعُودَنْ لِمَعَدٍّ عَكْرُهَا ... دَلَجُ اللَّيْلِ وَتَأْخَاذُ الْمِنَحْ

٧ — إِنَّمَا نَحْنُ كَشَىْءٍ فَاسِدٍ ... فَإِذَا أَصْلَحَهُ اللَّهُ صَلَحْ

٨ — كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا ... وَرَأَيْنَا ٱلْمَرْءَ عَمْرًا بِطَلَحْ

٩ — آفِقًا يُجْبَى إِلَيْهِ خَرْجُهُ ... كُلُّ مَا بَيْنَ عُمَانٍ فَمَلَحْ

(٢٢—٢٤) الدشت الصحراء (فارسية معربة). أيهم نزلا، أى قد علموا أنك أكثر ثباتاً منهم فى الحروب. والنزول أشد مواقف الحرب، وهو أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا. العهد المودة والمنزل. داخ ذل وخضع. قسره على الأمر قسرا (كضرب) أكرهه عليه وقهره. بذه غلبه وفاقه.

(٣٦)

(١—٣) عاف الطير يعيفها عيافة زجرها. وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها فتتفاءل أو تتشاءم. الروح جمع رائح، والروح كذلك من الطير المتفرقة أو الرائحة إلى أوكارها. البين الفراق، وكانوا يتشاءمون بنعيق الغراب ويرونه نذير الفرقة والشتات. البارح من الطير والصيد ما جاء عن يسار الجالس ماراً نحو يمينه والعرب تتشاءم به. وعكسه السانح والعرب تتفاءل به. القد القيد. محيل القد الذى أتى عليه حول أى عام وهو فى القيد. ويقصد الشاعر بالقيد هنا قيد المرض لأن الممدوح كان مريضاً. عند ذى ملك، ذلك هو المرض نفسه لا يقبل الفدية فى أسيره. قزح اسم ملك من ملوك العجم.

(٤—٦) الفلح البقاء والنجاة والفوز أو هو الفلاح حذفت الألف للشعر. العكر (بفتح فسكون) والعكر (بفتحتين) ما فوق خمسمائة من الابل، وقيل ما بين الستين إلى المائة. دلج وتأخاذ بدل من عكرها.

(٧—٩) عمرو هو عمرو بن هند ملك الحيرة. الطلح (بفتحتين) النعمة. أفق (كعلم) بلغ النهاية فى الكرم أو العلم، وأفق (كضرب) أعطى ففضل قوما على قوم. عمان بالشام والملح فى اليمامة.

٨ — وكم رأينا من أناس هلكوا ، ورأينا (عمرو بن هند) غارقا فى النعيم .

٩ — وقد بلغ النهاية فى الترف ، يجبى إليه خراج ملكه العظيم ، بين (عمان) و (مَلَح) .

١٠ — ورأينا (هرقل) ملك الروم، يوم (ساتيدما) ، وقد بَذَّ قومه (بنى بُرْجَان) فى الحروب وفى فن القتال.

١١ — ورث السيادة عن آبائه ، وتمرس بالغزو والقتال ، حين كان غلاما حدثاً لم يبلغ سن الزواج .

١٢ — فأغاروا على فارس فى وضح النهار ، بكتيبة ضخمة تطحن ما يعترض طريقها ، وتبرق فوق رجالها الأسلحة والحديد .

١٣ — ثم لم يجبنوا ولم يتهيبوا . ولكن قدموا فارساً كأنه الكبش ، كلما التقى بخصم نطحه فأرداه .

١٤ — فالتقى القوم بضرب يتصبب دما يسيل على وجه الارض .

١٥ — مات منه من مات فى صدر النهار ، وهرب من هرب منتشراً فى الآفاق .

* * *

١٧ — ليت شعرى ماذا عساك تقول حين أصبح جسداً بالياً ؟ أتقول إنى صددت عنك وتناسيت ؟

١٨ — أم تقيم على العهد . وعهدى بك أنك خير من رعى الإبل ، حين تسرح فى المرعى وحين تؤوب .

١٩ — وإذا حُمِّلَ بعض الناس العبء ، فاشتكى ضَعْفَ أوصاله عن احتماله ، وأعيا وعجز .

٢٠ — كان القوىَّ المطيق لأحماله ، حين يتخلى عن الرجل ناصره ومولاه ، ويصد عنه معرضاً .

٢١ — وهو الذى يدفع عن المكروب الجانى ، حين يلجأ إليه ، أيدىَ المطاردين .

٢٢ — يشترى الحمد والثناء بأغلى الأثمان . ومن بذل الجهد وتكلف المشقة ليشترى بهما حمداً أو ثناء فقد ربح وفاز .

٢٣ — ويبتنى المجد ، ويتجاوز بثاقب فكره مدى العقول ، وترى ناره من بعيد تهدى السراة وتدعو القاصدين .

٢٤ — يقولون إنه سقيم . فلئن نفض عنه الأسقام وتماثل للشفاء ،

١٠– وَهِرَقْلًا يَوْمَ سَاآتِيـــدَمَى	مِنْ بَنِى بُرْجَانَ فِى ٱلبَـأْسِ رَجَحْ
١١– وَرِثَ السُّؤْدَدَ عَنْ آبَائِهِ	وَغَزَا فِيهِمْ غُلَامًا مَا نَكَحْ
١٢– صَبَّحُوا فَارِسَ فِى رَأْدِ الضُّحَى	بِطَحُونٍ فَخْمَةٍ ذَاتِ صَبَحْ
١٣– ثُمَّ مَا كَاءُوا وَلَكِنْ قَدَّمُوا	كَبْشَ غَارَاتٍ إِذَا لَاقَى نَطَحْ
١٤– فَتَفَانَوْا بِضِرَابٍ صَائِبٍ	مَلَأَ ٱلْأَرْضَ نَجِيعًـــا فَسَفَحْ
١٥– مِثْلَ مَا لَاقَوْا مِنَ ٱلْمَوْتِ ضُحًى	هَرَبَ ٱلْهَارِبُ مِنْهُمْ وَٱمْتَضَحْ
١٦– لَيْتَ شِعْرِى أَىَّ نُعْمَى	.... وَٱصْطَرَحْ
١٧– هَلْ تَقُولَنَّ إِذَا كُنْتُ صَدًى	صَدَّ عَنِّى وَتَنَاسَى وَ.......
١٨– أَمْ عَلَى ٱلْعَهْدِ فَعِلْمِى أَنَّهُ	خَيْرُ مَنْ رَوَّحَ مَالًا وَسَرَحْ
١٩– وَإِذَا حُمِّـــلَ عِبْئًا بَعْضُهُمْ	فَٱشْتَكَى ٱلْأَوْصَالَ مِنْه وَأَنَحْ
٢٠– كَانَ ذَا ٱلطَّـــاقَةِ بِالثِّقْلِ إِذَا	ضَنَّ مَوْلَى ٱلْمَرْءِ عَنْهُ وَصَفَحْ
٢١– وَهُوَ الدَّافِعُ عَنْ ذِى كُرْبَةٍ	أَيْدِىَ ٱلْقَوْمِ إِذَا ٱلْجَانِى ٱجْتَرَحْ
٢٢– تَشْتَرِى ٱلْحَمْدَ بِأَغْلَى بَيْعِهِ	وَٱشْتِرَاءُ ٱلْحَمْدِ أَدْنَى لِلرِّبَحْ
٢٣– تَبْتَنِى ٱلْمَجْدَ وَتَجْتَازُ النُّهَى	وَتُرَى نَارُكَ مِنْ نَاءٍ طَرَحْ
٢٤– أَوْ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ فَلَئِنْ	نَفَضَ ٱلْأَسْقَامَ عَنْهُ وَٱسْتَصَحْ

(١٠ – ١٢) هرقل آخر ملوك القسطنطينية قبل الاسلام، وكانت هجرة النبى لسبع سنين من ملكه. وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه. (وهو يشير فى هذه الأبيات إلى استرجاعه للشام من الفرس بعد أن ملكوها ثم غزوه لهم) بنو برجان (كعثمان) جنس من الروم. البأس الحرب. ساتيدما اسم جبل أو نهر. رأد الضحى ورائد الضحى وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء فى الخمس الاول، وذلك شباب النهار. والرأد والرود الشابة الحسنة. الصبح بريق الحديد. مصدر من صبح الحديد (كعلم) أى برق. بطحون فخمة أى بكتيبة طحون فخمة.

(١٣ – ١٥) كاء عنه يكوء (كنصر) هابه وجبن عنه. صاب السهم نحو الرمية قصد نحوها ولم يخطئها. وصاب المطر انحدر. النجيع دم الجوف أو الدم الذى يضرب للسواد. سفح الدم انصب، يستعمل لازما ومتعدياً. مضحت الابل (كقطع) انتشرت، ومضحت الشمس انتشر شعاعها على الأرض. وروى (وامتصح) من مصح الشىء أى ذهب وانقطع

(١٧ – ١٩) الصدى جسد الانسان بعد موته. المال الابل، سرحها أرسلها صباحا لترعى. روحها ردها آخر النهار. نح الرجل تردد صوته فى جوفه. وروى كذلك (وبلح) اى أعيا وعجز.

(٢٠ – ٢٤) ضن بخل. المولى تطلق على السيد والعبد والصديق، والمقصود هنا المعنى الأخير. صفح عنه صد وأعرض. اجترح اكتسب، وأكثرما تستعمل فى الجرائم، ومنه قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا). النهى جمع نهية وهى العقل. الطرح (بفتحتين) المكان البعيد.

٢٥- ليعيدن لقبائل (معد) عزها ، فتسرى فى الليل آمنة فى حمايته حيث تشاء ، وتغمرها نعمه وعطاياه .

٢٦- وتعود إلى عهدها به ، فى أيام له نعرفها ولا ننساها ، غمرتنا فيها نعمه ، حين عم الجدب ، واشتد البرد، حتى إن الكلاب لِتهرّ وتنبح.

٢٧- وهو الجرىء المقدام فى الحروب ، حين تتعبس الوجوه ، وتتقلص الشفاه حتى تبدو الأنياب .

٢٨- كم من حرب قد قدح زنادها ، وأورى نارها ، وأمدها بالحطب والوقود .

* * *

ثم ينتقل الشاعر فجأة إلى الصحراء ، يصف صبره على الرحلة فيها ، فيقول :

٢٩- وإنى لجدير أن أقطع حبال الود عامداً ، حين لا يرضينى المقام ، فوق ناقة صلبة ، حين ينقطع السراب .

٣٠- تقطع الصحراء البعيدة الآفاق حين يحتدم الحر ، نشيطة مسرعة .

٣١- وتُوَلّى الأرض خفاً صلباً مجتمعاً ، تتكسر من تحته الأحجار .

٣٢- تسمع لطرفه المشقوق رنيناً خشن الصوت ، حين يحتك بالأرض .

* * *

ولا يلبث بعد هذا الوصف القصير للصحراء أن يتحول عنه فجأة ، كما دخل فيه فجأة ، فيتحدث عن ذكرياته فى حوانيت الخمر ، مصورا ما تموج به من ضروب اللهو والترف ، مقدما صورة رائعة لهذه البيوت فى (الحيرة) . فيقول :

٣٣- وخمر باردة متوردة اللون ، يظنها الناظر قد عصرت من نوْر (الذُّبَح) الزاهية الحمراء .

٣٤- يفوح ريحها كما تفوح رائحة المسك ، يصبها الساقى مسرعا حين يستعجله الشاربون .

٣٥- يصبها من زقاق الخمر التى حملها التجار ، فى باطية واسعة سوداء من آنية (الحيرة) ، تتوسط الندماء .

٣٦- بعيدة الغور ، لا تبالى غرف الاباريق منها والأقداح طول اليوم .

٣٧- تزبد الخمر فيها حين تصب ، ثم لا تلبث أن يذهب زبدها ، ويغور فى جوفها الواسع العميق .

٣٨- وإذا اغترفت الكؤوس الفضية منها فصادمت جوانبها ، كرت فيها سابحة .

٣٩- يتهافت فيها الزجاج لا ينقطع سيله ، وتهوى إليها أيدى النازحين ، يغترفون ما يغترفون .

٢٥ـــ لَيُعِيدَنْ لِمَعَدٍّ عَكْرَهَا ... دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِكْفَاءَ ٱلْمِنَحْ

٢٦ـــ مِثْلَ أَيَّامٍ لَهُ نَعْرِفُهَا ... هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحْ

٢٧ـــ وَلَهُ ٱلْمُقْدَمُ فِي ٱلْحَرْبِ إِذَا ... سَاعَةُ الشِّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحْ

٢٨ـــ أَيُّ نَارِ ٱلْحَرْبِ لَا أَوْقَدَهَا ... حَطَبًا جَزْلًا فَأَوْرَى وَقَدَحْ

٢٩ـــ وَلَقَدْ أَجْذِمُ حَبْلِي عَامِدًا ... بِعَفَرْنَاةٍ إِذَا الآلُ مَصَحْ

٣٠ـــ تَقْطَعُ ٱلْخَرْقَ إِذَا مَا هَجَّرَتْ ... بِهِبَابٍ وَإِرَانٍ وَمَرَحْ

٣١ـــ وَتُوَلِّي ٱلْأَرْضَ خُفًّا مُجْمَرًا ... فَإِذَا مَا صَادَفَ ٱلْمَرْوَ رَضَحْ

٣٢ـــ فَتَرَاهُ فَلِقًا فَرَاسِنًا ... ذَا رَنِينٍ صَحِلَ الصَّوْتِ أَبَحْ

٣٣ـــ وَشَمُولٍ تَحْسِبُ ٱلْعَيْنُ إِذَا ... صُفِقَتْ وَرْدَتَهَا نَوْرَ الذُّبَحْ

٣٤ـــ مِثْلُ ذَكِيِّ ٱلْمِسْكِ ذَاكٍ رِيحُهَا ... صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قِيلَ تَوَحْ

٣٥ـــ مِنْ زِقَاقِ التَّجْرِ فِي بَاطِيَةٍ ... جَوْنَةٍ حَارِيَّةٍ ذَاتِ رَوَحْ

٣٦ـــ ذَاتِ غَوْرٍ مَا تُبَالِي يَوْمَهَا ... غَرْفَ ٱلْأَبْرِيقِ مِنْهَا وَٱلْقَدَحْ

(٢٥ — ٢٨) معد بن عدنان جد عرب الشمال من ربيعة ومضر . العكر (بكسر العين) الأصل ، وهو كذلك العادة . لدلج والادلاج سير الليل . أكفأت الابل كثر نتاجها . وأكفأه إبله جعل له منافعها . الهرير صوت دون النباح . المقدم مصدر ميمي من أقدم . كلح عبس وكشر . الحطب الجزل اليابس الذى تسرع فيه النار . قدح أى قدح الزناد فأورى ناراً أى أخرج نارا .

(٢٩ — ٣١) جذم الحبل قطعه . ناقة عفرناة شديدة قوية ، والعفرناة كذلك الغول . الآل السراب . مصح ذهب وانقطع . الخرق الصحراء الواسعة لأن الرياح تنخرق فيها . هجرت سارت فى الهاجرة وهو منتصف النهار . الهباب النشاط والاسراع . أرن البعير (كعلم) نشط . المرح النشاط . الثلاثة كلها بمعنى واحد . مجمر صلب مجتمع ، من قولهم أجمر القوم على الشىء أى اجتمعوا . المرو حجارة صلبة بيضاء . رضح الحصى والنوى كسره .

(٣٢ — ٣٤) رواية الديوان فى الطبعة الأوروبية (فنداه ريمان خفها) . نداه أى بله . ريمان خفها حركته ، من رام المكان أى فارقه . وذا رنين على هذه الرواية حال من (خفها) أو من الهاء فى (نداه) . على أن التكلف واضح في نظم الألفاظ فى هذه الرواية . وأحسن منها الرواية الأخري الذى جاءت فى الهامش (ويروي فرءاه فلقاً براثنا) والذى أراه أن براثناً محرفة عن فراسنا ، لأن البرثن لذى الناب والفرسن (كزبرج) لذى الخف وهو طرفه . والأنسب أن تكون (فرءاه) فى صيغة المضارع كما أثبتها . فتراه أى المرو ، وقد يعود الضمير على الخف . فلقاً أى مشقوقا . وقد تكون فلقاً (بكسر ثم فتح) جمع فلقة كقطعة من فلق الشىء اذا شقه . صحل الصوت (كعلم) احتد فى بحه . وقيل الصحل خشونة فى الصدر وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم . شمل الخمر (كنصر) عرضها للشمال لتبرد . والشمول والمشمولة الخمر الباردة التى ضربتها ريح الشمال فبردت . الذبح (بضم ففتح) نبت حلو يؤكل ، له زهرة حمراء . ذكا المسك سطع ريحه . توح فعل أمر من توحى أى أسرع واستعجل .

(٣٥ — ٣٦) الزق جلد صغير تحمل فيه الخمر . من زقاق التجر أى أنها مستوردة من بعيد ، حملها التجار من مواطنها وإنما يحملونها فى الزقاق لأن الدنان تتعرض للكسر . الباطية إناء واسع الأعلى ضيق الاسفل يوضع بين الشاربين ليغترفوا منه ، وهى كلمة فارسية . ويسمونه كذلك الناجود . جونة سوداء . حارية نسبة للحيرة . روح سعة . غرف مصدر غرف يغرف .

٤٠ـــ فأذا غاضت الخمر ونزفت ، رفعنا إليها زقا جديداً ، نحل رباطه ، فتندفع منه الخمر ، كما يندفع الدم من أوداج الذبيح .

٤١ـــ ينهمر انهمار السيل ، بخمر تجرى سائلة فتملأ الناجود .

٤٢ـــ وقد تمدد إلى جانبه زق الخمر الأسود ، كأنه حبشى رقد على الأرض فانبطح .

٤٣ـــ ولقد أبكر إلى النديم ، أو يبكر هو إلى ، فنشربها فى الصباح ناعمين .

٤٤ـــ عند مغن كلما هتف به الرفاق أن يسمعهم ، رفع صوته المطرب بالغناء .

٤٥ـــ يصاحب غناءه العود ، ينقل أصابعه على أوتاره ، فيختلط صوته بأنغامه ، بين حاد رقيق ، وخشن أجش .

٤٦ـــ فى شباب يترقرق ماء النعمة والبشر فى وجوههم ، كأنهم المصابيح تضىء فى الظلام .

٤٧ـــ يكسو مجلسهم الوقار ، حين يستخف الجهل السفهاء من الناس ، فينبحون كما تنبح الكلاب .

٤٨ـــ لا يبخلون بالمال . ولم يكن من عادتهم فى قومهم أن يشدوا ضروع النوق ، بخلا بالألبان

٤٩ـــ حتى إذا أخذت منهم الخمر ، تمددوا على الأرض ، كأنهم حبال متشابكة قد نصبت لصيد القرود .

٥٠ـــ فهذا مغلوب قد صرعته الخمر لوجهه ، وذاك قد خذلته رجله فهو يجرها ، وما هو بكسيح .

٥١ـــ وماجت الحانة بنساء طوال ضخام ناعمات ، لم يفسد جمالهن الكد ، ولم يذهب به الهوان .

٣٧ـ وَإِذَا مَا الرَّاحُ فِيهَا أَزْبَدَتْ أَفَـلَ ٱلْأَزْبَادُ فِيهَا وَٱمْتَصَحْ

٣٨ـ وَإِذَا مَكُّوكُهَا صَـادَمَهُ جَانِبَاهَـا كَرَّ فِيهَا فَسَبَـحْ

٣٩ـ فَتَرَامَتْ بِزُجَاجٍ مُعْمَـلٍ يُخْلِفُ النَّـازِحُ مِنْهَا مَا نَزَحْ

٤٠ـ وَإِذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زِقَّنَـا طُلُقَ ٱلْأَوْدَاجِ فِيهَا فَٱنْسَفَحْ

٤١ـ وَنُسِيحُ سَيَلَانَ صَـوْبِهِ وَهْوَ تَسْيَـاحٌ مِنَ الرَّاحِ مِسَحّْ

٤٢ـ تَحْسِبُ الزِّقَّ لَدَيْهَـا مُسْنَدًا حَبَشِيًّا نَامَ عَمْـدًا فَٱنْبَطَحْ

٤٣ـ وَلَقَدْ أَغْـدُو عَلَى نَدْمَانِهَـا وَغَدَا عِنْدِى عَلَـيْهَا وَٱصْطَبَحْ

٤٤ـ وَمُغَنٍّ كُلَّمَـا قِيـلَ لَهُ أَسْمِعِ الشَّرْبَ فَغَنَّى فَصَـدَحْ

٤٥ـ وَثَنَى ٱلْكَفَّ عَلَى ذِى عَتَبٍ يَصِـلُ الصَّوْتَ بِذِى زِيرٍ أَبَحّْ

٤٦ـ فِى شَبَابٍ كَمَصَـابِيحِ الدُّجَى ظَاهِرُ النِّعْمَةِ فِيهِمْ وَٱلْفَرَحْ

٤٧ـ رُجُحُ ٱلْأَحْلَامِ فِى مَجْلِسِهِمْ كُلَّمَا كَلْبٌ مِنَ النَّاسِ نَبَحْ

٤٨ـ لَا يَشِحُّونَ عَلَى ٱلْمَالِ وَمَا عُوِّدُوا فِى ٱلْحَىِّ تَصْرَارَ اللِّقَحْ

٤٩ـ فَتَرَى الشَّرْبَ نَشَـاوَى كُلَّهُمْ مِثْلَ مَا مُدَّتْ نِصَـاحَاتُ الرُّبَحْ

٥٠ـ بَيْنَ مَغْـلُوبٍ تَلِيلٍ خَدُّهُ وَخَذُولِ الرِّجْلِ مِنْ غَيْرِ كَسَحْ

٥١ـ وَشَغَامِيمَ جِسَامٍ بُدَّنٍ نَاعِمَاتٍ مِنْ هَوَانٍ لَمْ تُلَحْ

(٣٧ــ٣٨) أفل رجع وذهب . امتصح ذهب وانقطع . المكوك إناء من فضة يشرب فيه . جاناها الضمير للباطية .

(٣٩ – ٤١) معمل أى دائم العمل . أخلف لاهله استق لهم ماء ، وأخلف فلان أهوى بيـده إلى سيفه ليسله . ماهنا مصدرية ، ويخلف لازمة . غاض الماء جف وغار . الطلق المحلول ، الأوداج جمع ودج (بفتحتين) وهو عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح ، يقصد به هنا فم القربة . أساحه أجراه . الصوب مصدر من صاب المطر إذا انصب ونزل . مسح سائل من سح الماء والمطر والدمع سال .

(٤٢ — ٤٤) أغدو أنطلق فى الصباح . الندمان النديم . اصطبح شرب الخمر فى الصباح . صدح الرجل والطائر رفع صوته بالغناء .

(٤٥ — ٤٧) العتب (بالتحريك) العيدان المعروضة على وجه العود ، منها تمد الأوتار إلى طرف العود . الزير الدقيق من الاوتار وأحدها صوتا . الأبح الخشن الصوت . الأحلام العقول .

(٤٨ — ٤٩) يشحون يبخلون . اللقح جمع لقحة (بفتح فسكون) وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن . صر الناقة شد ضرعها بالصرار حتى لايرضعها ولدها . أى أنهم لا يصرون إبلهم بخلا بألبانها . الشرب (بفتح فسكون) جماعة الشاربين . النصاحات حبال يجعل لها حلق وتنصب فيصاد بها القرود ، واحدتها نصاحة (بكسر النون) . الربح (بضم ثم فتح) القرد .

(٥٠ – ٥١) مغلوب غلبه السكر . تليل فعيل بمعنى مفعول من تله أى صرعه . خذول الرجل أى خذلته رجله وتخلت عنه فهى لاتطاوعه حين يهم بالسير . شغاميم نساء طوال . لم تلح لم تهزل وتتغير من الحزن ، لاحه الحزن يلوحه لوحا غيره .

٥٢— كأنهن تماثيل قد ألبست حللا ، وعريت منها البطون .

٥٣— تكاد تضيق جلودهن بما اكتنز تحتها من الشحم ، حين يقوم الناحل المهزول فلا يتماسك من شدة الإعياء .

ويختم الأعشى هذه الذكريات بقوله :

٥٤— ذاك دهر لجيل من الناس قد مضى وفات ، ولهذا الجيل لون آخر من ألوان الحياة .

ثم ينتقل الشاعر من حديث الذكريات ، الذى لا يخلو من الفخر بما استمتع به من الشباب ، ليتحدث عن نفسه فى معرض آخر . فقد كان صاحب لذة ، ولكنه كان مع ذلك مر الخصومة ، مذلا لعدوه . يقول :

٥٥— ولقد أمنح العدو الذى يعرض عنى طاوياً كشحه ، ما يشفيه من داء الكَشَح .

٥٦— وأرميه بالهجاء الذى لا يقف عند لطمه أو رده عن غلوائه ، ولكنه يقطع عروق عينيه ، فيبقى أثره ظاهرا لا يزول .

٥٧— هجاء يهلك من يحل به ، كأنه المكواة تنضج لحمه ، وتذكرُه بما اجترم .

٥٨— فترى الأعداء حولى ينظرون بمؤخر عيونهم ، وقد استكانوا وذلت أعناقهم ، كأنهم الخنافس .

٥٩— قد ضرب عليهم اللؤم بيته ، وبدت أسنانهم البغيضة وقد علتها الصفرة والصدأ .

٦٠— فهم سود قصار الهمم ، كأنهم الخُصَى ، انتشر فيها التشقق فتسلخت من عرق الأفخاذ .

٦١— يضرب صديقهم وجهه جزعا على ما أصابهم ، فلا يبالى أى عينيه أصاب .

(٣٧)

١ — إذا أردت أن تحظى فى أرض (عكل) بجزيل العطاء ، فاعمد ل(ربيعة بن حذار)

٢ — يهب الفرس النجيبة والجواد الفاره بسرجه ، ويهب النوق البيض ، أول عهدها بالحمل ، أو متهيئة للنتاج .

٥٢ — كَالتَّمَاثِيلِ عَلَيْهَا حُلَلٌ ... مَا يُوَارِينَ بُطُونَ ٱلْمُكْتَشِحْ

٥٣ — قَدْ تَفَتَّقْنَ مِنَ ٱلْغُسْنِ إِذَا ... قَامَ ذُو الضُّرِّ هُزَالًا وَرَزَحْ

٥٤ — ذَاكَ دَهْرٌ لِأُنَاسٍ قَدْ مَضَوْا ... وَلِهَـذَا النَّاسِ دَهْرٌ قَدْ سَنَحْ

٥٥ — وَلَقَدْ أَمْنَحُ مَنْ عَادَيْتُهُ ... كُلَّ مَا يَحْسِمُ مِنْ دَاءِ ٱلْكَشَحْ

٥٦ — وَقَطَعْتُ نَاظِرَيْهِ ظَاهِرًا ... لَا يَكُونُ مِثْلَ لَطْمٍ وَكَمَحْ

٥٧ — ذَا جُبَارٍ مُنْضِجًا مِيسَمُهُ ... يُذْكِرُ ٱلْجَارِمَ مَا كَانَ ٱجْتَرَحْ

٥٨ — وَتَرَى ٱلْأَعْدَاءَ حَوْلِي شُزَّرًا ... خَاضِعِي ٱلْأَعْنَاقِ أَمْثَالَ ٱلْوَذَحْ

٥٩ — قَدْ بَنَى اللُّؤْمُ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ ... وَفَشَا فِيهِمْ مَعَ اللُّؤْمِ ٱلْقَلَحْ

٦٠ — فَهُمُ سُودٌ قِصَارٌ سَعْيُهُمْ ... كَٱلْخُصَى أَشْعَلَ فِيهِنَّ ٱلْمَذَحْ

٦١ — يَضْرِبُ ٱلْأَدْنَى إِلَيْهِمْ وَجْهَهُ ... لَا يُبَالِي أَيَّ عَيْنَيْهِ كَفَحْ

(٣٧)

وَقَالَ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ عُكْل :

(كامل)

١ — وَإِذَا أَرَدْتَ بِأَرْضِ عُكْلٍ نَائِلًا ... فَٱعْمِدْ لِبَيْتِ رَبِيعَةَ بْنِ حُذَارِ

٢ — يَهَبُ النَّجِيبَةَ وَالنَّجِيبَ بِسَرْجِهِ ... وَٱلْأُدْمَ بَيْنَ لَوَاقِحٍ وَعِشَارِ

(٥٢ — ٥٣) الكشح الخصر . الغسن الشحم . رزح سقط من الهزال . ذو الضر الذى أضر به الهزال .

(٥٤ — ٥٦) سنح ظهر وعرض . الحسم القطع والكى . الكشح (بفتحتين) داء يصيب الكشح يسمونه ذات الجنب ، وربما كوى صاحبه منه . ويقصد هنا الكاشح الذى يطوى كشحه عنه من بغضه وعداوته . الناظران عرقان على حرفى الأنف يسيلان من المؤق ، قال الشاعر (وأكوى الناظرين من الخنان) والخنان (بضم الخاء) داء يأخذ الطير والابل فى حلوقها وأنوفها . لطمه ضربه ببسطة كفه على وجهه . كمح الدابة مثل كبحها .

(٥٧ — ٥٨) الجبار (كغراب) الهدر ، ذهب دمه جباراً أى هدراً . والجبار كذلك كل ما أفسد وأهلك . الميسم المكواة . الجارم الآثم . اجترح جنى وارتكب من إثم بتعرضه للشاعر . ذا جبار مفعول ثان لأمنح فى البيت (٥٥) ، بدل من قوله (كل مايحسم) . شزر جمع شازر وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه . الوذح مايتعلق بأصواف الأغنام وخصاها من البعر والبول . والوذح كذلك جمع وذحة وهى الخنفساء .

(٥٩ — ٦١) القلح صفرة الأسنان . أشعل انتشر وعم وتفرق . المذح أن تصطك الفخذان فينسلخ مابينهما ، أو تشقق الخصيتين من عرق الأفخاذ ، وذلك فى الحيوان خاصة . وأكثر مايستعمل فى الضأن . الأدنى إليهم الذى يليهم ويحبهم ويتقرب إليهم ، يلطم وجهه حسرة على ما أصابهم من هجاء الشاعر . كفحه بالعصا ضربه .

(٣٧)

(١ — ٢) عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة إخوة تميم . النجيب من كل شيء سراته وخياره . الأدم جمع آدم وهي البيض من النوق والظباء اللاقحة الحامل ، والعشار التي أتى على حملها عشرة أشهر .

هذه هي القصيدة الثالثة ، فيما كان بين الشاعر وبين أبناء عمومته ، بنى عبدان بن سعد بن قيس بن ثعلبة . أما القصيدتان السابقتان فهما القصيدة (١٤) يعاتبهم بها ، والقصيدة (١٥) يهجو فيها شاعرهم جهنام . وبقى الأعشى فيهم قصيدة واحدة بعد هذه التى بين يدينا ، وهى القصيدة (٧٣) يهجو فيها جهنام ، وهى قصيرة لا تتجاوز ثلاثة عشر بيتاً . والأعشى فى هذه القصيدة أكثر عنفاً منه فى القصيدتين السابقتين . فقد تمادت الخصومة بين البيتين ، بعد أن أغرى بنو عبدان شاعرهم جهنام بهجاء بنى سعد بن ضبيع وشاعرهم (الأعشى) — وكانت أم جهنام أمة ، كما نفهم من هذه القصيدة ومن القصائد الأخرى (١) — فشرى الشر بين الحيين . ولكن عنف الأعشى لا يخرجه عن الرفق ، ولا ينسيه أن بنى عبدان هم أبناء عمومته الأقربون . فهو يحاول أن يقنعهم بأنهم ظالمون ، مذكراً إياهم بما سبق من أيادى قومه عليهم .

والأعشى فى هذه القصيدة يهجم على غرضه دون تقديم ، صارخاً (يالقيس !) فهو ينشد القرابة ، ويستصرخ الجد الذى يجمعه وإياهم فى النسب (قيس بن ثعلبة) . ويحاول فى بقية القصيدة أن يصور لهم بغيهم ، بعد الذى سبق إليهم من نعم قومه .

يقول الأعشى :

١ — يالقيس لما لقينا من قومنا هذا العام ! أتُبَاحُ أعراضنا لعبد هِجَان ؟ أم عَلَامَ هذا العدوان ؟

٢ — وليس ذلك عن بغض أو عداوة يا (حُذَاف) ، وإنما هو السَّفَهُ والطغيان .

٣ — ما غَشِينَاكم يوما بظلم ، ولا فضحنا لكم مستوراً ، ولا استبحنا منكم مُحَرَّما .

٤ — يا بنى المنذر بن عبدان ! أو قد ذهبت شهوة الطعام بأحلامكم ، وطمست بصائركم ،

٥ — حتى أمرتم عبداً مهيناً أن يهجو قوما كراما ، ظلماً وعدوانا ، لغير ذنب جنوه ؟

٦ — وبعثتم (بما فعلتم الشر بين الحيين)

* * *

ويمضى الشاعر فى تعديد نعم قومه على بنى عبدان فيقول :

٨ — أتفعلون بنا ذلك بعد أن أسلفنا لكم من النعم ما إنه لحقيق أن يحنى الرءوس اعترافا بالجميل ، وبعد الذى قدمنا من أياد ظاهرة يعرفها كل الناس .

٩ — أتنسون يوم (حَجْر) وما أسدينا إليكم فيه من عون ، إذ تلتهم النيران الوادى من جانبيه .

١٠ — وقد فاجأكم العدو ، يطارد رجالكم وينكل بهم ، حتى أصبح النخل خاوياً يفضح الذين يجنون منه الثمار .

١١ — فتراه وقد لفحته النيران بين قائم ومُصَرَّع ، أسودَ كالنُوق الهزيلة العِجاف .

١٢ — ثم نصرناكم بعد ذلك يوم (العَيْن) ، وقد لحقكم فيه من العـــار ما ينكسف له وجه الشمس ، وضاقت فى وجوهكم الدنيا وأظلم النهار ،

---

(١) راجع البيت (٥) من هذه القصيدة ، البيت ٤٣ من القصيدة ١٥ ، البيتين ٢ ، ٨ من القصيدة ٧٣ . فكلها تدل على أن أم جهنام كانت أمة من إماء بنى عبدان ، فولدت لهم هذا الشاعر . والأعشى يعيره بوضاعة نسبه من جهة أمه .

وَقَالَ يُعَاتِبُ بَنِي عَبْدَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

١ — يَا لَقَيْسٍ لِمَا لَقِينَا ٱلْعَامَا ‌ ‌ ‌ أَلِعَبْدٍ أَعْرَاضُنَا أَمْ عَلَى مَا (خفيف)

٢ — لَيْسَ عَنْ بِغْضَةٍ حُذَافَ وَلٰكِنْ ‌ ‌ ‌ كَانَ جَهْلًا بِذَلِكُمْ وَعُرَامَا

٣ — لَمْ نَطَأْكُمْ يَوْمًا بِظُلْمٍ وَلَمْ نَهْ ‌ ‌ ‌ تِكْ حِجَابًا وَلَمْ نُحِلَّ حَرَامَا

٤ — يَا بَنِي ٱلْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدَانَ وَٱلْبِطْ ‌ ‌ ‌ نَةُ يَوْمًا قَدْ تَأْفِنُ ٱلْأَحْلَامَا

٥ — لِمْ أَمَرْتُمْ عَبْدًا لِيَهْجُوَ قَوْمًا ‌ ‌ ‌ ظَالِمِيهِمْ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ كِرَامَا

٦ — وَٱبْتَعَثْتُمْ .... ‌ ‌ ‌ ....

٧ — يَوْمَنَا بِالْمَسِيلِ فِي سَيِّدَيْهِمْ ‌ ‌ ‌ حَيْثُ جِئْتُمْ وَآدَّ ....

٨ — وَالَّتِي تُلْبِثُ الرُّءُوسَ مِنَ ٱلنُّعْ ‌ ‌ ‌ مَى وَيَأْبَى إِسْمَاعُهَا ٱلْأَقْوَامَا

٩ — يَوْمَ حَجْرٍ بِمَا أُزِلَّ إِلَيْكُمْ ‌ ‌ ‌ إِذْ تُذَكِّي فِي حَافَتَيْهِ الضِّرَامَا

١٠ — جَارَ فِيهِ نَافِي ٱلْعِقَابَ فَأَضْحَى ‌ ‌ ‌ آئِدَ النَّخْلِ يَفْضَحُ ٱلْجُرَّامَا

١١ — فَتَرَاهَا كَٱلْخُشْنِ تَسْفَحُهَا النِّي ‌ ‌ ‌ رَانُ سُودًا مُصَرَّعًا وَقِيَامَا

١٢ — ثُمَّ بِالْعَيْنِ عُرَّةٌ تَكْسِفُ الشَّمْ ‌ ‌ ‌ سَ وَيَوْمًا مَا يَنْجَلِي إِظْلَامَا

١٣ — إِذْ أَتَتْكُمْ شَيْبَانُ فِي شَارِقِ الصُّبْ ‌ ‌ ‌ حِ بِكَبْشٍ تَرَى لَهُ قُدَّامَا

(١ — ٣) يالقيس ، هو قيس بن ثعلبة ، جد الحيين المتخاصمين ، بنى عبدان بن سعد وبنى سعد بن ضبع . العبد مقصود به هنا جهنام خصم الأعشى . حذاف ترخيم حذافة ، وهو جد جهنام . الجهل السفه والاسراع للشر . العرام الشراسة والأذى .

(٤ — ٦) أفن الرجل (كعلم) ضعف رأيه ، وأفنه الله (كضرب) أذهب عقله . البطنة الشره وحب المأكل . وكان بنوعبدان قداتهموا الأعشى بأنه سطا على عسل لهم فاغتصبه . الأحلام العقول .

(٧ — ٩) اللبث البطء والتوقف . تلبث الرءوس أى تخضعها وتحنيها وتذلها اعترافاً بالجميل . أزل إليه نعمة أسداها إليه . حجر فى اليمامة بقرب مدينة اليمامة .

(١٠ — ١٣) (نافى العقاب) كذلك هى فى كل أصول الديوان كما نشره جاير . وتخريجها على هذا الضبط (بفتح الفاء في نافى) عسير ولكنها قد تكون (نافي) بكسر الفاء ، إسم فاعل من نفي بمعنى طرد . والعقاب الراية ، فيكون المعنى أن هذا الرجل الذي هزم الجيش وطرده (وهو يكنى عن الجيش بالعقاب وهى الراية) قد جار فى هذا اليوم وجاوز القصد فى انتقامه فأحرق نخيل القوم . آئد إسم فاعل من أود (كعلم) أى أعوج . الجرام جمع جارم وهو الذى يجمع ثمار النخيل . العين يقصد به عين التمر ، وهو يوم فطيمة ، وفطيمة امرأة من بنى سعد بن قيس (قوم جهنام) كانت عند رجل من بنى سيار (من شيبان) ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتعايرنا ، فعمدت السيارية إلى فطيمة فحلقت ذوائبها ، فاهتاج الحيان واقتتلا ، فهزمت بنوسيار يومئذ . العرة الجرب ، ويقصد به هنا العار والفضيحة . شارق الصبح وضح الصبح . الكبش سيد القوم . القدام الملك والسيد ومن يتقدم الناس بالشرف .

١٣ — إذ أغارت عليكم (شَيْبَان) فى وضح النهار ، يَقْدُمُهم سيد شريف همام .

١٤ — فعدونا عليهم مُهْطِعِين ، إسراعَ الظِماء إلى المـاء .

١٥ — برجال كأنهم الأُسْدُ استفزها مطارد ، وخيلٍ تعودت الإقدام .

١٦ — لا نقيها حد السيوف ، ولا نألم من جوع ، ولا نبالى ما يصيبنا فى القتال من مشقة وهزال .

١٧ — فما هى إلا ساعة من صدر النهار ، بمقدار ما يجمع الراعى أغنامه ، وقد توقع المطارحين دخل الظلام .

١٨ — من رجال شبابهم شجعان ، وكهولهم محنكون راجحو الأحلام .

١٩ — حتى ولى العدو هارباً ، حيث يَحْسُنُ الصبر والثبات ، نسوقه أمامنا كما تدفع ريح الجنوب سحابة خفيفة لا يثقلها المـاء .

* * *

فأذا فرغ الشاعر من تعديد أيادى قومه عليهم ختم ذلك بقوله :

٢٠ — إن ذاك الجفاء والكفران شىء قد فطرتم عليه فهو فى طبعكم . إن لنا عليكم لحقوقا ونعما ، ولـكنكم لا تشكرون .

* * *

وينتقل الشاعر من ذلك إلى الفخر بقومه فيقول :

٢١ — إذا أجدب الناس فى الشتاء ، وخمدت النيران تحت القدور ، حتى يتشوق الناس إلى دخان الطبخ تشوقهم إلى البخور .

٢٢ — سُمِعَ رنينُ أقداحنا ، تضرَبُ على الإبل الضخام حين يُكْرَه ذبحها .

٢٣ — برجال كرام يتيهون على كل سيد مختال ، ويفوقونه فى إطعام الجائع وقت الجدب فى الشتاء .

٢٤ — وخيام ضخام كأنها الهضاب ، ورماح حمر من آثار الدماء ، تدفع عن وجوه أصحابها الطِعان .

٢٥ — وخيلٍ قد تهيأت للغزو ، حيث يُتَوَقَّعُ هجوم العدو فأذا جاء القتال . وأدركت الغارة الإبل فى مراعيها ،

٢٦ — كان منا الذين يدافعون عنها ويحمون أطراف الحى ، حين يشتد النزال ، وتكشف العذارى عن الساق والخلخال .

١٤— فَغَدَوْنَا عَلَيْهِمُ بَكَرَ ٱلْوِرْ دِ كَمَا تُورِدُ النَّضِيحَ ٱلْهِيَامَا

١٥— بِرِجَالٍ كَٱلْأُسْدِ حَرَّبَهَا الزَّجْ رُ وَخَيْلٍ مَا تُنْكِرُ الْأَقْدَامَا

١٦— لَا نَقِيهَا حَدَّ ٱلسُّيُوفِ وَلَا نَأْ لَمُ جُوعًا وَلَا نُبَالِي السُّهَامَا

١٧— سَاعَةً أَكْبَرَ النَّهَارِ كَمَا شَـلَّ مُخِيلٌ لَبُونَهُ إِعْتَامَا

١٨— مِنْ شَبَابٍ تَرَاهُمُ غَيْرَ مِيلٍ وَكُهُولًا مَرَاجِحًا أَحْلَامَا

١٩— ثُمَّ وَلَّوْا عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ وَالصَّبْ رِ كَمَا يَطْحَرُ ٱلْجَنُوبُ ٱلْجَهَامَا

٢٠— ذَاكَ فِي جَبْلِكُمْ لَنَا وَعَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ لَوْ شَكَرْتُمُ ٱلْأَنْعَامَا

٢١— وَإِذَا مَا الدُّخَانُ شُبِّهَ ٱلْآ نُفُ يَوْمًا بِشَتْوَةٍ أَهْضَامَا

٢٢— فَلَقَدْ تُصْلِقُ ٱلْقِدَاحُ عَلَى النِّيـ بِ إِذَا كَانَ يَسْرُهُنَّ غَرَامَا

٢٣— بِمَسَامِيحَ فِي الشِّتَاءِ يَخَالُو نَ عَلَى كُلِّ فَالِجٍ إِطْعَامَا

٢٤— وَقِبَابٍ مِثْلِ ٱلْهِضَابِ وَخَيْلٍ وَصِعَادٍ حُمْرٍ يَقِينَ السِّمَامَا

٢٥— فِي مَحَلٍّ مِنَ الثُّغُورِ غُزَاةٍ فَإِذَا خَالَطَ الْغِوَارُ السَّوَامَا

٢٦— كَانَ مِنَّا ٱلْمُطَارِدُونَ عَنِ ٱلْأُخْـ رَى إِذَا أَبْدَتِ ٱلْعَذَارَى ٱلْخِدَامَا

(١٤ — ١٥) البكر (بالتحريك) والبكرة (بضم فسكون) واحد وهو أول الصبح ، وهى هنا ظرف زمان . النضيح الحوض ، لأنه ينضح عطش الابل حين تشرب منه . الهيام العطاش ، أى الابل العطاش . حربها أغضبها . الزجر الطرد مع صوت .

(١٦ — ١٨) السهام (بضم السين) الضمور والهزال . أتانى فلان أكبر النهار (بنصب أكبر على الظرفية) أى حين ارتفع النهار . شل طرد . أخيلت السماء إخيالا تهيأت للمطر ، وأخيل الرجل شام سحابة مخيلة ، وأخيل عليه الشىء اشتبه وأشكل . لبونه إبله ، واللبون ذات اللبن . إعتاماً حين دخلت العتمة ، وهى ثلث الليل الأول . الأميل الذى يميل على السرج ولا يثبت فوقه . مراجحاً أحلاماً أحلاماً تمييز أى أنهم راجحو العقول .

(١٩ — ٢١) الحفيظة الغضب فيما يجب صونه والدفاع عنه . طحره دفعه وقذف به . الجنوب ريح . الجهام السحاب الذي لاماء فيه . جبله الله جبلا خلقه ، وجبله على الشىء فطره وطبعه . آنف جمع أنف . أهضام جمع هضم (بفتح فسكون) وهو البخور .

(٢٢ — ٢٤) الصلق الصوت الشديد ، وصلق نابه حكه بآخر لحدث بينهما صوت . القداح هى قداح الميسر . النيب جمع ناب ، وهى الناقة المسنة ، قيل سميت بذلك لطول نابها . غراماً أى مكروه . أى أنهم يضربون القداح على مثل هذه النوق الكبار حين يكره ذبحها فى الميسر لشدة الجدب فى الشتاء . والعرب تفخر بالميسر فى مثل هذا الوقت لأنه دليل الكرم الحق . مساميح كرماء . يخالون يختالون ويباهون . فلج على خصمه (كنصر) ظهر عليه . قباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . صعاد جمع صعدة (بفتح فسكون) وهى القناة التى تنبت مستقيمة . حمر من أثر الدماء . سمام الانسان فمه ومنخراه وأذناه ، أى أن هذه الرماح تدفع عن أصحابها أن ينالهم الطعن .

(٢٥ — ٢٦) الثغر الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو . الغوار الغارة ، مصدر غاور . السوام الابل الراعية . الخدام جمع خدمة (بثلاث فتحات) وهو الخلخال والساق .

يتحدث الشاعر فى هذه القصيدة عن ذكريات شبابه ، وعن لهوه ومجونه ، حديث المباهى المتاخر . حتى يبلغ البيت (٣٧) . ولكنه يختم قصيدته بوصف قصير لرحلة مضنية ، انتهت به إلى (سعد بن قيس) ـ وهو رجل او قبيلة لم أوفق لتحقيقها ـ فيذم هذا الرجل أو هذه القبيلة فى أبيات لا تكاد تربطها ببقية القصيدة صلة . ويمتاز الغزل فى هذه القصيدة ، بنزعة واضحة إلى الأسلوب القصصى ، الذى عرف به عمر بن أبي ربيعة بعد ذلك ، وبرع فيه . وسنرى مثالا آخر لهذا الأسلوب القصصى فى القصيدة (٥٤)

يقول الشاعر :

١ — أوصلت حبل الود من (سلمى) ، بعد أن انقطع لطول الهجر والاجتناب ؟

٢ — ورجعت بعد الشيب ، تبغي ودها ، وتلح فى طلبها ، وقد مضى الشباب ؟

٣ — أَقْصِرْ وآتِهِ خيراً لك ، فلقد قاسيت من قبل فى حبها العذاب .

٤ — والزجاجة إذا تحطمت لم تلتئم مرة أخرى ، وإن شُدَّتْ بعِصَاب .

* * *

٦ — وما من شيء إلا هو إلى زوال . وستهلك القرى يوما وتبيد ، من قبل أن يحق عليها العذاب .

٧ — وتصير بعد بهائها وعمارتها إلى الخراب .

٨ — ألم ترى ياصاحبتى إلى (حِجْر) ـ وأنت حكيمة تعقلين ـ وهى رهينة البلى والاكتئاب .

٩ — تمرح الثعالب فى ضحوة النهار لدى أبوابها والشِّعاب .

١٠ — ويُسمع للجن من حولها عزيف كرَطَانَةِ الأحباش فى المحراب .

١١ — وقد مرت من دون ذلك سنون وأحقاب .

٥ — حتى ما يتبين الناظر فيما بقى من الأطلال ، ما ينبىء عن بهائها وروعتها التى توارت بالحجاب ؟

* * *

١٢ — ولقد ساومت الكواعب فغلبتهن ، وأمتعت نفسى بأُفساد الغانيات .

١٣ — أخون غفلة قومها ، إذ يطوفون حول قبابها الشامخات .

١٤ — يحاذرون عليها أن تُرَى ، أو أن يطوف ببابها الغُواة .

وقال :

(مجزوء الكامل)

١ — أَوَصَلْتَ صُرْمَ ٱلْحَبْلِ مِنْ ... سَلْمَى لِطُولِ جِنَابِهَا

٢ — وَرَجَعْتَ بَعْدَ الشَّيْبِ تَبْـ ... ـغِى وُدَّهَا بِطِلَابِهَا

٣ — أَقْصِرْ فَأَنَّكَ طَالَمَا ... أُوضِعْتَ فِي إِعْجَابِهَا

٤ — أَوَلَنْ يُلَاحَمَ فِي الزُّجَا ... جَةِ صَدْعُهَا بِعِصَابِهَا

٥ — أَوَلَنْ تَرَى فِي الزُّبْرِ بَيِّـ ... ـنَةً بِحُسْنِ كِتَابِهَا

٦ — إِنَّ الْقُرَى يَوْمًا سَتَهْـ ... ـلِكُ قَبْلَ حَقِّ عَذَابِهَا

٧ — وَتَصِيرُ بَعْدَ عِمَارَةٍ ... يَوْمًا لِأَمْرِ خَرَابِهَا

٨ — أَوَلَمْ تَرَىْ حِجْرًا - وَأَنْـ ... ـتِ حَكِيمَةٌ - وَلِمَا بِهَا

٩ — إِنَّ الثَّعَالِبَ بِالضُّحَى ... يَلْعَبْنَ فِي مِحْرَابِهَا

١٠ — وَٱلْجِنُّ تَعْزِفُ حَوْلَهَا ... كَٱلْحُبْشِ فِي مِحْرَابِهَا

١١ — نَخِلَا لِذَلِكَ مَا خَلَا ... مِنْ وَقْتِهَا وَحِسَابِهَا

١٢ — وَلَقَدْ غَبَنْتُ ٱلْكَاعِبَا ... تِ أَحَظُّ مِنْ تَخْبَابِهَا

١٣ — وَأَخُونُ غَفْلَةَ قَوْمِهَا ... يَمْشُونَ حَوْلَ قِبَابِهَا

١٤ — حَذَرًا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى ... أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَابِهَا

(١ — ٣) صرمه صرما وصرماً (بفتح الصاد وضمها) قطعه. جانبه جنابا ومجانبة. طلاب مصدر طالب. أقصر عن الأمر كف وانتهى. أوضعت الأبل (على البناء للمعلوم) أسرعت فى سيرها. وأوضع فى تجارته (على البناء للمجهول) خسر فيها ولم يربح. أوضع (على البناء للمعلوم أسرع). الإعجاب (بالكسر) مصدر من أعجب بالشىء. ويجوز أن تكون أعجابها (بفتح الهمزة) جمع عجب، وهو الروعة التى تعترى الناظر إذا استحسن شيئا واستعظمه.

(٤ — ٦) العصب والعصاب شد الشىء وضمه. الصدع الشق والكسر. الزبر جمع زبور (بفتح الزاى) وهو الكتاب، وهو فعول بمعنى مفعول، من زبر الكتاب (كضرب ونصر) كتبه. وموضع هذا البيت (٥) أن يجىء بعد البيت (٧) أو (١١). الحق الأمر المقضى. وحق الأمر وجب وثبت.

(٧ — ٩) الحجر (بكسر الحاء) مساكن ثمود فى الشام إلى الجنوب من دومة الجندل. والحجر (بفتح الحاء) من منازل بنى حنيفة (ابن بكر بن وائل) فى اليمامة. لما بها من الخراب. تقول هو لما به إذا كان هالكا.

(١٠ — ١٤) عزفت الجن صوتت وصاحت فى الصحارى. المحراب مجلس الناس ومجتمعهم. غبنه فى البيع والشراء خدعه وغلبه. حظ (كعلم) كان ذا حظ. تخبابها من خب المرأة والامة إذا أفسدها على صاحبها. القبة الخيمة الضخمة.

١٥ — فبعثت رسولا لنا شيطانا ، ليأتينا منها بالجواب .

١٦ — فمشى إليها لا يخشى الرقباء ، حتى تخلص إليها غيرَ هيَّاب .

١٧ — فنازعها الحديث مُخَافِتا ، فلما لَوَتْهُ أقام عليها الحجة رَجُلٌ غَلاَّب .

١٨ — حديدُ اللسان ، حاذق فطن ، لا تعييه الحيلة ولا يعدم الأسباب .

١٩ — رقيق بالنساء ، خبير بلين حديثهن ، حتى أسلست له القياد .

٢٠ — وقالت : قد قلت حقا ، ولم تتجاوز الرشاد والسداد

٢١ — فراودها ، كيف السبيل إلى دخول الحى ، وكيف آتيها فى الميعاد .

٢٢ — فى قبتها الحمراء ، التى تزين سقفها طُرَّةٌ وضاءة غراء .

٢٣ — ولم ينس ماقال له صاحبه ، حين بعثه إلى صاحبته الحسناء .

٢٤ — وأوصاه أن يرفق بها ولا يعنف عليها ، فهى صغيرة قليلة التجربة والدهاء .

٢٥ — وليس يُتَوَسَّل إلى مثلها بالعنف ولا بالجفاء .

٢٦ — ....

٢٧ — فأنا أخشى أن تغضبها ، فينعق الغراب بيننا بانقضاء الود والصفاء .

* * *

٢٨ — ودخلت إليها وقد نام الرقباء ، فبت إلى جانبها لا يفصلنا حجاب

٢٩ — حتى إذا أَنِسَتْ إلى ، بعد طول المعابثة واللّعاب .

١٥ــ فَبَعَثْتُ جِنِّيًّا لَنَا ... يأْتِي بِرَجْعِ حَدِيثِهَا

١٦ــ فَمَشَى وَلَمْ يَخْشَ ٱلْأَنِيـ ... ـسَ فَزَارَهَا وَخَلَا بِهَا

١٧ــ فَتَنَازَعَا سِرَّ ٱلْحَدِيـ ... ـثِ فَأَنْكَرَتْ فَنَزَا بِهَا

١٨ــ عَضْبُ اللِّسَانِ مُتَقِّنٌ ... فَطِنٌ لِمَا يُعْنَى بِهَا

١٩ــ صَنَعٌ بِلِينِ حَدِيثِهَا ... فَدَنَتْ عُرَى أَسْبَابِهَا

٢٠ــ قَالَتْ قَضَيْتَ قَضِيَّةً ... عَدْلًا لَنَا يُرْضَى بِهَا

٢١ــ فَأَرَادَهَا كَيْفَ الدُّخُو ... لُ وَكَيْفَ مَا يُؤْتَى لَهَا

٢٢ــ فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ زَيَّـ ... ـنَهَا ٱئْتِلَاقُ طِبَابِهَا

٢٣ــ وَدَنَا تَسَمُّعُهُ إِلَى ... مَا قَالَ إِذْ أَوْصَى بِهَا

٢٤ــ إِنَّ ٱلْفَتَاةَ صَغِيرَةٌ ... غِرٌّ فَلَا يُسْدَى بِهَا

٢٥ــ وَٱعْلَمْ بِأَنِّي لَمْ أُكَلِّـ ... ـمْ مِثْلَهَا بِصِعَابِهَا

٢٦ــ فِيهِنَّ ....

٢٧ــ إِنِّي أَخَافُ الصُّرْمَ مِنْـ ... ـهَا أَوْ شَحِيجَ غُرَابِهَا

٢٨ــ فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ الرَّقِيـ ... ـبُ فَبِتُّ دُونَ ثِيَابِهَا

٢٩ــ حَتَّى إِذَا مَا ٱسْتَرْسَلَتْ ... مِنْ شِدَّةٍ لِلِعَابِهَا

(١٥ ــ ١٦) جنيا يقصد رسولا حاذقا ذكيا . ما بالدار من أنيس أى ليس بها أحد ، والأنيس كل مأنوس به .

(١٧ ــ ١٩) تنازعا سر الحديث ، أى أنه كان يناقشها فى صوت مخفوض حتى لا يسمعهما أحد . نزا وثب ، أى أنه حاجها فغلبها . عضب اللسان فاعل نزا ، يقصد صاحبه ، والعضب الحاد القاطع ، أى أنه رجل حديد اللسان . متقن يتقن التأتى لما يريد . صنع رفيق .

(٢٠ ــ ٢٢) كيف ما يؤتى ، ما مصدرية أي كيف السبيل إلى المجيء إليها . طبابة السماء وطبابها طرتها المستطيلة .

(٢٣ ــ ٢٥) إلى ما قال ، الضمير فى قال يعود على الأعشى نفسه ، يقول إن هذا الرسول قد استمع إلى وصيته حين أوصاه بصاحبته . يسدى بها من قولهم . سدى الصبي بالجوز (كنصر) وأسدي به كذلك ، أى لعب به . صعابها ، مصدر صاعبه أى كده وأجهده ، ضد ساهله .

(٢٦ ــ ٢٩) الصرم القطيعة . الشحيج نعيق الغراب . بت قضيت ليلتى . دون ثيابها أى قريبا منها . ودون تكون بمعنى أمام وخلف وفوق وتحت ، وهي ظرف يفيد القرب على كل حال . استرسل إليه انبسط اليه واستأنس . لعاب مصدر لاعب .

٣٠ -- قسَّمتها قسمين ، أرْمِي بها كلَّ وجه ، وأصرِّفها كيفما أشاء .

٣١ ــ فأثني جيدها الفتان ، أو أَلمس بطنها الملساء .

٣٢ ــ وكأَنها وعاء طِيبٍ أصفر، لصق به عَبِيرٌ خالطه (المَلاَب) .

٣٣ ــ وقد وُضِع بيننا إناء الخمر ، مرفوعا قد أُعِدَّ للشراب .

٣٤ ــ وظلت تجرى بيننا الخمر يسعى علينا الساقى بالأكواب ، وقد شد على فمه خرقة بيضاء

٣٥ ــ وعلق فى أذنيه لؤلؤتين ، يسير فى خفة ونشاط ، ويعدو بالكأس مسرعا يلبى النداء

٣٦ ــ ....

٣٧ ــ ....

٣٨ ــ رب صحراء مجدبة شهباء ، قد جُلِّلت آكامها بالسراب .

٣٩ ــ ركدت فوقها الشمس طوال النهار ، تصب عليها لهيبها الوهاج .

٤٠ ــ حتى احتدم فيها الحر ، فالجر الملتهب مثل ترابها حين تلتهب الرمال .

٤١ ــ خُضْتُها بناقة صلبة ، مأمونه العِثار، حين تسرع باديةَ النشاط .

٤٢ ــ فلم أزل أدمن بها السير حتى عراها الكلال ، وبدت فِقار ظهرها من شدة الهزال .

٣٠— قَسَّمْتُهَا قِسْمَيْنِ كُلَّ مُوَجَّهٍ يُرْمَى بِهَا

٣١— فَثَنَيْتُ جِيدَ غَرِيرَةٍ وَلَمَسْتُ بَطْنَ حِقَابِهَا

٣٢— كَالْحُقَّةِ الصَّفْرَاءِ صَاكَ عَبِيرُهَا بِمَلَابِهَا

٣٣— وَإِذَا لَنَا تَامُورَةٌ مَرْفُوعَةٌ لِشَرَابِهَا

٣٤— وَنَظَلُّ تَجْرِى بَيْنَنَا وَمُفَدَّمٌ يَسْقِى بِهَا

٣٥— هَزِجٌ عَلَيْهِ التَّوْمَتَانِ إِذَا نَشَاءُ عَدَا بِهَا

٣٦— .... أَكْوَابِهَا

٣٧— .... حَوْلٍ كَامِلٍ وَقْتًا لِحِينِ إِيَابِهَا

٣٨— وَوَدِيقَةٍ شَهْبَاءَ رُدِّىَ أَكْمُهَا بِسَرَابِهَا

٣٩— رَكَدَتْ عَلَيْهَا يَوْمَهَا شَمْسٌ بِحَرِّ شِهَابِهَا

٤٠— حَتَّى إِذَا مَا أُوقِدَتْ فَالْجَمْرُ مِثْلُ تُرَابِهَا

٤١— كَلَّفْتُ عَانِسَةً أَمُو نًا فِى نَشَاطِ هِبَابِهَا

(٣٠ — ٣١) موجه مصدر ميمى من وجه ، أى أنه يرمى بها كل وجه ويصرفها كيفما أراد . الغريرة الساذجة القليلة التجربة . الحقاب شىء تتخذه المرأة لتعلق به معاليق الحلى وتشده إلى وسطها ، وقد يقصد به هنا سراويلها .

(٣٢ — ٣٣) الحقة وعاء الطيب ، وهى صفراء من أثر الطيب ، وهو يصور بشرة صاحبته صفراء لكثرة ما تضمخ به من طيب وزعفران . صاك لصق ، ويقصد به هنا اختلاط العبير بالملاب . والعبير أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر والدهن ونحو ذلك مما يتعطر به . والملاب كل عطر سائل (فارسى معرب) . التامورة صومعة الراهب (فارسى ـ الجوالق) وفى شرح الطبعة الأوروبية . التامورة وعاء لشرابها ، ولم أجده فى المعاجم . مرفوعة أى رفيعة أو مقربة مهيأة .

(٣٤ — ٣٦) نظل تجرى أى الخمر ؛ الضمير يعود عليها لأنها مفهومة مما قبلها وما بعدها . المفدم الذي وضع على فمه الفدام ؛ وهى خرقة تشدها العجم والمجوس على أفواهها عند السقى . هزج (كطرب) ترنم وأنشد وطرب فى صوته . والهزج كذلك الخفة وسرعة رفع القوائم ووضعها ، وهو المقصود هنا . التومة (بضم التاء) حبة من فضة شبه الدرة توضع فى الأذن كالقرط .

(٣٧ — ٣٨) الوديقة شدة الحر في الهاجرة ، والمقصود هنا الصحراء الملتهبة فى وقت الهاجرة . شهباء مجدبة لا نبات فيها ، والشهبة بياض خالطه سواد خفيف ، وسميت السنة المجدبة شهباء لأن النبات يجف فيها ويشهب . أكم جمع أكمة (بالتحريك) وهى التل والرابية رديت هذه التلال بالسراب كأنها ألبسته وجللت به .

(٣٩ — ٤١) ركدت الشمس سكنت وثبتت فوق الرءوس حين يقوم قائم الظهيرة . الشهاب شعلة من نار ساطعة . الجمر مثل ترابها تشبيه مقلوب ، وهو يقصد به المبالغة ، والحقيقة أن ترابها مثل الجمر . عانسة ناقة صلبة . أمون يؤمن عثارها . هبابها نشاطها .

٤٣ — تشكو إلى ما أصابها من ضر وإعياء .

٤٤ — وكأنها محموم أصابته حمَّى (خيبر) ، ثم أفاق من البلاء .

٤٥ — بعد أن لعبت به سنين ونهكت قواه ، فهو بادى الإعياء .

* * *

٤٦ — وردت ناقتى على (سعد بن قيس) ، بها ما بها من الضر والهزال .

٤٧ — فإذا عبيد مقيمون لايبرحون ، مستمسكون بالأصنام .

٤٨ — وقد تجمعت (ثعلبة بن سعد) كلها حول الخيام .

٤٩ — فعجبت ...

٥٠ — من شربها الخمر ، وما دخل جوفى شىء مما يشربون

٥١ — وعلمت عند ذاك أن الله قد أراد بهم الهلاك ، وجعلهم مُثْلَةً للناس .

٤٢- أَكْلَلْتُهَا بَعْدَ ٱلْمِرَا ... حِ فَآلَ مِنْ أَصْلَابِهَا

٤٣- فَشَكَتْ إِلَيَّ كَلَالَهَا ... وَٱلْجَهْدَ مِنْ أَتْعَابِهَا

٤٤- وَكَأَنَّهَا مَحْمُومُ خَيْـ ... ـبَرَ بَلَّ مِنْ أَوْصَابِهَا

٤٥- لَعِبَتْ بِهِ ٱلْحُمَّى سِنِيـ ... ـنَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهَا

٤٦- وَرَدَتْ عَلَى سَعْدِ بْنِ قَيْـ ... ـسٍ نَاقَتِي وَلِمَا بِهَا

٤٧- فَإِذَا عَبِيدٌ عُكَّفٌ ... مُسُكٌ عَلَى أَنْصَابِهَا

٤٨- وَجَمِيعُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْـ ... ـدٍ بَعْدُ حَوْلَ قِبَابِهَا

٤٩- فَعَجِبْتُ ....

٥٠- مِنْ شُرْبِهَا ٱلْمُزَّاءَ مَا ٱسْـ ... ـتَبْطَنَتْ مِنْ إِشْرَابِهَا

٥١- وَعَلِمْتُ أَنَّ ٱللهَ عَمْـ ... ـدًا حَسَّهَا وَأَرَى بِهَا

(٤٢ — ٤٤) أكللتها أتعبتها . المراح النشاط . آل نقص رضمر . أصلاب جمع صلب (بضم فسكون) وهو عظم فى الظهر ذو فقار من لدن الكاهل إلى الذنب (وهو ما نسميه الآن السلسلة الفقرية) . خيبر مدينة كبيرة من مدن الحجاز على ثمانية برد من المدينة إلى الشام ، رديئة الهواء ، كثيرة الوباء ، تنتشر فيها الحمى . بل من مرضه وأبل واستبل أفاق . أوصاب جمع وصب (بالتحريك) وهو الوجع والتعب .

(٤٦ — ٤٨) لما بها من التعب المضنى ، تقول هو لما به إذا كان هالكا . عكف جمع عاكف وهو المقيم والمحبوس . مسك به (كنصر وضرب) أخذ به وتعلق واحتبس واعتصم . الأنصاب جمع نصب (بضم فسكون) وهو كل ما عبد من دون الله . القباب جمع قبة وهى الخيمة الكبيرة . ثعلبة بن سعد قبيلة ، لعلها من ذبيان .

(٥٠ — ٥١) المزاء الخمر . الاشراب (بكسر الهمزة) مصدر أشربه أى جعله يشرب . وأشرب الرجل عطش (ضد) . وأشرب بفلان كذب عليه . وقد تكون الأشراب (بفتح الهمزة) جمع شرب (بكسر فسكون) وهو الماء المشروب والمورد ووقت الشرب . والمعنى الاجمالى للبيت غير واضح لى على التحقيق . حسها أهانها واستأصلها أري بها أي جعل الناس يرون بها ذلك .

يتصل خبر هذه القصيدة بالقصيدتين السابقتين (٢٦) و (٣٤) . وقد مضى الكلام في الأولى عن رحلة قيس بن مسعود إلى كسرى . وفصلنا في الثانية الحديث عن ذى قار . وبقى للأعشى فى ديوانه غير هذه القصائد الثلاث قصيدة أخرى هى (٥٦).
والأعشى يخص بنى ذهل بن شيبان فى هذه القصيدة بمدحه وثنائه — وكانوا من أحسن الناس بلاء فى هذا اليوم — فيقول:

---

١ — تفدى ناقتى وصاحبُها بنى ذهل بن شيبان يوم النزال ، وأعلى الله ذكرهم من رجال .

٢ — فلقد ضربوا مقدمة (الهامَرْز) فى (حِنْوِ قُرَاقِرِ) ، حتى تولت فى شرّ حال .

٣ — ألا سلمت عينا من رأى هذه العصابة من الأبطال ، يردون كيد البغاة ويذيقونهم النكال .

٤ — فهم أشد نكاية فى القتال من هؤلاء الذين أتوهم من (البطحاء) ، يبرق فوق رءوسهم الحديد ، وتخفق فوقهم الرايات الطوال .

٥ — واختلط أمر الناس ، واضطربوا فى ثورتهم الهائجة ، يحول بينهم الموت ، وتلفحهم الغمرات والأهوال .

٦ — وقد جد الجد ، واحتدم القتال ، كالجمر حامياً ، يصرع الرجال ، ويُلْوِى بالآجال .

٧ — عند ذلك أغنت بنو شيبان وكفوا قومهم ، وقد أقبل (الهامرز) تخفق فوقه رايته ؛ كأنها عقاب كاسر هوى متعلقاً فى الفضاء .

٨ — وقاموا من دون الحِمَى يقاتلون ويمنعون النساء ، وقد حللنا هوادجهن وقطعنا سيورها ، فنزلن إلى الأرض لايستطعن الفرار .

وقال يمدح بني شَيْبَان بن ثَعْلبة في يوم ذي قار :

١ — فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ وَقَلَّتِ (طويل)

٢ — هُمُو ضَرَبُوا بِالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ مُقَدِّمَةَ الْهَامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ

٣ — فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ عِصَابَةٍ أَشَدَّ عَلَى أَيْدِي السُّعَاةِ مِنَ الَّتِي

٤ — أَتَتْهُمْ مِنَ الْبَطْحَاءِ يَبْرُقُ بَيْضُهَا وَقَدْ رُفِعَتْ رَايَاتُهَا فَاسْتَقَلَّتِ

٥ — فَثَارُوا وَثُرْنَا وَالْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا وَهَاجَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ

٦ — وَقَدْ شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَمْطَاءُ لَاقِحٌ عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا فَأَضَلَّتِ

٧ — كَفَوْا إِذْ أَتَى الْهَامَرْزُ تَخْفِقُ فَوْقَهُ كَظِلِّ الْعُقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ

٨ — وَأَحْمَوْا حِمًى مَا يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحَتْ لَنَا ظُعُنٌ كَانَتْ وُقُوفًا فَحَلَّتِ

٩ — أَذَاقُوهُمُو كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَذِخَتْ فُرْسَانُهُمْ وَأَدَلَّتِ

(١ — ٢) راكبها يعني نفسه . يوم اللقاء لقاء الأعداء في القتال . قلت من قل الشيء (لازم) أي علا ، وقل النبات أناف وارتفع . والضمير في قلت يعود على ذهل بن شيبان . يفديهم بناقته وبنفسه يوم القتال لما أبلوا من بلاء ، ويدعو لهم بالعلا . الحنو في اللغة كل شيء فيه اعوجاج ، وكل منعرج فهو حنو . وحنو قراقر وحنو ذي قار، والبطحاء ،كلها مواضع قرب الكوفة حيث جرت المعركة المشهورة بين الفرس وبكر بن وائل . الهامرز أحد قادة كسرى في هذا اليوم . وكانت شيبان على ميمنة بكر بإزاء كتيبة الهامرز . مقدمة الجيش (بفتح الدال وكسرها) طائفة متقدمة منه .

(٣ — ٤) العصابة هم بنو ذهل بن شيبان ومن حرف جر زائد . يتعجب ممن رأت عيناه هذه العصابة وهم يقاتلون . أشد صفة لعصابة . السعاة الذين يسعون للحرب ويهيجونها ، وهم الفرس . وروى (السقاة) أي الذين يتساقون الموت بينهم . وروى كذلك (أشد إذا خام الكماة) خام أي جبن . الكماة الفرسان المغطون بالسلاح . من التي تضمين وهو قبيح ، والتضمين بالموصول من أقبح الأشياء ، لأنه يفصل بين الصلة والموصول وهما كالشيء الواحد . وصلة الموصول (أتتهم) في البيت التالي . أي أنهم أشد في القتال من الكتيبة التي أتتهم من البطحاء ، وهم الفرس . والبطحاء كما تقدم قرب ذي قار . البيض جمع بيضة ، وهي غطاء للرأس يلبسه المقاتل ليقيه ، وكذلك المغفر . استقلت علت وارتفعت .

(٥ — ٦) الغمرة الشدة والزحام . هاجت ثارت وانبعثت . تجلت تكشفت وظهرت . شمرخف للأمر وجد ونشط . شمطاء عجوز، والأشمط هو الذي خالط بياض رأسه سواد ، يصف الحرب بذلك . لاقح شديدة عظيمة ، وهو على تشبيه الحرب بالأنثى الحامل التي لا يدري ما تلد . عوان قوتل فيها مرة بعد مرة فهي حرب طويلة مريرة . والعوان في الأصل التي ولدت للمرة الثانية بعد بطنها الأولى . همزه (كضربه) ضغطه وصرعه وعصره . أضله دفنه وغيبه وأهلكه .

(٧ — ٩) كظل العقاب صفة لموصوف محذوف أي رايه كظل العقاب . وظل كل شيء شخصه وسواده . والعقاب طائر من الجوارح ، وهو سيد الطيور عند العرب ، ويسمونه الكاسر . هوت العقاب انقضت على فريستها . تدلت تعلقت ونزلت . الحمى ما حمي من أرض أو شيء فكان محرما لا يقربه أحد . أحمى الحمى منعه وحماه . ما هنا موصولة ، مفعول أحموا ، أي أنهم منعوا ما يمنعون من حمى . ظعن (ككتب) جمع ظعينة وهي الهودج فيه امرأة أو المرأة نفسها . يشير الشاعر بهذا إلى ما فعل حنظلة ابن ثعلبة حين قطع الوضن (جمع وضين . وهو الحزام الذي يربط الرحل ببطن البعير) حتى لا تهرب النساء فينهزم الرجال . حلت أي نزلت ، لأن النساء نزلت من الهوادج بعد تقطيع الوضن . بذخ (كعلم) تكبر وعلا . أدل تاه وترفع .

٩ — سقوهم كأس الموت المرير ، وقد أقبلوا يتيهون فى عُجْبٍ وإدلال .

١٠ — تبرق عليهم الدروع ، سابغة تغطى سائر الجسد ، خفيفة لا تعوق الحركة ، وتلمع فوق رءوسهم الخوذات كأنها النجوم .

١١ — وأقفرت حومة الوغى من كل شىء ، إلا من الدروع الفضفاضة ، مبعثرة هنا وهناك ، وقد هبط فريق منهم إلى السهول متشبثاً بالقتال .

١٢ — ففاجأهم جنودنا صباحاً فى (حِنْوِ قُرَاقِرِ) و (ذى قار) ، فحطموا جموعهم ، ونالوا منهم كل منال .

١٣ — ينقضون عليهم بأفراسهم القوية المحبوكة الظهور ، وكأنها عقبان تهوى من فوق برج عال .

١٤ — وتفتحت أبواب السماء بالموت ، ينهمر على (الهامَرْز) وسط بيوتهم ليذوق الوبال .

١٥ — عند ذلك كف الفرس عن غُلَوائهم ، وردهم إلى صوابهم مالقوا من ثبات فوارس (شَيْبان) ، وصبرهم على مكاره الحرب والنزال .

١٦ — وفاتهم (قيس بن مسعود) فلم يدركوه ، فرجوت أن ينجو ، على ما ارتكب من خطاء ، وماتردى من عار .

١٧ — وعدنا بنسائهم ، نسوقهن أمامنا ، ونقتسمهن بيننا ، يعشن فى ذل السبى راغمات .

١٨ — لعمرك ما يُضْنِي الفتى شىء كالهَمِّ الثقيل حين تنطوى الصدور على الأمر الجليل .

١٠ — سَوَابِغهمْ بِيضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ ... مِنَ ٱلْبِيضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ ٱسْتَقَلَّتِ

١١ — ولَمْ يَبْقَ إلّا ذَاتُ رَيْعٍ مُفَاضَةٌ ... وَأَسهَلَ مِنْهُمْ عُصْبَةٌ فَأَطَلَّتِ

١٢ — فَصَبَّحَهُمْ بِٱلْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... وَذِى قَارِهَا مِنْهَا ٱلْجُنُودُ فَفُلَّتِ

١٣ — عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ ... عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إذْ تَعَلَّتِ

١٤ — فَجَادَتْ عَلَى ٱلْهَامَرْزِ وَسْطَ بُيُوتِهِمْ ... شَآبِيبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ وَٱسْتَهَلَّتِ

١٥ — تَنَاهَتْ بَنُو ٱلْأَحْرَارِ إذْ صَبَرَتْ لَهُمْ ... فَوَارِسُ مِنْ شَيْبَانَ غُلْبٌ فَوَلَّتِ

١٦ — وَأَفْلَتَهُمْ قَيْسٌ فَقُلْتُ لَعَلَّهُ ... يَبِلُّ لَئِنْ كَانَتْ بِهِ النَّعْلُ زَلَّتِ

١٧ — فَمَا بَرِحُوا حَتَّى ٱسْتُحِثَّتْ نِسَاؤُهُمْ ... وَأَجْرَوْا عَلَيْهَا بِالسِّهَامِ فَذَلَّتِ

١٨ — لَعَمْرُكَ مَا شَفَّ ٱلْفَتَى مِثْلُ هَمِّهِ ... إذَا حَاجَةٌ بَيْنَ ٱلْحَيَازِيمِ جَلَّتِ

---

١٠ — سوابغهم دروعهم السابغة أى التى تغطي سائر الجسد . خفاف لا تثقل لابسيها فتعوقهم عن الحركة فى القتال . يصف استعدادهم الكامل للقتال ، ليقول بعد ذلك إنهم قد هزموهم وهم فى كامل عدتهم . استقلت ارتفعت ، يشبه البيض فى بريقه فوق رءوسهم بالنجوم فى السماء .

(١١ — ١٢) الريع من الدرع فضول كمها وذيلها ، مفاضة واسعة . أسهلوا نزلوا إلى السهل . أطلت (على البناء للمعلوم) من قولهم أطل عليه بالأذى إذا لم يزل له مؤذيا . فان بنيت للمفعول فهى من أطل (على البناء للمجهول) أي أهدر دمه وذهب فلم يثأر له ، ذى قارها ، الضمير يعود على (حنو قراقر) ، وهو ضعيف على كل حال لم يقصد به إلا إقامة الوزن . منها أي من الحنو وهو المنعرج والمنحنى فى الطريق . فلت هزمت وشردت . وأصله من تفلل السيف وهو تثلمه وتكسر حده . يشير الشاعر إلى ما روى الرواة من أن جيوش الفرس فرت إلى السواد فتبعتهم بكر تقتلهم ، فلم ينج منهم إلا القليل .

(١٣ — ١٤) السراة الظهر والوسط . فرس محبوك السراة أى محكم الخلق شديد وثيق . المرقب الموضع المرتفع الذى يشرف من فوقه الرقيب . (على كل محبوك السراة) حال من الجنود فى البيت السابق . يشبه الفرس فى اندفاعه فى القتال بالعقاب حين تنقض على فريستها من مرقبها . جادت السماء مطرت . شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر . أسبل المطر هطل. استهل وانهل اشتد انصبابه مع صوت .

(١٥ — ١٦) تناهى عن الشىء كف . وتناهى القوم عن المنكر نهى بعضهم بعضا . بنو الأحرار هم الفرس . غلب جمع أغلب ، وهو الغليظ العنق ، يكنى به هنا عن القوة ومتانة بنيان الجسم ، وفعله غلب (كعلم) . قيس هو قيس بن مسعود . بل فى الأرض (كضرب) ذهب . وبل من مرضه وأبل أفاق . (إن كانت به النعل زلت) أى إن كان أخطأ بمسيره مع جيوش كسرى . والظاهر أن كسرى تشكك فى أمره فطلبه فهرب منه (راجع القصيدة نمرة ٢٦)

(١٧ — ١٨) استحثت نساؤهم سيقوا أمام القوم وقد أخذن سبايا ، يدفعن طلبا للاسراع . أجروا عليها بالسهام ، اقترعوا عليهن فيخرج لكل مقاتل سهمه أى نصيبه من السبايا . شفه الحزن أضناه . الحيازيم جمع حيزوم وهو الصدر أو موضع الحزام . جلت عظمت . الهم ماهم به الرجل من شىء ، وأعمل فكره فى إنفاذه . وشبيه بهذا البيت قول المتنبى .

وأتعب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهى النفس وجده

(٤١)

يستشهدون بهذه الأبيات على أن الطلاق كان معروفاً في الجاهلية . وقد روى صاحب الأغاني هذه الأبيات في أخبار الأعشى ، وذكر فيها ضروبا من الألحان لكثير من المغنين المشهورين ، كاسحق ، وابن جامع ، وفليح ، وابن سريج ، وقال إنها كانت تغنى في أيامه مع شيء من التبديل . وروى أن الأعشى قالها في امرأة له من هزان ، تزوجها ، ثم لم يرضها ولم يستحسن خلقها ، فطلقها . وأضاف بعض الرواة إلى ذلك ، أنه كان يدخل عليها بعد أن ذهب بصره ، فيجد رجلا غريبا . فاذا سألها عنه زعمت أنه بعض أهلها . فرابه ذلك من أمرها فطلقها .

يقول الأعشى :

١ — اذهبي ياصاحبتي ، فأنت طالق . وكذلك تعرض للناس في حياتهم شئون ، وتجد أمور ، في الليل أو في النهار .

٢ — فارقيني ، فالفراق خير لك من العصا ، وإن لاتفعلي ، لم تزل العصا فوق رأسك تُضْرَبين .

٣ — وليس ذلك من جرم عظيم ارتكبته ، أو خطب فادح اقترفته .

٤ — اذهبي عفيفةً طاهرة غير ذميمة ، بل محبوبة ـ كذلك ـ كما كنت تحبينني .

٥ — وذوقي غيري من الفتيان ، فأَني ذائق غيرك من النساء .

٦ — فقد كان لك عني مندوحة ، في شبان قومك ، وفي فتيانهم الطوال البيض الوجوه .

(٤٢)

مدح الأعشى بني الحارث بن كعب (سادة نجران) ، أو أشار إليهم ، في موضعين آخرين من الديوان ، وهما القصيدتان (٢٣) ، (٣٢) . وقد مضت ترجمتهم في القصيدة (٢٣) . والأعشى يشير في البيت الرابع من هذه القطعة إلى احتمال إغارة الدولة الرومانية على نجران ، ويقول لبني الحارث : إنكم أكفاء لقتالهم ، فأنتم رجال حرب .

يقول الأعشى :

١ — ياسيدي نجران . ما أنا في حاجة إلى أن أوصيكما بنجران ، فيماينوبهامن محن ، ومايعتريكمامن خطوب .

٢ — فان تفعلا الخير وترتدياه ، فأنتم أهل لذلك ، وأنتم به جديرون .

٣ — وإن تدفعا عن (نجران) وتكفياها فادح النوائب والأحداث ، فقد سادها أبواكما من قبل .

٤ — وإن اجتمعت عليكم جموع الروم من (صِهْيون) ، فأنتم أكفاء لكل حرب مدمرة طَحُون .

(٤١)

وقال لامرأته الهزّانيّة حين طلقها :

١ — يَا جَارَتِي بِينِي فَإِنَّكِ طَالِقَهْ ... كَذَاكِ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَهْ (طويل)

٢ — وَبِينِي فَإِنَّ ٱلْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ ٱلْعَصَا ... وَإِلَّا تَزَالُ فَوْقَ رَأْسِكِ بَارِقَهْ

٣ — وَمَا ذَاكَ مِنْ جُرْمٍ عَظِيمٍ جَنَيْتِهِ ... وَلَا أَنْ تَكُونِي جِئْتِ فِينَا بِبَائِقَهْ

٤ — وَبِينِي حَصَانَ ٱلْفَرْجِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ ... وَمَوْمُوقَةً فِينَا كَذَاكِ وَوَامِقَهْ

٥ — وَذُوقِي فَتَى قَوْمٍ فَإِنِّيَ ذَائِقٌ ... فَتَاةَ أُنَاسٍ مِثْلَ مَا أَنْتِ ذَائِقَهْ

٦ — فَقَدْ كَانَ فِي شُبَّانِ قَوْمِكِ مَنْكَحٌ ... وَفِتْيَانِ هِزَّانَ الطِّوَالِ ٱلْغَرَانِقَهْ

(٤٢)

وقال يمدح يزيد وعبد المسيح الحارثيَّيْن :

١ — أَيَا سَيِّدَيْ نَجْرَانَ لَا أُوصِيَنْكُمَا ... بِنَجْرَانَ فِيمَا نَابَهَا وَٱعْتَرَاكُمَا (طويل)

٢ — فَإِنْ تَفْعَلَا خَيْرًا وَتَرْتَدِيَا بِهِ ... فَإِنَّكُمَا أَهْلٌ لِذَاكَ كِلَاكُمَا

٣ — وَإِنْ تَكْفِيَا نَجْرَانَ أَمْرَ عَظِيمَةٍ ... فَقَبْلَكُمَا مَا سَادَهَا أَبَوَاكُمَا

٤ — وَإِنْ أَجْلَبَتْ صِهْيَوْنُ يَوْمًا عَلَيْكُمَا ... فَإِنَّ رَحَى ٱلْحَرْبِ الدَّكُوكِ رَحَاكُمَا

(١ — ٢) الجارة هنا زوجته . بِيني أى فارق . غاد وطارقة ، ذكر (غاد) على إرادة الجمع ، وأنث (طارقة) على إرادة الجماعة . الغادى الذى يأتى غدوة فى الصباح ، والطارق الذى يطرق أى يأتى ليلا . وإلا ، اى وإن لا تفارق . وروى (وألا بفتح الهمزة) على تقدير : الفراق خير من العصا ومن أن تظل العصا لا محة فوق رأسك . بارقة خبر لا تزال . وبرق الشىء (كنصر) لمع وتلألأ .

(٣ — ٦) البائقة المصيبة . حصان الفرج عفيفة غير متهمة فى عرضك . مومومقة محبوبة . وامقة محبة . منكح مصدر ميمى من نكح المرأة أى تزوجها . غرانقة جمع غرنوق (بضم الغين) وهو الشاب الأبيض الجميل.

(٤٢)

(١ — ٤) صهيون معناها الجبل المشمس أو الجاف . وقد يطلق هذا الاسم للدلالة على كل أورشليم . ولكنه ينحصر غالبا فى الجبل الجنوبى الغربى من المدينة ... وكانت صهيون فى سابق العصور أشرف قسم فى أورشليم ، وفيها بيوت الأكابر . وكان فى زاويتها الشمالية الغربية القصر البهيج ، الذى بناه (هيرودس)، والذى سمى بعد ذلك (دارالولاية) ، لأن الوالى الرومانى كان يسكنها (قاموس الكتاب المقدس) .
دك الحائط دقه وهدمه حتى سواه بالأرض . والحرب الدكوك هى الحرب المدمرة التى لا تبقى شيئا .

هذه القطعة ، والقطع الثلاث التي تليها (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦) وكذلك القطعة (٥٠) ، كلها من الرجز . والرجز من أسهل ضروب الشعر وأبسطها تركيبا . وقد كان النقاد يعتبرونه دائما أحط مرتبة من بحور الشعر الأخرى . وربما أخرجوه من الشعر فجعلوه فنا قائما بنفسه . فهو فن شعبي ، أقرب إلى (الزجل) و (المواويل) فى عصرنا هذا . وأكثر ما كان يشيع بين الأعراب ، وبين أصحاب المواهب المحدودة ، والناشئين فى الشعر ، الذين لا تتجاوز شهرتهم الفنية حدود القبيلة . أما مشاهير الشعراء ، فقد كانوا يترفعون عن تناوله ، ولا يكادون يقولونه إلا تظرفا ، ومجاراة لأصحابه ، وإثباتا لقدرتهم عليه . ولذلك ، فمن الراجح أن تكون هذه القطعة والقطع الثلاث التي تليها من إنتاج الأعشى المبكر . ولو أن الأعشى هجا هؤلاء القوم وهو شاعر كبير ، لأنف أن يسلك طريق الرجز ، واختار الشعر .

ويمتاز الرجز من بين سائر ضروب الشعر بكثرة ما فيه من الغريب ، وببعده عن الصناعة المهذبة المحكمة . وربما كان ذلك من مظاهر شعبيته . أما الشعر ، فقد كان يجرى على أساليب معينة ، وألفاظ مختارة منتقحة ، تختلف بعض الاختلاف عن لغة الحديث اليومى المألوف . وذلك يعلل لنا ما نجد من تشابه فى أساليب الشعراء ، على اختلاف قبائلهم ، وتباين ما بين لهجاتهم .

ويظهر فى الرجز آثار الاتجال والعجلة ، فهو صورة من تلك البيئة البدوية الخشنة الجافية ، فى ألفاظه وفى صوره . من أجل ذلك كان الشعر القديم أقل غرابة من الرجز بالقياس إلينا . لأن احترام الناس للشعر — دون الرجز — قد ضمن للغته وأساليبه أن تبقى حية على الألسن ، وأن لا تتغير إلا فى أضيق الحدود . وبينما ظل الشعراء على مر العصور يتداولون لغة هذا الشعر القديم وألفاظه وأساليبه ، انقطعت صلتنا بألفاظ ذلك الرجز القديم وأساليبه ، لأنه كان صورة من لغة الحديث ، التي خضعت للتطور والتغير على مر العصور ، ولم تلق من عناية الناس والنقاد ما يثبتها ويضمن لها شيئا من الاستقرار . وليس بصحيح ما يظنه الناس ، من أن هذا الشعر القديم الذى تداوله وتدارسه ، كان يكتب باللغة التى يتكلمها الناس . فالواقع أن لغة الأدب كانت فى كل عصر وفى كل مكان — ولا تزال — تختلف عن لغة الحديث .

والرجز — بحكم تركيبه وبنيته التى تتكون من وحدة مكررة ، تتوالى فيها الحركة والسكون — من أكثر فنون القول ملاءمة لمصاحبة الحركات الرتيبة التى تجرى على نسق واحد ، كسير الابل ، وحركات الجند فى القتال ، واضطرابهم فى ميدانه ، وحفر الآبار ، ومتح الماء منها بالدلاء .

وقد طغى الشعر على الرجز شيئا فشيئا ، حتى ضيق نطاقه وأكسده ، فأصبح مقصورا فى صدر الاسلام على طبقة من الأعراب ، أمثال العجاج ، وابنه رؤبة ، وحفيده عقبة ، ومن تشبه بهم ، وسلك مسلكهم .

يقول الأعشى :

١ — ألا تعجبون معى للعجب العُجَاب .

٢ — بنو قُلَابة المتقلبون .

٣ — يشمخون بأنوفهم فخراً ويتيهون .

٤ — وأستاههم العارية تباشر الأرض ، وقد عفَّر شعرها بالتراب .

٥ — يارَخَماً قد وقف فى شدة القَيْظ ، يرقب أسْتَاه الخارئين .

٦ — يُعْجِل أكُفَّهم عن مسح أستاهم ويسبقها إلى الأقذار .

٧ — ....

٨ — ....

٩ — أهل العقول الراجحة ، والنسب العريق .

١٠ — والخمر التى تُذْهِب الهم ، والزبيب .

وقال يهجو وائل بن شرَحْبِيل بن عَمْرو بن مَرْثَد وقومه :

(رجز)

١ — أَلَمْ تَرَوْا لِلْعَجَبِ ٱلْعَجِيبِ

٢ — إِنَّ بَنِي قِلَابَةَ ٱلْقَلُوبِ

٣ — أُنُوفُهُمْ مِالْفَخْرِ فِي أُسْلُوبِ

٤ — وَشَعَرُ ٱلأَسْتَاهِ بِٱلْجَبُوبِ

٥ — يَارَخَمًا قَاظَ عَلَى يَنْخُوب

٦ — يُعْجِلُ كَفَّ ٱلْخَارِئِ ٱلْمُطِيبِ

٧ — ....

٨ — ....

٩ — أَهْلُ النُّهَى وَٱلْحَسَبِ ٱلْحَسِيبِ

١٠— وَٱلْخَمْرِ وَالتِّرْيَاقِ وَالزَّبِيبِ

(٢ — ٣) القلوب الكثير التقلب والتغير ، على وزن فعول ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . الأسلوب الشموخ فى الأنف . وأنه فى أسلوب أى لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، يقال للمتكبر .

(٤ — ٦) الجبوب الأرض . الاست الدبر جمعها أستاه . الرخم طائر يأكل العذرة ، وهو من أكثر الأجناس طلبا لها وسعيا وراءها . ولئام الطير عند العرب ثلاثة : الغربان والبوم والرخم . والرخم أخبثها لجبنه وكسله وقذارته . قاظ من القيظ (بفتح القاف) وهو شدة الحر . الينخوب الجبان ، والينخوبة الاست . ويمكن فهم الشعر على الوجهين . فعلى الأول يصور هذا الطائر فى البيت التالى (٦) حين يفزع إذا أخذ المتطيب حجرا ليتمسح به ، ظنا منه أنه يريد أن يرميه . وعلى الوجه الثانى ، يكون المعنى أن هذا الطائر يبادر إلى القذر ويسبق إليه قبل أن يتطيب صاحبه . والتطيب الاستنجاء .

(٩ — ١٠) النهى العقل ، لأنه ينهى عن القبيح . الحسب ما يعد من مفاخر الآباء . الدرياق والترياق رومى معرب ، معناه دواء السموم . والدرياقة (بالدال والتاء) الخمر ، لأنها تذهب الهم . قال حسان :

من خمر بيسان تخيرتها   درياقة توشك فتر العظام

فى هذا الرجز إقواء ـ وهو اختلاف حركة الروى ـ فالروي مضموم فى الأبيات السبعة الأولى ولـكنه مكسور فى الأبيات الثلاثة الأخيرة . ويمكن تفادى هذا الاقواء بتسكين أواخر الأبيات . على أن بعض المشهورين من شعراء الجاهلية قد أتوا فى شعرهم . والرجز أليق بمثل هـذا التجوز ، لما قدمنا من أنه فن شعبي.

---

١ — لست بالضعيف ، ولست بالخائر الـكثير الزلل والعثار .

٢ — مضت الفرصة ، ولم يعد أمامكم وقت لتجنب المعركة ، فلا سبيل إلى الفرار .

٣ — (بنو شُرَحْبِيل) فى الذل والدناءة سواء.

٤ — منهم (ضُبَيْعَة) الجبان الـكثير الضراط .

٥ — ضخم الجثة ، ولـكنه مجرَّب معروف ، ليس عنده غير الصياح والعياط .

٦ — وأما (وائل) الأصلع ، فكأنه مخاط .

٧ — تَزِلُّ عن جبهته الأمشاط.

٨ — لقد ابتُليتم منى ببلية ، يسطو على القِرْن ويبطش بالرجال .

٩ — ويثبت للخصم ، ولا يعيا بالجواب ، مهما امتد المَدَى وطال.

١٠ — كالفرس السابق العدَّاء ، لا يفتر نشاطه ، ولا يدركه الكَلاَل .

وقال يهجوهم :

(رجز)

١ — لَا فَشَلٌ فِيَّ وَلَا سِقَاطُ
٢ — لَيْسَ أَوَانَ يُكْرَهُ ٱلْخِلَاطُ
٣ — بَنُو شُرَحْبِيلَ سِوًى بِسَاطُ
٤ — وَعَنْهُمُو ضُبَيْعَةُ ٱلْمِضْرَاطُ
٥ — صَمَحْمَحٌ مُجَرَّبٌ عَيَّاطُ
٦ — وَوَائِلٌ كَأَنَّهُ مُخَاطُ
٧ — يَزِلُّ عَنْ جَبْهَتِهِ ٱلْأَمْشَاطُ
٨ — لَقَدْ مُنُوا بِتَيِّحَانٍ سَاطِي
٩ — ثَبْتٍ إِذَا قِيلَ لَهُ يُعَاطِي
١٠ — أَخْرَجَ حُضْرًا غَيْرَ ذِي نِيَاطِ

(١ — ٣) الفشل الضعف والتراخي والجبن . السقاط العثرة والزلة . الخلاط مصدر خالطه أى مازجه وعاشره . سوى متساوون لافرق بينهم . بساط جمع بسيط أو بسيطة وهو المنبسط المستوى . شرحبيل أبو وائل الذى يهجوه .

(٤ — ٦) مضراط مفعال ، أى كثير الضراط . الصمحمح الرجل الشديد المجتمع الألواح . وهو كذلك القصير والأصلع . مجرب معروف على حقيقته ، لأنه قد جرب أى امتحن واختبر مرة بعد أخرى . عياط كثير الصياح . وائل بن شرحبيل اسم المهجو .

(٧ — ١٠) يزل يزلق . فرس تياح (كشداد) ومتيح (كمنبر) وتيحان ، أى جواد . ورجل متيح ومتيحة لايزال يقع فى بلية . ساطى اسم فاعل من سطا يسطو ، أى صال ووثب وبطش . ثبت ثابت عند الخصومة . يعاطى يتبادل الهجاء . الحضر (بضم الحاء) ارتفاع الفرس فى عدوه . والحضر (بفتح فسكون) ذو البيان . نياط جمع نيط (بفتح فسكون) وهو الموت والأجل . ونياط الصحراء أقطارها . يقصد أنه لا يعجز ولا ينتهى نشاطه إلى مدى .

(٤٥)

١ — إن تتورطوا ياقومنا فى عداوتنا ، وتوردوا أنفسكم موارد الضيق .

٢ — فنحن أشداء تثقل وطأتنا ، ولايستساغ ظلمنا ولا يطاق .

٣ — عليك يا (خُشَيْمُ) بالأعداء ، وحَرِّك (البَزْباز) للقتال .

٤ — فلدينا سلاح مدخر كثير .

٥ — وجياد ضامرات ، تضرب فى قلب الصحراء .

٦ — تحمل على ظهورها عدة القتال .

٧ — وجِمَال شداد سراع .

(٤٦)

١ — أقدم يا (خُشَيْم) فاليوم قاس شديد .

٢ — يتمخض عن مولود مشئوم ، قد نبت من خلف أذنه الشعر .

٣ — لم تر مثله شمس ولا قمر .

٤ — فأقدم غير هياب إذا حمى القتال .

٥ — وزاحم العدو بكل بطل مغوار ، يثبت فى ساعة الشدة ، حين يتخلف الهيَّابة الجبان .

٦ — كن عند ذاك سماً قاتلا مر المذاق .

٧ — واضرب فى غير هوادة ، حين يفر الجبناء مولين الأدبار .

(٤٥)

وقال لابن أخيه خُشَيم بن حمة بن قيس بن جَنْدَل يحرضه على القتال :

١ — يا قَوْمَنا إنْ تَرِدُوا النَّكازَا (رجز)
٢ — لاتَجِدُوا لِظُلْمِنا مَجازَا
٣ — وَيْهًا خُشَيمُ حَرِّكِ الْبَزْبازَا
٤ — إنَّ لَدَيْنا حَلَقًا كِنازَا
٥ — وَقافِلاتٍ ذَهَبَتْ أَجْوازَا
٦ — يُلْقَى عَلَى مُتُونِها الْبَزازَا
٧ — تَرَى لَنا عَرَكْرَكًا جَمَّازَا

(٤٦)

وقال له :

١ — وَيْها خُشَيْمُ إنَّهُ يَوْمٌ ذَكَرْ (رجز)
٢ — مُذَمِّرٌ سَقْبًا بِذِفْراهُ شَعَرْ
٣ — لَمْ تَرَ شَمْسٌ مِثْلَهُ وَلَا قَمَرْ
٤ — فَادْنُ مِنَ الْبَأْسِ إذا الْبَأْسُ حَضَرْ
٥ — وَزاحِمِ الْأَعْداءَ بِالثَّبْتِ الْغُدَرْ
٦ — كُونَنْ كَسَمٍّ ناقِعٍ فِيهِ الصَّبِرْ
٧ — وَارْجُمْ إذا ما ضَيَّعَ النَّاسُ الدُّبُرْ

---

(٤٥)

(١ — ٣) النكوز البئر التى ذهب ماؤها ، فعله نكز (كنصر وعلم) . وهو فى منكزة من العيش أى فى ضيق . مجازا أى مساغا . ويها كلمة إغراء وتحريض . البزباز السريع فى السير ، وهو هنا اسم رجل .

(٤ — ٧) الحلق الدروع والسلاح . كناز كثير مدخر . قافلات أى أفراس ضامرات ، قفل الفرس (كضرب) ضمر . أجواز جمع جوز ، وجوز الشىء وسطه ومعظمه . وأجواز الفلا وسطها ومعظمها . البزاز أى البز (بفتح الباء) وهو السلاح . العركرك الجمل القوى الغليظ . جماز سريع .

(٤٦)

(١ — ٢) ويها كلمة إغراء وتحريض . يوم ذكر شديد . ذمر أدخل يده فى حياء الناقة ، لينظر أذكر جنينها أم لا . الذفرى من الحيوان هو العظم الذى خلف الأذن ، والشعر لا ينبت فى هذا الموضع . السقب ولد الناقة ساعة يولد ، وقيل إنه خاص بالذكر . يقول إن هذا اليوم سيتمخض عن مثل هذا المولود المشئوم .

(٤ — ٥) البأس الحرب والقتال . غدر عن أصحابه (كعلم) تخلف . وثبت الغدر ، الذى يثبت فى القتال حين يتخلف الناس .

(٦ — ٧) سم ناقع أى قاتل . الصبر (بفتح فكسر) عصارة شجر مر ، ولا تسكن الباء إلا لضرورة الشعر . رجمه (كنصر) قذفه وقتله . ضيع الناس الدبر أى فروا فى القتال ، وولوا ظهورهم ، لا يقدرون على حمايتها .

(٤٧)

تتفق هذه الأبيات مع أبيات القصيدة (٢٦) وزنا وقافية وموضوعا. ومن المحتمل أن تكون جزءا منها. والاشارة إلى النساء فى البيتين (١، ٢) ليس لها صلة ظاهرة بالموضوع. وقد يكون فيها تعريض خفى بشىء يتصل بحياة قيس بن مسعود، كأن يكون فراره فى يوم (عباعب) خوفا من الموت، وحرصا على أن يستمتع بالحياة، إلى جانب زوجة يحبها أو خليلة. وقد تقدمت ترجمة قيس بن مسعود فى القصيدة (٢٦)

يقول الأعشى :

١ — يلوم النساء الفتى للهفوة الصغيرة، ثم يتخلين عنه ويخذلنه، إن أصابه الدهر بمكروه.

٢ — ويزعمن أنهن لا يُطِقْنَ الحياة بعده، فإذا مات سلونه ونسينه.

٣ — متى جئتنا تعدو بك فرس كريمة تَهْوِى كالعُقَاب، فنكِّس الرأس خزياً وتجنب لقاءنا.

٤ — صددت عن العدو يوم (عُبَاعِبٍ) مولياً الأدبار، كما تصد الخيلُ قد حبسها اللجام.

(٤٨)

١ — وجدت (أبا الخنساء) خير الناس، فصدقته مدحى خالصاً، ووقفت عليه شعرى ممجداً.

٢ — وإن النفس لتطيب بوعدك، فهو وعد رجل حر، آت لا ريب فيه.

٣ — ما أعرف فوق بيتك بيتاً فى الناس. وكذلك تنمو الأشجار على مغارسها، وتطيب الفروع إن كرمت الأصول.

(٤٩)

١ — ....

٢ — شبابهم خير شباب، وكهولهم سادة حلماء، لا يستفزهم الغضب.

٢ — يَخِفُّون غير متكاسلين، للجليل الخطير من المهام. ولا تراهم - حيثما ذهبوا - إلا مطالبين بثأر، أو ساعين لقتال.

(٤٧)

وقال يعيّر قيْسَ بن مَسْعُود فِزَارَةُ يومَ عُبَاعِب :

١ — يَلُمْنَ ٱلْفَتَى إنْ زَلَّتِ النعْلُ زَلَّةً ... وَهنَّ عَلَى رَيْبِ ٱلْمَنُونِ خَوَاذِلُ (طويل)

٢ — يَقُلْنَ حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتِكَ مُرَّةٌ ... وَهُنَّ إذَا قَفَّيْنَ عَنْكَ ذَوَاهِلُ

٣ — مَتَى تَأْتِنَا تَعْدُو بِسَرْجِكَ لِقْوَةٌ ... صَبُورٌ تجَنَّبْنَا وَرَأْسُكَ مَائِلُ

٤ — صَدَدْتَ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ يَوْمَ عُبَاعِبٍ ... صُدُودَ ٱلْمَذَاكِي أَقْرَعَتْهَا ٱلْمَسَاحِلُ

(٤٨)

وقالَ يَمْدَحُ رجلا :

١ — إِنِّي وَجَدْتُ أَبَا ٱلْخَنْسَاءِ خَيْرَهُمُ ... فَقَدْ صَدَقْتُ لَهُ مَدْحِي وَتَمْجِيدِي (بسيط)

٢ — إنَّ عِدَاتِكَ إِيَّانَا لَآتِيَةٌ ... حَقًّا وَطَيِّبَةٌ مَا نَفْسُ مَوْعُودِ

٣ — مَا فَوْقَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ ... وَفِي أَرُومَتِهِ مَا مَنْبِتُ ٱلْعُودِ

(٤٩)

وقال :

١ — .... يَزِبُ (بسيط)

٢ — .... كَمُحْلِفِهِمْ ... وَلَا كَأَحْلَامِهِمْ إنْ هَاجَهُمْ غَضَبُ

٣ — تَرَاهُمُو غَيْرَ أَثْبَاطٍ بِمَذْرَعَةٍ ... تَوَابِعٌ لِلَحِيمِ حَيْثُمَا ذَهَبُوا

---

(٤٧)

(١ — ٢) يلمن ، الضمير عائد على النساء . زل ، زلق عن صخرة أو نحوها ، وزلت نعله ، تورط فى خطأ أو وقع فى محظور . ريب المنون نوائب الدهر وحدثانه . خذله تخلف عن نصرته وأسلمه . قفا الشيء يقفوه تبعه . قفين أى عشن بعد موته وخلفن بعده . ذهل عنه (كفتح) نسيه وسلاه .

(٣ — ٤) اللقوة (بفتح اللام وكسرها) العقاب الأنثى وهو طائر سريع ، يشبه به الفرس . صبور ، تصبر على القتال والمشاق وتقوى عليها . رأسك مائل أى منكس خزيا . أو أنه يميل على السرج فى جانب ، لجبنه ولأنه ليس متمكنا فى الفروسية والقتال . المذاكى الخيل التى تم سنها وكملت قوتها ، والمفرد مذكى (بضم الميم وتشديد الكاف وكسرها) . أقرع الدابة بلجامها حبسها وردها . المساحل جمع مسحل (بكسر الميم) وهو اللجام أو حديدته .

(٤٨)

(٢ — ٣) عدات جمع عدة أى وعد ، مصدر وعد (كضرب) . طيبة ما نفس موعود، ما زائدة ، وموعود مضاف إليه ، أى أن نفس الموعود تطيب بوعدك ، لأنها واثقة أنك ستنفذه وتبر به . الأرومة أصل الشجرة . ما زائدة . العود ضرب من الطيب يتبخر به

(٤٩)

(١ — ٣) وزب الماء يزب (كضرب) سال . وأوزب فى الأرض إيزابا ذهب فيها . المحلف (بصيغة اسم الفاعل) الغلام المراهق . أحلف الغلام راهق الحلم . هاجهم غضب ، أثارهم . أثباط جمع ثبط (بفتح فكسر) وهو الكسول الثقيل . ذرع الفرس (ككرم) كان واسع الخطو . وذرعت الناقة الصحراء ، قطعتها مسرعة . أى أنهم لا يبطئون ولا يتكاسلون فى الموضع الذى يتطلب السرعة والنشاط . لحم (على البناء للمجهول) قتل ، فهو لحيم أى قتيل .

(٥٠)

ينتسب الأعشى إلى (سعد بن ضبيعة) ، أما بنو قميئة الذين يهجوهم فهم بيت من (سعد بن مالك بن ضبيعة) ابناء عمومة (سعد بن ضبيعة) الذين ينتسب إليهم طرفة الشاعر . ومن المرجح أن يكون هذا الرجز من إنتاج الأعشى المبكر ، كما قدمنا قبل ذلك .

يقول الأعشى :

١ — إن بنى (قَمِيئة بن سعد) .

٢ — كلهم دَعِىٌّ أو عبد .

٣ — ألأم من الكلاب الملتوية الأذناب .

٤ — وأذل من الكلاب فى أعناقها الأطواق .

٥ — إن نسبتهم لم تجدهم إلا رعاة .

٦ — عبيد أذلاء ، بين عاجز ضعيف ، وساقط دنىء .

٧ — لا يكادون يبصرون قبرا حديث العهد ،

٨ — حتى يُنبِّشوا فيه ، نبش فيران القبور العمياء .

٩ — نَبِّشْ فقد بلغت قعر اللحد !

١٠ — واهناً ، فقد ظفرت بهامةٍ وشطر من ثوب .

(٥١)

بنو جحدر ، الذين ينتسب إليهم شيبان بن شهاب ، هم ابناء عمومة سعد بن ضبيعة ، الذين ينتسب إليهم الأعشى . فكلا البيتين فرعان من (قيس بن ثعلبة) . وقد تقدم للأعشى فى هجاء شيبان بن شهاب قصيدتان ، هما (١٠) ، (٢٠) . وله بعد هذا قصيدتان فى هجاء قومه بنى جحدر . تقدمت إحداهما ، وهى القصيدة (٢٣) ، وستجىء الأخرى ، وهى القصيدة (٥٣) . وستجىء هذه القطعة مكررة فى هذا الديوان ، وقد أضيف إليها بيت واحد ، فى القطعة (٦١) .

يقول الأعشى :

١ — سينصرف قوم لشأنهم ، ويُترَكُ آخرون قد ورِمَتْ منهم الكَمَرات .

٢ — يكر عليهم (ابُن جحدر) بفرسه ، ويخوض معهم (مطر) القتال، لا يلتمس فى التخلف عنه المعاذير.

(٥٠)

وقال يَهْجُو بَنى قَمِيئَةَ بْنِ سعدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

١ — إنَّ بَنِى قَمِيئَةَ بْنِ سَعْدِ (رجز)

٢ — كُلُّهُمُ لِمُلْصَقٍ وَعَبْدِ

٣ — أَدْنَى لِشَرٍّ مِنْ كِلَابٍ عُقْدِ

٤ — وَهُمْ أَذَلُّ مِنْ كِلَابٍ عِقْدِ

٥ — يُعْزَوْنَ بَيْنَ وَبَرٍ وَقِدِّ

٦ — عِبْدَانُ بَيْنَ عَاجِزٍ وَوَغْدِ

٧ — إنْ يُبْصِرُوا قَبْرًا حَدِيثَ ٱلْعَهْدِ

٨ — يَنْبُشُوا فِيهِ ٱحْتِفَارَ ٱلْخُلْدِ

٩ — ٱنْقُرْ فَقَدْ بَلَغْتَ قَعْرَ اللَّحْدِ

١٠— وَهَامَةً وَشِقَّةً مِنْ بُرْدِ

(٥١)

وَقَالَ يَمْدَحُ شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ الجَحْدَرِىَّ ، ومَطَرَ بْنَ شَرِيكٍ الشَّيْبَانِىّ :

١ — سَيَذْهَبُ قَوْمٌ ذَاهِبُونَ لِشَأْنِهِمْ وَيُتْرَكُ قَوْمٌ وُرَّمُ ٱلْكَمَرَاتِ (طويل)

٢ — يَكُرُّ عَلَيْهِمْ بِالسَّحِيلِ ٱبْنُ جَحْدَرٍ وَمَا مَطَرٌ فِيهَا بِذِى عَذِرَاتِ

(١ — ٤) الملصق الدعى غير الثابت النسب . لملصق أى ينتسبون لملصق . عقد (بضم فسكون) جمع أعقد ، وهو الملتوى الذنب من الكلاب والذئاب . العقد (بكسر العين) القلادة.

(٥ — ٦) عزا فلانا إلى أبيه يعزوه ويعزيه (واوى ويائى) نسبه إليه . الوبر صوف الجمال . القد (بكسر القاف) إناء من جلد ، والقد كذلك السوط ، يقصد أنهم رعاة وليسوا سادة . عبدان (بكسر العين) جمع عبد . الوغد الساقط الدنىء .

(٧ — ٨) الخلد دابة عمياء فى مثل حجم الفأر وشكله تنبش القبور . ويضرب بها المثل فى شدة السمع . قبرا حديث العهد ، خصه بأنه حديث العهد ، لأن لصوص المقابر ينبشونها قبل أن تعفن الجثة فتتلف الأكفان .

(٩ — ١٠) الهامة طائر صغير من طير الليل يألف المقابر . وقيل هو الصدى ، للطائر الذى يخرج من رأس الميت فى زعمهم . الشقة القطعة المشقوقة المستطيلة من الثوب . والبرد ثوب مخطط.

(٥١)

(١ — ٢) الكمرات جمع كمرة (بالتحريك) وهى رأس الذكر . السحيل اسم فرس . عذرات جمع عذرة (على وزن اسم المرة) أى أنه لا يلتمس الأعذار لتجنب القتال وتفاديه . ابن جحدر هو شيبان بن شهاب . مطر هو مطر بن شريك بن عمرو (من ذهل بن شيبان) . وكانا قد أغارا على أرض للنعمان بن المنذر فأخذا تحفا وطرائف له فيها ، ثم هربا إلى الشام .

هذه القصيدة إحدى القصائد القليلة فى ديوان الأعشى ، التى فرغ فيها الشاعر لفنه ، فلم يمدح ولم يفتخر ولم يهج . فالقصيدة كلها غزل ووصف. وتمتاز هذه القصيدة بظاهرة كثيرة الشيوع فى شعر الأعشى ، هى الاستطراد . فقد يحدث أن يشبه الشاعر شيئاً بشىء ، ثم يسترعى المشبه به انتباهه ، فيستطرد إلى وصفه فى تفصيل طويل . وقد كانت هذه الظاهرة معروفة مشهورة عند الجاهليين ، فى شعر الناقة . فقد كانوا يشبهونها بالنعامة تارة ، وبحمار الوحش أخرى ، أو بثور وحشى . ثم يستطردون لوصف هذا الثور أو ذاك الحمار أو تلك النعامة . ولكن الأعشى توسع فى استعمال هذه الظاهرة توسعاً ميزه عن غيره من الشعراء . فاستعملها فى كل فنون الشعر . وقد تكررت هذه الظـــاهرة فى القصيدة التى بين يدينا ثلاث مرات

(١ —٥) يبدو الأعشى هنا وقد أسن ومل النساء ، فهو يحدث نفسه قائلا : أما للجرى وراء النساء وطلب الغانيات من نهاية ؟ كف عن ذلك واتئه ، فطالب النساء حقيق أن يمل ، إذا كان حبيبه غير مخلص ، لا يمنحه حبا بحب . وهو يقول : إن حوادث الدهر ونوائبه قد علمته ، فصـــار حكيما بعد جهل . فهو يقول للسفيه الجاهل ، إذا استشاره فى بعض شأنه : ما أرى طلاب الغانيات إلا جهلا وحمقا . يقول ذلك ، وقد كان اللهو والغزل كل همه فى بعض أيامه الخالية . وهو يصور النساء فى خبثهن الختال ، إذ يسترقن النظر إلى الرجال فى هوادجهن ، من خلف الستور المطرزة الموشاة .

(٦ —١١) أصبح الأعشى قليل العناية بالنساء ، لا يكاد يعيرهن التفاتا . ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن ينسى صاحبته (قتيلة) ، التى غلبت على قلبه ، وخصها بمعظم غزله . فهو يصفها بين النساء ، فيشبهها بغزال أكحل العينين ، قد نما مترعرعا ، يرتع فى واد جاده مطر الخريف فأعشب واخضر ، ينادى أمه فى صوت ضعيف رخيم ملؤه الحنان .

ويسترسل الشاعر فى خياله ـ على عادته فى كثير من المواضع ـ فيمضى مع هذا الظبى الصغير، شبيه صاحبته ، يصفه ، ويخلع عليه أجمل صور الحنان والرقة والضعف ، الذى يشبه ضعف الأُنوثة الناعمة . فهو بض ، أسود العينين ، ضعيف المنكبين ، يصيح فى صوت باغم حنون حين تعانقه أمه. وقد شب ونما فى رعايتها ، ترضعه المرة بعد المرة ، كلما اجتمع فى ضرعها شىء قليل من اللبن. وقد ملىء قلبها إشفاقا عليه ، فهى لا تخرجه إلا فى مكان أمين قد أحاطت به الأشجار ، تخفى ما وراءها وتستره حين يعم الدفء ، ويطن الذباب الرمادى اللون ، بين الأيك المتشابك الأغصان . يرعى شجر الأراك ، وقد تهدلت ثماره ، ونبتت من حوله الزهور ندية مشرقة . وهى لا تزال ترعاه بعينها ، تخشى عليه أن يضل إذا ابتعدت عنه .

(١٢—١٥) ويفيق الشاعر بعد هذه الجولة الحالمة ، ويرجع إلى نفسه ليقول : أترى إلى هـذه الظبية الجميلة الناعمة ! إنها تشبه (قَتْلَة) ، بل إن قتلة لتفوقها جمالا حين تبدو سافرة .

وقال :

١ — أَقْصِرْ فَكُلُّ طَـالِبٍ سَيَمَلّْ ‏ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى ٱلْحَبِيبِ عِوَلْ ‏ (سريع)

٢ — أَحْكَمَهُ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَمَا ‏ يُحْكِمُ فِي ٱلْـ..............

٣ — فَهْوَ يَقُولُ لِلسَّفِيهِ إِذَا ‏ آمَرَهُ فِي بَعْضِ مَا يَفْعَلْ

٤ — جَهْلٌ طِلَابُ ٱلْغَانِيَاتِ وَقَدْ ‏ يَكُونُ لَهْوٌ هَمُّهُ وَغَزَلْ

٥ — السَّارِقَاتِ الطَّرْفَ مِنْ ظُعْنِ ٱلْـ ‏ حَيِّ وَرَقْمٌ دُونَهَا وَكِلَلْ

٦ — فِيهِنَّ مَخْرُوفُ النَّوَاصِفِ مَسْـ ‏ رُوقُ ٱلْبُغَامِ شَادِنٌ أَكْحَلْ

٧ — رَخْصٌ أَحَمُّ ٱلْمُقْلَتَيْنِ ضَعِيـ ‏ فُ ٱلْمَنْكِبَيْنِ لِلْعِنَاقِ زَجِلْ

٨ — تَعُلُّهُ رَوْعَى ٱلْفُؤَادِ وَلَا ‏ تَحْرِمُهُ عُفَافَةً فَجَزِلْ

٩ — تُخْرِجُهُ إِلَى ٱلْكِنَاسِ إِذَا ٱلْـ ‏ تَجَّ ذُبَابُ ٱلْأَيْكَةِ ٱلْأَطْحَلْ

١٠ — يَرْعَى ٱلْأَرَاكَ ذَا ٱلْكَبَاثِ وَذَا ٱلْـ ‏ مَرْدِ وَزَهْرًا نَبْتُهُنَّ خَضِلْ

١١ — تَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ تَبَاعَدَ أَنْ ‏ تَغْنَى بِهِ مَكَانَهُ فَيَضِلْ

١٢ — ذٰلِكَ مِنْ أَشْبَاهِ قَتْلَةَ أَوْ ‏ قَتْلَةَ مِنْهُ سَافِرًا أَجْمَلْ

١٣ — بَيْضَاءُ جَمَّاءُ ٱلْعِظَامِ لَهَا ‏ فَرْعٌ أَثِيثٌ كَٱلْحِبَالِ رَجِلْ

١٤ — عُلِّقْتُهَا بِالشَّيْطَيْنِ فَقَدْ ‏ شَقَّ عَلَيْنَا حُبُّهَا وَشَغَلْ

(١ — ٣) أقصر كف وانتهى . عول عليه اتكل واعتمد ، والاسم عول (بكسر ثم فتح) . أحكمه صيره حكيما . ريب المنون نوائب الدهر . آمره استشاره .

(٥ — ٦) السارقات صفة للغانيات فى البيت السابق . الظعن جمع ظعينة ، وهى الهودج إذا كان فيه امرأة . الرقم ضرب من الوشى أو الخز أو البرود . الكلل الستور ، جمع كلة (بكسر الكاف وفتح اللام وتشديدها) . خرفت البهائم (على البناء للمجهول) أصابها مطر الخريف فأنبت لها ما ترعاه ، فهى مخروفة . النواصف جمع ناصفة ، وهى ما اتسع من الوادى . بغمت الظبية (كنصر وضرب وعلم) صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . شدن قوى وترعرع . أكحل أسود العينين .

(٧ — ٩) رخص بض طرى . أحم أسود الزجل رفع الصوت والتطريب . تعله تسقيه مرة بعد أخرى . روعى الفؤاد ، فزعة نهى ترتاع لكل ما سمعت أو رأت لحدة احساسها . العفافة بقية اللبن فى الضرع ، بعد ما امتك أكثره . جزل قوى واشتد . الكناس بيت الظبى فى الشجر يستتر فيه . التجت الأصوات اختلطت . الطحلة لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد .

(١٠ — ١٤) الأراك شجر يتخذ من قضبان السواك . البرير ثمر الأراك ، أوله كباث ، ثم مرد ثم برير . خضل مبلل بالندى . سفرت المرأة (كضرب) كشفت عن وجهها . جماء العظام أي كثيرة اللحم على عظامها . فرع شعر . أثيث غزير . شعر رجل ليس بالسبط المترسل ، ولا الجعد الملتوى ، ولكنه بين ذلك . الشيطان واديان فى ديار بنى تميم . ويبدو من شعر الأعشى فى (قتيلة) أنها كانت فى اليمامة ، ثم ارتحلت إلى نجد . فهو يشير فى القصيدة (١٨) إلى (الشط) و (الوتر) و(حاجر) و(ركن مهراس) و (مارد) و (منفوحة) ، وكلها مواضع باليمامة . ثم يشير إلى رحلتها فى القصيدة (٣٢) . ويذكر فى القصيدة (٣٤) أنه أمضى معها الربيع فى (الستار) و(ثهمد) ، وهى فى حمى ضرية بنجد .

ويمضى الشاعر فى تصوير صاحبته . فهى بيضاء ، قد امتلأ جسمها باللحم ، حتى دقت عظامُها واختفت فما تَبين ، يزينها شعر غزير ، يسترسل متموجا متثنيا . رآها الأعشى فى (الشيِّطين) ، فأحبها وتعلق بها حتى شغفت قلبه ، ولقى فى حبها مشقة وعذابا . فقد كانت فاتنة لعوبا ، تصطاد الرجال ، ولكنهم ـ بالغاً ما بلغ دهاؤهم وخبرتهم بالنساء ـ لا ينالونها ، ولا يدركون منها مغنما .

(١٦ ـــ ١٨) تمسك السواك بأناملها ، وتجريه على أسنانها المفلَّجة المستوية ، وقد بدت بين لثتيها السمراوين ، براقة بيضاء ، كأنها شوك (السَّيال) ويتخيل الأعشى نفسه وقد ضاجعها ، فاشتمل عليه ساعدها البَضُّ الممتلىء باللحم ، يزينه الوشم ، وقد بدا كأنه جلد مزخرف منقوش ، ويشبه مذاق ريقها العذب الزكى ، بطعم الزنجبيل والتفاح ، قد مزجا بعسل النحل .

(١٩ ـــ ٢٢) ويسترسل الشاعر فى الخيال مرة أخرى ، وينسى نفسه ، فيجول مع الذى يشتار هذا العسل ويجنيه ، مصوراما يلقى فى استخراجه من عناء . فهو يصعد إلى جبل مرتفع ، وقد تعلق بحبل متين ، وامتلأ قلبه فزعا ورعبا حين أوقد النار ، ليطرد بدخانها النحل من خليته ، فانبعث من حوله كأنه صغار البعوض ، يطن طنينا عاليا . وراح هو يدفعه عن نفسه ، وهومعلق فى الحبل ، فى هذا الجبل الأسود الشاهق ، وقد أحاطت به الصحراء من كل نواحيه .

٢٣ ـــ ويعود الشاعر مرة ثانية إلى صاحبته ليقول : بمثل هذا العسل الصعب المنال ، ممزوجا بالخمر ، قد كانت (قُتَيْلَةَ) تسقى وتُعَلّ .

(٢٤ ـــ ٢٥) ويختم الشاعر هذا الوصف الطويل بقوله : آه ، لو أنها تصدق فيما تقول ! ولكنها تُمنِّى الوعود ، ثم تنتحل فى إخلافها المعاذير . فهى فى تقلب دائم ، تصد تارة ، وتقبل أخرى ، وتترك المحب بين اليأس والرجاء . لا هى تعطى فيرضى ، ولا هى تبخل فيستريح .

(٢٦ ـــ ٢٧) ويتمالك الشاعر نفسه ، ويستجمع عزمه ، ليقول لها فى حزم : قد تعلمين يا (قُتَيْلة) ، أنى جدير بأن أقطع حبل الود ، أشد ما يكون اشتباكا واتصالا ، حين يخون الحبيب عهده يا (قَتْل) ، ويتيه وقد ملأه الصَلَف والغرور .. ولكنه حزم يخفى ضعفا ، واستخفاف أشبه بالاستعطاف . تخفف منه هذه اللهفة البادية فى تكرير اسمها والهتاف به ، مرة بـ (قُتَيْلَة) ، وأخرى بـ (قَتْل) .

(٢٨ ـــ ٣٠) نعم . أنا قادر على أن أقطع حبل الوصل . وإن لى لَمُتَحَوَّلاً . فوق ناقة ضخمة قوية ، تجرى فى الصحراء ، كما تجرى البكرة الضخمة يدور من حولها الحبل ، قد ادخرت للرحلة ، فلم تقربها

١٥— إِذْ هِيَ تَصْـطَادُ الرِّجَالَ وَلَا يَصْطَادُهَا إِذَا رَمَاهَا ٱلْأَبِلْ

١٦— تُجْرِي السِّوَاكَ بِالْبَنَانِ عَلَى أَلْمَى كَأَطْرَافِ السَّيَالِ رَتِلْ

١٧— تَرُدُّ مَعْطُوفَ الضَّجِيـعِ عَلَى غَيْلٍ كَأَنَّ ٱلْوَشْمَ فِيهِ خِلَلْ

١٨— كَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ وَتُفْـ ـاحًا عَلَى أَرْيِ الدَّبُورِ نَزَلْ

١٩— يَزْفِي لِقِيدِ .... وَقَلْ

٢٠— ظَلَّ يَذُودُ عَنْ مَرِيرَتِهِ أَهْوَى لَهُ مِنَ ٱلْفُؤَادِ وَجَلْ

٢١— نَحْـلًا كَدَرْدَاقِ ٱلْحَفِيضَةِ مَرْ هُوبًا لَهُ حَوْلَ الْوَقُودِ زَجَلْ

٢٢— فِي يَافِعٍ جَوْنٍ يُلْفَعُ بِآلْـ صَّحْرَى إِذَا مَا تَجْتَنِيـهِ أَهَلْ

٢٣— يُعَلُّ مِنْهُ فُو قُتَيْلَةَ بِآلْـ إِسْفِنْطِ قَدْ بَاتَ عَلَيْهِ وَظَلْ

٢٤— لَوْ صَدَقَتْهُ مَا تَقُولُ وَلٰـ كِنَّ عِدَاتٍ دُونَهُنَّ عِلَلْ

٢٥— تَنْأَى وَتَدْنُو كُلُّ ذٰلِكَ مَا شَتَّى فَلَا تُعْطِي وَلَا تَبْخَـلْ

٢٦— قَدْ تَعْلَمِينَ يَا قُتَيْـلَةُ إِذْ خَانَ حَبِيبٌ عَهْدَهُ وَأَدَلْ

٢٧— أَنْ قَدْ أَجُدُّ ٱلْحَبْلَ مِنْهُ إِذَا يَا قَتْلُ مَا حَبْلُ ٱلْقَرِينِ شَكَلْ

٢٨— بِعَنْتَرِيسٍ كَٱلْمَحَالَةِ لَمْ يُثْنَ عَلَيْهَا لِلضِّرَابِ جَمَـلْ

٢٩— مَتَى ٱلْقُتُودُ وَٱلْفِتَانُ بِأَلْـ وَاحٍ شِدَادٍ تَحْتَهُنَّ عُجُلْ

(١٥ — ١٩) الأبل الفاجر والجدل والألد . البنان أطراف الأصابع . اللمى سمرة فى باطن اللثة . السيال نبات له شوك أبيض طويل . رتل مفلج حسن الاستواء . غيل (بفتح فسكون) ساعد مملوء لحما . الخلل جمع خلة (بكسر الخاء وتشديد اللام) وهو الجلد المنقوش . الأرى عسل النحل . الدبور جمع دبر (بفتح الدال وكسرها وسكون الباء) وهو جماعة النحل . يزفى يطرد . وقل فى الجبل (كضرب) صعد فيه .

(٢٠ — ٢١) المريرة الحبل الشديد الفتل . أهوى الشيء سقط ، وأهوت يده له امتدت وارتفعت . الوجل الخوف . (نحلا) مفعول (يذود) فى البيت السابق . الدردق الصغار من كل شيء . الحفيضة خلية النحل . زجل صوت مرتفع حاد . (حول الوقود) لأن الذي يجمع العسل يدخن عند الخلية ، فاذا دخل الدخان فيها فر منها النحل ، فيتمكن من جمع ما فيها من العسل .

(٢٢ — ٢٥) يافع مرتفع . الجون يطلق على الأسود وعلى الأبيض . يلفع بالصحرى ، كأنه قد اشتمل بها كما يتلفع الرجل بالشملة . أهل رفع صوته . عله سقاه مرة بعد مرة . الاسفنط نوع من الخمر (رومي معرب) . عدات أى وعود ، جمع عدة . علل أعذار تعتل بها وتنتحلها . أشياء شتى أى مختلفة . ما زائدة .

(٢٦ — ٢٩) أدل تكبر وتاه . جد الحبل (كنصر) قطعه . شكل اشتبك . عنتريس ناقة قوية ضخمة . المحالة الدولاب والبكرة العظيمة التى يدور حولها الحبل ، يشبه الناقة بها فى سرعتها . الضراب نزو الفحل على الأنثى . القتود جمع قتد (بالتحريك) وهو خشب الرحل أو أدواته جميعاً . الفتان غشاء للرحل من الجلد . الألواح جمع لوح ، وهو العظم العريض من عظام الجسم ، ما خلا قصب اليدين والرجلين . عجل (بالضم) جمع عجول (بفتح العين) يقصد بها قوائمها لسرعتها فى السير .

الفحول . إذا وُضع الرحل المكسو بالجلود فوق هيكلها الضخم المتين ، تحمله أربع شداد سراع ، فهى العُدَّة والعتاد فيما أقبل عليه من الأمر ؛ تمضى جريئة ، وتسير فى كبرياء ، وقد تباعد ما بين أرجلها وانفرج .

ويشبه الأعشى ناقته ، فى نشاطها وفى صلابتها وقدرتها على تحمل المشاق وتخطى العقبات ، بثور وحشى ، قاسى ألوانا من المتاعب والمشاق . وللمرة الثالثة ، ينسى الأعشى موضوع الحديث ، ويسرح خياله فى هذه الصورة الجديدة التى عرضت له . فيقدم لنا سلسلة من الصور الحية المتحركة ، يعرض فيها قصة هذا الثور ، فى كفاحه المرير .

(٣١ ـــ ٣٣) فهو ثور ضامر قد أهزله الجوع ، فاجأه مطر تسوقه ريح الشمال . فبات ليلته فوق تل من الرمال ، وقد اندس تحت أغصان الشجر ، منكبا على وجهه ، كأنه صَيْقَل قد أكب على شحذ السيوف . كلما اشتد هجوم المطر واندفاعه صاح (أَصْبِحْ لَيلُ !) ، ولكن الليل ثقيل بطىء لا يكاد ينقضى .

(٣٤ ـــ ٣٨) حتى إذا انجلى الصباح بعد هذا الليل الطويل ، صبَّحه صياد أغبر نحيل ، كأنه قناة الرمح ، خفيف لحم الفخذين ، خبير بمهاجمة الوحوش فى معاقلها . تتبعه كلاب مسترخية الآذان ، فى أعناقها الأطواق ، يسوقها هذا الصائد المغوار المظلم الوجه . وكأنه الذئب فى خفته ، إذا قصد طريدة لم يكد يتحول عنها ، حتى يرميها فيرديها لِتَوِّها .

(٣٩ ـــ ٤٢) ولا تكاد الكلاب تبصر هذا الثور الجائع المكدود ، حتى تنبعث نحوه مهاجمة ، فيجد فى العدو مسرعا كالشهاب ، متجها إلى كثيب من الرمال يعتصم به ، وقد صمم على الصمود للقتال . حتى إذا اقتربت منه ، أقبل عليها (وقد علته روعةٌ وفزع) ، خفيفا نشيطا . يسدد الطعن بقرنه فلا يخطىء هدفه ؛ ليس بالرث السلاح ، ولا بالذى ينكص على عقبيه فى القتال . فهو يطعن الكلاب محنقا مغيظا ، ذات اليمين وذات الشمال ، فى قوة وقسوة ، وقد تَعَبَّس وجهُه ، فأصبح منظره مرعبا مخيفا .

وبهذه القصة المثيرة ، المملوءة بالحركة ، يختم الأعشى قصيدته الرائعة .

٣٠— فِيهَا عَتَـادٌ إِذْ غَدَوْتُ عَلَى ٱلْـ … أَمْرِ وَفِيهَا جُرْأَةٌ وَقَبَلْ

٣١— كَأَنَّهَـا طَاوٍ تَضَيَّفَهُ … ضَرْبُ قِطَارٍ تَحْتَهُ شَمْأَلْ

٣٢— بَاتَ يَقُولُ بِٱلْكَثِيبِ مِنَ ٱلْـ … غَبْيَةِ أَصْبِحْ لَيلُ لَوْ يَفْعَلْ

٣٣— مُنْكَرِسًا تَحْتَ ٱلْغُصُونِ كَمَا … أَخْنَى عَلَى شِمَالِهِ الصَّيْقَلْ

٣٤— حَتَّى إِذَا ٱنْجَلَى الصَّبَاحُ وَمَا … إِنْ كَادَ عَنْهُ لَيْلُهُ يَنْجَلْ

٣٥— أَحَسَّ بِالسَّمَارِ عُجُـلَ طِمِلٍّ .... ٱلْغُفُلْ

٣٦— أَطْلَسَ طَـلَّاعَ النِّجَادِ عَلَى ٱلْـ … وَحْشِ غَبًا مِثْلَ ٱلْقَنَاةِ أَزَلْ

٣٧— فِي إِثْرِهِ غُضْفٌ مُقَـلَّدَةٌ … يَسْعَى بِهَا مُغَـاوِرٌ أَطْحَلْ

٣٨— كَالسِّيدِ لَا يَنْمِى طَرِيدَتَهُ … لَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَانُ حِوَلْ

٣٩— هِجْنَ بِهِ فَٱنْصَاعَ مُنْصَلِتًا … كَالنَّجْمِ يَخْتَارُ ٱلْكَثِيبَ أَبَلْ

٤٠— حَتَّى إِذَا نَالَتْ نَحَا سَلِبًا … وَقَدْ عَلَتْهُ رَوْعَةٌ وَوَهَلْ

٤١— لَا طَائِشٌ عِنْدَ ٱلْهِيَاجِ وَلَا … رَثُّ السِّلَاحِ مُغَادِرٌ أَعْزَلْ

٤٢— يَطْعَنُهَا شَزْرًا عَلَى حَنَقٍ … ذُو جُرْأَةٍ فِي ٱلْوَجْهِ مِنْهُ بَسَلْ

٤٣— ———————— ———————— رَفَلْ

(٣٠ — ٣٤) العتاد العدة للأمر وما تهيئه له . القبل (بالتحريك) الفحج ، وهو انفراج مابين الرجلين فى المشى . طاو جائع . تضيفه نزل به . الضرب المطر الخفيف . القطار جمع قطر (بفتح القاف) وهو المطر . الشمأل ريح الشمال . الكثيب التل من الرمل . الغبية الدفعة الشديدة من المطر . منكرسا مندساً قد انكب علي وجهه . الصيقل الذى يشحذ السيوف ويجلوها . أخنى انحنى .

(٣٥ — ٣٦) السمار اللبن المذوق الذى كثر مزجه بالماء . الطمل الذئب شبه به الصياد لخفته . عجل (بالضم) جمع عجول (بالفتح) وهو المسرع ، يقصد بها الكلاب . أطلس فى لونه غبرة إلى السواد . النجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض . غبا مصدر غبي (كعلم) أى خفي ، أى أنه يدب إلى هذه الوحوش خفية . أزل أرسح ، والرسح قلة لحم العجز والفخذين .

(٣٧ - ٣٨) غضف مسترخية الآذان ، غضف الكلب أذنه أرخاها . مغاور من غاور العدو أى أغار عليه . أطحل أغبر فى مثل لون الرماد . السيد (بكسر السين) الذئب . نمى الصيد رماه فأصابه ، ولكنه ذهب وفيه بقية من روح . فمات بعيداً بحيث لايراه . أحانه أهلكه ، والحين الهلاك . حول تحول وانتقال . أى أنه لا يتحول عن الصيد الذى قدر له أن يهلك على يديه .

(٣٩ — ٤٠) هاج الشىء ثار وتحرك وانبعث . هجن أي الكلاب . به أى بالثور . انصاع مر مسرعا . انصلت فى سيره أو عدوه مضى جادا . الأبل الألد الممتنع ، والشديد اللؤم الذى لا يدرك ماعنده ، والظلوم . السلب (ككتف) الخفيف . نور سلب الطعن بالقرن أى خفيفه . الروعة الخوف . الوهل الفزع .

(٤١ — ٤٣) الطائش الذى لا يصيب إذا رمى . رث ضعيف بال . مغادر يفر من المعركة . الأعزل الذى لا سلاح معه . طعنه شزرا أى عن يمين وشمال طعنا عنيفاً . فتل الحبل شزرا أي عن يسار وهو أشد لفتله . بسل عبوس . وجه باسل عابس كريه من أثر الغضب أو الشجاعة . رفل (كنصر) رفلا جر ذيله وتبختر ، أو خطر بيديه .

هذه القصيدة فى هجاء بني جحدر . وقد تقدمت فى هجائهم القصيدة (٢٣) . وتقدم كذلك فى هجاء شيبان بن شهاب الجحدرى ـ أحد سادتهم ـ القصيدتان (١٠) ، (٢٠) ، ثم القطعة (٥١) . والقصيدة من مجزوء البسيط ، وهو بحر نادر فى الشعر الجاهلى ، وليس فى ديوان الأعشى منه غير هذه القصيدة .

والواقع أن هجاء بنى جحدر لا يستغرق من هذه القصيدة إلا أقلها . فالقصيدة اثنان وعشرون بيتا ، لم يعرض الشاعر فيها لبنى جحدر إلا فى ستة أبيات (١٣ — ١٩) . أما بقية القصيدة ، فهو حديث عن بعض الأمم البائدة ، والمدن العامرة ، التى أصابها الخراب . ودار عليها الزمان ، يقدم الشاعر به للهجاء ، ويختمه كذلك به .

وليس حديث الشاعر الجاهلى فى مثل هذه المواضيع غريباً ، فهو مألوف كثير . فالشاعر الجاهلى ـ كما رأينا فى كثير من المواضع ـ كان يمثل الرجل المثقف ، الذى يحيط بكل المعارف فى عصره ، من تاريخ وأساطير وأنساب . وهو مع هذا رجل حكيم ، يمتاز من بين سائر الناس ، بأنه أعمق غوراً ، وأصح نظراً . لذلك كان من المألوف أن يعرض الشاعر لحديث مثل هذه الأمم البائدة ، حين يتحدث من تفاهة الدنيا ، وعن غدرها بالناس ، ليصل من ذلك إلى أن كل شيء يصير إلى الزوال والفناء . فهو لا يقصد من ذلك إلا إلى استنباط العظة والعبرة وقد جرى القرآن الكريم على هذا الأسلوب العربى المألوف فى التذكير وفى الترهيب والوعيد .

نقول إن مثل هذا الحديث عن الأمم البائدة ليس غريباً فى نفسه . ولكن موضع الغرابة هو أن هذا الحديث لا يمت لموضوع القصيدة بصلة ؛ ولا يصح أن يكون مقدمة أو خاتمة للجزء الهجائى القصير . ولذلك فمن الراجح أن تكون الأبيات الهجائية من القصيدة (١٣ — ١٩) جزءا مستقلا قائماً بنفسه .

والقصيدة مع هذا ضعيفة البناء ، مضطربة النظم ، مملوءة بالزحافات والعلل ، التى تنفر منها الأذن فى بعض الأحيان . فالقصيدة من مجزوء البسيط ، عروضها مقطوعة مخبونة (مستفعلن فاعلن فعولن) . ولكنه يقول فى البيت (٥) : وأهل غمدان جمعوا (متفعلن فاعلن فعل)، خبن (مستفعلن) وحذف (فعولن) . ويقول فى البيت (١٥) : قمنا إليكم ولم يردنا (مستفعلن فاعلن مفعولن) . بعد أن جرى فى كل القصيدة على خبن (مفعولن). وهو شاذ يصدم الأذن ، ويخرجها عما أنست إليه من النغمة التى تجري عليها سائر القصيدة .

وكل ما فى هذه القصيدة من حديث (عاد) و (ثمود)، يتفق مع ماجاء به القرآن الكريم . وهو أمر معقول . فالقرآن إنما كان يتحدث إلى العرب بما ألفوا ، وبما عرفوا وتداولوا . ولم يكن يقصد بذلك إلا إلى التذكير والعظة . فليس القرآن الكريم كتاب تاريخ ، وإنما هو كتاب دين . ولم تكن هذه القصص إلا أمثالا . فهو يختم قصة نوح وعاد وثمود فى سورة إبراهيم بقوله : (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) . ويقول فى سورة العنكبوت ، بعد أن يسهب فى قصص نوح ، وإبراهيم . وقوم لوط . وأهل مدين . وعاد . وثمود (وتلك الأمثال نضربها للناس . وما يعقلها إلا العالمون) ويقول فى سورة القمر بعد قصة قوم نوح وعاد (ولقد يسرنا القرآن للذكر. فهل من مدكر) ثم يكرر هذه الآية بعد قصة ثمود . ويكررها مرة ثالثة بعد قصة لوط .

وخلاصة ما جاء فى أخبار هذه الأمم البائدة . أن الملك بعد طوفان نوح كان فى عاد الأولى . الذين أشار إليهم القرآن الكريم بقوله (وأنه أهلك عادا الأولى) وقوله : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) . وهم الذين بنوا (إرم ذات العماد) . التى اشار اليها القرآن الكريم بقوله : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد) . وقد اختلفوا فى (إرم). بين قائل إنها اسم بلدتهم . وقائل إنها اسم أبيهم . أو اسم قبيلتهم . وقد أهلكهم الله ، حين خالفوا نبيهم (هودا) وكذبوه . وكانت مساكنهم فى أقصى الجنوب من شبه جزيرة العرب فى الدهناء وعالج ويبرين ووبار وعمان ، إلى حضرموت ، الى اليمن . وقد أصبحت الآن صحراء جرداء . ثم ظهر من بعدهم أبناء عمومتهم (ثمود) ـ وهم الذين يطلق عليهم اسم (عاد الثانية) ـ والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) . فأرسل الله إليهم نبيهم (صالحا) . فتحدوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة . فأخرجها لهم باذن الله . وجعل لها يوما تشرب فيه . وأنذرهم عذاب الله إن مسوها بسوء . فعدا عليها قدار بن سالف ـ وهو أحمر ثمود الذى يضرب به المثل فى الشؤم ـ فقتلها . فأنزل الله عليهم عذابه فأفناهم . وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله (انا أرسلنا الناقة فتنة لهم . فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم . كل شرب محتضر . فنادي صاحبهم فتعاطى فعقر . فكيف كان عذابى ونذر) وكانت مساكن ثمود قرب وادى القرى . ومن هذه الأمم البائدة كذلك (طسم) و (جديس) وكانت منازلهم فى (اليمامة). حيث صلبت الزرقاء على باب مدينة (جو) فسميت منذ ذلك باسمها .

يقول الأعشى :

١ — ألم تروا إلى (إرَمٍ) و (عاد) ، أفناهم تتابع الليل والنهار .

٢ — بادوا . فلما اجتمع شملهم من جديد ، لحقت بهم (ثمُود) ، بِشُؤْم أَحْمَرِهِمْ (قُدَار) .

٣ — وقبلهم غالت المنايا (طَسْماً) ، ولم ينجها الحذار

وقال فيما كان بينه وبين بنى جَحْدَر :

(بسيط، مجزوء)

١ — أَلَمْ تَرَوْ إِرَمًا وَعَادَا   أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
٢ — بَادُوا فَلَمَّا أَنْ تَآدَوْا   قَفَّى عَلَى إِثْرِهِمْ قُدَارُ
٣ — وَقَبْلَهُمْ غَالَتِ ٱلْمَنَايَا   طَسْماً وَلَمْ يُنْجِهَا ٱلْحِذَارُ
٤ — وَحَلَّ بِٱلْحَىِّ مِنْ جَدِيسٍ   يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُسْتَطَارُ
٥ — وَأَهْلُ غُمْدَانَ جَمَّعُوا   لِلدَّهْرِ مَا يُجْمَعُ ٱلْخِيَارُ
٦ — فَصَبَّحَتْهُمْ مِنَ الدَّوَاهِي   جَائِحَةٌ عَقْبُهَا الدَّمَارُ
٧ — وَقَدْ غَنُوا فِي ظِلَالِ مُلْكٍ   مُؤَيَّدٍ عَقْلُهُمْ جُفَارُ
٨ — وَأَهْلُ جَوٍّ أَتَتْ عَلَيْهِمْ   فَأَفْسَدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا
٩ — وَمَرَّ حَدٌّ عَلَى وَبَارٍ   فَهَلَكَتْ جَهْرَةً وَبَارُ
١٠ — بَلْ لَيْتَ شِعْرِى وَأَيْنَ لَيْتٌ   وَهَلْ يَفِيئَنَّ مُسْتَعَارُ
١١ — وَهَلْ يَعُودَنَّ بَعْدَ عُسْرٍ   عَلَى أَخِى فَاقَةٍ يَسَارُ
١٢ — وَهَلْ يُشَدَّنَّ مِنْ لَقُوحٍ   بِالشَّخْبِ مِنْ ثَرَّةٍ صِرَارُ

(١ — ٤) إرم بن سام بن نوح . عاد بن عوص بن إرم . أودي بهم أفناهم . تآدوا تفاعلوا، من الآيد وهو القوة . قدار: هو أحمر ثمود الذى يضرب به المثل فى الشؤم ، وهو الذى تولى قتل الناقة ، فأنزل الله عليهم العذاب بسببه . طسم وجديس وعاد وثمود ، كل هؤلاء أبناء عمومة . وهم من نسل إرم بن سام . شر مستطار شديد ، وقد استطار غضبه أى اشتد .

(٥ — ٧) غمدان أشهر قصور اليمن وعمائرها القديمة ، كان فى صنعاء . زعموا أن بناءه كان عشرين طبقة . وكانت الطبقة العليا مسقوفة برخام شفاف . الخيار الذهب ، والمال مطلقا ، أو هو أفضله . صبحتهم أتتهم صباحا . جائحة داهية . غنى بالمكان (كطرب) أقام . مؤيد قوى . جفار (بضم الجيم) واسع ، من قولهم جفر الشيء أى اتسع .

(٨ — ١٠) جو مدينة قديمة ، سميت بعد ذلك اليمامة ، نسبة إلى امرأة اسمها اليمامة ، وهى الزرقاء المشهورة بحدة البصر ، حين قلع (تبع) عينها وصلبها على باب مدينة (جو) . وكانت بعض منازل طسم وجديس . والزرقاء امرأة من جديس . باروا هلكوا . الحد نهاية الشيء ، أى أنها بلغت نهاية ما قدر لها من الأجل ثم هلكت . وبار من مساكن عاد فى الأحقاف . وقد زعموا أنها أصبحت بعدهم مساكن للجن . فاء يفيء رجع ، يقول :هل يرجع مامضي ؟

(١١ — ١٢) الفاقة الجوع والعوز . اللقوح الناقة ذات اللبن فى الشهرين الأولين بعد أن تنتج ولبنها أغزر ما يكون . شخب اللبن (كنصر وقطع) حلبة . ثرة غزيرة . الصرار ما يشد فوق ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها . يقول: إن شد الصرار لا يغنى شيئا إذا كانت الناقة غزيرة اللبن ؛ وهو مثل للعجز عن دفع المصائب .

٤ — وحل بـ (جَدِيسٍ) يوم من الشر مُستَطار .

٥ — وجمع أهل (غُمْدان) من المال والمتاع ، ما ظنوا أنه يدفع صروف الزمان .

٦ — فدهمتهم المصائب ، وصاروا كالذين قبلهم إلى الدمار .

٧ — بعد أن عاشوا ماعاشوا فى ظلال مُلْك عظيم ، يدبرون الأمر بعقول راجحة كبار .

٨ — وأتت صروف الزمان على أهل (جَوّ) فأهلكتهم ، وأصابهم البوار .

٩ — وعمرت (وَبَار) ، وازدهرت بالحضارة زمنا ، حتى بلغت أجلها ، فخربت الديار .

١٠ — ليت شعرى - وهل تغنى ليت - وهل يعود مامضى وفات ؟

١١ — وهل يعود العز واليسار على الفقير المنكوب بعد إعسار ؟

١٢ — وهل يدفع النكبات شىء ، حين تتوالى كما يَتَحَلَّبُ لبن الناقة المِدْرَار لا يَكُفُهُ الصِّرَار ؟

* * *

١٣ — أقسمتم لنقاتلنكم . فدونكم ما تمنيتم من القتال .

١٤ — كما أقسم (أبورياح) أمام الله ، ألا يدفع دية القتيل ، فَبَرَّتْ يمينُه ، إذ مات فى شَرّ حال .

١٥ — ها نحن أولاء نعيش مجتمعى الشمل ، وما أفدتم غير الطعن العنيف فى ظهوركم ، تندفع منه الدماء .

١٦ — قمنا إليكم لا يبرد غليلنا الماء ، ولا يسكن غضبنا رجاء .

١٧ — وصبرنا للقتال ، فليس من شأننا أن نفر عند اللقاء .

١٨ — وفررتم أنتم مذعورين قد لحقكم العار وكنتم من الجبناء .

١٩ — فليتنا لم نكن حيث نحن فى (نجد) ، وليتهم رحلوا إلى (الغَوْر) ، فلم نلتق ولم يجمعنا مكان .

* * *

٢٠ — مضى (لُقَيْم) و (قَيْل) و (لُقمان) فعريت منهم الديار .

٢١ — وفنى قومهم فلم يبق بعدهم أحد ، ثم خَلَفَتْ من بعدهم (نِزَار) .

٢٢ — فبلغوا الأوطار بعد البوار ، وقاتلوا حتى الانتصار .

١٣ — أَقْسَمْتُمْ لَا نُعْطِيَنَّكُمْ   إِلَّا عِرَارًا فَذَا عِرَار

١٤ — كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَاحٍ   يَسْمَعُهَا لَاهُهُ ٱلْكُبَار

١٥ — نَحْيَى جَمِيعًا وَلَمْ يُفِدْكُمْ   طَعْنٌ لَنَا فِي ٱلْكُلَى فَوَارُ

١٦ — قُمْنَا إِلَيْكُمْ وَلَمْ يُبْرِدْنَا   نَضْحٌ عَلَى حَمْيِنَا قِرَارُ

١٧ — فَقَدْ صَبَرْنَا وَلَمْ نُوَلِّ   وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا ٱلْفِرَارُ

١٨ — وَقَدْ فَرَرْتُمْ وَمَا صَبَرْتُمْ   وَذَاكَ شَيْنٌ لَكُمْ وَعَارُ

١٩ — فَلَيْتَنَا لَمْ نَحُلَّ نَجْدًا   وَلَيْتَهُمْ قَبْلَ تِلْكَ غَارُوا

٢٠ — إِنَّ لُقَيْمًا وَإِنَّ قَيْلًا   وَإِنَّ لُقْمَانَ حَيْثُ سَارُوا

٢١ — لَمْ يَدَعُوا بَعْدَهُمْ عَرِيبًا   فَغَنِيَتْ بَعْدَهُمْ نِزَارُ

٢٢ — فَأَدْرَكُوا بَعْدَ مَا أَضَاعُوا   وَقَاتَلَ ٱلْقَوْمُ فَٱسْتَنَارُوا

(١٣ — ١٥) العرار القتال . عره غشيه بما يكره . أبو رياح رجل من بنى ضبيعة ، قتل جارا لبنى سعد بن ثعلبة ، فسألوه أن يديه ، فحلف أن لا يفعل ، ثم إنه قتل بعد حلفته ، فبرت يمينه . يقول لهم : قد برت يمينكم ، حين أقسمتم متهكمين أن لا نعطيكم إلا القتال، كما برت يمين أبى رياح هذا . لا هه إلهه . وهم يستشهدون بهذا البيت على أن لفظ الجلالة (الله) أصله (لاه) ثم عرف بالألف واللام . الكبار العظيم . فار العرق هاج وقذف بالدم . ضرب فوار عنيف واسع يندفع منه الدم ، خفف التشديد لضرورة الشعر . طعن فى الكلى يريد أنهم يطعنون فى ظهورهم لأنهم يفرون منهزمين . الكلى جمع كلية .

(١٦ — ١٨) برد غليله بالماء وأبرده صب فيه ماء . نضحه بالماء (كضرب وقطع) رشه . ونضح عطشه سكنه . حميت الحديدة حميا (بفتح فسكون) وحموا (بتشديد الواو) اشتد حرها بالنار . نضحه بالماء رشه . ونضح عطشه سكنه . قرار جمع قرة وهو الماء البارد . قره بالماء برده .

(١٩ — ٢٢) نجدا ، لعله يقصد نجد برق ، وهو موضع باليمامة ، حيث كان يسكن قوم الأعشى . غاروا رحلوا الى الغور (بفتح فسكون) وهو تهامة . لقيم وقيل ولقمان هم وفد (عاد) الذين جاءوا الى مكة يستسقون ، بعد أن حبس الله المطر عن قومهم ثلاث سنوات. فمرت بهم سحائب ، ونودى منها . اختاروا . فاختاروا سحابة سوداء ، ظنا منهم أنها أغزرها ماء . فكان فيها هلاك قومهم . عريبا أى متكلما بالعربية . يقصد أن قومهم ماتوا جميعا . غنيت أقامت . نزار جد عرب الشمال (ربيعة ومضر) . أدركوا أى بلغوا ما أرادوا . أضاعوا أى أضاعوا الفرصة . استنار به ظفر به وعلا عليه .

— ٥٤ —

هذه القصيدة تشبه القصيدة (٣٩) من وجوه كثيرة . فهما تتفقان فى البحر والقافية . ثم إنهما تتفقان فى أن الشاعر سلك فى كل منهما أسلوبا هو أدنى إلى القصص فى الغزل ، والتمس العبرة والعزاء فى مصير ملوك اليمن . وتتفقان فى أن الممدوح فى كليهما لا نكاد نعرف عنه شيئاً. وتتفقان بعد كل هذا فى أن المدح لا يكاد يظفر من الشاعر إلا بأقل اهتمام ، ولا يتجاوز أبياتاً قليله فى نهاية كل من القصيدتين . فالقصيدة السابقة واحدوخمسون بيتاً لا يشغل المدح منها إلا ستة أبيات . والقصيدة التي بين أيدينا تسعة وأربعون بيتاً لا يتجاوز المدح فيها ثمانية أبيات .

وقد مرت بنا فى الديوان صورة أخرى من هذا الأسلوب القصصى فى القصيدة (٨) ، حين عرض الشاعر لوصف الخمر ، وما دار بينه وبين الخمار .

وفي أبيات القصيدة تقديم وتأخير يختل له النسق ويضطرب السياق . والأصوب عندى أن يكون ترتيبها : ١ — ٢٠ ، ٣٦ — ٤١ ، ٣٣ — ٣٥ ، ٢٦ — ٣٢ ، ٢١ — ٢٥ ، ٤٢ — ٤٩

وكان أبو عبيدة يرى أن هناك خلطا بين شعر الأعشي فى هذه القصيدة وبين شعر المخارق بن شهاب المازنى .

(١ — ٣) يتحدث الأعشى عن صاحبته (لَمِيس) ، بعد أن انقطع ما بينه وبينها من ود . وكأن تلك الأيام الحلوة الجميلة كانت بالأمس القريب . فهو يسائل نفسه : أوقد هجرتها اليوم ، أم أن العهد قد طال وتقادم على تلك الأيام ، وخلفتك للهم والكآبة ، وقد أصبحت بعيدة المنـــال ، لا يكاد يدركها الطلاب .

ولكن الأعشى لا يلبث أن ينصرف عن صاحبته ، ليتحدث عن بعض ذكريات شبابه وفتوته .

(٤ — ٨) فلقد كان يزور صواحبه ، فيدب إلى الحى فى سواد الليل ، حين ينام الناس ، تنبحه الكلاب ، وقد ركب فرسا طويل الظهر كأنه ساق النخلة ، يبرق صدره الأحمر كأنما خضب بالحناء ، ينقاد لراكبه فى سهولة ويسر ، وينبىء خده الأملس المسترسل عن كرم أصيل ، وعيش ناعم رقيق . فقد حبس هذا الفرس على المرعى البعيد ، الذى يفصله عن الحى مسير شهر ، وقد أنبته مطر الربيع الذى لا يُعيي الأعشى تتبعُه مهما بعدِ . فتراه وقد وشته الرياح بما تسوق من أمطار ، فغطت وجهه بالنبات والأزهار المختلفة الألوان ، كأنه الجلود المنقوشة التى تقدم للملوك .

(٩ — ١٢) وربما قصد إلى صاحبته فى قومها الذين يعيشون فى خصب ، يُطيف بالحى ، حتى إذا جن الليل ، واضطربت الذئاب فى الصحراء ، ومال القمر للمغيب — وقد كان ضوؤه الفضَّاح يحول دون بغيته —

وقال يمدح رجلا من كِنْدَةَ يقال له رَبِيعَةُ بْنُ حَبْوَةَ :

(كامل، مجزوء)

١ — أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ لَمِيـ ... سَ ٱلْيَوْمَ أَمْ طالَ ٱجْتِنابُهْ

٢ — .... إِلَى سَلْمَى .... ٱلْقَلْبَ ٱكْتِئَابُهْ

٣ — .... أَفْـ ... ـضَى نَازِحًا مِنْهَا طِلَابُهْ

٤ — وَلَقَدْ طَرَقْتُ ٱلْحَيَّ بَعْـ ... ـدَ النَّوْمِ تَنْبَحُنِى كِلَابُهْ

٥ — بِمُشَذَّبٍ كَٱلْجِذْعِ صَا ... كَ عَلَى تَرَائِبِهِ خِضَابُهْ

٦ — سَلِسٍ مُقَلَّدُهُ أَسِيـ ... ـلٍ خَدُّهُ مَرِعٍ جَنَابُهْ

٧ — فِى عَازِبٍ وَسْمِىِّ شَهْـ ... ـرٍ لَنْ يُعَزِّ بَنِى مَصَابُهْ

٨ — حَطَّتْ لَهُ رِيحٌ كَمَا ... حُطَّتْ إِلَى مَلِكٍ عِيَابُهْ

٩ — وَلَقَدْ أَطَفْتُ بِحَاضِرٍ ... حَتَّى إِذَا عَسَلَتْ ذِئَابُهْ

١٠ — وَصَغَا قُمَيْرٌ كَانَ يَمْـ ... ـنَعُ بَعْضَ بِغْيَةٍ ٱرْتِقَابُهْ

١١ — أَقْبَلْتُ أَمْشِى مِشْيَةَ ٱلْـ ... ـحَشْيَانِ مَزْوَرًّا جِنَابُهْ

١٢ — وَإِذَا غَزَالٌ أَحْوَرُ ٱلْـ ... ـعَيْنَيْنِ يُعْجِبُنِى لِعَابُهْ

(١ — ٥) صرم الحبل وجبه واجتبه قطعه . أفضي المكان إفضاء اتسع . نازحا بعيدا . طرقه دخله ليلا . فرس مشذب طويل ليس بكثير اللحم، استعير من الجذع المشذب أى المقشور . الجذع ساق النخلة . صاك لصق . الترائب عظام الصدر ، واحدتها تريبه . الخضاب الحناء وكل ماخضب به ، يقصد به حمرة الشعر الزاهيه فى صدر الفرس من أثر السمن والمرعى الحسن .

(٦ — ٨) سلس سهل الانقياد . مقلده عنقه أي موضع القلادة منه . خد أسيل لين أملس طويل . مرع المكان كثر كلأه . الجناب الفناء وما قرب من محلة القوم . العازب الكلأ البعيد . الوسمى مطر الربيع ، لأنه يسم الأرض بالنبات . صاب المطر يصوب انصب ونزل ، ومصاب مصدر ميمى منه . لن يعز بنى أى لا يبعد علي . حط الاسكاف الجلد صقله أو نقشه بخشبة معدة لذلك حتى يلين ويبرق . العياب جمع عيبة ، وهى جراب من جلد .

(٩ — ١٢) الحاضر هم القوم ينزلون عند الماء الدائم الذى لا ينضب ، فيرعون كلأه لا يتحولون عنه صيفاً ولا شتاء ، وهو يطلق كذلك على الحى نفسه فيكون حاضر بمعنى محضور . عسلت ذئابه اضطربت . صغا (كسمر وقطع) مال للغروب . الحشيان (بالحاء) المصاب بالربو ، وهو ضيق النفس . والخشيان (بالخاء المعجمة) الخائف . مزور معوج الزور أى الصدر . جنابه جانبه . اللعاب والملاعبة مصدر لاعب .

أقبل يمشى فى حذر ، يخفى شخصه متضائلا منحنى الصدر . ودخل على صاحبته ، فأذا هى كالغزال الأحور العينين ، الرشيق الحركة . (١)

(١٣—١٤) ما أجمل الحلى والقلائد فى صدرها الجميل ، وما أطيب رائحته .

بيضاء ، ينشرح لمنظرها الصدر ، عذبة الروح ، يزين كفها الخضاب .

(١٥—٢٠) إنى لأتكلف فى سبيلها المشاق ، وأركب بغية الوصول إليها الأهوال . ولو أن دونها وادى (المَرُّوت) ، وقد تدافعت السيول تجرى فى شِعابه ، حتى غمرت الآجام ، وغطت شجر (الطَّرْفَاء) الطويل ، لعبرته إليها سابحا . ولو أن دون لقائها جبلا شاهقا تزل فى رقيه الأقدام ، لفتشت عن طريق للصعود فيه ، واحتملت مسالكه الصعبة راضيا مسرورا ، حتى أصل إليها . ولكم يحتمل المحب من مشاق تنوء بها طاقته ، وتورثه الذم وآلعاب ، وتثير حوله القيل والقال . ولو قام دون لقائها أسد يبعث الفزع فى القلوب ، بشعره الكثيف الذى يكلل هامته ، وأنيابه المحددة وقد برزت كأنها السهام ، لأقبلت عليه بسيفى أجالده غير هياب .

ويمضى الأعشى فيما كان بسبيله من ذكريات الشباب فيقول :

---

(١) تذكرنا قصة الأعشى هذه بقصة أخرى لعمر بن أبى ربيعة ، صورها فى رائيته المشهورة ، حيث يقول :

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ ... مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِٱلْعِشَاءِ وَأَنْؤُرُ

وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ ... وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

وَنَفَّضْتُ عَنِّيَ النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ ٱلْـ ... ـحُبَابِ وَشَخْصِى خَشْيَةَ ٱلْحَىِّ أَزْوَرُ

١٣— حَسَنٌ مُقَلَّدُ حَلْيِهِ وَالنَّحْرُ طَيِّبَةٌ مَلَابُهْ

١٤— غَرَّاءُ تَبْهَجُ زَوْلَهُ وَالْكَفُّ زَيَّنَهَا خِضَابُهْ

١٥— لَعَبَرْتُهُ سَبْحًا وَلَوْ غُمِرَتْ مَعَ الطَّرْفَاءِ غَابُهْ

١٦— وَلَوْ أَنَّ دُونَ لِقَائِهَا جَبَلًا مُزَلِّقَةً هِضَابُهْ

١٧— لَنَظَرْتُ أَنَّى مُرْتَقَا هُ وَخَيْرُ مَسْلَكِهِ عِقَابُهْ

١٨— لَأَتَيْتُهَا إِنَّ الْمُحِـ بَّ مُكَلَّفٌ دَنِسٌ ثِيَابُهْ

١٩— وَلَوْ أَنَّ دُونَ لِقَائِهَا ذَا لِبْدَةٍ كَالزُّجِّ نَابُهْ

٢٠— لَأَتَيْتُهُ بِالسَّيْفِ أَمْـ شِى لَا أُهَدُّ وَلَا أُهَابُهْ

٢١— وَلِىَ ابْنُ عَمٍّ مَا يَزَا لُ لِشِعْرِهِ خَبَبًا رِكَابُهْ

٢٢— سَحًّا وَسَاحِيَةً وَعَمَّـ ا سَاعَةٍ ذَلِقَتْ ضِبَابُهْ

٢٣— مَا بَالُ مَنْ قَدْ كَانَ حَظِّـ ى مِنْ نَصِيحَتِهِ اغْتِيَابُهْ

٢٤— يُزْجِى عَقَارِبَ قَوْلِهِ لَمَّا رَأَى أَنِّى أَهَابُهْ

(١٣ — ١٤) المقلد النحر أو موضع القلادة . والنحر أعلى الصدر . الملاب نوع من الطيب . غراء بيضاء . بهجه (كقطع) سره وأفرحه . الزول العجب . وهذا زول من الأزوال أى عجب من العجائب . والزول كذلك الشخص ، والخفيف الظريف الفطن . والزولة (ويمكن أن يقرأ بها الشعر) المرأة الخفيفة الفطنة .

(١٥ — ١٦) لعبرته خبر لشرط محذوف . ولا بد أن يكون قبل هذا البيت بيت قد سقط . وكأنه على ما نقدر (ولو أن دون لقائها بحراً مخيفاً) لعبرته . وقد أورد (Geger) فيما روى للأعشى مما ليس فى ديوانه بيتاً نقله ابن سيدة فى المخصص ج ١٠ ص ٣١ وهو : (ولو أن دون لقائها المروت دافعة شعابه) فلعل موضعه هنا ، ولعله هو البيت الساقط . المروت اسم واد . شعابه مسالكه ومنعطفاته . دافعه أى تفيض بالماء يدفع بعضه بعضاً . الطرفاء شجر على أنواع كثيرة ، منه الأثل ، وهو شجر طويل ذاهب فى السماء . ولذلك يشبهون به المرأة المديدة المعتدلة القوام . وخشبه من الأخشاب النفيسة عند العرب . تتخذ منه الأقداح الصفر الجياد . الغاب جمع غابة ، وهى الأجمة من القصب . مزلقة هضابه ، يزلق الصاعد فيها ويزل للاستواء وصعوبة الرقى فيها .

(١٧ — ١٩) مرتقاه موضع الارتقاء والصعود فيه (اسم مكان) العقاب جمع عقبة (بالتحريك) وهى المرقى الصعب من الجبال ، والطريق فى أعلاها ، مكلف يتحمل فوق طاقته . دنس ثيابه لا يبالى أن يأتى ما يصمه فى سبيل من يحب . لبدة الأسد الشعر حول رقبته الزج نصل السهم ، والحديدة التى فى أسفل الرمح .

(٢٠ — ٢١) لا أهد أى لا أتردد ولا أجبن . هده الأمر ضعضع قواه وحطم عزمه . الخبب السرعة . خب الفرس راوح بين يديه ورجليه فى عدوه . الركاب الابل ، لا واحد لها من لفظها .

(٢٢ — ٢٤) سح الماء سحا وسحوحا (لازم) سال منحدراً . وسح الماء (متعد) صبه متتابعاً كثيراً . واستنشدته قصيدة فسحها على سحا أى كرهامسرعا . ذلق اللسان (كعلم) ذرب فهو ذلق أى فصيح حديد . الضباب الأحقاد ، جمع ضب (بكسر الضاد) وهو الغيظ والحقد الخفي .

(٣٦—٤١) كم غشيت من حوانيت ، لدى خمَّار أمين لا يقدم إلا أجود الخمور . يتوارد على خمره الشاربون ، فيغترفون منها بالأقداح ، صغيرِها والكبير . إذا حاسبه الندماء مدققين ، لم يصرفنى حسابه عما أنا مقبل عليه من شراب ، فأنا أشرب بكل ما أملك من مال ومتاع ، أشرب بالناقة الضخمةالكبيرة ، وبالفحل الكبير . وكم شهدت من معارك ، تخفق الرايات فيها فوق الأمير ، فلم يكن همى المغانم ، حين يقتسم الناس الأسلاب .

ولم تكن النساء والحروب هى كل ما يصبو إليه قلب الأعشى فى شبابه ، فقد كان يعشق الطبيعة ويتذوق جمالها .

(٣٣—٣٥) فهو يلفت صاحبه إلى البرق ، يلمع ضوءه بين الجبلين ، فيثير إعجابه ، حين تنشق السحب عن بريقه اللمَّاح ، وقد سدت الآفاق ، وأقامت لا تبرح فى السماء ، مُرْعِدة مدوِّية . وكأنها وقد تجمعت متكاثفة متراكبة ، قطيع من النعام ، تهدل ريشه معلقا فى الفضاء .

ويعود الأعشى إلى نفسه ، بعد هذا الحلم الطويل الجميل ، ليتعزى فى شيخوخته بأخبار من مضى وفات من أصحاب الجاه والسلطان ، فيقول :

(٢٦—٣٢) ألم تر قصر (رَيْمَان) العظيم ، وقد أمسى خاويا مخرب البنيان . تسكنه الثعالب بعد قومه الناعمين الكرام ، وقد كانوا شعبا منظما ، يدبر أمرهم ملك قوى ، يرجون ثوابه ، ويتقون العقاب . تداولته الفُرْس بعد الحُبْش ، حتى هدموا بابه . فتراه وقد تداعت شرفاته ، وانسحقت مختلطة بالتراب . ويا ربما كان فى عزٍّ مقيم ، ورَغَدٍ من العيش لا يَرِيم .

٢٥— .... ـابُهْ

٢٦— يَا مَنْ يَرَى رَيْمَانَ أَمْ سَى خَاوِيًا خَرِبًا كِعَـابُهْ

٢٧— أَمْسَى الثَّعَالِبُ أَهْلَهُ بَعْدَ الَّذِينَ هُمُو مَآبُهْ

٢٨— نِ سُوقَةٍ حَكَمٍ وَمِنْ مَلِكٍ يُعَدُّ لَهُ ثَوَابُهْ

٢٩— بَكَرَتْ عَلَيْهِ الْفُرْسُ بَعْـ ـدَ الْحُبْشِ حَتَّى هُدَّ بَابُهْ

٣٠— فَتَرَاهُ مَهْدُومَ الْأَعَا لِي وَهْوَ مَسْحُولٌ تُرَابُهْ

٣١— وَلَقَدْ أَرَاهُ بِغِبْطَةٍ فِي الْعَيْشِ مُخْضَرًّا جَنَابُهْ

٣٢— فَخَوَى وَمَا مِنْ ذِي شَبَا بٍ دَائِمٍ أَبَدًا شَبَابُهْ

٣٣— بَلْ هَلْ تَرَى بَرْقًا عَلَى الْـ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي انْجِيَابُهْ

٣٤— مِنْ سَاقِطِ الْأَكْنَافِ ذِي زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحَابُهْ

٣٥— مِثْلِ النَّعَامِ مُعَلَّقًا لَمَّا دَنَا قَرِدًا رَبَابُهْ

٣٦— وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ الْـ أَمَّانَ مَوْرُودًا شَرَابُهْ

٣٧— بِالصَّحْنِ وَالْمِصْحَاةِ وَالْـ إِبْرِيقِ يَحْجُبُهَا عِلَابُهْ

٣٨— فَأَذَا تُحَاسِبُهُ النَّدَا مَى لَا يُعَدِّينِي حِسَابُهْ

(٢٦ — ٢٧) ريمان قصر من قصور اليمن القديمة كان فى ظفار . وغيمان (ولعله هو المقصود ، فابت الغين راء) قصر من قصور اليمن ، كانت تدفن فيه ملوكهم وعظماؤهم ، وكان فيه حائط مدور فيه كوي تقع الشمس كل يوم فى كوة منها (الاكليل ٨ : ٧٨) . كعاب جمع كعبة ، وهى الغرفة أو كل بيت مربع . مآبه ساكنوه الذين كانوا يقطنونه ويؤوبون إليه أى يرجعون .

(٢٨ — ٣٠) السوقة الرعية من الناس ، للواحد والجمع . رجل حكم مسن ، وحكمه حكما (بفتح الحاء) منعه من الفساد . والمعنى لايستقيم إلا بأن تكون حكم بمعنى محكومين . الثواب الجزاء على الأعمال خيرها وشرها . يعد ثوابه أى يرجى ويتقى من عد الدراهم أى أحصاها وحسبها . بكرت عليه أسرعت إليه وأصله من البكور وهو أول الصبح . حتى هد بابه ، ذلك لأن وهريز الفارسى لما عزم الحبشة جاء بالعلم فلم يدخل من الباب ، فتطير أن يدخل العلم منكوساً فأمر بهدم الباب . مسحول من سحله أى سحقه وقشره ونحته .

(٣١ — ٣٤) مخضر الجناب رغد العيش . والجناب الفناء وما قرب من محلة القوم . خوي سقط وتهدم . انجاب الثوب انشق . وانجابت السحابة انكشفت وانقطعت . الأكناف النواحي . الزجل الصوت الحاد المرتفع . أرب بالمكان أقام .

(٣٥ — ٣٨) قرداً مجتمعا ، تقرد الشعر والصوف تلبد واجتمع . الرباب السحاب الأبيض ، وهو كذلك الجماعة . التاجر بائع الخمر . الأمان (كرمان) المؤتمن الذى يوثق به ، فهو لا يقدم إلا أجود الخمر . الصحن القدح الضخم ، والقصعة الصغيرة . المصحاة قدح من فضة يشرب به . العلاب (بكسر العين) جمع علبة (بضم العين) ، وهو قدح ضخم من خشب ، أو من جلود الابل يوطر حولها قضيب . عداه عن الأمر صرفه وشغله . أى أنه لا يبالى أن يحاسبه فهو سخى يبذل فى شربها . حسابه مصدر حاسبه .

ويختم هذا القصص القصير متعزيا معتبرا ، بقوله .

خوى ذلك القصر العظيم متهدما خربا . وكذلك يصير كل شىء إلى زوال ، ولا يدوم لذى الشباب شباب .

ثم يختم الأعشى قصيدته ، بذلك الممدوح الكِنْدِىّ المجهول (ربيعة بن حَبْوَة) فيقول :

(٤٢—٤٤) دع عنك كل ذلك ، وقل لآل (كِنْدَة) : خبرونى عن (ابن كَبْشَة) ، ماذا نقمتم عليه ، وما الذى كنتم تعيبونه فيه ؟ إن الرزء الفادح لهو مثل ذلك اليوم، الذى فارق فيه (حَبْوَةَ) أصحابُه، وتخلوا عنه فى القتال ، حتى نهب متاعه ، وهدمت خيامه الضخمة ، فاندفعت ريح المسك من داخلها، فوّاحة تعطر الجو .

(٤٥—٤٩) من ذا يبلغنى ابنه (ربيعة) ، وله فى رقبتى دَيْنٌ لا أنساه له مدى الدهر . إنى إن أتيته لم يَخْفَ عطاؤه ، ولم يتجاوز ناقتى ثوابُه . وإن يكن كريما ابن كريم ، فأنما يرجع كل كريم إلى معدنه ، ويَصْدُرُ عن أصله ومنبته .

٣٩— بِالْبَازِلِ ٱلْكَوْمَاءِ يَتْـ بَعُهَا الَّذِى قَدْ شَقَّ نَابُهْ

٤٠— وَلَقَدْ شَهِدْتُ ٱلْجَيْشَ تَخْـ فِقُ فَوْقَ سَيِّدِهِمْ عُقَابُهْ

٤١— فَأَصَبْتُ مِنْ غَيْرِ الَّذِى غَنِمُوا إِذِ ٱقْتُسِمَتْ نِهَابُهْ

٤٢— بَلْ آلَ كِنْدَةَ خَبِّرُوا عَنِ ٱبْنِ كَبْشَةَ مَا مَعَابُهْ

٤٣— إِنَّ الرَّزِيئَةَ مِثْلُ حَبْـ وَةَ يَوْمَ فَارَقَهُ صِحَابُهْ

٤٤— بَادَ ٱلْعَتَادُ وَفَاحَ رِيـ حُ ٱلْمِسْكِ إِذْ هُجِمَتْ قِبَابُهْ

٤٥— مَنْ ذَا يُبَلِّغُنِى رَبِيـ عَةَ ثُمَّ لَا يُنْسَى ثَوَابُهْ

٤٦— إِنِّى مَتَى مَا آتِهِ لَا يَجْفُ رَاحِلَتِى ثَوَابُهْ

٤٧— .... ———— ـابُهْ

٤٨— .... لِجَـ لِسِهِ وَلَا يُخْشَى شِغَابُهْ

٤٩— إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱبْنَ ٱلْكَرِيـ مِ لِكُلِّ ذِى كَرَمٍ نِصَابُهْ

(٣٩ — ٤١) بالبازل . أى أنه يشرب بثمن البازل ، وهى الناقة الـكبيرة التى بزل نابهـا ، وذلك فى السنة التاسعة من عمرها . الـكوماء الضخمة . الذى شق نابه الفحل الـكبير من الابل فى سن التاسعة كذلك . شهد حضر . العقاب (بضم العين) الراية . النهاب الغنائم ، جمع نهب (بفتح فسكون) .

(٤٢ — ٤٥) ابن كبشة هو الممدوح . ما معابه ما عيبه . الرزيئة المصيبة . حبوة أبو الممدوح (ربيعة بن حبوة) . فارقه صحابه ، تخلوا عنه فى القتال . هجم البيت هدمه . العتاد كل ما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب .

(٤٦ — ٤٩) لا يجفوها ثوابه ، أى لاينحرف عنها ولا يتعداها . الشغاب ،صدر شاغب ، أى أنه مأمون الشر . النصاب الأصل والمرجع . وخبر إن جملة (لـكل ذى كرم نصابه) .

اختلف الرواة فى هذه القصيدة ، هل هى فى مدح قيس بن معديكرب ، أم هى فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وروى البيت (٣٠) على وجهين (تؤم إياسا) و (تيمم قيسا) . وليس فى القصيدة ما يرجح أحد الوجهين . فالقصيدة أشبه بمدائح الأعشى لقيس بن معديكرب ، فى أسلوبها الذى يعتمد في المدح على تعديد ما يهب الممدوح ، وعلى العناية بابراز صفة الكرم بنوع خاص . ثم هى من ناحية أخرى ملآى بالألفاظ الفارسية ، وتصوير بيئات الخمر ، مما يناسب مدح إياس ، الذى كان واليا للفرس على العراق . وقد تقدم للأعشى فى مدح إياس القصائد : ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ وسيجىء فى مدحه القصيدة ٧٩ . أما قيس بن معديكرب ، فقد مدحه الأعشى في القصائد : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ وسيجىء بعد ذلك قصيدتان ، هما ٦٨ ، ٧٨ .

(١ — ٢) بدأ الأعشى قصيدته بذكر (قُتَيْلة) أحب صواحبه إليه ، وأكثرهن ترددا فى غزله ، فقد طاف به خيالها ، بعد أن تراخى ما كان بينهما من ود وانقطع ، فبات مشرد الفكر ذاهلا ، كشاربٍ بعد النوم خمرًا سلسة ، كأنها عصارة (العَنْدَم) الحمراء .

وكأن الأعشى لم يذكر صاحبته إلا ليتوسل بها إلى الخمر ، فما هو إلا أن يَعْرِض له هذا التشبيه ، حتى يمضى فى وصف هذه الخمر إلى غير عودة لـ (قُتَيْلة) . فيقول :

(٣ — ٧) إذا ثقب سِداد الدَّن الأسود ، فسالت منه الخمر ، سطعت رائحتها فوَّاحة قوية . يقف الخَمَّار من دونها لا يبرحها ، كأنه الحارس الذى يحرص على كنزه ، فإذا ذُبح الدَّن فسالت منه ، راح يتمتم ويهمهم مثنيا عليها مبارِكا . وكيف لا يفعل وهى خلاصة خمر (بابل) ، مما سال وتحلَّب قبل أن تعصر ، فكأنها فى دنِّها المسدود بالختام ، قد مُزجت بالعنبر والمسك . يطوف بها الساقى وقد علق فى أذنيه لؤلؤتين ، يسرع فى رشاقة ليلبى النداء ، وقد شد على فمه وأنفه خرقة بيضاء . يحمل الكأس والإبريق ، وتبدو الخمر حين يصبها فى طاسه الفضى ، كأنها قد مزجت بعصارة شجر (البَقَّم) الحمراء .

(٨ — ١٢) ويمضى الأعشى فى وصف مجلس الخمر ، وما يحيطه من أزهار ورياحين وغناء ، فيجلو لنا صورة من بيئات الخمر الفارسية المترفة فى العراق ، ويعدد ألوان الرياحين وآلات الطرب ، التى لم يعرفها العرب ، بأسمائها الفارسية ، من جُلَّسان وبَنَفْسج وسِيسَنْبَر ومَرْزَجُوش ، إلى آخر هذه الأسماء ، التى يعددها الأعشى مزهوا مباهيا ، كما يعدد القروى الساذج ألوان الطعام وأدوات اللهو والترف فى العواصم ، ليرينا أنه قد عرفها وخبرها .

شرب الأعشى الخمر ومن حوله هذه الألوان المنمقة من الرياحين ، فى عيد (الهِنْزَمْن) ، حتى تعتعه السكر . وشربها فى كل يوم غائم ، حين يحلو الشراب فى جوه الرطيب المثير . وشربها على نغمات (الوَنّ) و (البَرْبَط) ، يصحبهما جَرْس (الصَّنْج) الرنان . ومن حوله ندماء ظرفاء ، صفت قلوبهم ، وتآلفت نفوسهم . وكلهم يجله ويعظمه .

وقال يمدح إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِيَّ (ورُوِيَتْ في مَدْحِ قَيْسِ بْنِ مَعْدِيكَرِب)

١ — أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ قُتَيْلَةَ بَعْدَ مَا   وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا   (طويل)

٢ — فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ   سُخَامِيَّةً حَمْرَاءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا

٣ — إِذَا بُزِلَتْ مِنْ دَنِّهَا فَاحَ رِيحُهَا   وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِنْ أَسْوَدِ ٱلْجَوْفِ أَدْهَمَا

٤ — لَهَا حَارِسٌ مَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا   إِذَا ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمْزَمَا

٥ — بِبَابِلَ لَمْ تُعْصَرْ فَجَاءَتْ سُلَافَةً   تُخَالِطُ قِنْدِيدًا وَمِسْكًا مُخَتَّمَا

٦ — يَطُوفُ بِهَا سَاقٍ عَلَيْنَا مُتَوَّمٌ   خَفِيفٌ ذَفِيفٌ مَا يَزَالُ مُفَدَّمَا

٧ — بِكَأْسٍ وَإِبْرِيقٍ كَأَنَّ شَرَابَهُ   إِذَا صُبَّ فِي ٱلْمِصْحَاةِ خَالَطَ بَقَّمَا

٨ — لَنَا جُلَّسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ   وَسِيسِنْبَرٌ وَٱلْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا

٩ — وَآسٌ وَخِيرِيٌّ وَمَرْوٌ وَسَوْسَنٌ   إِذَا كَانَ هِنْزَمْنٌ وَرُحْتُ مُخَشَّمَا

١٠ — وَشَاهَسْفَرَمْ وَٱلْيَاسَمِينُ وَنَرْجِسٌ   يُصَبِّحُنَا فِي كُلِّ دَجْنٍ تَغَيُّمَا

١١ — وَمُسْتَقُ سِينِينٍ وَوَنٌّ وَبَرْبَطٌ   يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إِذَا مَا تَرَنَّمَا

١٢ — وَفِتْيَانُ صِدْقٍ لَا ضَغَائِنَ بَيْنَهُمْ   وَقَدْ جَعَلُونِي فِيسَحَاهَا مُكَرَّمَا

(١ — ٤) ألم زار زيارة قصيرة. وهى ضعف . تصرم انقطع . السخام والسخامى والسخامية الخمر السلسة اللينة الهمز فى الحلق . شعر سخام لين . العندم شجر أحمر . بزل الخمر ثقب إناءها بالمبزل . أسود الجوف هو الدن ، لأنه مطلى بالقار (الزفت) . أدهم أسود . ذبحت أى ثقب إناؤها فسالت منه كما يسيل دم الذبيح . زمزم العلوج تراطنوا على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة ، ولـكنه صوت يديرونه فى خياشيمهم فيفهم بعضهم عن بعض. صلى عليها أثنى عليها وباركها .

(٥ - ٦) بابل مدينة قديمة كانت تبعد عن بغداد بثلاثة وتسعين كيلو مترا . وقد بلغت أوج عظمتها فى عهد بختنصر سنة ٦٠٤ ق . م . ثم خربها دارا . ثم فتحها الاسكندر المقدونى ومات فيها سنة ٣٠٤ ق . م . والعرب ينسبون إليها الخمر والسحر . السلافة ما تحلب وسال قبل العصر وهو أجود الخمر . القند (بفتح القاف) والقنديد (بكسرها) عسل قصب السكر (فارسى معرب) والقنديد كذلك العنبر والكافور ، والمسك طيب يتخذ من دم الغزال . ختم الاناء سده بالطين ونحوه . متوم قد وضع فى أذنيه تومتين ، والتومة (بضم التاء) اللؤلؤة . ذفيف مسرع . مفدم قد شد على أنفه وفمه خرقة بيضاء .

(٧ — ٩) المصحاة قدح من فضة يشرب به . البقم شجر ساقه أحمر يصبغ به . الجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش أنواع من الورود والرياحين ، وكلها أسماء فارسية معربة . نمنمه زخرفه ونقشه وزينه . الآس والخيرى والمرو والسوسن كلها أنواع من الرياحين . الهنزمن عيد من أعياد النصارى (معرب) . مخشم سكران شديد السكر . خشمه الشراب (بالتشديد) تثورت رائحته فى خيشومه فأسكرته .

(١٠ — ١٢) الشاهسفرم والياسمين والنرجس أنواع من الرياحين . يوم دجن قائم كثير المطر ، والدجن أن يسد الغيم أقطار السماء . المستقة آلة يضرب عليها (معرب) . الون ضرب من آلات الطرب الوترية . البربط هو المزهر أو العود ، وكلها فارسى الأصل . الصنج دوائر من النحاس تثبت فى أطراف الأصابع ويصفق بها على نغمات موسيقية . فيسحاه ، لم أعثر لها على أصل . وفى المعاجم : هو يمشى الفيسحى أى يباعد فى خطوه .

فأذا أشبع الأعشى رغبته فى المباهاة بهذه الألوان الأعجمية المترفة ، انتقل إلى المباهاة بلون آخر من صميم الحياة العربية ، وهو الجرأة على اقتحام الصحراء . فيقول :

(١٣ — ١٦) دع عنك كل ذلك ، وتعال معى إلى الصحراء . كم من تيه رملى يضل فيه السالك ، قد قطعته فوق ناقتى الضامرة ، فى ظلام الليل البهيم . فأنا أخوض الصحراء بناقة سريعة جريئة ، كأنها الجمل الفحل ، حين يتزود الراكب لرحلته الطويلة بالماء ، ويلوث عمامته فوق رأسه ، متهيئا لما هو مقبل عليه من أمر . ترى عينها منحرفة فى جنب مؤقها ، تراقب فى كنى سوطا يابسا لم يمس جلدها قبلين . وكأنها إذ تحمل رَحْلى المكسو بالجلد والوسائد ، وقد نال منها الكلال ؛ ثورٌ أفطس الأنف أسْفَع الخد ، قد هزله الجوع .

ثم يمضى الأعشى مستطردا إلى هذه القصة التقليدية الطويلة ، قصة الثور فى كفاحه المر العنيف . وهى صورة مكررة معادة فى الشعر الجاهلى ، قلما يتغير فيها الخيال أو الألفاظ ، وقد مرت بنا هذه الصورة منذ قليل فى القصيدة (٥٢) . ولها نظائر فى شعر امرىء القَيْس ، والنابغة الذُّبْيانى ، وأوْس ، والمُتَلَمِّس ، والمُثقَّب العَبْدى ، وأبى ذُؤَيب الهُذَلى ، والنابغة الجعدى .[1]

يقول الأعشى :

(١٧ — ٢٠) كأن ذلك الثور ، فى ظهره الأبيض وجسمه الأسود ، قد لبس ثوبا ناصعا ، من تحته جلد قاتم ، صبغه رَجُلٌ صَنَاعٌ بصبغ (العِظْلِم) الأسود . بات هذا الثور ليلته ظمآن طاويا ، يديم النظر إلى السماء ، كأنه يبارى رهطا بعدت أرضهم عن الكلأ والماء ، فصاموا عن الطعام والشراب . يلجأ إلى شجرة (أرْطَى) فى منعرج الرمال ، تعصف من حوله ريح شمالية هوجاء ، فتترك وجهه أغبر قاتما . وأكب الثور على أصل الشجرة بقرنيه ، يحفر فيها بيتا يؤويه ، فى هذا الموضع المكشوف ، الذى تنهال رماله غير متماسكة .

(٢١ — ٢٣) فلما أضاء الصبح ، قام من وكره مبادرا ، وقد حان انطلاقه من حيث أقام . فصبّحته كلابُ (عوف ابن أرقم) الصائد ، عند شروق الشمس فى الصباح المبكر . وكان ذلك الصياد يقودها إلى جنبه ،

(١) ديوان امرىء القيس ص ١٠٠ و ديوان النابغة الذبيانى ص ٢٩ ، ٢٠٦ ؛ (مطبعة الهلال ١٩١١) ، وشعراء النصرانية ص ٣٤٥ ، ٤٠٣ وجمهرة أشعار العرب ص ١٠٦ ، ٢٢٦ ، ٣٠٢ (المطبعة الرحمانية ١٩٢٦) .

١٣— فَدَعْ ذَا وَلَٰكِنْ رُبَّ أَرْضٍ مُتِيهَةٍ   قَطَعْتُ بِحُرْجُوجٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

١٤— بِنَاجِيَةٍ كَالْفَحْلِ فِيهَا تَجَاسُرٌ   إِذَا الرَّاكِبُ النَّاجِي اسْتَقَى وَتَعَمَّمَا

١٥— تَرَى عَيْنَهَا صَغْوَاءَ فِي جَنْبِ مُؤْقِهَا   تُرَاقِبُ فِي كَفِّي الْقَطِيعَ الْمُحَرَّمَا

١٦— كَأَنِّي وَرَحْلِي وَالْفِتَانَ وَنُمْرُقِي   عَلَى ظَهْرِ طَاوٍ أَسْفَعِ الْخَدِّ أَخْثَمَا

١٧— عَلَيْهِ دَيَابُوذٌ تَسَرْبَلَ تَحْتَهُ   أَرَنْدَجَ إِسْكَافٍ يُخَالِطُ عِظْلِمَا

١٨— فَبَاتَ عَذُوبًا لِلسَّمَاءِ كَأَنَّمَا   يُوَائِمُ رَهْطًا لِلْعَزُوبَةِ صُيَّمَا

١٩— يَلُوذُ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ   خَرِيقُ شَمَالٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَقْتَمَا

٢٠— مُكِبًّا عَلَى رَوْقَيْهِ يَحْفِرُ عِرْقَهَا   عَلَى ظَهْرِ عُرْيَانِ الطَّرِيقَةِ أَهْيَمَا

٢١— فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ قَامَ مُبَادِرًا   وَحَانَ انْطِلَاقُ الشَّاةِ مِنْ حَيْثُ خَيَّمَا

٢٢— فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً   كِلَابُ الْفَتَى الْبَكْرِيِّ عَوْفِ بْنِ أَرْقَمَا

٢٣— فَأَطْلَقَ عَنْ مَجْنُوبِهَا فَاتَّبَعْنَهُ   كَمَا هَيَّجَ السَّامِي الْمُعَسِّلُ خَشْرَمَا

٢٤— لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُ   وَجَشَّمَ صَبْرًا رَوْقَهُ فَتَجَشَّمَا

٢٥— وَأَنْحَى عَلَى شُؤْمَى يَدَيْهِ فَذَادَهَا   بِأَظْمَأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أَسْحَمَا

(١٣ — ١٥) متيهة صحراء مضلة . حرجوج ناقة ضامرة . ناجية سريعة . تعمم كور العمامة على رأسه . صغواء مائلة ، فعلها صغا أي مال . المؤق طرف العين مما يلي الأنف . القطيع السوط . جلد محرم لم يدبغ ، وسوط محرم لم يمرن ، لأنه لا يحتاج لضربها .

(١٦ — ١٧) الرحل للابل كالسرج للخيل ، وهو الخشب المشدود الذى يركب فوقه . الفتان غشاء للرحل من الجلد . النمرق وسادة صغيرة يتكأ عليها ، او هى بساط يفرش فوق الرحل . طاو جائع . السفعة سواد يضرب للحمرة . الخثم عرض الأنف وغلظه . يقصد تشبيه ناقته بثور الوحش . الديابوذ ثوب ينسج على نيرين . تسربل لبس . الأرندج جلد أسود . الاسكاف الصانع الحاذق . العظلم نوع من الشجر يستخرج منه صبغ أسود يخضب به الشعر . يصور بذلك ثوراً أبيض الظهر قوائمه سوداء .

(١٨ — ٢٠) عذب الرجل (كضرب) ترك الأكل من شدة العطش ، فهو عاذب وعذوب . واءمه وافقه أوباهاه وصنع مثل صنيعه . العزوبة الأرض البعيدة المضرب إلى الكلأ . يلوذ يلجأ . الأرطى شجر ضخم ينبت فى الرمال ، واحدته أرطاة . الحقف من الرمل ما اعوج وانعطف ، جمعه أحقاف . الخريق الريح الشديدة الهبوب . الشمال ريح باردة تهب من الشام . أقتم أغبر . مكبا مطأطئاً رأسه يحفر هذه الأرطاة ليتخذ فيها كناسا يأوى إليه . روقه قرنه . على ظهر عريان الطريقة أى على ظاهر الطريق . أهيم منهار لا يتماسك ، صفة (عريان الطريقة) .

(٢١ — ٢٥) مبادرا من كناسه . الشاة الثور . خيم أقام . غدية تصغير غدوة (بضم فسكون) ، وهى البكرة أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . البكرى نسبة إلى قبيلة بكر (قوم الأعشى) . جنب الدابة والبعير (كنصر) قادها إلى جنبه . السامى الذى يسمو فى الجبل . المعسل الذى يجمع العسل . الخشرم جماعة النحل والزنابير . لدن غدوة (بالنصب) كذلك جاءت فى النص ، نصبها على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف ، والتقدير لدن غدا غدوة . أنحى اعتمد ، أنحى البعير اعتمد فى سيره على أيسره . اليد الشؤمى أي اليسرى . أظمأ أسمر ذابل . الفرع الشعر . الذؤابة شعر الناصية . أسحم أسود .

فلما رآه أطلقها عليه ، فانبعثت تتبعه ، كأنها جماعة النحل ، هيَّجها جامع العسل الذى يرتقى فى طلبه الجبال .

(٢٤ — ٢٨) وظلت تطارده منذ الصباح المبكر حتى أقبل الليل . فلم يجد بدا من الثبات ، وجَشَّم قَرْنَه ـ وهو سلاحه ـ الصبرَ على القتال ، فتجشَّمه . واعتمد على يده اليسرى ، وراح يذودها عن نفسه ، بقَرْن ذابل محدَّد ، أشد سوادا من خصلة الشعر . وأقبـل عليها ، يهز قرنه حين يدفعه فى صدرها ، كما يشك الجرادَ صائدُه وقد نظمه فى العُود . وانقلب بعد أن قتلها وقد أشرق وجهه ، فكأنه كوكب (الشِّعْرَى) ، وقد دخل فى أرض سوداء جرداء ، يعانى حرها الملتهب الشديد .

وتنتهى هذه القصة المثيرة إلى غايتها المرجوة ، وقد تحقق لبطلها الظفر ، بعد كفاح طويل مرير . فيعود الشاعر إلى ناقته من حيث تركها ليقول :

٢٩ — ذلك الثور المكافح الجسور ، أشبهُ شىء بناقتى ، وقد أجهدتها الرحلة ، تتجشم أهوالها ، حين يأوى الثور إلى وكره ، منكمشا لا يجرؤ على الخروج .

وقد تحملت الناقة كل هذه المشاق فى طريقها للمدوح .

(٣٠ — ٣٢) فهى تقصد (إياسا) ، الذى أيده الله بالعزة والكرامة مدى الدهر . وقد أعلى الله مكانه فوق كل قبيلة ، ورث السؤدد أباً عن أب ، فهو يأبى الدنية أينما تكون . لم يتورط يوما فى مَنْقَصَة تورثه العار ، فيُظلِم وجهُه من خجل ، فليس هو بالهيَّابة الذى يركب العجز ، وليس بالآثم الذى يَقْرَب الشر .

(٣٣ — ٣٦) ولو أن العز فى رأس صخرة ملساء ، تَزِلُّ فيها حوافر الوعل المحجَّل ، لأعطاك الله مفتاح بابها ، أو أعطاك سلما تَرْقَى به إليها . وليس نيل مصر إذا التطمت أمواجه ، ولا الفرات إذا طغت مياهه ، بأجود منه عطاء . ـ وإن بعض الناس ليصد معرضا إذا سئل المعروف ـ

(٣٧ — ٤١) فهو الذى يهب للمستجير به الإبل الضخمة الغزيرة اللبن ، كأنها الشجر الضخام ، أو النخيل أثقلته الثمار . ويهب كل فرس أدكن طويل الظهر كأنه القناة ، وكل جواد أسود وثاب ، مفتول العضلات كأنه الهِرَاوة ، وكلَّ سريع عتيق من الخيل كأنه القناة ، ناعم الجلد ، يجيش حين يعدو لوجهه ،

٢٦— وَأَنْحى لَهَا إِذْ هَزَّ فِى الصَّدْرِ رَوْقَهُ   كَمَا شَكَّ ذو الْعودِ الْجَرادَ الْمُخَزَّمَا

٢٧— فَشَكَّ لَهَا صَفْحَاتِهَا صَدْرُ رَوْقِهِ   كَمَا شَكَّ ذو الْعُودِ الْجَرَادَ الْمُنَظَّمَا

٢٨— وَأَدْبَرَ كَالشِّعْرَى وضوحًا وَنُقْبَةً   يُوَاعِنِ مِنْ حَرِّ الصَّرِيمَةِ مُعْظَمَا

٢٩— فَذَلِكَ بَعْدَ الْجَهْدِ شَبَّهْتُ نَاقَتِى   إِذَا الشَّاةُ يَوْمًا فِى الْكِنَاسِ تَجَرْثَمَا

٣٠— تَؤُمُّ إِيَاسًا إِنَّ رَبِّى أَبَى لَهُ   يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا عِزَّةً وَتَكَرُّمَا

٣١— نَمَاهُ الْإِلٰهُ فَوْقَ كُلِّ قَبِيلَةٍ   أَبًا فَأَبًا يَأْبَى الدَّنِيَّةَ أَيْنَمَا

٣٢— وَلَمْ يَنْتَكِسْ يَوْمًا فَيُظْلِمَ وَجْهُهُ   لِيَرْكَبَ عَجْزًا أَوْ يُضَارِعَ مَأْثَمَا

٣٣— وَلَوْ أَنَّ عِزَّ النَّاسِ فِى رَأْسِ صَخْرَةٍ   مُلَمْلَمَةٍ تُعْيِى الْأَرَحَّ الْمُخَدَّمَا

٣٤— لَأَعْطَاكَ رَبُّ النَّاسِ مِفْتَاحَ بَابِهَا   وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَابٌ لَأَعْطَاكَ سُلَّمَا

٣٥— فَمَا نِيلُ مِصْرٍ إِذْ تَسَامَى عُبَابُهُ   وَلَا بَحْرُ بَانِقْيَا إِذَا رَاحَ مُفْعَمَا

٣٦— بِأَجْوَدَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ   إِذَا سُئِلَ الْمَعْرُوفَ صَدَّ وَجَمْجَمَا

٣٧— هُوَ الْوَاهِبُ الْكُومَ الصَّفَايَا لِجَارِهِ   يُشَبَّهْنَ دَوْمًا أَوْ نَخِيلًا مُكَمَّمَا

٣٨— وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَالْقَنَاةِ مَحَالُهُ   وَكُلَّ طِمِرٍّ كَالْهِرَاوَةِ أَدْهَمَا

(٢٦ – ٢٨) أنحي لها قصد إليها وأقبل عليها . خزم اللؤلؤ (كضرب) شكه ونظمه . البيت (٢٧) مكرر مع ما قبله . والمرجح أنه رواية أخرى له ، مع تغيير طفيف . أدبر أعرض أى بعد أن قتلها . الشعرى كوكب . النقبة اللون ، وهى كذلك الوجه . يواعن يدخل فى الوعان (بكسر الواو) وهى الأرض الصلبة ، أو بياض فى الأرض الصلبة ، أو بياض فى الأرض لا ينبت شيئا . الصريم الأرض السوداء لا تنبت شيئاً . المعظمة النازلة الشديدة ، ومعظم الشىء أكثره ، والجمع معاظم (كمساجد) .

(٢٩ — ٣٢) الشاة الثور . الكناس بيته فى أصول الأشجار. تجرثم دخل فى كناسه ، ومعناه فى الأصل اجتمع ، وجرثومة الشىء أصله ، وجرثومة النمل قريته وبيته . تؤم إياساً ، روى أيضاً (تيمم قيسا) للذين رووها فى مدح قيس بن معديكرب . نماه رفعه . انتكس وقع على رأسه ، وانتكس المريض عادته العلة بعد النقه ، والمقصود هنا أنه لم يقع فى خطأ ، ولم يرتكب ما يشين . ليركب ، متعلق بـ (ينتكس) . ضرع من الشىء (كنصر) دنا منه . ضرعت الشمس وضارعت دنت للمغيب . يضارع مأثما يقارب إثما .

(٣٣ — ٣٥) ململمة مدورة مجتمعة ، يقصد بذلك صخرة ملساء تزلق فوقها القدم . الأرح الوعل المنبسط الظلف . المخدم المحجل الذى يستدير التحجيل بأرساغ رجليه دون يديه . والتحجيل بياض يحيط بالأرجل ، بانقيا ناحية من نواحى الكوفة كانت على شاطىء الفرات .

(٣٦ — ٣٨) نائلا عطاء . صد أعرض . جمجم أحجم . الكوم جمع أكوم وكوماء وهو الضخم السنام من الإبل . صفت الناقة تصفو صارت غزيرة اللبن فهى صفية والجمع صفايا . الجار المجاور فى السكن ، وهو كذلك المستجير . الدوم ضخام الشجر . مكمم أخرج ثماره . كممت النخلة وأكمت أخرجت أكمامها (والكم هو الغلاف الذى ينشق عن الثمر) . كميت صفة لمحذوف ، يقصد فرسا كميتا ، والكمتة حمرة تضرب للسواد . المحال جمع محالة وهى الفقرة من فقار الظهر . طمر صفة لمحذوف ، أي جواد طمر وهو الخفيف الوثاب . أدهم أسود .

ويضرب الأرض بحوافره . وهو الذى يهب كل ناقة سريعة كأنها الفحل المكرَّم عند أصحابه ، وكلَّ جارية مترفة ، تجر ثوبها الفاخر المخطط حين تسعى إلى الحانوت .

لم يستغث بمثله فى الناس مكروب ، ليدفع عنه ظلما بهظه ، أو يحمل عنه مغْرَما فدَحَه .

(٥٦)

هذه القصيدة هى إحدى القصائد التى رويت للأعشى فى يوم (ذى قار) . وقد تقدم له فى هذا اليوم ثلاث قصائد (٢٦ ، ٣٤ ، ٤٠) . وقد وى ابن إسحق بعض أبيات هذه القصيدة منسوبا لسيف بن ذى يزن الحميرى فى فتح الفرس لليمن ، حين استعان بهم على إخراج الجيش منها ، هى الأبيات : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ . وعقب ابن هشام على الأبيات بقوله (وأنشدنى خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا ـ يعنى البيت (١٣) ـ عشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له . وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له (١) . وقال ثعلب فى ديباجة القصيدة : (قال أبو عبيدة : يخلطبها ول سيف بن ذى يزن(٢) . وغيره يقول : هى لعبد كلال الحميرى(٣) . ورواها أبو عمرو الشيبانى فى يوم ذى قار) .

ويمكننا أن نجمل رأينا فيما يلى :

١ — يرى أبو عبيدة أن الرواة قد خلطوا بين قصيدة الأعشى هذه ، وبين قصيدة أخرى من هـذا البحر والروى لسيف بن ذى يزن الحميرى فأدخلوا فى قصيدة الأعشى بعض أبيات من قصيدة سيف بن ذى يزن . أما غيره فهو يروى القصيدة برمتها لشاعر آخر من حمير ، هو عبد كلال الحميرى . والرأيان كلاهما يتفقان مع ابن إسحق فيما ذهب إليه من أن بعض أبيات القصيدة قيل فى حرب الفرس للحبش وطردهم لهم من اليمن .

٢ — يذهب أهل العلم بالشعر فى القرن الثانى الهجرى إلى أن القصيدة ليست للأعشى فيما يروى عنهم ابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ . وينفرد أبو عمرو الشيبانى بإثبات القصيدة للأعشى فى يوم ذى قار .

٣ — إذا تتبعنا أصحاب هذه الروايات لاحظنا أنهم جميعا لا يرتفعون عن مواطن الشبه . فابن هشام الذى أثبت القصيدة لسيف بن ذى يزن الحميرى من حمير . وابن إسحق وأبو عبيدة وأبو عمرو كلهم موالي وهم متعاصرون . أما ابن إسحق فقد كان أجهل الناس بالشعر ، على علمه بالحديث والمغازى . وأما أبو عبيدة فقد عرف بكرهه للعرب وتحامله عليهم ، فهو يكره أن يروى هذا الشعر فى انتصار العرب على الفرس. وأما أبو عمرو فقد جاور بنى شيبان حتى نسب إليهم ، فغير بعيد أن يجامل شيبان برواية هذا الشعر . وخصوصاً إذا لاحظنا أن القصيدة تنسب لشيبان وحدها شرف هذا اليوم ولا تشير إلى أي فرع آخر من فروع بكر التى اشتركت فى القتال ، بل إنها تخلو من الاشارة إلى فرع الأعشى نفسه (قيس بن ثعلبة) . ويروون عن أبى عمرو أنه كان كلما جمع شعر قبيلة فأخرجه للناس ، كتب بيده مصحفا وجعله بمسجد الكوفة ، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا . أتراه كان يكفر بذلك عن كذب كثير ؟.

٤ — القصيدة من مجزوء الوافر . وهو بحر غريب على شعر الأعشى ، لم يرو له فيه غير هذه القصيدة .

٥ — البيتان (١ ، ٢) غامضان ، فلسنا نعرف من يعنى بالملكين اللذين قد التأما . وصلة البيتين ببقية القصيدة غير واضحة وغير مفهومة .

٦ — البيت (٢٢) من هذه القصيدة يناقض البيت (١٩) من القصيدة (٦٢) . فهو يقول هنا:

صبحناهم بنشاب كفيت قعقع الأدما

فقوم الأعشى هنا يقاتلون بالنشاب . بينما يقول فى القصيدة (٦٢) :

إذا أمالوا إلى النشاب أيديهم ملنا ببيض فظل الهام يختطف

فالفرس هنا هم الذين يقاتلون بالنشاب فيجيبهم قوم الأعشى بالسيوف .

ثم إن تلقيب (الهامرز) بـ (القيل) فى البيتين (١٢ ، ١٩) غريب . فالذين كانوا يلقبون بهذا اللقب م ملوك اليمن .

ومن مجموع هذه الظروف والملابسات ، نستطيع أن نقول : إن من حق الباحث أن يتردد فى نسبة هذه القصيدة للأعشى . بل إن من واجبه أن يستبعدها حين يدرس هذا الشعر ليستنتج منه شيئا يتعلق بفن الأعشى أو تاريخ عصره .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٦ .

(٢) سيف بن ذى يزن هو الذى استنصر بالفرس فى استنقاذ اليمن من الحبشة ، فأعانوه حتى ملك اليمن . وكان يسكن قصر غمدان فى صنعاء . وقد جاءته وفود العرب مهنئة . وكان فيمن وفد عليه وفد الحجازيين يرأسه عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم . (الأغانى ج١٦ ص ٧٥-٧٧)

(٣) هو عبد كلال بن داذ بن أبى جمد . وهو جد وضاح اليمن الشاعر ، الذى قتله الوليد بن عبد الملك ، لتشبيبه بزوجته أم البنين ، بنت عبد العزيز بن مروان . وقد اختلف فى نسبه ، فزعم قوم أنه من أصل فارسى ، وأنه من جنود الفرس الذين غزوا مع سيف بن ذى يزن . وقال آخرون إنه من قبيلة حمير (بكسر فسكون) .

٣٩ــ وَكلَّ مِزَاقٍ كَٱلْقَنَاةِ طِمِرَّةٍ ... وَأَجْرَد جَيَّاشَ ٱلْاجَارِىِّ مِرْجَمَا

٤٠ــ وَكُلَّ ذَمُولٍ كَٱلفَنِيقِ وَقَيْنَةٍ ... تَجُرُّ إِلَى ٱلْحَانُوتِ بُرْدًا مُسَهَّمَا

٤١ــ وَلَمْ يَدْعُ مَلْهُوفٌ مِنَ النَّاسِ مِثْلَهُ ... لِيَدْفَعَ ضَيْماً أَوْ لِيَحْمِلَ مَغْرَمَا

(٥٦)

وقال يفتخر بيوم ذى قار :

١ ــ يَظُنُّ النَّاسُ بِٱلْمَلِكَيْـ ... ـنِ أَنَّهُمَا قَد ٱلْتَأَمَا (وافر، مجزوء)

٢ ــ فَأَنْ تَسْمَعْ بِلَأْمِهِمَا ... فَأَنَّ ٱلْخَطْبَ قَدْ فَقِمَا

(٣٩ــ) المزاق (بكسر الميم) السريع . يقال فرس مزاق وناقة مزاق ، يكاد يتمزق عنها جلدها من سرعتها . طمرة خفيفة وثابة . أجرد أى فرس أجرد قصير الشعر رقيقه ، وهى من الصفات المستحسنة فى الخيل . جاشت القدر غلت ، وجاش البحر هاج واضطرب . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة وتشديد الياء) وهو الوجه الذى يأخذ فيه حين يجرى . مرجم يرجم الأرض بحوافره حين يعدو .

(٤٠ — ٤١) الذميل السير اللين . إذا ارتفع السير عن العنق (بالفتح والتحريك) قليلا فهو التزيد ، وما فوقه الذميل ، ثم الرسيم . الفنيق الفحل المكرم الذى لا يمتهن بالركوب ، وهو من الافناق أي الترف والنعيم . البرد ثوب مخطط . مسهم قد رسمت عليه سهام . ملهوف مظلوم مكروب مستغيث . الضيم الظلم . المغرم الغرامة ، غرم الرجل الدية والدين أداها عن صاحبها ، فهو غارم .

(٥٦)

(١ — ٢) لأمه فالتأم أصلحه . الخطب الداهية والأمر العظيم . فقم عظم .

يقول الأعشى :

١ — يظن الناس أن المَلِكَيْن قد أصبحا فى وفاق ووئام .

٢ — فأن تسمعْ بذلك ، فأن الخطب إذن لعظيم .

٣ — تفاقم أمر الحرب بين الناس ، فهى كالفحل القوى ، قد اشتد واكتملت قواه .

٤ — وبرزت أنيابه الحادة ، يَهْدِر وقد أخرج شِقْشِقَتَه فى هياج عنيف مخيف .

٥ — جاءنا عن (بنى الأحرار) قول ظالم بعيد عن القَصْد والرشاد .

٦ — يريدون استئصالَ شأفتنا ، ولكنا لا نسلمهم زمامنا ولا نلين .

٧ — فالبغى بغيض تعافه النفوس ، والجهل ثقيل يجثم على الصدور .

٨ — باتوا ليلتهم ساهرين ، يدبرون ما عزموا عليه ويقدِّرون .

٩ — ثم أقبلوا نحونا ، لهم جَلَبة وضوضاء تهدُّ السهل ، وترددها الجبال .

١٠ — قد لبسوا الدروع الفَضْفاضة البراقة المُحْكَمَة النسج وتمنطقوا فوقها بالحُزُم .

١١ — ....

١٢ — وجاء أميرهم (الهامَرْز) يقسم أغلظ الأيمان ،

١٣ — ألا يذوق الخمر ، حتى يعود محمَّلا بالسبايا والأسلاب .

١٤ — فلقى الموت جاثما فى انتظاره ، ووجد (ذُهْلا) دون ما خَيَّلَتْ له نفسُه من أوهام .

١٥ — قوم يأبون الذل ، ولا ينزلون على حكم الأعداء .

٣ — وإنَّ ٱلحَرْبَ أمسى فَحْ　لُهَا فِي النَّـاسِ مُحتَلِمَا

٤ — حَدِيدًا نَابُهُ مُسْـتَدْ　لِقًا مُتَخَمِّطًا قَطِمَا

٥ — أَتَانَا عَنْ بَنِي ٱلْأَحْرَا　رِ قَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَمَا

٦ — أَرَادُوا نَحْتَ أَثْلَتِنَا　وَكُنَّا نَمْنَعُ ٱلْخُطُمَا

٧ — وَكَانَ ٱلْبَغْيُ مَكْرُوهًا　وَقَوْلُ ٱلْجَهْلِ مُنْتَحِمَا

٨ — فَبَـاتُوا لَيْلَهُمْ سَمَرًا　لِيُسْدُوا غِبَّ مَا نَجَمَا

٩ — فَغَبُّوا نَحْوَنَا لَجِبًا　يَهُدُّ السَّهْلَ وَٱلْأَكَمَا

١٠— سَوَابِغَ مُحْكَمَ ٱلْمَاذِ　يِّ شَدُّوا فَوْقَهَـا ٱلْحُزُمَا

١١— ....　.............................. الكُتُمَا

١٢— فَجَاءَ ٱلْقَيْلُ هَـامَرْزٌ　عَلَيْهِمْ يَقْسِمُ ٱلْقَسَمَا

١٣— يَذُوقُ مُشَعْشَعًا حَتَّى　يُفِيءَ السَّبْيَ وَالنَّعَمَا

١٤— فَلاقَى ٱلْمَوْتَ مُكْتَنِعًا　وَذُهْلًا دُونَ مَا زَعَمَـا

١٥— أَبَاةَ الضَّيْمِ لَا يُعْطُو　نَ مَنْ عَادَوْهُ مَا حَكَمَا

(٣ — ٥) الفحل الجمل والذكر من كل حيوان . احتلم الصبي أدرك وبلغ مبلغ الرجال . حديد حاد . دلق البعير شقشقته أخرجها ، والشقشقة (بكسر الشين) شيء كالرئة ، يخرجه البعير من فمه إذا هاج وهدر . تخمط الفحل هدر . قطم هائج . بنو الاحرار الفرس . الأمم (بالفتح) الواضح البين من الأمر ، والقصد والوسط .

(٦ — ٧) الأثلة شجرة طويلة . يقصد بنحت أثلتهم استئصالهم . الخطم جمع خطام (بكسر الخاء) ، وهو الحبل الذي يشد على أنف البعير ليقاد به . النحيم صوت يخرج من الجوف ، وشبه أنين في الصدر يستريح إليه صاحبه ، كالذي يفعله الحمال إذا حمل حملا ثقيلا . والمنتحم من له زفير وزحير في صدره .

(٨ — ٩) سمرا ساهرين يتحدثون . ليسدوا أي ليدبروا ، وأصله من تسدية النسيج وهو مد خيوطه . غب الشيء عاقبته . نجم الأمر حدث وظهر . غب الرجل جاء زائرا بعد أيام ، وغب فلان عندنا بات ، وغبا له وغبا إليه (كمنتح) قصد له . جيش لجب كثيف له جلبة وضوضاء .

(١٠ — ١٢) درع سابغة فضفاضة تكسو سائر الجسد . والدرع ثوب من حديد يلبسه المقاتل حتى لا ينفذ السلاح في جسمه . وهو منسوج من حلق قد ركب بعضها في بعض ، وكانوا ينسجونها حلقة حلقة ، فإن أرادوا زيادة إحكامها نسجوها حلقتين حلقتين ، ويسمونها عندئذ مضاعفة . درع ماذية بيضاء . الحزم المناطق ، جمع حزام . القيل الملك . هامرز من قواد الفرس في ذلك اليوم ، ولم يكن ملكا ، ولكنه قصد بالقيل الرئيس . وروى (قيل الناس وهرز مقسم قسما) وذلك لمن روى هذه الأبيات لسيف بن ذي يزن في فتح الفرس لصنعاء ، حين استجار بهم واستنصرهم على اليمن . وهرز هو أمير جيش الفرس الذي غزا اليمن وفتح صنعاء (السيرة ج ١ ص ٦٦) .

(١٣ — ١٥) المشعشعة الخمر التي مزجت بالماء . فاء الغنيمة وأفاءها أخذها واغتنمها . السبي الأسرى من النساء . النعم (بالفتح) الابل . يذوق أي أقسم ألا يذوق الخمر حتى ينتصر . كنع واكتنع تقبض وانكمش . وذهلا أي ولاقى ذهلا ، وهم ذهل بن شيبان بن بكر ، وكانوا أحسن الناس بلاء في يوم ذي قار . حكم قضي ، أي لا يعطونه ما أراد .

١٦ — شمخت رءوسهم عزا ، فما ينقادون لغاشم ظلوم .

١٧ — تحملهم الجياد الجُرْد المُعْلَمَة ، عوابسَ تلوك اللُّجُم فى ثورة واهتياج .

١٨ — وقد أحاطت بها الرماح الصلبة الذابلة ، كأنها أجمة كثيفة الأشجار .

١٩ — قتلنا أميرهم (الهامَرْز) وروَّينا كثبان الرمال بالدماء .

٢٠ — وكم من سَبِيَّةٍ تُقَطِّع قلبَها الحسرات ، قد أنزلتها الرماح على حكمها ، فأصبحت تحت رجل من أبطالنا الشجعان .

٢١ — صبَحْناهم شرابا ينصبُّ عليهم انصباب اللبن من الناقة الحَلُوب .

٢٢ — صبَحْناهم بالسهام ، تنطلق مسرعة ، فيُسْمَع لوقعها فى جلودهم طنين .

٢٣ — فَدَتْ أُمّى بنى (ذُهْل) ، إذ يتتابعون على راية الفرس فى هذا الموقف المشهود .

٢٤ — فدتهم أمى جزاء ما كانوا يضربون فوق الخُوَذِ المحبوكة ، حتى حطموا الفرس شر تحطيم .

٢٥ — ....

٢٦ — بمثلهم يومَ القتال ينجلى العزُّ والمجد وضّاء له بريق .

٢٧ — تجلوه كتائبُ بنى (ذُهْل) وقد انتظمت عليها الدروع .

٢٨ — لقى بهم الفرس رجالا أباة غضابا ، قاتلوا حتى تم لهم النصر

١٦— أَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ عِزًّا ... فَمَا يُعْطُونَ مَنْ غَشِمَا

١٧— عَلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ ... عَوَابِسَ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

١٨— تَخَالُ ذَوَابِلَ ٱلْخَطِّـ ... ـيِّ فِي حَافَاتِهَا أَجَمَا

١٩— قَتَلْنَا ٱلْقَيْلَ هَامَرْزًا ... وَرَوَّيْنَا ٱلْكَثِيبَ دَمَا

٢٠— أَلَا يَا رُبَّ مَا حَسْرَى ... سَتُنْكِحُهَا الرِّمَاحُ حَمَا

٢١— صَبَحْنَاهُمْ مُشَعْشَعَةً ... تَخَالُ مَصَبَّهَا رَذَمَا

٢٢— صَبَحْنَاهُمْ بِنُشَّابٍ ... كَفِيتٍ قَعْقَعَ ٱلْأَدَمَا

٢٣— هُنَاكَ فِدًى لَهُمْ أُمِّي ... غَدَاةَ تَوَارَدُوا ٱلْعَلَمَا

٢٤— بِضَرْبِهِمُ حَبِيكَ ٱلْبَيْـ ... ـضِ حَتَّى ثَلَّمُوا ٱلْعَجَمَا

٢٥— وَمَرْيِهِمُ ....

٢٦— بِمِثْلِهِمُ غَدَاةَ الرَّوْ ... عِ يَجْلُهُ ٱلْعِزَّ وَٱلْكَرَمَا

٢٧— كَتَائِبُ مِنْ بَنِي ذُهْلٍ ... عَلَيْهَا الزَّغْفُ قَدْ نُظِمَا

٢٨— فَلَاقَوْا مَعْشَرًا أُنُفًا ... غِضَابًا أَحْرَزُوا ٱلْغَنَمَا

(١٦ – ١٧) أبت من الاباء ، وهو الامتناع والكبر . عزا مفعول لاجله . غشم ظلم . لا يعطونه لا ينقادون له . جرد جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر . مسومة معلمة بعلامة لتتميز بها بين الخيل . تعلك اللجم تلوكها ، لأنها ثائرة مهتاجة .

(١٨ — ١٩) الخطى الرماح ، منسوبة للخط ، وهو مرفأ كانت ترسو عليه السفن التى تجلبها. الرماح الذوابل هى الدقيقة التى لصقت بها قشرتها أجم جمع اجمة وهى الغابة . هامرز قائد الفرس وروى (قتلنا القيل مسروقا) لمن رواها لسيف بن ذى يزن وهو مسروق ابن أبرهة ، ملك اليمن من قبل الحبشة (السيرة : ٦٦) .

٢ — ٢١) مازائدة . حسرى مؤنث حسران ، وهو الذى يتحسر ويتندم على أمر فاته . الحم أبو الزوج ، وهو غير مفهوم فى هذا الموضع ، فلعله مقلوب من حام ، إسم فاعل من حمى القوم أى دافع عنهم . صبحه سقاه الصبوح (بفتح الصاد) وهو خمر الصباح . المشعشعة الخمر الممزوجة بالماء . يتهكم بهم ، فهم لم يسقوهم خمرا، ولكنهم سقوهم الموت والدم . مصبها أى انصبابها ، مصدر ميمى . رذمت الناقة (كعلم) رذما (بالتحريك) دفعت بلبنها .

— ٢٣) صبح القوم أغار عليهم صباحا . النشاب السهام لأنها تنشب فى المصاب أى تلزمه وتعلق به . كفت سريع ، فعلها كفت (كضرب). الأدم البشرة جمعها أدم (بالضم) . قعقعها كان له صوت حين أصابها . العلم الراية ، يقصد راية الفرس . تواردوا جاءوا الواحد بعد الآخر .

— ٢٥) البيض جمع بيضة ، وهى غطاء للرأس يلبسه المقاتل . حبيك محبوك النسج وثيق . ثلموهم كسروهم وحطموهم . مرى الناقة مسح ضرعها لتدر .

— ٢٨) الروع (بفتح الراء) الفزع ، ويجىء بمعنى الحرب . جلا السيف والمرآة صقلهما . وجلا الأمر كشفه . وفاعل (جلا) كتائب ، فى البيت التالى ، جمع كتيبة . درع زغف (بفتح فسكون) ، ودروع زغف كذلك ، واسعة محكمة . نظم الدى أ انه و نسقه . أنف أباة . الغنم (بالتحريك)الفوز والغنيمة.

(٥٧)

يقول الطبرى (١ : ٦١٣) إن اللهازم ـ وهم بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة ـ غضبوا حين خص الأعشى والأصم بنى شيبان بالمدح فى يوم ذى قار . ولامهما فى ذلك شاعر من بنى قيس اسمه أبو كلبة . فقال الأعشى هذين البيتين ، يعتذر عما كان من إهماله بقية فروع بكر الأخرى فى شعره .

١ — متى تقرن (الأصم) بـ (الأعشى) يتماديا فى الضلال والخسران .

٢ — فليس (الأعشى) بمبصر مايرى (الأصم) ، وليس (الأصم) بسامع مايقول (الأعشى) .

(٥٨)

الأعشى فيما يبدو يتجه بهذه الأبيات إلى بعض أبناء عمومته ـ ولعلهم سعد وتيم (الحرقتان) كما يبدو من مقارنة البيت (٣) هنا بالبيت (١١) من القصيدة (٦٩) ـ الذين يوالون قومه بالأذى ويتحرشون بهم . وهو هنا يناشدهم القرابة ألا يبعثوا الحرب بين الحيين . فيقول :

١ — يا أبناء العم لا تبعثوا الحرب بيننا ، بَغيضَةً كأروات الإبل الراعية حين تُرَدُّ على الحى ، واجنحوا للسلم

٢ — وعاملونا بمثل ما كنا نعاملكم ، وراعوا عهدنا كما رعينا عهد بنى (رُهْم) .

٣ — لحفظنا نساء أبناء عمومتنا الباكيات . وأنتم الذين حثثتمونا على محالفة (بنى غَنْم) .

٤ — فلا تبعثوا بيننا الشر ، فتكونوا كالذى يكسر رمحه فى صدره ، فلا يظلم إلا نفسه ، فأثارة الحرب بين الأقربين ظلم مبين .

(٥٩)

يبدو أن بنى قيس بن ثعلبة (قوم الأعشى) وأبناء عمومتهم (ذهل بن ثعلبة) ، كانوا قد أجاروا قوما ، فانتهك (بنو حنيفة) جوارهم ، وقتلوا أحد جيرانهم ، زاعمين أن جوار قيس وذهل لا يلزمهم ، وأنهم أقل من أن يجيروا عليهم .

١ — إن لَقِيتَ (بنى قيس) و (بنى ذُهْل) ، فسَلْهم : هل فيكم من عيب يعيِّركم به معيِّر؟

٢ — زعمت (حنيفة) أنكم لاتجيرون عليها ، وأن دماء من تجيرون حِلٌّ لهم ، فسيعلمون أنكم من القو[م] بحيث تُجيرون .

٣ — كذبوا وبيتِ الله . لاينتهكون جواركم حتى توازى صغار الكُثْبان شامِخَ الجبال .

٤ — وحتى تلتهم نار الحرب الصغير والكبير ، فتبيد كل شىء ، لها دخان وسعير .

٥ — ومن أنتم يابنى حَنيفة حتى تزعموا ماتزعمون ؟ هل كنتم إلا أَرْجُلاً وأحشاء ، تدفع عنـ[ـكم] مَنَاكبُ وصُدُور؟

٦ — إنكَ إن أذعنت لهم اليومَ يا (أَثالُ) ، كان ذلك ذلَّ الدهر ، ولم تزل مغلوباً تطؤك الأقدام .

وقال يعتذر من مدحه شيْبان :

(٥٧)

١ — مَتى تَقْرِنْ أصمَّ بِحَبْلِ أَعْشَى ... يَلجَّا فِي الضَّلَالَةِ وَٱلْخَسَارِ (وافر)

٢ — فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَيْئًا يَرَاهُ ... وَلَيْسَ بِسَامِعٍ مِنِّى حِوَارِى

وقال :

(٥٨)

١ — بَنِي عَمِّنَا لَا تَبْعَثُوا ٱلْحَرْبَ بَيْنَنَا ... كَرَدِّ رَجِيعِ الرَّفْضِ وَٱرْمُوا إِلَى السِّلْمِ (طويل)

٢ — وَكُونُوا كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَحَافِظُوا ... عَلَيْنَا كَمَا كُنَّا نُحَافِظُ عَنْ رُهْمِ

٣ — نِسَاءِ مَوَالِينَا ٱلْبَوَاكِي وَأَنْتُمُ ... مَدَدْتُمْ بِأَيْدِينَا حِلَافَ بَنِي غَنْمِ

٤ — فَلَا تَكْسِرُوا أَرْمَاحَكُمْ فِي صُدُورِكُمْ ... فَتَغْشِمَكُمْ إِنَّ الرِّمَاحَ مِنَ ٱلْغَشْمِ

وقال :

(٥٩)

١ — أَبْلِغْ بَنِي قَيْسٍ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ ... وَٱلْحَيَّ ذُهْلًا هَلْ بِكُمْ تَغْيِيرُ (كامل)

٢ — زَعَمَتْ حَنِيفَةُ لَا تُجِيرُ عَلَيْهِمُ ... بِدِمَائِهِمْ وَأَظُنُّهَا سَتُجِيرُ

٣ — كَذَبُوا وَبَيْتِ اللهِ يُفْعَلُ ذٰلِكُمْ ... حَتَّى يُوَازِيَ حَزْرَمًا كِنْدِيرُ

٤ — أَوْ أَنْ يَرَوْا جَبَّارَهَا وَأَشَاءَهَا ... يَعْلُو دُخَانٌ فَوْقَهَا وَسَعِيرُ

٥ — هَلْ كُنْتُمُ إِلَّا دَوَارِجَ حُشْوَةً ... دَفَعَتْ كَوَاهِلُ عَنْكُمُ وَصُدُورُ

٦ — أَأُثَالُ إِنَّكَ إِنْ تُطِعْ فِي هٰذِهِ ... تُصْبِحْ وَأَنْتَ مُوَطَّأٌ مَكْثُورُ

---

(٥٧)

(١ — ٢) أصم بنى شيبان شاعر جاهلى . أعشى يقصد نفسه ، والعشى سوء البصر .

(٥٨)

(١ — ٢) الرجيع المردود إلى صاحبه ، وهو كذلك أرواث البهائم وأقذارها . الرفض (بفتح فسكون) الابل الراعية وحدها والراعى ينظر إليها . ارموا أى أرمأوا ، حذفت الهمزة تخفيفا ، من أرمأ إليه أى دنا . رهم اسم حى ، ورهم بنت العباب (بفتح العين وتشديد الباء) امرأة من بنى عجل بن لجيم بن بكر ، وهى أم الأسود بن يعفر النهشلى الشاعر الجاهلى .

(٣ — ٤) نساء بدل من (رهم) ، المولى الجار والحليف وابن العم . حلاف مصدر حالف أى عاهد . غنم (بفتح فسكون) هو غنم بن تغلب بن وائل .

(٥٩)

(١ — ٢) بنو قيس هم بنو قيس بن ثعلبة بن بكر رهط الأعشى . ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن بكر . حنيفة بن بكر ، منهم هوذة بن على الذى كان يمدحه الأعشى . لا تجير عليهم ، الضمير . فى (تجير) يعود على ذهل ، والجوار أن تعطى الرجل اللاجىء إليك عهدا فيكون بهجارك . فاذا كان المجير قويا احترم الناس جواره ولم يمسوا جاره بسوء ، وإن كان المجير ضعيفا لم يعبأ الناس بجواره وآذوا جاره .

(٣ — ٤) حزرم جبل ، الكندرة (مثل قنطرة) ما غلظ من الارض وارتفع ، والكنديرالغليظ . الجبار النخل الطويل . الأشاء صغار النخل .

(٥ — ٦) دوارج الدابة قوائمها . الحشوة الأحشاء ، والجزار يأخذ الكوارع (الأرجل) والحشوة لتفاهتها . الكواهل جمع كاهل ، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق ، ما بين الكتفين . يقول لبنى حنيفة إنكم ضعفاء ، وإنما يحميكم أبناء عمومتكم الاقوياء . أثال اسم رجل . موطء (بصيغة المبالغة) من الوطء ، ووطئه داسه . مكثور مغلوب ، كاثره فكثره أى غلبه فى الكثرة .

(٦٠)

هذه القطعة هى بعض شعر الأعشى الذى يتصل بالخصومات الضيقة فى داخل البيوتات الصغيرة . ابنو عباد بن ضبيعة و بنو مالك بن ضبيعة الذين يشير إليهم الأعشى فى هذا الشعر ، م إخوة (سعد بن ضبيعة) بيت الأعشي . ولذلك فهو هنا أقرب إلى العتاب اللين الرفيق .

والبيت (٤) من هذه القطعة لايمت للقصيدة بسبب ، ومن المرجح أن يكون من خلط الرواة . وقد ذهب قوم إلى أن القطعة كلها لابن دأب(١) ولكن ثعلبا رواها عن أبى عبيدة .

وستجىء هذه القطعة مكررة ، مع بعض الزيادة والنقص ، فى القطعة (٧٢) من الديوان :

القطعة (٦٠) : الأبيات : ٠ ، ٠ ، ٠ ، ٠ ، ١ — ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ — ٩

القطعة (٧٢) : الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ — ٧ ، ٠ ، ١١ ، ٠ ، ٨ — ١٠

يقول الأعشى :

١ — فيم الخصام يا أخوينا من (عِبادٍ) و (مالك) ؟ ألم تعلموا أن كل ما على الأرض إلى الزوال والفناء ؟

٢ — وأننا أخوكم . وأننا حين تَعْرض لكم الكتيبة الضخمة ، يبرق فوق رجالها الحديد، وتثير فى نفوسكم القلق ،

٣ — نقيم لها سُوقَ الحرب غير هيابين ، ونسرع إليها بسيوفنا ، حتى يتولى لواؤها مهزوماً مدحوراً .

٤ — إن (مَعَدًّا) لن تذهب بما فعلت ، وإن (إيادا) قد تجاوزت قَدْرها .

٥ — أفى كل عام لكم منا قتيل تقتلونه ، وبيت من ورائه تخربونه ، فبَيْضةٌ تُفْقأ ، وبيضة أخرى تُترَكُ وحيداً قد ذهبت عنها أختها ؟

٦ — فلو أن إسرافكم فى دمائنا لَدَى بئر ، لقد امتلأت بالدماء ، وحق لها أن تمتلىء وتفيض.

٧ — وكم من مُلِمة دفعناها عنكم ، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك ، قد فككنا عنكم قيودها .

٨ — وكم من أرملة تسعى بأطفالها ، وقد تلبدت شعورهم واغبرت ، كأنها نعامة تسوق فراخها ،

٩ — آويناها ثم لم نمنن عليها فضلنا ، فأصبحت رَخِيَّة البال ، وقد دفعنا عنها الكرب والهزال .

(٦١)

تقدم البيتان (٢ ، ٣) من هذه الأبيات فى القطعة (٥١) فلتراجع هنا ك .

١ — أفدى الفوارس الذين قاتلوا بنى (عَوْف) فى الغابة الملتفة الأشجار بأُخوتى وبناتى .

٢ — يكر عليهم (ابن جحدر) بفرسه ، ويخوض (مطر) القتال ،غير معتذرٍ ولا جفَّال .

٣ — فهم بين مهزومين قد فروا لوجههم ، وقتلى قد انتفخت بطونهم . وورِمت منهم الكمَرات .

---

(١) هو أبو وليد عيسى بن يزيد بن دأب الليثى (من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة) توفى سنة ١٧١ هـ فى أول خلافة الرشيد ، وكان يسكن المدينة ويفد على بغداد ، وقد نال حظوة عند الهادى . وكان من أحفظ الناس للأنساب والأخبار والأشعار ، ولكنه كان متهما بوضع الشعر واختلاق القصص،وكان هو نفسه جيد الشعر . وترجمته في معجم الأدباء لياقوت.

(٦٠) وقال فيما كان بينه وبين بَنِي عِبَادٍ وَمَالِكٍ ابْنَىْ ضُبَيْعَةَ :

١ — فَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ عُبَادٍ وَمَالِكٍ ... أَلَمْ تَعْلَمَا أَنْ كُلُّ مَنْ فَوْقَهَا لَهَا (طويل)

٢ — وَتَسْتَيْقِنُوا أَنَّا أَخُوكُمْ وَأَنَّنَا ... إِذَا سَنَحَتْ شَهْبَاءُ تَخْشَوْنَ فَالَهَا

٣ — نُقِيمُ لَهَا سُوقَ ٱلْجِلَادِ وَنَغْتَلِي ... بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا

٤ — وَإِنَّ مَعَدًّا لَنْ تُجَازَ بِفِعْلِهَا ... وَإِنَّ إِيَادًا لَمْ تُقَدِّرْ مِثَالَهَا

٥ — أَفِي كُلِّ عَامٍ بَيْضَةٌ تَفْقَؤُونَهَا ... فَتُؤْذَى وَتَبْقَى بَيْضَةٌ لا أَخَالَهَا

٦ — وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْرَقْتُمُ فِي دِمَائِنَا ... لَدَى قَرَبٍ قَدْ وُكِّرَتْ وَأَنَى لَهَا

٧ — وَكَائِنْ دَفَعْنَا عَنْكُمُ مِنْ مُلِمَّةٍ ... وَكُرْبَةِ مَوْتٍ قَدْ بَتَتْنَا عِقَالَهَا

٨ — وَأَرْمَلَةٍ تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا ... وَإِيَّاهُمُ رَبْدَاءُ حَثَّتْ رِئَالَهَا

٩ — هَنَأْنَا وَلَمْ نَمْنُنْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ ... رَخِيَّةَ بَالٍ قَدْ أَزَحْنَا هُزَالَهَا

(٦١) وقال يمدح شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ ٱلْجَحْدَرِيَّ وَمَطَرَ بْنَ شَرِيكٍ الشَّيْبَانِيَّ :

١ — فِدَاءٌ لِقَوْمٍ قَاتَلُوا بِخَفِيَّةٍ ... فَوَارِسَ عَوْصٍ إِخْوَتِي وَبَنَاتِي (طويل)

٢ — يَكُرُّ عَلَيْهِمْ بِالسَّحِيلِ ٱبْنُ جَحْدَرٍ ... وَمَا مَطَرٌ فِيهَا بِذِي عَذِرَاتِ

٣ — سَيَذْهَبُ أَقْوَامٌ كِرَامٌ لِوَجْهِهِمْ ... وَتُتْرَكُ قَتْلَى وُرَّمُ ٱلْكَمَرَاتِ

(١ — ٣) فوقها أى الأرض . سنحت عرضت . الشهباء الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح ، سميت بذلك لبريق أسلحتها . الفأل التيمن والتطير . لافأل عليك أى لاضير . الجلاد مصدر جالد أي قاتل . نغتلي نسرع . الخال لواء الجيش . نوجهه نسوقه.

(٤ — ٦) معد بن عدنان جد عرب الشمال من ربيعة ومضر . تجاز من أجازه أى أعطاه الاجازة والاذن . إياد قبيلة يعدها معظم النسابين من ولد نزار . المثال المقدار ، أى أنها تجاوزت الحد ولم تعرف قدر نفسها . وهذا البيت (٤) شاذ لا موضع له من القصيدة. بيضة تفقؤونها ، هذا مثل ضربة لعدوانهم . القرب البئر القريبة الماء . وكر الاناء (كضرب) ملأه . أني لها أى حل وقت امتلائها وأوانه .

(٧ — ٩) كائن دفعنا أي كم من مرة . الملة المصيبة لانها تلم بالناس أى تنزل بهم . كربة موت أى كربة تبلغ بصاحبها الموت . بتتنا قطعنا . العقال حبل يربط به البعير فى وسط ذراعه حين يبرك فيمنعه من النهوض والحركة . شعث جمع أشعث ، أى أبناء صغار قد تلبد شعرهم واغبر لعدم العناية بهم . نعامة ربداء ، كلون الرماد . حثت ساقت . رئال جمع رأل (بفتح فسكون) وهو فرخ النعامة . هنأه (كضرب ونصر) أطعمه وأعطاه وسره . المن أن تذكر الذى أنعمت عليه بنعمتك وتميره بها . أزحنا دفعنا وكشفنا . هزالها ضعفها ونحولها .

(٦١)

(١ — ٣) الخفية الغيضة الملتفة الأشجار ، والخفى الجن ، وبه خفية أي مس من الجن . عوص بن ارم بن سام أبو عاد البائدة . ولعلها (فوارس عوف) وهم عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة . السحيل اسم فرس . ابن جحدر هو شيبان بن شهاب . مطر بن شريك الشيباني . ليس بذي عذرات أى لايلتمس المعاذير لتجنب القتال . الكمرة رأس الذكر . أى يقتلون فتنتفخ بطونهم ويتورم هذا الموضع من أجسامهم .

هذه القصيدة من الشعر الذى يتصل بالمسائل القبلية الضيقة . وقصة هذه القصيدة أن رجالا من (بكر) كانوا قد خرجوا غازين ، يتزعمهم (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) . فاعترضت طريقهم (الرباب) و (بنوأسد) ، فسألهم عبد عمرو أن يدعوه وشأنه ، وأخبرهم أنه لم يقصدلقتالهم، فأبوا فقاتلهم . وكان مع الرباب رجل اسمه يزيد بن القحادية (منسوب إلى قحادة ، أحد فرسان العرب من تميم) ، وهو الذى يكنيه الأعشى في هذاالشعر بأبى شريح ؛ وكانت معه زوجته واسمها حنقط . ويبدو من الشعر أن هذا الرجل كان من المحرضين على القتال . وقد قتل فى ذلك اليوم .
ويرى أبوعبيدة أن فى هذه القصيدة خلطا بين شعر الأعشى وشعر نابغة بنى شيبان (١) . ولعله يقصد بذلك الجزء الأخير من القصيدة ، الذى يفتخر فيه الشاعر بيوم ذى قار (من ١٧ — ٢٥) . فقد أطال الشاعر فيه وفصل ، حتى أوشك أن يكون هو الغرض الذي قصد إليه فى شعره . على أن الحديث قد بتر فى هذا الجزء بتراً ، ولم ينته إلى خاتمة يطيب عندها الوقوف .

يبدأ الأعشى قصيدته متحدثا عن صاحبته (هُرَيْرة) فيقول :

(١ — ٣) كان لك معها حديث توصيها فيه بأشياء ، وكانت لك عندها حاجات تقنع منها بأقل القليل ، لو أن صحبك قد وقفوا ، حين ناديتهم تسألهم الوقوف على ديار (هُرَيرة) ، إذ قامت تشير إلينا مودعة ، وقد حال من دونها ما أحدق بالحى من التلال .

أحْبِبْ بها من صاحبة ، لو أنها أقامت فلم ترحل إلى ذلك المكان النائى السحيق ، ولكن الفراق لا يُبْقِى على حبيب .

ثم ينتقل الشاعر من حديث صاحبته إلى بعض ما كان أبوهم قد أوصاهم به قبل أن يموت ؛ فى أربعة أبيات مهلهلة النسج ؛ إذا استثنينا منها البيت الأخير ، فيقول :

(٤ — ٨) كان أبونا العزيز قد قال لنا : أوصيكم قبل أن أموت بثلاث : أكرموا الضيف ، فإن له علىّ حقاً أعطيه مقرًّا به . واحفظوا الجار ، فإنه راحل عنكم فى يوم من الأيام . واستبسلوا فى القتال ، حين يعض الجبان بيديه على أعراف الخيل خشية السقوط ، فالموت فى ساحة القتال شرف عظيم .

ولا يكاد الشاعر يصل إلى هذه الوصية الأخيرة ، حتى يتخذها سلماً لما هو بسبيله من وصف قومه بالاستبسال فى القتال ، فيتجه إلى (الرباب) و (بنى أسد) قائلا :

(٩ — ١٠) إن (الرِّباب) وحيًّا من (بنى أسد) - وهم بين متحير لا يدرى كيف يصنع ، ومتسرع قد انفلت يتقدم القوم مستعجلا القتال - قد صادفوا سيدنا فى عصبة من رجالنا . وكان كل من الفريقين يبحث عن مالٍ يقتنيه ، أو مَغْنَم يصيبه ويحتويه .

(١١ — ١٢) سألناهم المهادنة ، فأبوا مستكبرين ، وقالوا لا نصالحكم أبدا ، وهل أنتم إلا أهلُ نخيل ، وحمَّالو تمرٍ فوق العِير ؟ وإنى أقسم ببيت الله ، ما كانت إبلنا تضطرب حين تضطرب ، إلا محملة بالدروع والسلاح .

---

(١) النابغة الشيبانى هو عبدالله بن المخارق ، شاعر أموي من الأعراب (من بنى ذهل بن شيبان بن ثعلبة) كان يفد إلى الشام لمدح الخلفاء ، وكان نصرانيا . (الأغاني ج ٧ ص ١٠٦ — ١١٢) .

وقال :

١ — كَانَتْ وِصَاةٌ وَحَاجَاتٌ لَنَا كَفَفٌ	لَوْ أَنَّ صَحْبَكَ إِذْ نَادَيْتَهُمْ وَقَفُوا	(بسيط)
٢ — عَلَى هُرَيْرَةَ إِذْ قَامَتْ تُوَدِّعُنَا	وَقَدْ أَتَى مِنْ إِطَارٍ دُونَهَا شَرَفُ	
٣ — أَحْبِبْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا وَقَفَتْ	وَقَدْ تُزِيلُ ٱلْحَبِيبَ النِّيَّةُ ٱلْقَذَفُ	
٤ — إِنَّ ٱلْأَعَزَّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا	أُوصِيكُمُ بِثَلَاثٍ إِنَّنِي تَلِفُ	
٥ — الضَّيْفُ أُوصِيكُمُ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ	حَقًّا عَلَيَّ فَأُعْطِيهِ وَأَعْتَرِفُ	
٦ — وَٱلْجَارُ أُوصِيكُمُ بِٱلْجَارِ إِنَّ لَهُ	يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَثْنِيهِ فَيَنْصَرِفُ	
٧ — وَقَاتِلُوا ٱلْقَوْمَ إِنَّ ٱلْقَتْلَ مَكْرُمَةٌ	إِذَا تَلَوَّى بِكَفِّ ٱلْمُعْصِمِ ٱلْعُرُفُ	
٨ — بَلْ لَسْتُ وَجْ	....	
٩ — إِنَّ الرِّبَابَ وَحَيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ	مِنْهُمْ بَقِيرٌ وَمِنْهُمْ سَارِبٌ سَلِفُ	
١٠— قَدْ صَادَفُوا عُصْبَةً مِنَّا وَسَيِّدَنَا	كُلٌّ يُؤَمِّلُ قُنْيَانًا وَيَطَّرِفُ	
١١— قُلْنَا الصِّلَاحَ فَقَالُوا الْأَنْصَا الْحَكَمُ	أَهْلُ النُّبُوكِ وَعِيرٌ فَوْقَهَا ٱلْخَصَفُ	
١٢— لَسْنَا بِعِيرٍ وَبَيْتِ اللهِ مَائِرَةٍ	إِلَّا عَلَيْهَا دُرُوعُ ٱلْقَوْمِ وَالزَّغَفُ	

(١ — ٣) الكفف من الرزق ما كف عن الناس وأغنى عن السؤال . أى أنه لم يكن يطلب إلا القدر الضرورى لاطفاء لاعج الشوق . على متعلق به (وقفوا) فى البيت السابق . إطار الشيء كل ماأحاط به الشرف ماارتفع من الأرض . الخلة (بضم الخاء) الخليلة والصاحبة . النية الوجه الذى ينويه المسافر . القذف البعيدة .

(٤ — ٨) تلف من التلف ، أى ميت . أعترف أقر بحقه علي . المعصم (بصيغة اسم الفاعل) الذى يخاف أن يسقط عن دابته فيمسك بعرفها . وعرف الفرس شعر ناصيته .

(٩ — ١٠) الرباب (بكسر الراء) م بنو تيم وعدى وعوف وعكل (بضم فسكون وهم بنو عبد مناة بن أد بن طابخة . ومن النسابين من يضيف إليهم ضبة . سموا بذلك لأنهم غمسوا أيديهم فى الرب (بضم الراء) حين تحالفوا (والرب ما يطبخ من التمر) . أسد بن خزيمة ، منهم زينب بنت جحش زوج الرسول وبشر بن أبى خازم والكميت بن زيد . البقير من بقر (كعلم) أي حسر وتحير فلا يكاد يبصر من دهشته . سرب الرجل (كنصر) ذهب على وجهه ومضى . سلف (كنصر) تقدم ومضى ، والسلاف (بضم السين وتشديد اللام) مقدمة العسكر . قنيانا أى مالا يقتنيه . يطرف الشيء يصيبه فيصبح طريفا عنده أى حديثاً ؛ على وزن يفتعل من الطرافة .

(١١ — ١٢) الصلاح الوفاق ضد الخصام (مصدر صالح). النبوك جمع نبكة (بالتحريك) وهى التل الصغير، وقيل النبوك نخل بالبحرين. العير (بكسر العين) الابل . الخصف (بالتحريك) جمع خصفه ، وهى جله للتمر تصنع من الخوص . مار الشيء تردد واضطرب ، ومارت الابل ترددت قوائمها فى جنبها جيئة وذهابا . الدرع ثوب ينسج من الحلق ويلبسه المقاتل . درع زغيف واسعة طويلة، والجمع زغف (بفتحتين)

(١٣-١٤) وحَسَرنا حين التقينا عن رءوسنا ، ليعلموا أننا (بَكْر) ، لعل ذلك يثنيهم فينصرفوا . فلما استحرّ فيهم القتل وحصدتهم السيوف ، قالوا : أبقوا علينا واحفظونا . ألاَ لا بقية إلا النار . فانصرَفُوا يولون الأدبار .

(١٥-١٦) ألم يكن يسر (حِنْقِط) أن يصالح زوجُها (أبو شُرَيْح) القومَ ، وقد علم أنه وحيد ليس له ولد يقوم مقامه إن مات ؟ فها هى ذى جارتها الحسناء ، قد عاد إليها عائلها يهرول وقد استخفه الفرح ، ولم يعد إليها هى إلا الثكل والخراب .

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن (ذى قار) فيختم قصيدته مفتخراً بانتصار قومه فى ذلك اليوم ، فيقول :

(١٧-٢٠) نحن أصحاب يوم (الحِنْو) ، إذ صبَّحت كتائبُنـا جنودَ كِسْرَى ، تسوق إليهم الموت ، حتى ولوا هاربين . سادةٌ من أبناء الملوك والأشراف ، قد علقوا فى آذانهم اللآلىء . إذا أمالوا أيديهم إلى النُّشَّاب ، ملنا إلى السيوف فظلت تتخطف الرءوس . ولم تزل خيل بكر تطحنهم حتى ولوا الأدبار وقد انتصف النهار .

(٢١) فلو أن هذا الشرف الكبير قد قُسِّم على قبائل (مَعَدّ) جميعاً لظفر كل رجل منه بمقدار .

(٢٢-٢٥) أقبلوا بجيوشهم الكثيفة ، كأنهم الليل ، يزحف فيسد آفاق الأرض ، ويغشِّيها بالظلام . ووقف نساؤنا من خلفنا ، ينظرن بعيون كُحْل سود ، وقد اضطربت أكبادهن إشفاقاً من هول مايرين . وحَسَرْنَ عن خدود جرت عليها الدموع ، وغيرها الحزن فعلَتها غَبْرَةٌ مظلمة . وقد كن مشرقات تتلألأ وجوههن ، كالمرجانة أخرجها الغواص من أعماق البحر ، وقد صانتها الأصداف .

١٣— لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا   لِيَعْلَمُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا
١٤— قَالُوا ٱلْبَقِيَّةَ وَٱلْهِنْدِيُّ يَحْصُدُهُمْ   وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا النَّارُ فَٱنْكَشَفُوا
١٥— هَلْ سَرَّ حِنْقِطَ أَنَّ ٱلْقَوْمَ صَالَحَهُمْ   أَبُو شُرَيْحٍ وَلَمْ يُوجَدْ لَهُ خَلَفُ
١٦— قَدْ آبَ جَارَتَهَا ٱلْحَسْنَاءَ قَيِّمُهَا   رَكْضًا وَآبَ إِلَيْهَا الثُّكْلُ وَالتَّلَفُ
١٧— وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ ٱلْحِنْوِ صَبَّحَهُمْ   مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي ٱلْمَوْتَ فَٱنْصَرَفُوا
١٨— جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِفَةٌ   مِنَ ٱلْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطَفُ
١٩— إِذَا أَمَالُوا إِلَى النُّشَّابِ أَيْدِيَهُمْ   مِلْنَا بِبِيضٍ فَظَلَّ ٱلْهَامُ يُخْتَطَفُ
٢٠— وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ   حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ ٱلْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
٢١— لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا   فِي يَوْمِ ذِي قَارَ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ
٢٢— لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ   مُطَبِّقَ ٱلْأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ
٢٣— وَظُعُنُنَا خَلْفَنَا كُحْلًا مَدَامِعُهَا   أَكْبَادُهَا وُجُفٌ مِمَّا تَرَى تَجِفُ
٢٤— حَوَاسِرٌ عَنْ خُدُودٍ عَايَنَتْ عِبَرًا   وَلَاحَهَا وَعَلَاهَا غُبْرَةٌ كُسُفُ
٢٥— مِنْ كُلِّ مَرْجَانَةٍ فِي ٱلْبَحْرِ أَخْرَجَهَا   غَوَّاصُهَا وَوَقَاهَا طِينَهَا الصَّدَفُ

(١٣ — ١٥) قالوا البقية ، من أبقيت عليه واستبقيته إذا راعيته ورحمته ولم أبالغ فى إفساده . انكشفوا زالوا عن مواضعهم ، حنقط زوجة رجل من بنى جعفر بن ثعلبة كان يقاتل مع الرباب ، اسمه يزيد بن القحادية ، منسوب إلى قحادة أحد فرسان العرب من بني تميم. أبو شريح هو زوجها يزيد هذا . الخلف الولد الصالح .

(١٦ — ١٨) قيمها زوجها الذي يقوم بشئونها ويعولها . الحنو منعرج الوادى ، ويوم الحنو هو يوم ذى قار ، وقد مضي الحديث عنه فى القصيدة (٣٤) . صبحهم غزاهم صباحا . زجا الشيء (كنصر) وأزجاه ساقه ودفعه . الجحجح والجحجاح (كلهابالفتح) السيد المسارع إلى المكارم ، وكذلك الغطريف (بكسر الغين) . النطفة لؤلؤة تعلقها الأعاجم فى الأذن .

(١٩ — ٢١) النشاب السهام . البيض السيوف . الهام جمع هامة وهي الرأس . انتصف النهار بلغ النصف وقت الظهر . معد بن عدنان هو جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعا .

(٢٢ — ٢٣) قدمه (كنصر) سبقه وتقدمه . طبق السحاب الجو ، وطبق الماء وجه الأرض ، غطاه . يغشاها الضمير راجع على الأرض . لهم الضمير يرجع على الفرس . السدف (بالفتح)والسدفة (بضم فسكون) الظلمة . ظعن جمع ظعينة وهى الزوجة . كحل جمع أكحل وكحلاء وهو الذى يحيط عينيه سواد كأنه الكحل . المدامع جمع مدمع (اسم مكان من دمع) وهى العين . وجف القلب يجف خفق ، فهو واجف ، والجمع وجف (بضمتين) .

(٢٤ — ٢٥) حسر النقاب واللثام أزاحه . عبر (كعنب) جمع عبرة (بفتح العين) وهى الدمعة . لاحها غيرهاوسفعوجهها . الغبرة (بضمالغين) لون الغبار . كسف (بضمتين) صفة (حواسر) فى أول البيت ، جمع كاسف وهو المهموم الذى تغير لونه وهزل من الحزن . من كل مرجانةيشبههن فى حمرة وجوههن ونضرتها بالمرجان حال خروجه من البحر قبل أن يتمسخ ويظلم .

يتحدث الأعشى فى هذه القصيدة عن ذكريات شبابه ، وعن رحلاته إلى آل جفنة فى الشام ، والمناذرة فى العراق ، وجلنداء فى حضرموت ، وقيس بن معديكرب فى حضرموت ، وماكان يلقى من إكرامهم . ويبدو من الأبيات (١٨ — ٢٠) أن الأعشى قال القصيدة بعد أن أسن وأقعدته الشيخوخة عن الرحلة إلى الملوك . وقد روى ثعلب القصيدة فى مدح بنى الحارث بن معاوية ، وهم بطن من الأزد . منهم الجلندى الذى أشار إليه الشاعر فى البيت (١٥) . والأزد قبيلة يمنية ، منهم الغساسنة ملوك الشام ، ومنهم الأوس والخزرج فى يثرب ، ومنهم الجلندى الذى كان أميرا على عمان . ولم يحفظ لنا التاريخ شيئا عن الجلندى نفسه ، ولكن المؤرخين أشاروا إلى ابنين له ، هما جيفر (على وزن جعفر) وعبيد (وسماه بعضهم عياذ ، وسماه آخرون عمرو) . وكان جيفر أميرا على عمان بعد أبيه . وقد أرسل إليه النبي عمرو بن العاص يدعوه للاسلام ، فيمن أرسل إليهم من الملوك والأمراء ، فأسلم سنة ٦ هـ او سنة ٧ أو سنة ٨ على خلاف بين المؤرخين فى ذلك(١) .

ولا يبدو من الشعر الذى بين يدينا أنه قد أنشىء فى مدح بنى معاوية قوم الجلندى . وإنما ذكرهم الشاعر فيمن ذكر ، ممن رحل إليه من الملوك.

يبدأ الأعشى قصيدته بوصف صاحبته ، وقد تهيأ قومها للرحيل فيقول :

١ — آذن جيرانى اليوم بالرحيل ، وقطعوا ود محب محبوب .

٢ — ورفعوا الهوادج فوق الجمال الفتية ، وقد وقفوها استعداداً للرحيل .

٣ — وجلس فوقها النساء الناعسات الطرف ، فى فتور ، ينظرن كأنهن الظباء البيض بين النخيل .

٤ — خاشعات ساكنات ، يلبسن الحرير ، ومن تحته رقيق الثياب .

٥ — وحَثَثْن الجمال ، فاندفعت تهتز من فوقها أجسامهن ، يحتك ماعليهن من خزّ وأردية حُمر ، فيتأ كَّل وَبَرُ القَطيف .

٦ — حنّت الجمال لأوطانها ، ووافق هواها قَصْد المسافرات العائدات ، وخلفن قلبى من حبهن كالمجنون .

٧ — مشغوفاً بفتاة لعوب ، لاتعرف الهم ولا يستفزها الغضب ، يستمتع صاحبها وقد اضطجع إلى جنبها فى الليل ، بحديثها العذب الحنون .

٨ — حلوة الرائحة ، حلوة النادرة ، حلوة فى كل حالاتها ، لايشينها خشونة أوجفاء .

ولم تزل السن تتقدم بالأعشى وبصاحبته حتى أدركهما الشيب . أما هو فقد خضع له مستسلماً ، أما هى فلم تزل تكابر وتأبى الاستسلام - على عادة النساء -

٩ — أزعجها المشيب ، فسترته عنا ، وأسدلت عليه الحجاب بالخِضاب .

١٠ — أذعِنى ياصاحبتى للشيب إذ شَمِل الرأس ، فالشباب لايدوم .

وكأن شيب صاحبته قد ذكره بشيخوخته وكلال بصره ، وكأن هاتفاً فى أعماقه يصيح به ساخراً: وأنت ! ألم تهدّمك الشيخوخة ؟ فيقول :

١١ — دع ذكر ما أنا فيه من ضعف البصر وكَلاَله . فإنك لاتدرى كم كنت قوياً ، وكم كنت مالكا لأمرى.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ٢٥٤ ، إمتاع الأسماع ٤٣٣ ، الطبرى ٢ : ٢٨٩ ، ٣١٢ ، ابن الأثير ٢ : ١٥٧ والعقد الفريد ٣ : ٣٣٦ فتوح البلدان ٨٧ ، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ٢٦ — ٢٩

وقال :

١ — أَذِنَ ٱلْيَوْمَ جِيرَتِي بِحُفُوفِ ‏ ‏ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ (خفيف)

٢ — وَٱسْتَقَلَّتْ عَلَى ٱلْجِمَالِ حُدُوجٌ ‏ ‏ كُلُّهَا فَوْقَ بَازِلٍ مَوْقُوفِ

٣ — مِنْ كُرَاتٍ وَطَرْفُهُنَّ سُجُوٌّ ‏ ‏ نَظَرَ ٱلْأُدْمِ مِنْ ظِبَاءِ ٱلْخَرِيفِ

٤ — خَاشِعَاتٍ يُظْهِرْنَ أَكْسِيَةَ ٱلْخَزِّ ‏ ‏ وَيُبْطِنَّ دُونَهَا بِشُفُوفِ

٥ — وَحَشَيْنَ ٱلْجِمَالَ يَسْهَكْنَ بِٱلْبَاغِزِ ‏ ‏ وَٱلْأُرْجُوَانِ خَمْلَ ٱلْقَطِيفِ

٦ — مِنْ هَوَاهُنَّ يَتَّبِعْنَ نَوَاهُنَّ ‏ ‏ فَقَلْبِي بِهِنَّ كَٱلْمَشْغُوفِ

٧ — بِلَعُوبٍ مَعَ ٱلضَّجِيعِ إِذَا مَا ‏ ‏ سَمَرَتْ بِٱلْعِشَاءِ غَيْرِ أَسُوفِ

٨ — حُلْوَةِ ٱلنَّشْرِ وَٱلْبَدِيهَةِ وَٱلْعِلَّاتِ ‏ ‏ لَا جَهْمَةٍ وَلَا عُلْفُوفِ

٩ — وَلَقَدْ سَاءَهَا ٱلْبَيَاضُ فَلَطَّتْ ‏ ‏ بِحِجَابٍ مِنْ دُونِنَا مَسْدُوفِ

١٠ — فَٱعْرِفِي لِلْمَشِيبِ إِذْ شَمِلَ ٱلرَّأْسَ ‏ ‏ فَأَنَّ ٱلشَّبَابَ غَيْرُ حَلِيفِ

١١ — وَدَعِ ٱلذِّكْرَ مِنْ عَشَائِي فَمَا يُدْرِيكَ ‏ ‏ مَا قُوَّتِي وَمَا تَصْرِيفِي

١٢ — .... ‏ ‏ .... يفِ

(١ — ٣) أذن بالشيء علمه . حفوف زوال وذهاب . صرموا قطعوا . استقلت ارتفعت . الحدوج من مراكب النساء مثل الهودج . بازل جمل قد بزل نابه وظهر ، وذلك فى التاسعة . موقوف قد وقفوه استعدادا للرحلة . كرات ناعسات ، من كري (كرضى) أى نعس ، فهو كر وهي كرية (بتخفيف الياء) ، وقد تكون مصحفة من (كراب) جمع كريب وهو المهموم المكروب ، ليلائم وصفهلن بالخشوع فى البيت التالى . سجو سكون ؛ وامرأة ساجية الطرف فاترته . الأدم الظباء التى أشرب لونها البياض . الخريف الرطب المخروف أي المجني . وهو كذلك النخل الذى خرفت ثماره أى جنيت .

(٤ — ٦) خاشعات ساكنات خاضعات . الخز الحرير . يبطن دونها يلبسن تحتها . الشفوف الرقيق من الثياب . يسهكن يسحقن . الباغزية ثياب من الخز . الأرجوان صبغ أحمر (فارسي معرب) يقصد الثياب الحمر . الخمل الوبر والثوب المخمل الذى يكون له وبر كالقطيفة . أى أنهن لحركتهن فوق الجمال يسحقن القطيفة حتى يذهب وبرها . النوى الوجه الذى يذهب فيه المسافر وينويه . المشغوف المجنون حبا ، والشغاف (بكسر الشين) غشاء القلب . من هواهن الضمير يعود على الجمال ، تحن إلى أوطانها فتتبع من ركبها من النساء . نواهن أى النساء .

(٧ — ٩) سمر (كنصر) سهر يتحدث . الأسوف السريع الحزن والغضب . النشر الرائحه . البديهة المفاجأة ، وهو ذو بديهة أي يفهم من أول وهلة . العلات الحالات المختلفة . جهمة غليظة . علفوف جافية . لطت سترت . سدفت المرأة القناع أرسلته ، ويقصد بالحجاب المسدوف الخضاب .

(١٠ — ١٢) اعرفى اصبرى . العشى والعشاء (بفتح العين) سوء الابصار ليلا ، وقد يطلق على العمى . تصريفى من صرف الأمور (بالتشديد) أي قلبها واحتال فى توجيهها .

١٢- ....

١٣- لقد صحبت ملوكا كراماً من (آل جَفْنَة) فى (الشام) ، بلاد الخصب والخضرة والأشجار .

١٤- وصحبت (بنى المُنذِر) البيض الوجوه فى (الحِيرة) ، لهم رونق إذ يمضون فى الغَدَاة كأنهم السيوف .

١٥- وصحبت (جُلَنْدَاء) فى (عُمَان) ، و (قَيْسا) فى (حَضْرَمَوت) ذى القصور الشامخة البنيان .

ويمضى الشاعر فى أحلامه ، متمثلا مجالس الخمر عند قيس .

١٦- جالساً يحيط به الندماء ، تجرى بينهم الكؤوس ملأى فارغة .

١٧- وتصدح المغنية إذ يهيّجها الشاربون ، ويصفو صوتها متدرجاً فى الصعود ، حين تضرب على أوتار العود .

وينقطع سلك الخيال ، ويستيقظ الشاعر من الأحلام ، فاذا هو فى ضعفه وشيخوخته ، فيقول : ما أعجب الأيام !

١٨- بينما المرء كالرمح ذى السِّنان الماضى قوَّمه مُثَقِّفُه .

١٩- أو إناء الذهب صاغه الصائغ ، وأعمل فيه أدواته حتى خفيت منه مواضع اللِّحام .

٢٠- إذا بدهره المضلَّل المأفون ينقله من حال إلى حال ، وإذا هو من بعد المشى يهْدِج فى خَطْو متقارب قصير .

ولكن الشاعر لا يطيق الوقوف طويلا عند هذه الحقيقة المؤلمة . فيغمض عينيه ليعاود ما كان فيه من أحلام ، وليتصور نفسه فوق ناقته ، يطوى الصحارى والقفار ، هارباً من صورة الشيخوخة القصيرة الخطو ، التى لا يكاد يستقيم لها المشى إلا دبيباً .

٢١- كم من ناقة سريعة بيضاء ، تراها من بعد الكَلال موفورة النشاط ، يَرْجُفُ فوقها الرحْل ويضطرب .

٢٢- مضيت بها أستنزف قواها على بُعد الطريق ، تجتاز الموضع المخيف .

٢٣- ولقد أحمل أهلى على حزم أمرهم ، أرمى بهم الغرض النائى والمقصد البعيد .

٢٤- فوق جمل شجاع القلب ، يحتفر الظلماء مخترقا حجب الليل الكثيفة ، ماضياً لا يهاب .

٢٥- لا يبالى أن يركب وراء صاحبه رَدِيف ويمضى الليلَ كلَّهُ خالى الجوف ، لا يدير فكيه ليجتر ، إلا ما يُسْمَع لأنيابه من صرير .

١٣ـ وَصَحِبْنَا مِنْ آلِ جَفْنَةَ أَمْلَا ... كًا كِرَامًا بِالشَّامِ ذَاتِ الرَّفِيفِ

١٤ـ وَبَنِي ٱلْمُنْذِرِ ٱلْأَشَاهِبِ بِٱلْحِيـ ... ـرَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كَالسُّيُوفِ

١٥ـ وَجُلُنْدَاءَ فِي عُمَانَ مُقِيمًا ... ثُمَّ قَيْسًا فِي حَضْرَمَوْتَ ٱلْمُنِيفِ

١٦ـ قَاعِدًا حَوْلَهُ النَّدَامَى فَمَا يَنْـ ... ـفَكُّ يُؤْتَى بِمُوكَرٍ مَجْدُوفِ

١٧ـ وَصَدُوحٍ إِذَا يُهَيِّجُهَا الشَّرْ ... بُ تَرَقَّتْ فِي مِزْهَرٍ مَنْدُوفِ

١٨ـ بَيْنَمَا ٱلْمَرْءُ كَالرُّدَيْنِيِّ ذِي ٱلْجُبْـ ... ـبَةِ سَوَّاهُ مُصْلِحُ التَّثْقِيفِ

١٩ـ أَوْ إِنَاءِ النُّضَارِ لَاحَمَهُ ٱلْقَيْـ ... ـنُ وَدَارَى صُدُوعَهُ بِٱلْكَتِيفِ

٢٠ـ رَدَّهُ دَهْرُهُ ٱلْمُضَلَّلُ حَتَّى ... عَادَ مِنْ بَعْدِ مَشْيِهِ لِلدَّلِيفِ

٢١ـ وَعَسِيرٍ مِنَ النَّوَاعِجِ أَدْمَا ... ءَ مَرُوحٍ بَعْدَ ٱلْكَلَالِ رَجُوفِ

٢٢ـ قَدْ تَعَالَلْتُهَا عَلَى نَكَظِ ٱلْمَيْـ ... ـطِ فَتَأْتِي عَلَى ٱلْمَكَانِ ٱلْمَخُوفِ

٢٣ـ وَلَقَدْ أَحْزِمُ اللُّبَانَةَ أَهْلِي ... وَأُعَدِّيهِمُ لِأَمْرٍ قَذِيفِ

٢٤ـ بِشُجَاعِ ٱلْجَنَانِ يَحْتَفِرُ الظَّلْـ ... ـمَاءَ مَاضٍ عَلَى ٱلْبِلَادِ خَشُوفِ

٢٥ـ مُسْتَقِلٍّ بِالرِّدْفِ مَا يَجْعَلُ ٱلْجِـ ... ـرَّةَ بَعْدَ ٱلْأَدْلَاجِ غَيْرَ الصَّرِيفِ

(١٣ – ١٥) آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية . وقد مدحهم الأعشى بالقصيدة (٣١) . الرفيف الخصب ، والرطب الندى من الاشجار ، وقيل إنها سفن منضدة كانوا يعبرون عليها . . ر المنذر ملوك العراق فى الجاهلية ، ليس فى هذا الديوان شعر فى مدحهم . الأشهب الأبيض . الغدوة والغداة من الفجر إلى طلوع الشمس ؛ ويقصد به صدر النهار . كالسيوف رونقا ومضاء . جلنداء صاحب عمان من الأزد . المنيف المشرف المرتفع .

(١٦ — ١٨) موكر مملوء ، وكر الاناء (كضرب) ملأه . مجدوف مقطوع ، فعله جدف (كضرب) . صدوح مغنية تصدح ، أي ترفع صوتها بالغناء . ترقت تصعدت فى الغناء . المزهر العود . الندف الضرب على الأوتار . الرديني الرمح ، منسوب إلي امرأة كانت تصلح الرماح . الجبة حديدة السنان التى يدخل فيها الرمح . تثقيف الرماح تسويتها وإصلاح سنانها وتحديدها .

(١٩ — ٢١) النضار الذهب . القين الحداد ، ويطلق على كل صانع . صدوع جمع صدع (بفتح فسكون) وهو لشق . الكتيف الضبة ، وهى من أدوات الحدادة والصياغة . رده حوله من حال إلى حال . دلف الشيخ والمقيد مشي فى خطو متقارب قصير . العسير الناقة التي ترفع ذنبها فى عدوها . الناعجة السريعة التى تدرك نعاج الوحش لسرعتها . أدماء بيضاء . المرح النشاط . رجوف يهتز الرحل فوقها لنشاطها .

(٢٢ – ٢٣) تعاللتها استنزفت نشاطها وطاقتها ، وهو من العلل أى الشرب للمرة الثانية بعد المرة الأولى . النكظ الشدة . الميط البعد ، ماط يميط بعد . تأتى عليه تجتازه . حزم المتاع شده وربطه ، وأحزمه جعله يشده ويربطه . اللبانة الحاجه . أهل الرجل عشيرته وزوجته . قذيف بعيد .

(٢٤ — ٢٥) الجنان القلب . خشف (كنصر وضرب) ذهب فى الأرض ومشي فى الليل . الردف الراكب الثانى الذى يركب خلف الأول . تستخف به لقوتها . الجرة ما تجتره . الصريف صرير الانياب ، أي أنها خاوية البطن ليس فى معدتها ما تجتره .

٢٦— ثم يصبح من هياجه موفور النشاط ، يتناثر الحصى متطايرا تحت خفه الصلب الغليظ .

٢٧— إن خفّفت عنه فى البيداء ، أو أعملته فتلاحقت ساقُه والذِّراع .

٢٨— لم أخلْ شيئاً من ذلك يكُفُّه أو يثنيه ، حى تنيخه وتلوى تحت عنقه الزِّمام .

(٦٤)

١ — عَفَتْ دارُ (مَيْثاء) وانمحت آثارها ، فكأنها كتابٌ طُمِست سطوره فما تَبِين .

٢ — عرفتُها ، فرِيعَ لِعرْفانها الفؤاد ، وهاجت فى النفس الذكريات .

٣ — ديارٌ كانت تحل بها (مَيْثاء) . . . فقد باعدت دارَها من ديارنا اليوم .

٤ — رأت تحت ثيابها جسماناعماً ، ورأت أنها فى ميعة الشباب .

٥ — ففتنها إعجابها بنفسها ، وحملها على البَطَر والغرور .

٦ — ....

٧ — كتمتُ حديثها ، فطارت به نفسى كلَّ مَطَار .

٨ — فاليوم أذيعُ سرها الذى كتمتُه عن الناس ، فقد خانت العهد ، ولم تكن على ماينبغى للحبيب .

٩ — نأت وخلفت فى القلب صدْعًا تخالطه هموم .

١٠— كصدع الزجاجة ، لايستطيع الصنّاع أن يرده كما كان ويسوِّيه من جديد .

١١— وياربما عشنا زماناً ليس بيننا رسول .

٢٦— ثُمَّ يُضْحِى مِنْ فَوْرِهِ ذَاهِبَابٍ ‏ يَسْتَطِيرُ ٱلْحَصَى بِخُفٍّ كَثِيفِ

٢٧— إِنْ وضَعْنَا عَنْهُ بِبَيْدَاءَ قَفْرٍ ‏ أَوْ قَرَنَّا ذِرَاعَهُ بِوَظِيفِ

٢٨— لَمْ أَخَلْ أَنَّ ذَاكَ يَرْدَعُ مِنْهُ ‏ دُونَ ثَنْيِ الزِّمَامِ تَحْتَ الصَّلِيفِ

(٦٤)

وقال :

١ — لِمَيْثَاءَ دَارٌ عَفَا رَسْمُهَا ‏ فَمَا إِنْ تَبَيَّنُ أَسْطَارَهَا (متقارب)

٢ — وَرِيعَ ٱلْفُؤَادُ لِعِرْفَانِهَا ‏ وَهَاجَتْ عَلَى النَّفْسِ أَذْكَارَهَا

٣ — دِيَارٌ لِمَيْثَاءَ حَلَّتْ بِهَا ‏ فَقَدْ بَاعَدَتْ مِنْكُمُ دَارَهَا

٤ — رَأَتْ أَنَّهَا رَخْصَةٌ فِي الثِّيَابْ ‏ وَلَمْ تَعْدُ فِي السِّنِّ أَبْكَارَهَا

٥ — فَأَعْجَبَهَا مَا رَأَتْ عِنْدَهَا ‏ وَأَجْشَمَهَا ذَاكَ إِبْطَارَهَا

٦ — .... ‏ ....كَارَهَا

٧ — ———— ذَاكَ ٱلْحَدِيثْ ‏ وَطَارَ بِهَا النَّفْسِ أَطْيَارَهَا

٨ — تَنَابَشْتُهَا لَمْ تَكُنْ خُلَّةً ‏ وَلَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ أَسْرَارَهَا

٩ — فَبَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِي ٱلْفُؤَا ‏ دِ صَدْعًا يُخَالِطُ عَثَّارَهَا

١٠— كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا يَسْتَطِيـ ‏ ـعُ مَنْ كَانَ يَشْعَبُ تَجْبَارَهَا

١١— فَعِشْنَا زَمَانًا وَمَا بَيْنَنَا ‏ رَسُولٌ يُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا

(٢٦ – ٢٨) فوره هياجه . مصدر فاريفور. الهباب النشاط . يستطير يطير . كثيف صلب غليظ. وضع عنه خفف عنه حمله . الوظيف الساق أو مقدمها. يردعه يكفه . الزمام الحبل الذى تقاد به الناقة . الصليف عرض العنق ، وهما صليفان من الجانبين .

(٦٤)

(١ — ٤) عما ذهب وامحى . الرسم آثار الدار . تبين فعل مضارع . أى تتبين أنت ، تميز وتعرف . اسطار جمع سطر . أذكار جمع ذكر (بضم الذال وكسرها) وهو التذكر . رخصة بضة طرية ناعمة . أبكار جمع بكر (بكسر فسكون)وهو أول كل شىء،والضمير فى أبكارها عائد على السن،أى أنها لاترى نفسها إلا صغيرة فى أول الشباب.

(٥ — ٨) جشم الأمر (كعلم) تكلفه على مشقة ، وأجشمه الأمر كلفه إياه . بطر بالنعمة وأبطرته النعمة ، أخذته دهشة وحيرة عند هجومها فطغى بها . أطيار جمع طائر ، وطار طائره أسرع وخف وغضب . نبش الشر أفشاه . و نبش الشىء المستور وانتبشه كشفه وأظهره . الخلة الخليلة والزوجة ، والمحبة والصداقة . الأبيات (٦ — ٨) مترابطة متصلة ، ولم يبق منها كاملا إلا البيت الأخير . ومعناه غير واضح لى على التحقيق .

(٩ — ١٢) بانت بعدت . الصدع الشق . العثار (بفتح العين وتشديد الثاء) والعاثور الشر والمكروه والمتالف . شعب الشق وجبره لأمه ولحمه .

١٢ــ فقد أصبحت لاأستطيع أن أتحدث إليها أو تتحدث إلى إلا عن رسول .

ثم ينتقل الشاعر من حديث صاحبته إلى حديث الخمر ، فيصور مجالسها فى بيئة يغمرها الترف الفارسى ، فيقول :

١٣ــ ولقد أغدو على نديمى مبكرًا ، أشرب الصهباء صِرْفًا صافية كأنها حَدَقُ العيون .

١٤ــ تغلبنا مرارتُها آنًا ، ونعالجها مقبلين عليها آنًا آخر .

١٥ــ تكاد رائحتها الفوّاحة تسكر قبل أن تذاق . ويَغْشَى المفاصلَ منها لينٌ وفتور .

١٦ــ تسرى فى العظام فتخدِّرها ، وتصعد إلى الرأس ثائرة تفور .

١٧ــ شربتها مُستَأْنياً ، أتمزّزُها بين أبناء الحان ، واخترتها اختيار خبير .

١٨ــ أسوم صاحبها بيعًا ، وأعنف فى مناقشته حتى يغضب ويثور .

١٩ــ معى من يحمل عنى ثمنها الغالى ، ويروّينى من التى هى كالسمع والبصر للقلوب .

٢٠ــ ذلك (أبومالك) أكرمُ الناس حين يشتد الجَدْب، فتحرص النفس على اللقمة التى تمسك الرمق وتقيم الأَوَد

٢١ــ ....

٢٢ــ تطربنا مغنيتان ، وعازفة تقلب بأناملها أوتار الصَّنْج .

٢٣ــ وبَرْبَط لايفتر ولا يَهِن ، حتى تكاد نشوةُ الطرب تطغَى على نشوة الخمر .

٢٤ــ ويسعى علينا الساقى ذو اللؤلؤتين ، يحمل قارورة الخمر الكبيرة ، ويسرع تكرارها .

٢٥ــ حتى نشرب فى يوم وليلة ثمانين كأساً ، من أربع قوارير كبار .

١٢— وَأَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ ٱلْكَلَامْ   سِوَى أَنْ أُرَاجِعَ سِمْسَارَهَا

١٣— وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَوْنِ ٱلْفُصُو   صِ بَاكَرْتُ فِي الصُّبْحِ سَوَّارَهَا

١٤— فَطَوْرًا تَمِيلُ بِنَا مُرَّةً   وَطَوْرًا نُعَالِجُ إِمْرَارَهَا

١٥— تَكَادُ تُنَشِّي وَلَمَّا تُذَقْ   وَتُغْشِي الْمَفَاصِلَ إِفْتَارَهَا

١٦— تَدِبُّ لَهَا فَتْرَةٌ فِي ٱلْعِظَامْ   وَتُغْشِي الذُّؤَابَةَ فَوَّارَهَا

١٧— تَمَزَّزْتُهَـــا فِي بَنِي قَابِيَا   وَكُنْتُ عَلَى ٱلْعِلْمِ مُخْتَارَهَا

١٨— إِذَا سُمْتُ بَائِعَهَا حَقَّهُ   عَنَفْتُ وَأَغْضَبْتُ تُجَّارَهَا

١٩— مَعِي مَنْ كَفَانِي غَلَاءَ السِّبَا   وَسَمْعَ ٱلْقُلُوبِ وَإِبْصَارَهَا

٢٠— أَبُو مَالِكٍ خَيْرُ أَشْيَاعِنَا   إِذَا عَدَّتِ النَّفْسُ أَقْتَارَهَا

٢١— عَلَيْهِمْ ....

٢٢— وَمُسْمِعَتَانِ وَصَنَّاجَةٌ   تُقَلِّبُ بِالْكَفِّ أَوْتَارَهَا

٢٣— وَبَرْبَطُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ   فَقَدْ كَادَ يَغْلِبُ إِسْكَارَهَا

٢٤— وَذُو تُومَتَيْنِ وَقَاقُزَّةٌ   يَعُلُّ وَيُسْرِعُ تَكْرَارَهَا

٢٥— تُوَفِّي لِيَوْمٍ وَفِي لَيْلَةٍ   ثَمَانِينَ نَحْسُبُ إِسْتَارَهَا

(١٢ — ١٥) السمسار الرسول بين المحبين . أراجعه أحاوره وأناقشه . صهباء حمراء أو شقراء ، والصهباء الخمر ، وقيل هي المعصورة من العنب الأبيض . صرف خالصة لم تمزج بالماء ، الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهى حدقة العين ، تشبه بها الخمر فى صفائها . باكرها بادرها فى الصباح . سار الشراب فى رأسه دار وارتفع ، والسوار صفة للشراب نفسه أو لشارب الخمر الذى تسور فى رأسه فيعربد . مال به غلبه . عالج الشيء زاوله ومارسه . أمر الشيء صار مراً . فتر سكن بعد حدته ولان بعد شدته. أفتره جعله يفتر ويسكن .

(١٦ — ١٨) تدب تسرى ، والدبيب المشى الضعيف كمشى النملة . فترة ضعف وانكسار . الذؤابة الرأس . فوارها من فارت القدر إذا جاشت وغلت ، وفار العرق هاج وضرب . تمزز الشراب تمصصه . بنو قابياء المجتمعون لشرب الخمر . والقابياء اللئيم . سام المشترى السلعة طلب من صاحبها بيعها . تجارها أى تجار الخمر .

(١٩ — ٢١) سبأ الخمر سبأ وسباء اشتراها ليشربها . سمع القلوب وإبصارها هى الخمر ، يصفها بذلك . أبو مالك بدل من (من كفانى) فى البيت السابق . شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ، وجمعها أشياع وشيع . عد المال وعدده جمعه وادخره . أقتار جمع قتر (بفتح فسكون) وهو ما يمسك الرمق من العيش .

(٢٢ — ٢٥) مسمعتان جاريتان تغنيان . الصناجة الضاربة على الصنج ؛ وليس المقصود به هنا الصنج الذى تعرفه العرب ، وهو الدوائر النحاسية التى تكون فى أطراف الأصابع أو إطار الدف ، فينبعث منها رنين عند اصطفاقها . ولكن المقصود به هنا آلة موسيقية ذات أوتار ، كان يستعملها الفرس . البربط آلة موسيقية ذات أوتار (رومى معرب) . القاقزة والقاقوزة إناء من آنية الشراب (معرب) . عله سقاه المرة الأولى . إستار أربعة ، معرب جهار الفارسية . توفى يعنى القاقوزة ، كل واحدة منها تسع عشرين كأساً . فاذا شربوا بالصغير ثمانين يكون بالكبير أربعة .

هذه القصيدة من شعر الأعشى فى صاحبته (قتيلة) ، التى ظفرت بأكبر نصيب من غزله . وقد فرغ الشاعر فيها للغزل والوصف .

يقول الأعشى :

١ — بَلِيَ كل جديد يا (قَتْلُ) ، وحبك لا يبلَى ولا يَبيد .

٢ — رمت فؤادك بلحاظها فصادته ، فليت الذى أسقمه الحب وأضناه يستطيع أن يصيد !

٣ — ولكنه يرميها فلا يصيب . وكيف تُصطاد غانية كَفور بالمودة جَحُود بالعهود ؟

٤ — يا فتنة العاشق وياشوقاً لا ينقضى ولا يَبيد . لقد شقى بكِ كلُّ من أحبك، فما تعلَّق بك رجلٌ سعيد.

ثم يتجه الأعشى إلى نفسه ، طالبا إليها أن تتماسك وتصطبر ، فيقول :

٥ — أما آن لك أن تَلزَم الحياء ، وتكف عن البكاء ، صَنِيعَ الصبى الصغير ؟

ولكن ذكراها لا تبرح ، فهو مشغول بها أبدا . وهو يعود للتحدث عنها قائلا :

(٦ — ٧) سهرتُ لا يغمض لى جفن ، وقد لاحت لى نارك فى (وَاقِصة) ، وأنا مقيم عند ماء (زَرُود) ، أقول للقوم : هذه نارها ! ويالها من نار ليس كمثلها نار .. ولكن ماذا أرى ؟ وعن أى شىء يكشف لهيب النار حين سطع وأضاء؟

ويستغرق الأعشى فى حلم يتمثل فيه صاحبته ، وكأنها قد لاحت له من بعيد .

(٧ — ١٠) هاهى ذى وقد أضاءتها النار . . حوراء العينين ، رَخْصة القوام، تَكدَّسَ فوق صدرها الدر المنظوم . وجهها كأصول الليف الندية البيضاء ، وشعرها طويل ، تسترسل غدائره السوداء ، على جِيد كالفضة الملساء . تبسم عن ثغر بارد عذب تبرق أسنانه كأنها البلور ، من ذاق قبلة منه جُنَّ به ولم يصبر عنه .

ويطول ليل الأعشى وهو ساهر يرقب نارها ، ينعم بأحلامه آنا ، ويفيق منها آنا آخر، ليتلظى بنار الحسرة والحرمان .

(١٣ — ١٥) ما أطول ليل المحبين ! كأن نجومه قد شُدَّت إلى حبال ربطت بالجبال ، فهى تسرح وتدور ، ولكنها مكانها لا تنور . إذا قلت لنفسى : مضى الليل وآن لها أن تغيب ، طلعت نجوم (الثريَّا)

وقال :

١ — أَلَا يَا قَتْلُ قَدْ خَلُقَ ٱلْجَدِيدُ — وَحُبُّكِ مَا يَمُحُّ وَمَا يَبِيدُ (وافر)

٢ — وَقَدْ صَادَتْ فُؤَادَكَ إِذْ رَمَتْهُ — فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَءًا دَنِفًا يَصِيدُ

٣ — وَلٰكِنْ لَا يَصِيدُ إِذَا رَمَاهَا — وَلَا تُصْطَادُ غَانِيَةٌ كَنُودُ

٤ — عَلَاقَةَ عَاشِقٍ وَمِطَالَ شَوْقٍ — وَلَمْ يَعْلَقْكُمُ رَجُلٌ سَعِيدُ

٥ — أَلَا تَقْنَى حَيَاءَكَ أَوْ تَنَاهَى — بُكَاءَكَ مِثْلَ مَا يَبْكِى ٱلْوَلِيدُ

٦ — أَرَيْتُ ٱلْقَوْمَ نَارَكِ لَمْ أُغَمِّضْ — بِوَاقِصَةٍ وَمَشْرَبُنَا زَرُودُ

٧ — فَلَمْ أَرَ مِثْلَ مَوْقِدِهَا وَلٰكِنْ — لِأَيَّةِ نَظْرَةٍ زَهَرَ ٱلْوَقُودُ

٨ — أَضَاءَتْ أَحْوَرَ ٱلْعَيْنَيْنِ طَفْلًا — يُكَدَّسُ فِى تَرَائِبِهِ ٱلْفَرِيدُ

٩ — وَوَجْهًا كَٱلْفِتَاقِ وَمُسْبَكِرًّا — عَلَى مِثْلِ ٱللُّجَيْنِ وَهُنَّ سُودُ

١٠ — وَتَبْسِمُ عَنْ مَهًا شَبِمٍ غَرِيٍّ — إِذَا يُعْطَى ٱلْمُقَبِّلَ يَسْتَزِيدُ

١١ — .... — .... يدُ

١٢ — .... — .... جُودُ

١٣ — كَأَنَّ نُجُومَهَا رُبِطَتْ بِصَخْرٍ — وَأَمْرَاسٍ تَدُورُ وَتَسْتَرِيدُ

١٤ — إِذَا مَا قُلْتُ حَانَ لَهَا أُفُولُ — تَصَعَّدَتِ ٱلثُّرَيَّا وَالسُّعُودُ

(١ — ٣) خاق بلى . مح الثوب بلى باد يبيد هلك وذهب . الدنف من لازمه المرض وحالفه السقم . الغانية الجميلة التى استغنت بجمالها عن الزينة . امرأة كنود كفور للمودة والمواصلة . والكنود الذى يعد السيئات وينسى الحسنات .

(٤ — ٦) علق به علاقة (كطرب) هويه وأحبه . قني الحياء يقناه (كعلم) لزمه . تناهى فعل مضارع أى تتناهى . الوليد الصبى . واقصة ماء لبنى كعب ، وموضع بطريق الكوفة دون مرخ ، وموضع باليمامة . زرودموضع قرب الكوفة فى طريق الحاج .

(٧ — ٩) زهر أضاء وتلألأ . نظرة اسم مرة من نظره إذا مد طرفه إليه . ونظر فلان (لازم) تكهن . أحور العينين أسودهما . الطفل (بفتح الطاء) الرخص الناعم . الترائب عظام الصدر . الفريد الدر المنظوم والمنفصل بغيره من كريم الأحجار . الفتاق أصل الليف الأبيض ، وقرن الشمس ، وعينها . المسبكر كالمسبطر وزنا ومعنى وهو المسترسل ، يقصد شعرها . اللجين الفضة ، يقصد رقبتها . هن أى غدائر الشعر .

(١٠ — ١٢) اللها البلور . شبم بارد . غرى فعيل ، من غرى الغدير (كعلم) برد ماؤه . والغرى كذلك الحسن من كل شىء والبناء الجيد، ومنه الغريان ، البناءان المشهوران فى الكوفة ، قبرا نديمى جذيمة الأبرش .

(١٣ — ١٤) نجومها نجوم تلك الليلة التى أرق فيها الأعشى . الامراس الحبال ، والمفرد مرسة (بالتحريك) ، جمعها مرس (بفتحتين) ، وجمع الجمع أمراس . استرادت الدابة رعت . أفول غروب . الثريا مجموعة من النجوم تتكون من كواكب ، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل . السعود مجموعة أخرى من النجوم تتكون من عشرة كواكب .

و (السُّعود) . ثم تميل للغروب بعد ليل طويل وما كادت تغيب ، ويخمد بريقها حين ينتشر ضوء الصباح .

وتتمثل أمام عينيه صورتها ، حين رحلت عائدة إلى موطنها مع قومها ، بعد أن جاوروا قوم الأعشى زمنا ، يجمعهم الخصب والمرعى . وكأنه يرى الجمال تتحرك أمامه الآن .

(١٦ — ١٨) انظر ياصاحبي ! ألا ترى الهوادج من فوق الجمال فى ضوء الفجر الخافت ، عليها الوسائد الوثيرة والطنافس الموشَّاة تُشْرِف من فوقها الأوانس كأنهن ظباء (وَجْرَة) ، وقد لبسن الثياب المخططة ، من تحتها القمصان المصبَّغة الصفراء ؟ استوَيْنَ فوق هوادجهن العالية ، وتركنك فى تلك الغَدَاة وقد غلبك الشوق حتى أشرف بك على الهلاك .

رحلت صاحبته الجَحُود ، وسار هو فى أثرها يضنى ناقته ، فلم يجد منها إلا النفور والصدود . فهو يرثى لناقته المكدودة قائلا :

(١٩ — ٢٠) يا للناقة المسكينة ، وقد أجهدتها الرحلة الشاقة المضنية ، فتركتها قصيرة الخَطْو . وما كانت تقصد فيما نالها من إعياء غيرَ دار هذه الصاحبة الكَنُود . أى عناء قد حُمِلْتِ عليه أيتها المسكينة ، فى سبيل قوم قد امتلأت قلوبُهم بالعداء ، وأحرقت أكبادَهم البغضاء .

ويتجه الأعشى إلى (قتَيْلة) فيقول :

٢١ — فارقتِنى . فليكن صديقك الذى تتخذينه من بعدى فتى كَسُوبا سخيا مثلى ، يعرف كيف يجمع المال ، وكيف ينفقه فى سخاء .

ويجمع الشاعر عزمه ، ليقول لها مستخفا ، مفاخرا بقوته وصلابته :

(٢٢ — ٢٥) كم لهوتُ بمثلك ، وكم قطعتُ من قفرٍ مُضِل ، لا يجرؤ على اقتحامه صاحبُ الناقة الفتيَّة الجَسُور . قطعتُه وحدى ، لا أُصاحب إلا ناقة ضخمة كأنها قطعة من الجبل ، تسترسل مندفعة حين تمضى

١٥— فَلَأيًا مَا أَفَلْنَ مُخَوِّيَاتٍ ... خُمُودَ النَّارِ وَارْفَضَّ الْعَمُودُ

١٦— أُصَاحِ تَرَى ظَعَائِنَ بَاكِرَاتٍ ... عَلَيْهَا الْعَبْقَرِيَّةُ وَالنُّجُود

١٧— كَأَنَّ ظِبَاءَ وَجْرَةَ مُشْرِفَاتٍ ... عَلَيْهِنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ

١٨— عَلَى تِلْكَ الْحُدُوجِ إِذِ احْزَأَلَّتْ ... وَأَنْتَ بِهِمْ غَدَاةَ إِذٍ مَجُودُ

١٩— فَيَالَدِنيَةٍ سَتَعُودُ شَزْرًا ... وَعَمْدًا دَارَ غَيْرِكِ مَا نُرِيد

٢٠— فَمَا أُجْشِمْتِ مِنْ إِتْيَانِ قَوْمٍ ... هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سُودُ

٢١— فَإِذْ فَارَقْتِنِي فَاسْتَبْدِلِينِي ... فَتًى يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيَسْتَفِيد

٢٢— فَمِثْلُكِ قَدْ لَهَوْتُ بِهَا وَأَرْضٍ ... مَهَامِهَ لَا يَقُودُ بِهَا الْمُجِيدُ

٢٣— قَطَعْتُ وَصَاحِبِي سُرُحٌ كِنَازٌ ... كَرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ قَصِيدُ

٢٤— كَأَنَّ الْمُكْرَهَ الْمَعْبُوطَ مِنْهَا ... مَدُوفُ الْوَرْسِ أَوْ رُبٌّ عَقِيدُ

(١٥ — ١٨) اللأى البطء والاحتباس والشدة ، فعله لأى (كفتح) . خوى سقط . أفل غرب . ارفض الدمع سال ، وارفض الناس تفرقوا . عمود الصبح ضوؤه . أصاح أى ياصاحبي . ظعائن جمع ظعينة وهى الهودج إذا كان فيه امرأة ، وقد يطلق على المرأة نفسها . باكرات فى الصباح المبكر . العبقرى الديباج ، ومنه حديث عمر أنه كان يسجد على عبقرى ، قيل هو الديباج ، وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس الثخان . والعبقري ضرب من البسط منسوب إلى عبقر ، بلد باليمن . أوهو منسوب إلى موضع بالبادية تسكنه الجن ، ينسبون إليه كل شىء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته . النجود جمع نجد (بفتح فسكون) وهو ما ينجد (أى يزين) به البيت من بسط وفرش ووسائد . الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو من مراكب النساء كالهودج . احزألت ارتفعت . الغداة من الفجر إلى طلوع الشمس . ومجود مفعول من جاده الهوى شاقه وغلبه ، والمجود كذلك المطشان والمشرف على الهلاك .

١٩— بالدنية يمكن أن يكون المقصود بها صاحبته أو ناقته . فعلى المعنى الأول الدنية القريبة . والشزر المعاداة : أى أنها أصبحت عدوا وقد كانت صديقاً . وعلى ذلك يقرأ الشطر الثانى (ما نريد) أي أننا مع ذلك لانقصد إلا إلى دارك . ويقرأ بعد ذلك (فما أجشمت) بضمير الفاعل . فان كان المقصود بها الناقة فالدنية التي دانى لها صاحبها القيد وضيقه عليها ، يصفها بقصر الخطو بعد أن تعبت لبعد الطريق . والشزر هنا الشدة والصعوبة .

(٢٠ — ٢٢) أجشمت (على البناء للمجهول) من أجشمه الأمر إذا كلفه إياه فتحمله بمشقة . إتيان قوم يقصد قوم صاحبته التى انصرفت عنه . عدو أسود الكبد أحرقت كبده العداوة . الجزيل الكثير . يستفيد المال يكسبه . مهامه جمع مهمه (بفتح الميمين) وهى الصحراء . المجيد (اسم فاعل) من أجاد الرجل إذا كان ذا دابة جواد وفرس جواد .

(٢٣ — ٢٤) ناقة سرح (بضمتين) سريعة منبعثة سهلة السير . كناز ضخمة . الرعن أنف الجبل . الذعلبة الناقة السريعة ، القصيد الناقة السمينة لها نق ، والنق (بكسر فسكون) كل عظم ذى مخ . المكره الذى أكره على الذبح . المعبوط من عبط الذبيحة (كضرب) نحرها من غير علة وهى سمينه . داف الدواء والزعفران يدوفه خلطه ، ودافه فى الماء أذابه وضربه فيه حتى يختر ويتماسك . الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع في اليمن ويصبغ به وتطلى به النساء وجوههن . الرب الطلاء الخاثر ، الرب كذلك دبس الرطب (بكسر الدال وسكون الباء) إذا طبخ . عقيد غليظ القوام ليس سائلا (وهو فعيل بمعنى مفعول) .

فى الصحراء . وتملأ القُدُور حين تُنحر ، فيعلوها مَرَقٌ دسم غليظ ، كأنه مسحوق (الوَرْس) الأصفر المطبوخ ، أو عسل البلح المعقود . كأن الرَّحْل وقد أُثبِت فوقها فى (عُنَيْبسات) ، قد وُضِع فوق ثور مستوحش متوحد فى القفار .

ثم يستطرد الشاعر إلى تلك الصورة التقليدية المألوفة التى مرت بنا من قبل . فيصف صلابة هذاالثور فى كفاحه المرير .

(٢٦ — ٢٩) لجأ هذا الثور ذات ليلة إلى رملة (البقَّار) ، يسفعه ما تقذف به السماء من صقيع بارد ، ويدس رأسه بين الأشجار العالية كلما فاجأته دفعة من المطر ، محتميا بأغصانها الكثيفة المتهدلة . وراح ينفض عن نفسه الماء حين أصبح الصباح ، ويستعيد رباطة جأشه ، مطمئنا إلى قرونه الحادة الطويلة التى يدفع بها عن نفسه ، وإلى أظلافه المنبسطة الوثيقة التى تعينه على الكر والفر فى القتال .

وينتقل الشاعر من هذه الصورة إلى صورة أخرى من تلك الصور المألوفة فى الشعر الجاهلى ، مشبها ناقته بحمار من حمر الوحش ،[1] فيقول :

(٣٠ — ٣٣) وشبيه آخر لناقتى فيما نالها من إعياء ، ذلك الحمار الغليظ ، قد أضمره الجرى وطوى لحمه ، فهو مكتنز خَمِيصُ البطن . يمرح فى الوديان ، ويأكل ما أنبتت من عشب ، وقد اتسع أمامه المرعى وانفسح . يلاحق أتانا طويلة الظهر ، تنفر منه ممتنعة عليه ، ولكنها تنزل على حكمه آخر الأمر . ظل هذا الحمار صيفا طويلا يرقبها منتظرا ، وقد تساقط شعره من الهزال لجفاف العشب والماء ، فاشتد شوقه إليها وشهوته لِضِرَابها . ولكن الأتان تنفر منه ، وترفسه برجليها كلما عاد إليها فتصيب أنفه وجبهته .

(١) راجع القصائد ١ : ٢٧ — ٣١ ، ٢١ : ١٥ — ٢٠ ، ١٥ : ٩ — ٢٣ وراجع كذلك فى نفس الصورة : ديوان النابغة (ط . الهلال ١٩١١) ص ٨٤ — ٨٥ ، ديوان زهير (ط . دار الكتب) ص ٦٥ — ٧٢ ، مطولة لبيد الأبيات ٢٤ — ٣٥ ، ديوان امرىء القيس (ط . السندوبى) ص ١٠٦ — ١٠٧ .

٢٥— كَأَنَّ قُتُودَهَا بِعُنَيْبِسَاتٍ ... تَعَطَّفُهُنَّ ذُو جُدَدٍ فَرِيدُ

٢٦— تَضَيَّفَ رَمْلَةَ ٱلْبَقَّارِ يَوْمًا ... فَبَاتَ بِتِلْكَ يَضْرِبُهُ ٱلْجَلِيدُ

٢٧— يُكِبُّ إِذَا أَجَالَ ٱلْمَاءَ عَنْهُ ... غُصُونَ ٱلْفَرْعِ وَالسَّدَلُ ٱلْقَرِيدُ

٢٨— فَأَصْبَحَ يَنْفُضُ ٱلْغَمَرَاتِ عَنْهُ ... وَيَرْبِطُ جَأْشَهُ سَلِبٌ حَدِيدُ

٢٩— وَرُحٌّ كَٱلْمَحَارِ مُوَتَّدَاتٌ ... بِهَا يَنْضُو ٱلْوَغَى وَبِهِ يَذُودُ

٣٠— أَذَلِكَ أَمْ خَمِيصُ ٱلْبَطْنِ جَأْبٌ ... أَطَاعَ لَهُ النَّوَاصِفُ وَالْكَدِيدُ

٣١— يُقَلِّبُ سَمْحَجًا فِيهَا إِبَاءٌ ... عَلَى أَنْ سَوْفَ تَأْتِي مَا يَكِيدُ

٣٢— بَقِي عَنْهَا ٱلْمَصِيفَ وَصَارَ صَعْلًا ... وَقَدْ كَثُرَ التَّذَكُّرُ وَٱلْفُقُودُ

٣٣— إِذَا مَا رَدَّ تَضْرِبُ مَنْخَرَيْهِ ... وَجَبْهَتَهُ كَمَا ضُرِبَ ٱلْعَضِيدُ

٣٤— فَتِلْكَ إِذَا ٱلْحُجُوزُ أَبِي عَلَيْهِ ... عِطَافَ ٱلْهَمِّ وَٱخْتَلَطَ ٱلْمَرِيدُ

٢٥— القتود خشب الرحل وعيدانه ، جمع قتد . عنيبسات موضع ، كذلك جاء فى معجم البلدان ولم يحدده. وهى فى الأصل (عنيسبات) والتصحيح عن ياقوت . تعطفهن أى تردى بهن ولبسهن . والضمير يعود على القتود . الجدد جمع جدة (بضم الجيم وتشديد الدال) وهى الخطة فى ظهر الثور أو الحمار تخالف لونه . فريد واحد متفرد وصف للثور .

(٢٦ — ٢٨) البقار رمل بنجد أو بناحية اليمامة (موطن الأعشى) . تضيفها نزل بها . بتلك أى تلك الرملة. الجليد الصقيع الذى ينزل من السماء ليلا كأنه الثلج . يكب يطاطىء رأسه . أجال الماء عنه حوله . فرع كل شىء أعلاه . السدل المسترسل المتهدل ، القريد الكثيف المجتمع بعضه فوق بعض ، من قرد الصوف إذا تلبد . الغمرات الشدائد ، والغمرة (بفتح فسكون) الماء الكثير . الجأش اضطراب القلب عند الفزع ، يربط جأشه أى يشجعه . سلب طويل يقصد قرنه . حديد حاد .

(٢٩ — ٣٠) رح صفة لأظلافه ، جمع أرح وهو الحافر الواسع والظلف المنبسط ، وهو محمود . موتدات ثابتة فى الأرض متمكنة منها لانبساطها. بها الضمير يعود على الأظلاف . نضا الفرس الخيل سبقها وتقدمها . الوغى الحرب، وأصلها الصوت والجلبة . وبه الضمير يعود على القرن فى آخر البيت السابق . يذود يدافع . خميص ضامر . جأب غايظ . النواصف جمع ناصفة ، وهى مجرى الماء ، وما اتسع من بطن الوادى . الكديد الوادى العظيم المتسع . أطاع له المرتع وطاع له اتسع وأمكنه الرعى . وهو يصف بالبيت الاخير حمار الوحش . يقول : أذلك الثور شبيه ناقتى أم هذا الحمار .

(٣١ — ٣٢) السمحج الطويلة الظهر ، يقصد الاتان . يقلبها يوجهها حيث شاء . إباء امتناع ونفور ، أى أنها تنفر من الحمار ولا تنقاد له . ما يكيد مايريد ويدبر . وهو شبيه بقول النابغة :

أضر بجرداء النسالة سمحج ... يقلبها إذ أعوزته الحلائل

بقاه يبقيه ويبقوه رصده وترقبه وانتظره . المصيف موضع الاقامة فى الصيف أو زمانه ، والمقصود هنا الزمان ، وهى منصوبة على الظرفية . صعل ذاهب الوبر قد تساقط شعره ليبس الكلأ فى الصيف . الفقود من فقده إذا غاب عنه وعدمه . أى أنه ظل ينتظرها طول الصيف وقد اشتد شوقه إليها ، يريد الضراب ولكنها تمتنع عليه وتأباه .

(٣٣ — ٣٤) رد عاد إليها . تضرب منخريه ترفسه برجليها الخلفيتين فى وجهه . العضيد أغصان الشجر يقطعونها ، فإذا جفت خبطوها بالعصى حتى يسقط ورقها فيتخذوه علفا لابلهم . عضد الشجر (كضرب) قطعه ، فهو معضود وعضيد . الحجوز والحجور (بالراء والزاى) من الحجز والحجر وهو المنع والحرمان . عطاف من العطف وهو الميل . الهم مايشغل النفس وما تجيل الفكر فى تدبيره. اختلط تشابك وتعقد . المريد المطلوب من راد الشيء أي طلبه .

ويتوالى على وجهه الضرب ، كما تضرب أغصان الشجر ليُنْفَض ما عليها من ورق .

ويعود الشاعر آخر الأمر إلى ناقته ليقول :

٣٤ -- ذلك الحمار شبيه ناقتى إذا حالت الحوائل دون تحقيق ما أَهُمّ به من أمر ، والتوى علىّ ما أُريد .

ويتجه الشاعر إلى صاحبته بعد هذا الحديث الطويل عن صلابة عوده ، وقدرته على اقتحام الصحراء ، وصبر ناقته على ما فيها من مشاق ، فيقول لها :

(٣٧ — ٣٨) إنكِ لو سألتِ يا (قَتْلُ) لعرفت موضعنا من المروءة ومكانَنا من القوم . سلى عن صنيعنا حين يتخلى الناس عن الأسير ويسلمونه ، وقد ثوى فى قيوده سنين ، حتى أضناه الهم والوجع الشديد .

(٣٩ -- ٤٠) عند ذاك يقدم وفدنا على الملوك فيشفع له ويخلصه ، حين تُرَدّ وفود الناس ولا تقبل شفاعتهم .

نفعل ذلك لا نريد من صاحبه جزاء ولا شكورا ، ولكنا ندع الحمد للذى يطلبه ويرتجيه .

(٤١ — ٤٢) كم من عدو يعضون على أنيابهم من شدة الغيظ ، ويتهددون متوعدين ، فلا تنالنا أيديهم ، ولا يضيرنا وعيدهم . طلبوا ما فى أيدينا فأخذنا ما فى أيديهم ، ومكر بنا سيدهم فحاق بهم ما يمكرون.

٣٥ — .... النشيد

٣٦ — .... حلت ... وَحَيا لا يَطيبُ ولا يُفيدُ

٣٧ — فَأَنَّك لَوْ سَأَلْتِ قُتَيل عَنَّا ... إِذَا صَفَحَتْ عَنِ ٱلْعَانِى ٱلْخُدُودُ

٣٨ — تَنيه وَقَدْ أَحالَ ٱلْقِدُّ فيهِ ... وَشَفَّ فُؤَادَهُ وَجَعٌ شَدِيدُ

٣٩ — تخَلَّصَهُ الَّذِى وَافَاهُ مِنَّا ... وَكُنَّا ٱلْوَفْدَ إِذْ حُبِسَ ٱلْوُفُودُ

٤٠ — فلَمْ نَطْلُبْ لَهُ شُكْرًا وَلٰكِنْ ... نُوَلِّى حَمْدَ ذٰلِكَ مَنْ يُرِيدُ

٤١ — وَقَوْمٍ تَصْرِفُ ٱلْأَنْيَابُ مِنْهُمْ ... عَلَيْنَا ثُمَّ لَمْ يَصِدِ ٱلْوَعِيدُ

٤٢ — بَعَوْنَا فَالْتَمَسْنَا مَا لَدَيْهِمْ ... وَكَادُونَا بِكَبْشِهِمُ فَكِيدُوا

(٣٥ — ٣٨) جواب الشرط فيما يتلو ، وهو بياض بالاصل . صفح عنه أعرض ، وأصله من صفح الوجه (بفتح فسكون) وهو عرضه ، أى ولاه صفح وجهه . العانى الأسير . الخدود جمع خد وهى الجماعة من الناس . تنيه تتخلى عنه وتتركه ، والضمير راجع على الخدود . القد (بكسر القاف) سير من جلد ، يعنى القيد الذى قيد به ذلك الاسير . أحال أتى عليه الحول أى العام ، أو مرت عليه أحوال أى سنون . شفه أضناه وأوهنه .

(٣٩ — ٤٠) وافاه أدركه . الوفد الذين يفدون على الملوك . حبس الوفود منعوا ولم تقبل شفاعتهم عند الملك الذى أمسك عنده ذلك الأسير . ولاه الأمر جعله ولياً عليه . أى أنهم يدعون الشكر على هذا الصنيع للذى يطلبه ، فهم لم يفعلوا ما فعلوا طلبا لأن يشكروا ، ولكنهم فعلوه بدافع المروءة .

(٤١ — ٤٢) صريف الانياب صريرها حين يعض عليها المغيظ المحنق الحسود . الوعيد التهديد . لم يصد لم يصبنا بسوء ، من صاد يصيد . بعا يبعى ويبعو جنى وأجرم ، وبعاه قمره وأصاب منه ، وبعا الشىء استعاره . التمسنا مالديهم طلبناه . كاده خدعه ومكر به . كبشهم سيدهم . كيدوا فعل ماض مبنى للمجهول من كاد يكيد .

رويت هذه القصيدة عن أبي عمرو الشيباني . وعندي أنها لا تصح للأعشى ، لأسباب كثيرة :

(١) القصيدة ركيكة ضعيفة النظم ، تشبه في بعض أبياتها نظم المتون والشعر التعليمي الفث .

(٢) وهي متأثرة بالقرآن في كثير من أبياتها . فالبيت (٩) متأثر بالآية (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله) . والتعبير عن الثواب في ذلك البيت بقوله (الباقيات) ، متأثر بتعبير القرآن (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) . والبيت (١٠) متأثر بقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) . وقد سمى الناظم تعاليم الدين وأوامر الله في البيت (١١) « كلام الله » ، وهي تسمية القرآن . قال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه . .) . والتعبير عن الجارة المجاورة في البيت (١٥) بـ « جارة جنب البيت » متأثر بتعبير القرآن (والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل) . ثم هو متأثر في عجز البيت بقوله تعالى (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) . والقصيدة في جملتها نظم لتعاليم القرآن والاسلام .

(٣) وفي القصيدة ألفاظ غريبة على الأعشى ، وعلى العصر الجاهلي جملة . مثل (اللطيف) بمعنى ظريف ، في قوله (ولا تشتمن جار اللطيف ما دانيا). ومثل تسمية الله جل وعلا بـ (الرحمن) ، فهي تسمية لم تعرفها العرب في الجاهلية . والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن وفي السيرة . قال تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ١) وقال جل وعلا يخاطب الكفار (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ٢) وجاء في السيرة في صلح الحديبية أن رسول الله صلى الله علية وسلم دعا عليا فقال له اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) . فقال له سهيل بن عمرو — ممثل قريش في الصلح — : أنا لا أعرف هذا . ولكن اكتب (باسمك اللهم ٣) .

(٤) والقصيدة بعد كل هذا تخالف ما عرف عن الأعشى من فسق ومن دعارة ، وتناقض سائر شعره . فلم يكن الأعشى قط واعظا ولا صاحب دعوة خلقية أو دينية . بل إن سائر القصيدة يناقض صدرها . فهو يخاطب عاذلته في البيت الأول قائلا (ذريني لك الويلات آتي الغوانيا)، ثم ينهى بعد ذلك عن الزنا في البيت (١٥)

وكل هذه الأسباب مجتمعة ، تقطع بما لا يدع مجالا للتردد ، بأن القصيدة ليست للأعشى . ولعلها لواحد من الأعشين الآخرين — وهم كثير — ولو أنها في نظمها الركيك لا تستحق أن تنسب لأدنى الناس حظاً من موهبة الشعر .

---

١ — ذريني - لك الويل - أمتع نفسي من النساء ، فما أنا بصاحب زرع . ولا أنا ممن يسوق الجِمَال .

٢ — ترجو الثراء من (سِيَاس) وأضرابها ، ومن قبل ذلك ما كنت تسعى وراء المـال .

٣ — سأوصي عاقلا إن دنا أجلي - وكل امرىء صائر إلى الفناء -

٤ — بأن لا ترج الخير ممن ينأى متباعدا ، ولا تنأ عمن يدنو إليك متقربا .

٥ — وأبغض من يبغضك ، واجز الصديق بمودته مودةً أو زد عليه .

٦ — وشارك سادة الحي فيما ينوب من مغَارِم ، غير مبطىء ولا متخاذل .

٧ — وإن صد عنك رجل من الناس فاصدد عنه ، كائنة ما كانت قرابته .

٨ — واتق الله فليس كتقواه شيء ، وواس الجائع الذى أضنته الفاقة .

٩ — ولا تشرك بربك ، فالشرك تنقص من ثوابك فيما قدمت من خير .

١٠ — واعبد ربك غير مشرك به ، ليعينك على ما تسعى إليه ويرعاك .

١١ — ولا تأكل الميتة . فبحسبك كلام الله ناهيا وزاجرا .

١٢ — ولا تقدم من الوعود ما لا تستطيع الوفاء به . ولا تشتم الجار المخلص اللطيف .

---

(١) الفرقان ٦٠ (٢) الاسراء ١١٠ (٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٣٢

وقال :

١ — ذَرِينِي لَكِ ٱلْوَيْلَاتُ آتِي ٱلْغَوَانِيَا   مَتَى كُنْتُ ذَرَّاعًا أَسُوقُ السَّوَانِيَا   (طويل)

٢ — تُرَجِّي ثَرَاءً مِنْ سِيَاسٍ وَمِثْلِهَا   وَمِنْ قَبْلِهَا مَا كُنْتُ لِلْمَالِ رَاجِيَا

٣ — سَأُوصِي بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ ٱلْبِلَى   وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يَوْمًا سَيُصْبِحُ فَانِيَا

٤ — بِأَنْ لَا تَأَنَّ ٱلْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ   وَلَا تَنْأَ إِنْ أَمْسَى بِقُرْبِكَ رَاضِيَا

٥ — فَذَا الشَّنْءِ فَٱشْنَأْهُ وَذَا ٱلْوُدِّ فَٱجْزِهِ   عَلَى وُدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ٱلْغَلَانِيَا

٦ — وَآسِ سَرَاةَ ٱلْحَيِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ   وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاعَةِ وَانِيَا

٧ — وَإِنْ بَشَرٌ يَوْمًا أَحَالَ بِوَجْهِهِ   عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ دَانِيَا

٨ — وَإِنَّ تُقَى الرَّحْمٰنِ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ   فَصَبْرًا إِذَا تَلْقَى السَّحَاقَ ٱلْغَرَاثِيَا

٩ — وَرَبَّكَ لَا تُشْرِكْ بِهِ إِنَّ شِرْكَهُ   يَحُطُّ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ تِلْكَ ٱلْبَوَاقِيَا

١٠ — بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ لَا شَرِيكَ لِوَجْهِهِ   يَكُنْ لَكَ فِيمَا تَكْدَحُ ٱلْيَوْمَ رَاعِيَا

١١ — وَإِيَّاكَ وَٱلْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا   كَفَى بِكَلَامِ اللهِ عَنْ ذَاكَ نَاهِيَا

١٢ — وَلَا تَعِدَنَّ النَّاسَ مَا لَسْتَ مُنْجِزًا   وَلَا تَشْتِمَنْ جَارًا لَطِيفًا مُصَافِيَا

(١ — ٣) ذريني اتركيني ، يخاطب عاذلته يقول لها دعيني وشأني . الغواني جمع غانية وهي المرأة الجميلة لأنها تستغني بجمالها عن الزينة . السواني جمع سانية وهي الناضحة أي الناقة التي يستقى عليها فتحمل الماء . سياس لعله اسم صاحبته ، أو لعله يقصد سيواس بلد بالروم ، أو لعله من ساس الدواب يسوسها سياسة إذا قام عليها وراضها ، والمعنى على كل حال غير واضح لي . البلى الموت والفناء . بصير عاقل فطن . والبيت الثالث والرابع مكرران في القصيدة (١٤) . في البيتين (٥ ، ٦) منها .

(٤ — ٦) تأني ترفق وتمهل وانتظر . أي تنتظر ودا ولا خيرا منه . شنأه شنأ كرهه وأبغضه . الغلانية (بالغين المعجمة) الغلو والاسراف ، فعلها غلن (كفتح) . وروى العلانيا (بالعين المهملة) ، من علن الأمر (كنصر) علونا وعلانية شاع وظهر . السراة جمع سري (كغني) وهو الشريف والسيد . آسهم أي عاونهم يقصد المشاركة بالمال في المغارم . الرباعة لاالة يحتملها سيد القوم من ديات القتلى والمغارم ، ثم يسعى في جمعها من قومه . وانيا بطيئا .

(٧ — ٨) أحال بوجهه ولاه وصرفه . عليك يقصد عنك . حل عنه انصرف . وان كان دانيا قريب القرابة . السحاق من السحق وهو البعد ، والسحيق البعيد . والأليق بما بعدها أن تكون من الضمور والهزال ، من قولهم أسحق الشيء إذا ضمر وانضم ، وأسحق الضرع ذهب لبنه وبلي ، ومنه كذلك السحق (بفتح فسكون) وهو الثوب البالي . الغراث (بكسر الغين) جمع غرثان وهو الجائع ، فعلها غرث (كعلم) . والصبر هنا الكفالة من قولهم صبر نفسه به صبراً أي كفله وعاله وقام بالانفاق عليه ، وأصله الحبس ، كأنه قد حبس نفسه عليه .

(٩ — ١٢) يحط من الخيرات ينقصها . البواقي يقصد ثواب الآخرة الذي يبقى ويدوم . تكدح تعمل وتشقى . راعيا حافظا . أنجز الوعد أمضاه وأنفذه ، مصافيا مخلصاً . صدر البيت (١١) مكرر في القصيدة ١٧ : ١٩ .

١٣ -- ولا ترغب عن وصل ذوى القربى ، ولا تك ظلوما لقومك .

١٤ — وأدِّ الأمانة التى اؤتمنت عليها ، يذكرك الناس بعدموتك بالخير والوفاء .

١٥ — ولا تسع لإفساد جارتك ، فالله يراك من حيث لا تراه .

١٦ -- ولا تحسد صديقك إن استغنى ، ولا تنأ عنه إن واتاك المال .

١٧ — ولا تتخل عن قومك إن مسَّهم الضُّر ، فأنك لا تعدم بمشاركتك سبيلا إلى المجد .

١٨ — واشدد أزْر المستجير بك ، ودافع من دونه موقدا نار الحرب حامية تَسْفَع الوجوه .

(٦٧)

رووا فى قصة هذه الأبيات أن الأعشى أقبل من عند قيس بن معديكرب ، فمر بالطائف ، فنزل بعروة بن مسعود الثقفى فأكرمه وكساه .
والطائف قرية شرقى مكة ، على سفح جبل غزوان ، كانت - ولا تزال - كثيرة الفواكه والبساتين ، معتدلة الجو ، لارتفاعها ، وكثرة المياه والزروع فيها . وكانت (ثقيف) تنزلها ، وقد حصنتها بسور .

أما عروة بن مسعود بن معتب فهو أحد سادة ثقيف ، وكان متزوجا آمنة بنت أبى سفيان بن حرب (١) . وهو عم والد المغيرة بن شعبة ، وقد أوفدته قريش إلى النبى حين قدم عليهم فى الحديبية ، وكان له معه حديث (٢) . وأوفده قومه بعد ذلك إلى النبى مرة أخرى ليهادنه ، بعد انصرافه عن حصارهم ، فأسلم (٣) ، ثم عاد إلى قومه يدعوهم للاسلام فقتلوه سنة ٩ هـ . وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه أحد المقصودين بقوله تعالى - يحكى قول الكفار - (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٤) .

---

١ — إذا أتيت ديار ثقيف ما دحا تنشد الشعر ، ألفيتَ قوما كراما يغمرونك بعطائهم الغزير .

٢ -- إن الكريم إذا حللتَ ببابه وإذا سألته : هو (أبو يَعْفور) .

---

(١) السيرة ٤ : ١٢٦ . (٢) السيرة ٣ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ . (٣) السيرة ٤ : ١٨٢ . (٤) الاصابة ٢ : ٤٧٧ .

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

(خفيف)

١ — مِنْ دِيَارٍ بِالْهَضْبِ هَضْبِ ٱلْقَلِيبِ ... فَاضَ مَاءُ الشُّئُونِ فَيْضَ ٱلْغُرُوبِ

٢ — أَخْلَفَتْنِي بِهِ قُتَيْلَةُ مِيعَا ... دِي وَكَانَتْ لِلْوَعْدِ غَيْرَ كَذُوبِ

٣ — ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ بَطْنِ خُسَافٍ ... أُمُّ طِفْلٍ بِٱلْجَوِّ غَيْرِ رَبِيبِ

٤ — كُنْتُ أَوْصَيْتُهَا بِأَنْ لَاتُطِيعِى ... فِيَّ قَوْلَ ٱلْوُشَاةِ وَالتَّخْبِيبِ

٥ — وَفَلَاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْرُ تُرْسٍ ... قَدْ تَجَاوَزْتُهَا بِحَرْفٍ نَعُوبِ

٦ — عِرْمِسٍ بَازِلٍ تَخَيَّلُ بِالرِّدْ ... فِ عَسُوفٍ مِثْلِ ٱلْهِجَانِ السَّيُوبِ

٧ — تَضْبِطُ ٱلْمَوْكِبَ الرَّفِيعَ بِأَيْدٍ ... وَسَنَامٍ مُصَعَّدٍ مَكْثُوبِ

٨ — قَاصِدٌ وَجْهُهَا تَزُورُ بَنِي ٱلْحَا ... رِثِ أَهْلَ ٱلْغِنَاءِ عِنْدَ الشُّرُوبِ

٩ — الرَّفِيئِينَ بِٱلْجِوَارِ فَمَا يُغْ ... تَالُ جَارٌ لَهُمْ بِظَهْرِ ٱلْمَغِيبِ

١٠ — وَهُمُ يُطْعِمُونَ إِذْ قَحَطَ ٱلْقَطْ ... رُ وَهَبَّتْ بِشَمْأَلٍ وَضَرِيبِ

(١ — ٣) القليب البئر لأن ترابها قلب ، وقد تطلق على القديم العادى منها . وهضب القليب جبل الشربة (بضمتين ثم باء مشددة) أو هو جبل فى ديار بنى عامر . الشئون مجارى الدمع ، جمع شأن . الغروب الدلاء ، جمع غرب (بفتح فسكون) . بطن الوادى الموضع الذى يجتمع فيه ماء السيل فيزهو نباته . بطن خساف برية بين بالس وحلب . الجو ما انخفض من الارض ، وما اتسع من الوادى. الربيب ابن امرأة الرجل من غيره ، يقصد أن هذا الظبي كان موضع عناية أمه كلها ، لا يشاركه فى ذلك زوج لها .

(٤ — ٥) خببه تخبيباً خدعه وغشه وأفسده . فلاة صحراء . الترس صفحة من الفولاذ مستديرة يحملها المحارب للوقاية من السيف ونحوه . الحرف الناقة الصلبة ، على التشبيه بحرف الجبل . نعبت الابل (كفتح) مدت أعناقها فى سيرها .

٦ — العرمس الناقة الصلبة ، على التشبيه بالصخرة . بازل قد تم خلقها ، نبزل نابها ، وذلك فى السنة التاسعة . تخيل أى تتخيل من الخيلاء (بضم ففتح) وهى الكبرياء والتبختر . الردف الراكب خلف راكب آخر . العسوف التى تركب رأسها فى السير ولا يثنيها شىء . الهجان من الابل البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع . السيوب الذى سيبه صاحبه وأطلقه لا يمنع من كلأ أو ماء ولا يركب ولا ينتفع به ، وكانوا يفعلون ذلك لنذر أو نحوه .

٧ — الموكب بابة من السير ، وكب وكوبا ووكبانا مشى فى درجان ، ومنه اشتق اسم الموكب ، وهو الجماعة من الناس ركبانا أو مشاة ، على الابل أو الخيل ، يسيرون برفق للزينة أو التنزه ، تضبطه تغلبه وتقهره . والأضبط الذى يعمل بيديه جميعاً ، والبعير الضابط هو القوي على عمله . الرفيع من الارتفاع الذى هو بمعنى العدو . رفعت ناقتى إذا كلفتها المرفوع من السير ، وهو فوق الموضوع ودون العدو . مصعد مرتفع لاكتنازه بالشحم . مكثوب ضخم مجتمع.

(٨ — ١٠) الشروب الذين يشربون الخمر ، جمع شارب . رفأه (كفتح) سكنه من الرعب ورفق به . الجوار العهد ، وأن تعطى الرجل ذمة فيصبح بها جارك تجيره مما تجير منه نفسك وأهلك . اغتاله قتله على غرة ومن خفية . قحط القطر أى احتبس المطر . الشمأل ريح الشمال وهى باردة . الضريب الثلج والصقيع .

(١٢ — ١٤) لهم مدحى وثنائى ، وإن لامنى فى ذلك اللائمون ، فليس للائمى فيهم إلا اللومُ والعصيان . لِلْموتِ مَنْ عاداك يا قيس ، يا رجل البر والخير ، يا أبا الأَشْعَث . لى منه فى كل عام ناقة نجيب ، أوفرس عتيق موفور النشاط ، لا يُحْوِج راكبه إلى شد العِنان .

ويمضى الأعشى فى وصف هذا الفرس ، فهو

(١٥ — ١٧) ضامر البطن عريض الصدر ، كأنه وَعِل يرعى شجر (الرَّبْل) ، كريم الأبوين ، مشهور النسب ، قد حُبِس فى مَرْبَطه على العَلَف حتى ترك القَيْدُ فى يديه آثارا . إذا وجَّهته بين الخيل فى حلبة السباق ، استخف بها حين يعدو مُفْتَنًّا فى ضروب العدو .

ويختم الأعشى قصيدته بقوله :

١٨ — تلك خيلى منه ، وتلك إبلى فى لونها الأصفر الأدكن ، قد تناثر من حولها أولادها كالزبيب .

١١— وَخَوَتْ جِرْبَةُ النُّجُومِ فَمَا تَشْـ   رَبُ أُرْوِيَّةٌ بِمَرْيِ ٱلْجَنُوبِ

١٢— مَنْ يَلُمْنِي عَلَى بَنِي ٱبْنَةِ حَسَّـا   نَ أَلُمْهُ وَأَعْصِهِ فِي ٱلْخُطُوبِ

١٣— إِنَّ قَيْسًا قَيْسَ ٱلْفَعَالِ أَبَا ٱلْأَشْـ   عَثِ أَمْسَتْ أَعْدَاؤُهُ لِشَعُوبِ

١٤— كُلَّ عَامٍ يَمُدُّنِي بِجَمُومٍ   عِنْدَ وَضْعِ ٱلْعِنَانِ أَوْ بِنَجِيبِ

١٥— قَافِلٍ جُرْشُعٍ تَرَاهُ كَتَيْسِ ٱلـ   رُّبْلِ لَا مُقْرِفٍ وَلَا مَخْشُوبِ

١٦— صَدَأُ ٱلْقَيْدِ فِي يَدَيْهِ فَلَا يُغْـ   فَلُ عَنْهُ فِي مَرْبَطٍ مَكْرُوبِ

١٧— مُسْتَخِفٍّ إِذَا تَوَجَّهَ فِي ٱلْخَيْـ   لِ لِشَدِّ ٱلتَّفْنِينِ وَٱلتَّقْرِيبِ

١٨— تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي   هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّبِيبِ

(١١ — ١٢) الجربة المزرعة والبقعة الحسنة النبات ، ويقال المجرة جربة النجوم . والمجرة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء . خوت النجوم أمحلت فلم تمطر ، وكانت العرب تنسب المطر للنجوم . الأروية الوعل ، تطلق على الذكر والأنثى . الجنوب ريح تقابل الشمال. مرى الجنوب استدرارها الغيث .وأصله مرى الناقة ، وهومسح ضرعها لتدر ، فعله مرى (كضرب) . أى أن الجدب شديد ، فما تمطر السماء مايسقى وعلاواحداً . بنى ابنة حسان هم رهط قيس ، وابنة حسان هى كبشة بنت حسان أبى الحارث ، وهى جدة قيس لأمه . الخطوب الأمور الكبيرة .

(١٣ — ١٤) الفعال (بفتح الفاء) اسم للفعل الحسن والخير . الأشعث هو الأشعث بن قيس الذي وفد على النبي فأسلم ،وبه كان يكنى أبوه . والأشعث هذا هو أبو عبد الرحمن بن الأشعث صاحب فتنة العراق المشهورة فى أيام الحجاج . شعوب اسم للموت لأنه يشعب الناس أى يفرقهم . فرس جموم موفور النشاط . عند وضع العنان ، أى أنه يعطيك ما عنده عفوا عند تركك تحريكه . النجيب العتيق الكريم .

١٥ — قفل الفرس (كضرب) قفولا فهو قافل إذا ضمر وذهب شحمه . الجرشع العظيم الصدر أو العظيم الجنبين . التيس ذكر الظباء والمعز والوعول . الربل جمع ربلة ، وهى ضرب من الشجر ، إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . المقرف من كان أبوه دون أمه ، والهجين من كانت أمه دون أبيه . ويقصد بالمقرف في الخيل من كانت أمه فرسا معروفة النسب أصيلا ، ولم يكن أبوه كذلك . وكانت العرب تحفظ أنساب الخيل لشدة عنايتهم بها . المخشوب المختلط النسب . أى أن هذا الفرس مشهور النسب معروفه .

(١٦ — ١٨) المربط موضع ربط الدواب ، مكروب قد كرب قيده أى دونى . يقال كرب وظيفى الفرس والجمل إذا دانى بينهما بحبل أو قيد. أى أن هذا الفرس قد حبس زمانا على العلف لا يكلف أي عمل . مستخف من الاستخفاف وهو الاستهانة بالشىء . الشد العدو . التفنين التفنن والتنويع فى ضروب العدو . التقريب من ضروب العدو . الركاب الابل ، والواحدة راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . صفر أى سود ، كذلك قال صاحب اللسان ، ثم أتبع ذلك معللا : ولا يرى أسود منها إلا هو مشوب بصفرة .وقد ذهبوا إلى هذا التفسير لأن الزبيب الذى يشبهها به أسود . والواقع أن الزبيب ليس أسود ولكن لونه خليط من الصفرة والحمرة والسواد .

-٦٩-

هذه القصيدة صورة من الخلاف الذى كان مستحكما بين بنى سعد بن ضبيعة (قوم الأعشى) ، وبين أبناء عمومتهم (بنى جحدر بن ضبيعة) . وقد هجاهم الأعشى فى القصيدتين (٢٣) ، (٥٣) . وهجا سيدهم شيبان بن شهاب الجحدري فى القصيدتين (١٠) ، (٢٠) . والأعشى يهاجمه فى هذه الأبيات ، ويهاجم معه أبناء عمومته (تيم بن قيس بن ثعلبة) . وقد كان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة حليفين (وهما الحرقتان) . ولكن الأعشى كان يهاجم بنى سعد ، وقلما كان يتعرض لاخوتهم بنى تيم . ولذلك فهو هنا يشير فى البيتين (٨ ، ٩) إلى أنهم كانوا يرعون حرمتهم ويمدون إليهم أيديهم بالمساعدة والعون ، ويعتب عليهم تسرعهم إلى الانضمام لعدوهم . والأعشى يتجه إلى قومه الذين يترفقون بهؤلاء الناس من أبناء عمومتهم ، ويؤملون فى استصلاحهم ، طالباً إليهم أن يتركوهم وشأنهم ، فليس فى موادعتهم فائدة ، وليس فى مخاصمتهم ضرر .

يقول الأعشى :

(١ —٢) وردت إلىّ الأنباء - وأنا بعيد عنكم ، تفصل بيننا قطعان الحمر الوحشية ، التى تأوى إلى مَكَامِنِها من شدة الحر ، فى جنبى (فِتَاق) و (أبلق) - بأنكم تترفقون بقوم لاغَنَاءَ فيهم على الرهط ، ولا فائدة تعود عليه من موادعتهم .

ويتجه الأعشى بالحديث إلى ابنته التى رأيناه يتحدث إليها فى القصيدتين (٤) ، (١٣) فيقول :

(٣) قد كنتُ يا ابنتى طوعَ القوم ، يوجهوننى حيث شاءوا ، وفى يدهم مِقْوَدى . ولكنهم تخلوا عنى ، وألقوا حبلى فى عنقى ، وتركونى وشأنى نافضين أيديهم منى .

ثم يقول لخصمه شيبان بن شهاب (جد المَسَامِعَة) :

(٤ —٥) فيم الخلاف ، وفيم هذا الضجيج ؟ أهو من أجل أولئك الفتية ، البيض الوجوه الكرام ، الذين لو التقوا بجماعتك يوماً لأوردوهم الهلاك ؟ أولئك فتية يثبتون فى القتال حين يثور من تحت أرجلهم الغبار ، ولا يفرون حين تَزِلُّ الأقدام .

(٧ —٨) جزاك الله يا (شيخَ مِسْمَع) جزاء المسيء حين تمسى وحين تصبح . ويجزى الله (تَيْماً) عن إخوة كانوا يرعون حرمتهم . ألا ما أسرعهم إلى ركوب الشر وغشيان المَحَارم !

(٩ —١١) يعدون علينا ظالمين وهم إخوتنا ، لو زلت قدمهم لتعلقنا بهم لانخذلهم ولانسلمهم لشىء . ولقد كنا أمددناهم من قبل حين تخلفوا متخاذلين ، وكنا على أعدائهم الموت الزؤام . ومن قبلُ ما أسرعنا برماحنا إلى (بنى رُهْم) ، حين لجأوا إلينا فراراً من الشر .

١١— وَخَوَتْ جِرْبَةُ النُّجُومِ فَمَا تَشْـ ـرَبُ أُرْوِيَّةٌ بِمَرْيِ ٱلْجَنُوبِ
١٢— مَنْ يَلُمْنِي عَلَى بَنِي ٱبْنَةِ حَسَّا نَ أَلُمْهُ وَأَعْصِهِ فِي ٱلْخُطُوبِ
١٣— إِنَّ قَيْسًا قَيْسَ ٱلْفَعَالِ أَبَا ٱلْأَشْـ ـعَثِ أَمْسَتْ أَعْدَاؤُهُ لِشَعُوبِ
١٤— كُلَّ عَامٍ يَمُدُّنِي بِجَمُومٍ عِنْدَ وَضْعِ ٱلْعِنَانِ أَوْ بِنَجِيبِ
١٥— قَافِلٍ جُرْشُعٍ تَرَاهُ كَتَيْسِ ٱلـ ـرَّبْلِ لَا مُقْرِفٍ وَلَا مَخْشُوبِ
١٦— صَدَأُ ٱلْقَيْدِ فِي يَدَيْهِ فَلَا يُغْـ ـفَلُ عَنْهُ فِي مَرْبَطٍ مَكْرُوبِ
١٧— مُسْتَخِفٍّ إِذَا تَوَجَّهَ فِي ٱلْخَيْـ ـلِ لِشَدِّ ٱلتَّفْنِينِ وَٱلتَّقْرِيبِ
١٨— تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَٱلزَّبِيبِ

(١١ — ١٢) الجربة المزرعة والبقعة الحسنة النبات ، ويقال للمجرة جربة النجوم . والمجرة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء . خوت النجوم أمحلت فلم تمطر ، وكانت العرب تنسب المطر للنجوم . الأروية الوعل ، تطلق على الذكر والأنثى . الجنوب ريح تقابل الشمال. مرى الجنوب استدرارها الغيث .وأصله مرى الناقة ، وهومسح ضرعها لتدر ، فعله مرى (كضرب) . أي أن الجدب شديد ، فما تمطر السماء مايسقي وعلاواحداً . بنى ابنة حسان هم رهط قيس ، وابنة حسان هى كبشة بنت حسان أبي الحارث ، وهى جدة قيس لامه . الخطوب الأمور الكبيرة .

(١٣ — ١٤) الفعال (بفتح الفاء) اسم للفعل الحسن والخير . الأشعث هو الأشعث بن قيس الذي وفد على النبي فأسلم ،وبه كان يكنى أبوه . والأشعث هذا هو أبو عبد الرحمن بن الاشعث صاحب فتنة العراق المشهورة فى أيام الحجاج . شعوب اسم للموت لأنه يشعب الناس أي يفرقهم . فرس جموم موفور النشاط . عند وضع العنان ، أى أنه يعطيك ما عنده عفوا عند تركك تحريكه . النجيب العتيق الكريم .

١٥ — قفل الفرس (كضرب) قفولا فهو قافل إذا ضمر وذهب شحمه . الجرشع العظيم الصدر أو العظيم الجنبين . التيس ذكر الظباء والمعز والوعول . الربل جمع ربلة ، وهى ضرب من الشجر ، إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . المقرف من كان أبوه دون أمه ، والهجين من كانت أمه دون أبيه . ويقصد بالمقرف في الخيل من كانت أمه فرسا معروفة النسب أصيلا ، ولم يكن أبوه كذلك . وكانت العرب تحفظ أنساب الخيل لشدة عنايتهم بها . المخشوب المختلط النسب . أى أن هذا الفرس مشهور النسب معروفه .

(١٦ — ١٨) المربط موضع ربط الدواب ، مكروب قد كرب قيده أي دونى . يقال كرب وظيفى الفرس والجمل إذا دانى بينهما بحبل أو قيد. أى أن هذا الفرس قد حبس زمانا على العلف لا يكلف أي عمل . مستخف من الاستخفاف وهو الاستهانة بالشىء . الشد العدو . التفنين التفنن والتنويع فى ضروب العدو . التقريب من ضروب العدو . الركاب الابل ، والواحدة راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . صفر أى سود ، كذلك قال صاحب اللسان ، ثم أتبع ذلك معللا : ولا يرى أسود منها إلا هو مشوب بصفرة .وقد ذهبوا إلى هذا التفسير لأن الزبيب الذى يشبهها به أسود . والواقع أن الزبيب ليس أسود ولكن لونه خليط من الصفرة والحمرة والسواد .

-٦٩-

هذه القصيدة صورة من الخلاف الذى كان مستحكما بين بنى سعد بن ضبيعة (قوم الأعشى) ، وبين أبناء عمومتهم (بنى جحدر بن ضبيعة) . وقد هجاهم الأعشى فى القصيدتين (٢٣) ، (٥٣) . وهجا سيدهم شيبان بن شهاب الجحدري فى القصيدتين (١٠) ، (٢٠) . والأعشى يهاجمه فى هذه الأبيات ، ويهاجم معه أبناء عمومته (تيم بن قيس بن ثعلبة) . وقد كان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة حليفين (وهما الحرقتان) . ولكن الأعشى كان يهاجم بنى سعد ، وقلما كان يتعرض لاخوتهم بنى تيم . ولذلك فهو هنا يشير فى البيتين (٨ ، ٩) إلى أنهم كانوا يرعون حرمتهم ويمدون إليهم أيديهم بالمساعدة والعون ، ويعتب عليهم تسرعهم إلى الانضمام لعدوهم . والأعشى يتجه إلى قومه الذين يترفقون بهؤلاء الناس من أبناء عمومتهم ، ويؤملون فى استصلاحهم ، طالباً إليهم أن يتركوهم وشأنهم ، فليس فى موادعتهم فائدة ، وليس فى مخاصمتهم ضرر .

يقول الأعشى :

(١ —٢) وردت إلىّ الأنباء - وأنا بعيد عنكم ، تفصل بيننا قطعان الحمر الوحشية ، التى تأوى إلى مَكَامِنِها من شدة الحر ، فى جنبى (فِتَاق) و (أباق) - بأنكم تترفقون بقوم لاغَنَاء فيهم على الرهط ، ولا فائدة تعود عليه من موادعتهم .

ويتجه الأعشى بالحديث إلى ابنته التى رأيناه يتحدث إليها فى القصيدتين (٤) ، (١٣) فيقول :

(٣) قد كنتُ يا ابنتى طوعَ القوم ، يوجهوننى حيث شاءوا ، وفى يدهم مِقْوَدى . ولكنهم تخلوا عنى ، وألقوا حبلى فى عنقى ، وتركونى وشأنى نافضين أيديهم منى .

ثم يقول لخصمه شيبان بن شهاب (جد المَسَامِعَة) :

(٤ —٥) فيم الخلاف ، وفيم هذا الضجيج ؟ أهو من أجل أولئك الفتية ، البيض الوجوه الكرام ، الذين لو التقوا بجماعتك يوماً لأوردوهم الهلاك ؟ أولئك فتية يثبتون فى القتال حين يثور من تحت أرجلهم الغبار ، ولا يفرون حين تَزِلُّ الأقدام .

(٧ —٨) جزاك الله يا (شيخَ مِسْمَعَ) جزاء المسىء حين تمسى وحين تصبح . ويجزى الله (تَيْماً) عن إخوة كانوا يرعون حرمتهم . ألا ما أسرعهم إلى ركوب الشر وغشيان المَحَارم !

(٩ —١١) يعدون علينا ظالمين وهم إخوتنا ، لو زلت قدمهم لتعلقنا بهم لانخذلهم ولانسلمهم لشىء . ولقد كنا أمددناهم من قبل حين تخلفوا متخاذلين ، وكنا على أعدائهم الموت الزؤام . ومن قبلُ ما أسرعنا برماحنا إلى (بنى رُهْم) ، حين لجأوا إلينا فراراً من الشر .

وقال فيما كان بينه وبين بعض قومه :

١ — أَتَانِي وَعُونُ ٱلْحُوشِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ‏ كَوَانِسُ مِنْ جَنْبَيْ فِتَاقٍ فَأَبْلَقَا (طويل)

٢ — تَأَنِّيكُمُ أَحْلَامَ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ ‏ عَلَى ٱلرَّهْطِ مَغْنًى لَوْ تَنَالُونَ مَوْثِقَا

٣ — بُنَيَّةُ إِنَّ ٱلْقَوْمَ كَانَ جَرِيرُهُمْ ‏ بِرَأْسِي لَوْ لَمْ يَجْعَلُوهُ مُعَلَّقَا

٤ — أَفِي فِتْيَةٍ بِيضِ ٱلْوُجُوهِ إِذَا لَقُوا ‏ قَبِيلَكَ يَوْمًا أَبْلَغُوهُ ٱلْمُخَنَّقَا

٥ — إِذَا ٱعْتَفَرَتْ أَقْدَامُهُمْ عِنْدَ مَعْرَكٍ ‏ ثَبَتْنَ بِهِ يَوْمًا فَإِنْ كَانَ مَزْلَقَا

٦ — .... ‏ ....

٧ — جَزَى ٱللهُ فِيمَا بَيْنَنَا شَيْخَ مِسْمَعٍ ‏ جَزَاءَ ٱلْمُسِيءِ حَيْثُ أَمْسَى وَأَشْرَقَا

٨ — جَزَى ٱللهُ تَيْمًا مِنْ أَخٍ كَانَ يَتَّقِي ‏ مَحَارِمَ تَيْمٍ مَا أَخَفَّ وَأَرْهَقَا

٩ — أَخُونَا ٱلَّذِي يَعْدُو عَلَيْنَا وَلَوْ هَوَتْ ‏ بِهِ قَدَمٌ كُنَّا بِهِ مُتَعَلِّقَا

١٠ — أَتَيْنَا لَهُمْ إِذْ لَمْ نَجِدْ غَيْرَ أَنْيِهِمْ ‏ وَكُنَّا صَفَائِحًا مِنَ ٱلْمَوْتِ أَزْرَقَا

١١ — وَجُدْنَا إِلَى أَرْمَاحِنَا حِينَ عَوَّلَتْ ‏ عَلَيْنَا بَنُو رُهْمٍ مِنَ ٱلشَّرِّ مَلْزَقَا

(١ — ٢) عون جمع عانة وهى الأتان أو القطيع من حمر الوحش . الحوش مثل الوحش . كوانس جمع كانس وهو الذى دخل كناسه أى بيته الذى يستكن فيه من الحر . فتاق وأبلق موضعان . التأنى التهيؤ والترفق والانتظار . تأنيكم فاعل (أتانى) فى البيت السابق . مغنى أى غناء (بفتح الغين) وهو النفع . الموثق والميثاق العهد . يقول هؤلاء قوم لا ينفعوننا بشىء لو عاهدتموهم .

(٣ — ٥) الجرير ما يضم حبل الخطام إلى رأس البعير . علق لراحلته ألقى خطامها فى عنقها . بيض الوجوه كناية عن اليمن والكرم . القبيل الجماعة من الثلاثة فصاعدا . المخنق موضع الخنق من الرقبة . اعتفرت أقدامهم تتربت من تراب المعركة . المزلق الموضع الذى تزلق فيه القدم وتزل ، كناية عن الشدة .

(٧ — ٨) شيخ مسمع هو شيبان بن شهاب الجحدرى . ومسمع ولده وهو جد المسامعة الذي ينسبون إليه . وهو مسمع بن شيبان بن شهاب الجحدرى . وفد على النبي فأسلم ، ثم ارتد بعد موته وقتل بالبحرين . وقد كان ولده مالك بن مسمع سيد ربيعة فى فتنة ابن الزبير ، ومات فى أول خلافة عبد الملك بن مروان ، وعقبه وعقب إخوته كثير . أمسى دخل فى المساء . أشرق دخل فى شروق الشمس صباحا . تيم من قيس بن ثعلبة أبناء عمومة الأعشى ، وهم كذلك أبناء عمومة المسامعة . من أخ يعنى نفسه وقومه . محارم تيم حرمتهم وقرابتهم لأنهم أبناء عمه . ما أخف تعجب من خفتهم وطيشهم . أرهق من الرهق (بفتحتين) وهو السفه وركوب الشر وغشيان المحارم .

(٩ — ١١) أخونا يقصد بنى تيم وهم أبناء عمه . هوت قدمه زلت ووقع فى ضيق أو مكروه . كنا متعلقاً أى أننا نتعلق به ولا نخذله . أنيهم بطؤهم وتراجعهم ، من انى يأنى (كضرب وعلم) . صفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض . أزرق حال من الموت ، وقد قبض الشاعر (مفاعيلن) فى الشطر الثانى . وصرف (صفائح) . ورواية البيت فى الديوان (إذ لم يجد غير آبيهم) وهو مكسور ومحرف ، ولم أعثر على تحقيقه ، وقد أصلحته على ما بدا لى من السياق . جدنا أى أسرعنا ، من قولهم فلان يجاد إلى كذا (على البناء للمجهول) أى يساق . عولت علينا استغاثت بنا . ملزق من اللزوق وهو الالتصاق .

مسروق بن وائل هو أحد أمراء اليمن وأشرافهم . وهو ينتسب إلى حضرموت بن قحطان (١). وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد حضرموت فأسلم (٢) . وتتفق هذه القصيدة فى بحرها وفى قافيتها مع القصيدة (٧٦) ، التى رويت للأعشى في مدح قيس بن معديكرب . وهذا الاتفاق يدعو إلى الخلط بين أبيات القصيدتين فى كثير من الأحيان . ويساعد على هذا الخلط أن الممدوحين كليهما من سادة اليمن وأشرافهم . والواقع أن كثيرا من أبيات هذه القصيدة يشبه ما ألفناه من شعر الأعشى الذي مدح به قيس بن معديكرب . وليس للأعشى فى (مسروق بن وائل) غير هذه القصيدة .

يقول الأعشى :

١ — قالت (سُمَيَّة) : من قصدت بمدحك ؟ فقلت : مسروق بن وائل .

٢ — عدى لغيبتى أشهراً ، فأنى سأقيم عند خير الأشراف والمَقَاول .

٣ — يتجمع الناس حول قبابه ، من طلاب الحاجات والمسائل .

٤ — يتسابقون إلى ساحته فى الصباح وفى المساء .

٥ — فإذا طلع عليهم فى سَمْتِه ووقاره ، سكنوا خاشعين لسيد ذى تاج .

٦ — ليس الفرات وقد أضحى فى (عانة) جياشاً بالماء ، تنحدر إليه السيول مزبدة ، بما تحمل من أوراق ومن عيدان ،

٧ — يخشى الملاحون سطوته ، فيعتصمون بمؤخر سفنهم مذعورين ،

٨ — ويسقى (النبيط) وقد رويت مزارعهم من روافده الحافلة بالماء ،

٩ — بأجود عطاء من (الحَضْرَمِىّ) صاحب النعم والأفضال .

١٠ — يهب الجوارى فى حللهن المخملة كأنهن الغزلان .

١١ — يرقصن كل عشية ، فتهتز من حركاتهن الثياب المزينة بصور الريش والرجال .

١٢ — ويترك خصمه المدجج بالسلاح وقد صرعه على الأرض ، ترتعش أنامله من شدة الخوف .

---

(١) العقد الفريد ٣ : ٣١٨ (٢) الاصابة ٣ : ٤٠٨

وقال يمدح مَسْرُوقَ بْنَ وَائِلٍ :

(كامل مجزوء)

١ — قَالَتْ سُمَيَّةُ مَنْ مَدَحْ … تَ فَقُلْتُ مَسْرُوقَ بْنَ وَائِلْ
٢ — عُدِّيَ لِغَيْبِي أَشْهُرًا … إِنِّي لَدَى خَيْرِ ٱلْمَقَاوِلْ
٣ — النَّـاسُ حوْلَ قِبَابِهِ … أَهْلُ ٱلْحَوَائِجِ وَٱلْمَسَائِلْ
٤ — يَتَبَادَرُونَ فِنَـاءَهُ … قَبْلَ الشُّرُوقِ وَبِٱلْأَصَائِلْ
٥ — فَإِذَا رَأَوْهُ خَاشِعًا … خَشَعُوا لِذِي تَاجٍ حُلَاحِلْ
٦ — أَضْحَى بِعَانَةَ زَاخِرًا … فِيهِ ٱلْغُثَاءُ مِنَ ٱلْمَسَـايِلْ
٧ — خَشِيَ الصَّرَارِي صَوْلَةً … مِنْهُ فَعَاذُوا بِٱلْكَوَاثِلْ
٨ — فَتَرَى النَّبِيطَ عَشِيَّةً … رَاوِي ٱلْمَزَارِعِ بِٱلْحَوَافِلْ
٩ — يَوْمًا بِأَجْوَدَ نَائِلاً … مِ ٱلْحَضْرَمِيِّ أَخِي ٱلْفَوَاضِلْ
١٠ — ٱلْوَاهِبُ ٱلْقَيْنَاتِ كَٱلْ … غِزْلَانِ فِي عَقَدِ ٱلْخَمَائِلْ
١١ — يَرْكُضْنَ كُلَّ عَشِيَّةٍ … عَصْبَ ٱلْمُرَيَّشِ وَٱلْمَرَاجِلْ
١٢ — وَالتَّارِكُ ٱلْقِرْنَ ٱلْكَمِـ … يَّ مُجَدَّلًا رَعِشَ ٱلْأَنَامِلْ

(٢ — ٤) غاب يغيب غيباً وغيبة وغيابا . المقاول جمع قيل (بفتح فسكون) وهو لقب لرؤساء حمير وأشرافهم . قالوا إنه إنما سمي بذلك لأنه يقول ما يشاء فينفذ . قباب جمع قبة وهو الخباء الضخم ، وهو كذلك البناء الذى يكون سقفه مقعرا مستديرا معقودا بالحجارة أو الآجر على هيئة الخيمة . يتبادرون يتسابقون إليه ويسرعون . الأصائل جمع أصيل وهو من بعد العصر إلى غروب الشمس .

(٥ — ٦) خاشعاً ساكنا . خشعوا هيبة منه أن يكلموه . التاج عند العرب هو الاكليل ، وهو شبه عصابة تزين بالجواهر . الحلاحل السيد المطاع في عشيرته . بين البيت الخامس والبيت السادس بيت ساقط لا يتم المعنى بغيره ؛ وخلاصته فيما تقدر (ما الفرات إذا جاش ماؤه) وخبر ما فى البيت التاسع (بأجود نائلا) . عانة بلد مشهور بين الرقة وهيت مشرفة على الفرات ، وربما سموها فى الشعر (عانات) . زاخرا ممتلئا . الغثاء الزبد وما حمل السيل من أوراق الأشجار البالية وغصونها . المسايل جمع مسيل ، ومسيل الماء موضع سيله .

(٧ — ٩) الصرارى الملاحون جمع صار . صولته سطوته وبطشه . عاذ لجأ . كوثل السفينة مؤخرها . النبيط جيل من العجم كانوا ينزلون البطائح بين العراقيين ، سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . الحوافل جمع حافل . يقصد بها روافد النهر وفروعه الحافلة بالماء أي الممتلئة . النائل العطاء . الحضرمي نسبة إلى حضرموت بن قحطان بن عابر قوم الممدوح . الفواضل النعم العظيمة ، جمع فاضلة .

(١٠ — ١٢) القينة الجارية ، وقد تطلق على المغنية خاصة . الخمائل جمع خميل ، وهى الثياب المخمله أي ذات الوبر ، وتطلق على القطيفة . العقد (ككتف) من العقد (بفتح فسكون) وهو الاحكام وشدة الالتحام . والمقعد (بتشديد القاف) ضرب من برود هجر . الركض الدفع والحركة . يركضنها يحركنها فى الرقص . العصب ضرب من البرود . المريش البرد الموشى على أشكال الريش . المرجل (بتشديد الجيم وفتحها) الذى فيه صور الرجال . والتارك معطوف على (الواهب) . القرن النظير والكفء فى الشجاعة . الكمى المتكمى بالسلاح أى المتغطى به . مجدلا ومجندلا مصروعا . رعش الأنامل من الخوف .

١٣ — ويقود الجياد الضامرة وقد تحلَّبت أفخاذها بالعرق .

١٤ — ليس الأسد أبو الأشبال ، فى جبينه المورَّد ، وشِدقيه الواسعين ، ووجهه العابس ،

١٥ — وقد لزم (القادسيَّة) بين الأودية الملتفة الأشجار .

١٦ — يستخف بآحاد الرجال ، ولا يهاجم إلَّا الكثيف من جموع الرجال ،

١٧ — بأكثر منه حماسة فى القتال ، حين يهاجم من ينازله من الأبطال .

١٨ — طالت إقامتى فى (تريم) ، بعيداً عن أهلى وقومى (بَكْر بن وائل) .

١٩ — قومى (بنو البَرْشَاء) (ثعلبة بن بَكْر) ، زَيْنُ المجالس والمحافل .

(٧١)

هذه أبيات فى مدح قيس بن معديكرب ، ممدوح الأعشى المفضل ، يبدو أنه قد ارتجلها ارتجالا فى بعض المناسبات بين يدى قيس . وقد مدح الأعشى قيسا فى قصائد كثيرة ، وهى (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦٨) ، (٧٦) ، (٧٨) .

يقول الأعشى :

١ — قالت (سُمَيَّة) إذ لاح لها البرق من فوق الجبال .

٢ — ياحبذا وادى (النُّجَيْر) ، وحبذا (قيس) رجل الخير والأفضال .

٣ — القائد الخيل الجياد الضوامر ، تمضى فى عَدْوِها كالسهام .

٤ — والمتعفف عن الكسب الخبيث إذا تهيأ للقتال .

١٣ــ وَٱلْقَائِدُ ٱلْخَيْــلَ ٱلْعِتَا ... قَ ضَوَامِرًا لُحُنَ ٱلْأَيَاطِلْ

١٤ــ مَا مُشْبِلٌ وَرْدُ ٱلْجَبِيـ ... نِ مُهَرَّتُ الشِّدْقَيْنِ بَاسِلْ

١٥ــ القَــادِسِيَّةَ مَأْلَفٌ ... مِنْهُ فَأَوْدِيَةُ ٱلْغَيَاطِلْ

١٦ــ يَدَعُ ٱلْوِحَادَ مِنَ الرِّجَا ... لِ وَيَعْتَمِى جَمْعَ ٱلْمَحَافِلْ

١٧ــ يَوْمًا بِأَصْدَقَ حَمْــلَةً ... مِنْهُ عَلَى ٱلْبَطَلِ ٱلْمُنَازِلْ

١٨ــ طَالَ الثَّوَاءُ لَدَى تَرِيـ ... مَ وَقَدْ نَأَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلْ

١٩ــ قَوْمِي بَنُو ٱلْبَرْشَاءِ ثَعْـ ... لَبَةُ ٱلْمَجَالِسِ وَٱلْمَحَافِلْ

(٧١)

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

١ ــ قَالَتْ سُمَيَّــةُ إِذْ رَأَتْ ... بَرْقًا يَلُوحُ عَلَى ٱلْجِبَالِ (كامل مجزوء)

٢ ــ يَا حَبَّذَا وَادِي النُّجَيْـ ... رِ وَحَبَّذَا قَيْسُ ٱلْفَعَالِ

٣ ــ ٱلْقَائِدُ ٱلْخَيْلَ ٱلْجِيَا ... دَ ضَوَامِرًا مِثْلَ ٱلْمَغَالِي

٤ ــ التَّارِكُ ٱلْكَسْبَ ٱلْخَبِيـ ... ثَ إِذَا تَهَيَّأَ لِلْقِتَالِ

(١٣ — ١٥) العتاق جمع عتيق ، وهو الكريم من الخيل . الاطل (بكسر الهمزة) والأيطل (بفتح الهمزة) الخاصرة . لحن جمع ألحن ، واللخن (بالتحريك) نتن الريح تحت الابطين من العرق . مشبل أسد أبو شبال . ورد أحمر ضارب للصفرة . مهرت الشدقين واسعهما . باسل كريه الوجه . القادسية قرية قرب الكوفة . مألف اسم مكان من ألف المكان إذا تعوده وأنس به . الغياطل جمع غيطل (على وزن جعفر) ، والغيطل والغيطلة الأجة والشجر الكثيف الملتف .

(١٦ — ١٩) اعتام الشيء اعتياما واعتماه اعتماء اختاره وقصده . المحافل جمع محفل وهو مجتمع القوم . أى أنه يترفع عن مهاجمة الافراد ولا يهاجم إلا الجماعات . بأصدق خبر ماف البيت (١٤) . حمل حملة كر وهجم . المنازل الذى يجالده فى القتال . الثواء المكث والاقامة . تريم من حصون حضرموت . نأت بعدت . بكر بن وائل قبيلة الأعشى . البرشاء لقب أم ذهل وشيبان وقيس بن ثعلبة ، لقبت بذلك لبرش أصابها ، والبرش والبرص واحد . ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر هو الجد الأعلى لقوم الشاعر .

(٧١)

(٢ — ٤) النجير حصن فى حضرموت لبني معد يكرب . الفعال (بفتح الفاء) اسم للفعل الحسن والخير . المغالى جمع مغلاة (بكسر فسكون) وهو السهم الذى يغلي به ، وغلا الرامى بالسهم (كنصر) رمى به أقصي الغاية . الكسب الخبيث أي الحرام والقبيح الذى يلزم صاحبه العار كالرشوة .

معظم أبيات هذه القصيدة صورة مكررة من القصيدة (٦٠). وقد مضى تعليقنا عليها، فليراجع فى موضعه.

يقول الأعشى:

١ — أتهجرك (ريّا) أم يدوم لك وصلها ؟.. بل القطيعة والهجر، فقد هيأت جمالها فى الليل للرحيل.

٢ — كأن هوادج صاحبتى (المالكية) فى ألوانها الزاهية فى الصباح المبكر روضةٌ يجرى خلالها الماء فيبعث الخصب ويشيع البهاء.

٣ — ليست ظبية قد برز قَرْنها ولمَّا يكد، تنشُد طفلها الضائع فى جنبات وادى (تَثْليث)،

٤ — بأجمل منها يوم قامت بين أترابها الناعمات، فأنكرن حالها وقد لوّحها الحزن للفراق

٥ — فيم الخصام يا أخوينا من (عِبَاد) و (مالك) ؟ ألم تعلما أن كل ماعلى الأرض للفناء والزوال ؟

٦ — وأننا أخوكم، وأننا حين تعرض لكم الكتيبة الضخمة، يبرق فوق رجالها الحديد، وتثير فى نفوسكم القلق.

٧ — نقيم لها سوق الحرب غير هيّابين، ونسرع إليها بسيوفنا، حتى يتولى لواؤها مهزوماً مدحوراً.

٨ — كم من ملمة دفعناها عنكم، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك، وقد فككنا عنكم قيودها.

٩ — وكم من أرملة تسعى بأطفالها، وقد تلبدت شعورهم واغبرت، كأنها نعامة تسوق فراخها،

١٠ — آويناها ثم لم نمنن عليها فضلنا، فأضحت رخية البال، وقد أزحنا عنها الكرب والهزال.

١١ — ومع كل هذا الإحسان، فلكم فينا كلَّ عام قتيل أو أسير، فبيضة تفقؤونها، وأخرى من ورائها تتركونها وحيداً قد ذهبت عنها أختها.

وقال فيما كان بينه وبين بَنِي عِبَادٍ وَمَالِكٍ ٱبْنَيْ ضُبَيْعَةَ :

(طويل)

١ — أَتَصْرِمُ رَيَّا أَمْ تُدِيمُ وِصَالَهَا ... بَلِ الصَّرْمَ إِذْ زَمَّتْ بِلَيْلٍ جِمَالَهَا

٢ — كَأَنَّ حُدُوجَ ٱلْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً ... نَوَاعِمُ يَجْرِى ٱلْمَاءُ رِفْهًا خِلَالَهَا

٣ — وَمَا أُمُّ خِشْفٍ جَابَةُ ٱلْقَرْنِ فَاقِدٌ ... عَلَى جَانِبَىْ تَثْلِيثَ تَبْغِى غَزَالَهَا

٤ — بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَامَ نَوَاعِمٌ ... فَأَنْكَرْنَ لَمَّا وَاجَهْتُهُنَّ حَالَهَا

٥ — فَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وَأُمِّنَا ... أَلَمْ تَعْلَمَا أَنْ كُلُّ مَنْ فَوْقَهَا لَهَا

٦ — فَتَسْتَيْقِنَا أَنَّا أَخُوكُمْ وَأَنَّنَا ... إِذَا نُتِجَتْ شَهْبَاءُ تَخْشَوْنَ فَالَهَا

٧ — نُقِيمُ لَهَا سُوقَ الضِّرَابِ وَنَعْتَصِى ... بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا

٨ — وَكَائِنْ دَفَعْنَا عَنْكُمُ مِنْ عَظِيمَةٍ ... وَكُرْبَةِ مَوْتٍ قَدْ بَتَتْنَا عِقَالَهَا

٩ — وَأَرْمَلَةٍ تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا ... وَإِيَّاهُمُ رَبْدَاءُ حَثَّتْ رِئَالَهَا

١٠ — هَنَأْنَا وَلَمْ نَمْنُنْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ ... رَخِيَّةَ بَالٍ قَدْ أَزَحْنَا هُزَالَهَا

١١ — وَفِى كُلِّ عَامٍ بَيْضَةٌ تَفْقَهُونَهَا ... فَتَعْنَى وَتَبْقَى بَيْضَةٌ لاَ أَخَا لَهَا

(١ — ٢) أتصرم أى هل تهجرك . صرم الحبل صرما قطعه . زم البعير خطمه . والخطام سير عريض يوضع فوق الأنف ويشد إليه الرسن (بالتحريك) ، وهو الحبل الذى يقاد به البعير . الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو مركب للنساء كالهودج . المالكية نسبة إلى مالك ، وهى قبيلة ، والممون بمالك كثير . غدوة فى الصباح المبكر . نواعم جمع ناعمة وهى الروضة . رفه عيشه رفها (بكسر الراء وفتحها) لان وأخصب . شبه الحدوج بالروضة فى ألوانها الزاهية .

(٣ — ٤) الخشف ولد الظبية أول ما يولد . جاب قرن الظبى (بغير همز) ظهر ونتأ . جابة القرن الظبية أول ما يظهر قرنها . أما الجأب (بالهمز) فهو الغليظ . وبعضهم يهمز الجاب بمعنى الناتىء ، لأن القرن أول ما يبدو يكون غليظاً ثم يدق . فاقد فقدت ولدها . تثليث موضع . تبغى غزالها تنشده وتبحث عنه . نواعم أى نساء نواعم مترفات . أنكرن حالها لم يعرفنها لشدة تغيرها من الحزن والهزال .

(٥ — ٦) كل من فوقها أى فوق الأرض . لها أى يعود إليها حين يموت . نتجت (على البناء للمجهول) ولدت . نتجت الناقة ولدا (على البناء للمعلوم) ولدته . الأشهب الأبيض . كتيبة شهباء لما عليها من الحديد وبياض السلاح . تخشون فالها أى ضررها وما تتوقعون منها . والأصل فى الفأل أنه ما يستبشر به الرجل إذا أقدم على حاجته ، ثم استعمل فى الشر بمعنى التشاؤم .

(٧ — ٨) الضراب القتال من ضارب ضراباً ومضاربة . نعتصي بأسيافنا نتخذها كالعصى . الخال لواء الجيش . نوجهه نسوقه . كائن دفعنا أى كم من مرة دفعنا . عظيمة أى كربة أو مصيبة عظيمة . كربة موت أي تبلغ بصاحبها الموت . بتتنا قطعنا . العقال حبل يربط به البعير حين يبرك حتى لا يتحرك ولا يشرد .

(٩ — ١١) شعث أى أطفال صغار قد تشعث شعرهم وتلبك . ربداء نعامة ربداء فى لون الرماد . حثت ساقت . رئالها صغارها . هنأناها أطعمناها وأحسنا إليها . المن التعيير بالنعمة . تفقهونها مثل تفقؤونها أى تكسرونها . تعنى تعلق فى الأسر . عنى (كعلم) نشب فى الاسار . ولا معنى لها هنا والأنسب رواية البيت كما هو فى القصيدة (٦٠) فتؤذي . وربما كانت مصحفة عن (فتفنى) من الفناء وهو الموت .

هذه القصيدة صورة مما كان يقع من خلاف بين بطون (قيس بن ثعلبة) . فالأعشى يهاجم فيها (جهنام) ، شاعر (بنى عبدان) . وقد مضت للأعشى فى بنى عبدان القصيدتان (١٤) ، (٤٨) . ومضى له فى هجاء جهنام القصيدة (١٥) . وقد اختلفوا فى اسم جهنام ونسبه . فقال الآمدي: هو عمرو بن قطن بن المنذر بن عبدان بن حذافة بن حبيب بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة (١) . وقال المرزباني إن اسمه عمرو بن عبد الله ابن المنذر (٢) . وقال الأصفهانى إن اسمه عمرو ولم ينسبه . (٣) أما ثعلب فلم يذكر اسمه ولم ينسبه ، ولكنه أشار إلى رجل آخر اسمه عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان (وذكر بقية النسب مطابقا لما فى المؤتلف) وقال إنه هو الذى جمع بين الأعشى وبين جهنام ليهاجيه . (٤)

يقول الأعشى :

(١ — ٢) أتانى ما يقول لى ابن الأَمة البظراء . فمنذ كم أصبحَتْ أعراض قيس ـ يا ابن الجبان الفرَّار ـ مباحةً لرجل من (عبْدَان) ، هو ابن عاهرة ، مختلط النسب ، مضطرب الأصل ، مغمور من كل نواحيه ؟

(٤ — ٥) لقد أعلنَتْ بنو عبدان الفراق ، وأسفرت عن الخلاف والعداء . فما سَمِنُوا ولا جنوا من شتمى وسبِّى خيرا . إليكم عنى ، قبل أن أبعث بالشعر فى كل مكان ، فيتسامع بهجائكم الناس ، إذ تسرى قصائدى فيكم إلى نجد مع الرياح .

(٦ — ٧) ما ظنكم بى ؟ أظننتم شتمى تَمْرا بزُبْد ؟ أم ظننتموه عسلا ممزوجا بالخمر ؟ إنما هو ماء (العلْقم) المرير ، و (السَّلْع) القاتل ، قد مزج بخلاصة (الذُّبَّاح) السام المميت .

٨ — لقد كانت أمك أحق منا بالهجاء يا جهنام ، لما جنت عليك من الفضيحة والعار .

(٩ — ١٠) أما نحن فمكاننا واضح معروف . إنا لنحمى إبل الحى حين نثور ، وحين يتبختر فرسان الكتيبة متمايلين قبل القتال ، حتى نحتازها فلا تصل إليها يد المغير ، حين تتعثر جياد الخيل فى الرماح .

(١١ — ١٣) وإنا لنحتفى بمن ينزل بنا حين يشتد الجدب ، وتضن النوق الغزيرة الدَّرِّ بالألبان . وإنا لنفرج كل

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ٢٠٣ — (٢) الموشح ص ٥٠ — (٣) الأغانى ج ٩ ص ١٠٨

(٤) ديباجة القصيدة (١٥) بالديوان ص ٩١ ط . أوربا .

وقال الجهنّام أحدِ بَنى عبْدَان :

١ — أَتَانِى مَا يَقُولُ لِىَ ٱبْنُ بُظْرَى ... أُقَيْسٌ يَا ٱبْنَ ثَعْلَبَةَ الصَّبَاحِ (وافر)

٢ — لِعَبْدَانَ ٱبْنِ عَاهِرَةٍ وَخِلْطٍ ... رَجُوفِ ٱلْأَصْلِ مَدْخُولِ النَّوَاحِى

٣ — تَغَنَّى سَلِـ ....

٤ — لَقَدْ سَفَرَتْ بَنُو عَبْدَانَ بَيْنًا ... فَمَا شَكَرُوا بِلَأْمِى وَٱقْتِدَاحِ

٥ — إِلَيْكُمْ قَبْلَ تَجْهِيزِ ٱلْقَوَافِى ... تَزُورُ ٱلْمُنْجِدِينَ مَعَ الرِّيَاحِ

٦ — فَمَا شَتْمِى بِسَنُّوتٍ بِزُبْدٍ ... وَلَا عَسَلٍ تُصَفِّقُهُ بِرَاحِ

٧ — وَلَٰكِنْ مَاءُ عَلْقَمَةٍ وَسَلْعٍ ... يُخَاضُ عَلَيْهِ مِنْ عَلَقِ الذُّبَاحِ

٨ — لِأُمِّكَ بِٱلْهِجَاءِ أَحَقُّ مِنَّا ... لِمَا أَبَلَتْكَ مِنْ شَوْطِ ٱلْفِضَاحِ

٩ — أَلَسْنَا ٱلْمَانِعِينَ إِذَا فَزِعْنَا ... وَزَافَتْ فَيْلَقٌ قَبْلَ الصَّبَاحِ

١٠ — سَوَامَ ٱلْحَىِّ حَتَّى نَكْتَفِيهِ ... وَجُودُ ٱلْخَيْلِ تَعْثُرُ فِى الرِّمَاحِ

١١ — أَلَسْنَا ٱلْمُقْتَفِينَ بِمَنْ أَتَانَا ... إِذَا مَا حَارَدَتْ خُورُ اللِّقَاحِ

(١ — ٣) ابن بظرى أى ابن البظراء التى لم تختن كناية عن أنها أمة غير عربية . الصباح الغارة . ثعلبة الصباح أي الذى يجبن ويفر فى القتال كما يفر الثعلب . (يا ابن ثعلبة الصباح) جملة اعتراضية . أقيس مبتدأ ، خبره (لعبدان) و (ابن عاهرة ... الخ) كلها صفات . أى أتباح أعراض قيس — ويعنى به قيس بن ثعلبة ، جدم الذى يجمع قوم الأعشى وقوم جهنام — لهـذا الرجل من بنى عبدان . خلط مختلط النسب ليس بثابته . رجوف الأصل مضطربه . المدخول الذى دخله عيب فى حسبه .

(٤ — ٥) سفر (كنصر) خرج إلى السفر ، وسفر الشىء فرقه وسفر كذلك كشف عن وجهه. البين الفراق . لأمه لأما نسبه إلى اللؤم. قادحه قداحا ومقادحة شاتمة وتبادل معه السباب . شكرت الدابة (كفرح) سمنت وامتلأ ضرعها باللبن ، وشكرت الشجرة كثر ظلها ، أى أنهم لم يصيبوا خيرا من شتمى . إليكم أى تنحوا عنى وابعدوا (اسم فعل) . جهز المسافر هيأله أدواته ، شبه القوافى بالمسافر ، يقصد بالقوافى هجاءه الذى سيتناقله الناس . أنجد الرجل أتى نجدا ، والنجد المرتفع ، ونجد اسم للهضبة التى تتوسط جزيرة العرب .

(٦ — ٧) السنوت التمر . صفق الشراب حوله من إناء إلى إناء ليصفو . الراح الخمر . العلقم شجر الحنظل ، والقطعة منه علقمة ، وكل مرفهو علقم . والعلقم أشد الماء مرارة ، وذلك إذا تغير وخثر . السلع نبات مر سام . خاض الشراب خلطه . العلق الدم ، والعلق ما تتبلغ به الماشية من الشجر . والعلق (بضم ثم فتح) الداهية ، والعلق (بضمتين) المنايا . الذباح نبت سام يقتل آكله .

(٨ — ١٠) الفضاح الفضيحة والعار . الشوط الغاية ، والجرى إلى الغاية مرة ، أوهو (سوط الفضاح) بالسين المهملة ، وهو مصدر ساطه يسوطه إذا ضربه بالسوط . والسوط كذلك النصيب والشدة . أبله أعطاه إبلا . ولم تعطه أمه إبلا ولـكنها أعطته الفضيحة . فزع (كعلم) هب . زافت تبخترت وتمايلت . الفيلق الجيش . الصباح الغارة . السوام الإبل السائمة أى الراعية ، وهى مفعول (المانعين) فى البيت السابق ، أى الذين نحمى إبل الحى . نكتفيها نردها ونحتازها فلا تصل إليها يد المغير . اكتفأ الاناء أماله وقلبه ، واكتفأ الابل أغار عليها فذهب بها . جود جمع جواد ، وهو السريع العتيق .

(١١ — ١٣) اقتفى به احتفى به وأكرمه . حاردت انقطع لبنها . خور جمع خوارة وهى الناقة الغزيرة اللبن . اللقاح الابل ، واحدتها لقوح.

كرب حين يستحكم ويضيق ، حتى ما يستطيع شارب الماء الصافى أن يسيغه . وإنا لأكرم إن بُحِث عن الأنساب ، وأشجع حين يُضْرَب بسيوف الهند العِراض .

(٧٦)

مضى للأعشى فى مدح قيس بن معد يكرب خمس قصائد وهى (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦٨) .

وقد ترجمنا للممدوح فى القصيدة الأولى . وبقى للأعشى فيه قصيدة واحدة وهى (٦٨) . وليست هذه القصيدة الأخيرة فى الواقع مدحا ، فهى فى معظمها غزل وخمر ، لم يعرض فيها لقيس إلا فى الأبيات الأربعة الأخيرة . وقد أشرنا فى القصيدة (٧٠) إلى ما بينها وبين هذه القصيدة من تشابه لا يستبعد معه أن يكون الرواة قد خلطوا بينهما . والواقع أن هذه القصيدة ـ كما هى مثبتة فى الديوان ـ ليست مدحا بالمعنى الصحيح . فالشاعر لا يكاد يشير فيها إلى قيس إلا فى ثلاثة أبيات (٢ ـ ٤) . ولكن الأعشى قد نظمها فيما يبدو وهو فى ضيافة قيس ، فى بعض أسفاره إليه . وهو يتحدث فى سائر القصيدة عن نفسه وعن قومه .

يقول الأعشى :

١ ــ هل أنت راحل صباح غد أيها الرجل الشجاع ؟

٢ ــ إنا لدى ملك بـ (شَبْوَة) لا تفتر عنا صلاته ولا تنقطع .

٣ ــ تسيل كفاه بالعطاء ، كأنه البدر إشراقاً وهيبة . إن قال تَمَّ على قوله وأمضاه .

٤ ــ يهب المائة من النوق الغزيرة اللبن ، بين حائل لم تحمل ، ووَلُودٍ يتبعها ولدها .

وينتقل من ذلك إلى الحديث عن نفسه وعن قومه وعن ذكريات لهوه فيقول :

٥ ــ كم شربت الخمر ، ترقص من حولنا الجوارى البيض من تركيَّة وكابُليَّة

٦ ــ حمراء كدم الذبيح مما حُمِل من بلاد بعيدة ، وعُتِّق فى (بابل)

٧ ــ بادرتُ إليها فى الصباح ، حولى الأشراف من قومى (بكر بن وائل)

١٢— أَلَسْنَا ٱلْفَارِجِينَ لِـكُلِّ كَرْبٍ   إِذَا مَا غصَّ بِٱلْمَـاءِ ٱلْقَرَاحِ
١٣— أَلَسْنَا نَحْنُ أَكْرَمَ إِنْ نَسِبْنَا   وَأَضْرَبَ بِٱلْمُهَنَّدَةِ الصِّفَاحِ

وقال :

(٧٤)

١ — رِيَاحًا لَا تُهِنْهُ إِنْ تَمَنَّى   مَعَارِفَ مِنْ شِمَـالِي فِي رِيَاحِ   (وافر)
٢ — كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ .... ـاحِ

وقال :

(٧٥)

١ — أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْعِزَّ أَلْقَى بِرَحْـلِهِ   إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَوْلَادِ بَكْرِ بْنِ عَامِرِ   (طويل)

وقال يمدح قَيْسَ بْن مَعْدِيكَرِب :

(٧٦)

١ — هَلْ أَنْتَ يَا مِصْلَاتُ مُبْـ   ـتَكِرٌ غَدَاةَ غَدٍ فَرَاحِلْ   (كامل مجزوء)
٢ — إِنَّا لَدَى مَلِكٍ بِشِبْـ   ـوَةَ مَا تَغِبُّ لَهُ النَّوَافِلْ
٣ — مُتَحَلِّبِ ٱلْكَفَّيْنِ مِثْـ   ـلِ ٱلْبَدْرِ قَوَّالٍ وَفَاعِلْ
٤ — ٱلْوَاهِبِ ٱلْمِـائَةَ الصَّفَا   يَا بَيْنَ تَالِيَةٍ وَحَائِلْ
٥ — وَلَقَدْ شَرِبْتُ ٱلْخَمْرَ تَرْ   كُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُلْ
٦ — كَدَمِ الذَّبِيحِ غَرِيبَةً   مِمَّا يُعَتِّقُ أَهْلُ بَابِلْ
٧ — بَاكَرْتُهَا حَوْلِي ذَوُو ٱلْـ   آكَالِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلْ

غص بالطعام شرق واعترض فى حلقه فمنعه من التنفس . القراح الصافى . غص بالماء القراح كناية عن الشدة . المهندة السيوف ، نسبة للهند . الصفاح جمع صفيح وهو العريض .

(٧٦)

(١ — ٣) المصلات والصلت (بفتح فسكون) الرجل الشجاع الماضى . ابتكر خرج بكرة فى أول الصباح . زحل (كفتح) تنحى وبعد . شبوة حصن بين بيجان وحضرموت . لاتغب أى لاتتأخر ولا تنقطع . النوافل الهبات . تحلب سال وجرى .

(٤ — ٥) الصفايا جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن . التالية التى يتبعها تلوها ، والتلو (بكسر فسكون) ولد الناقة ينطم فيتلوها أى يتبعها . الحائل التى لم تحمل . الترك أو التركستان جيل من الناس كانوا يسكنون فى حوض نهر سيحون وجيحون شمال فارس كابل بلد فى أطراف فارس الشرقية مما يلى الهند ، كان يسكنها قوم من الترك . الركض فى الأصل تحريك الرجل ، ويقصد به هنا الرقص .

(٦ — ٧) غريبة منقولة من موطنها . بابل مملكة قديمة ذات حضارة عظيمة ، وهى كذلك اسم مدينة من مدنها العظيمة كانت فى نواحى الكوفة ، والعرب ينسبون إليها الخمر والسحر . باكرتها بادرت إليها فى الصباح . ذوو الآكال : سادة الأحياء الذين يأخذون المرباع من الغنائم ونحوه . والآكال كذلك قطائع كانت الملوك تطعمها الأشراف ، كالقرى ونحوها ، والمفرد أكل (بضم فسكون) . بكر بن وائل جد قبيلة الأعشى .

٨ — أهل الخيام الضخمة الحمراء وقطعان الإبل والخيل .

٩ — كم فيهم من فرس طويلة الظهر ، ومن جواد مرتفع القوائم عظيم الجوف .

١٠ — يعدو سابحاً بجسمه الضخم وقوائمه المتينة ، حين يجرى به القائم على خدمته ليُضَمِّره فى الأصيل .

١١ — يركبون الجياد الجُرْد السراع ، عليها سُرُج من جلود .

١٢ — قد اغبرّ شعرها وانتفش ، حين تعدو كالنعام المذعور ، وكأنها تسابق رماح راكبيها .

١٣ — وتخرج من خلال الغبار عابسة ضامرة الخصور .

١٤ — كم قد غادرت فى المعارك من صرعى بين محطَّم وهارب .

١٥ — ....

١٦ — تمايل ناقتى حين تعدو مسرعة ، وقد رميتُ بها فى الليل ، ميممة أندية القوم ومحافلهم .

١٧ — وكأنها وقد أجهدتها الرحلة حمار مُعَضَّض من حُمُر (عاقل) .

١٨ — أقام فى الربيع يرعى ما أنبت المطر الغزير من كلأ وأعشاب .

ويختم القصيدة بالفخر بنفسه قائلا :

٨ — أَهْلُ ٱلْقِبَابِ ٱلْحُمْرِ وَالـ　　نَّعَمِ ٱلْمُؤَبَّلِ وَٱلْقَنَابِلْ

٩ — كَمْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ　　وَمُقَلِّصٍ نَهْدِ ٱلْمَرَاكِلْ

١٠— ضَخْمِ ٱلْجُـزَارَةِ سَابِحٍ　　عَبْلٍ يُضَمَّرُ بِٱلْأَصَائِلْ

١١— وَهُمُ عَلَى جُرْدٍ مَغَـا　　وِيرٍ عَلَيْهِنَّ الرَّحَائِلْ

١٢— شُعُثٍ يُبَارِينَ ٱلْأَسِنَّـ　　ـةَ كَالنَّعَـامَاتِ ٱلْجَوَافِلْ

١٣— يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ ٱلْغُبَا　　رِ عَوَابِسًا لُحُقَ ٱلْأَيَاطِلْ

١٤— كَمْ قَدْ تَرَكْنَ مُجَـدَّلًا　　مِنْ بَيْنِ مُنْقَصِفٍ وَجَافِلْ

١٥— هَلْ بَعْدَ ....　　............................

١٦— زَيَّافَةٌ أَرْمِي بِهَـا　　بِاللَّيْلِ مُعْرَضَةَ ٱلْمَحَافِلْ

١٧— وَكَأَنَّهَـا بَعْدَ ٱلْكَلَا　　لِ مُكَدَّمٌ مِنْ حُمْرِ عَاقِلْ

١٨— مُتَرَبِّعٌ مِنْهَا رِيَا　　ضًا صَابَهَا وَدْقُ ٱلْهَوَاطِلْ

(٨ — ٩) القباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . الحمر كناية عن السيادة ، والحمرة زى الاشراف والسادة . النعم الابل . مؤبل قد جعل قطيعا قطيعا . القنابل جمع قنبلة ، وهى الجماعة من الخيل . الشطبة الفرس السبطة اللحم . مقلص طويل القوائم . نهد المراكل واسع الجوف عظيمة . والنهود البروز . والمركل (بصيغة اسم المكان) حيث تصيب رحل الراكب من الدابة إذا ركلها واستحثها برجله .

(١٠—١١) الجزارة اليدان والرجلان ، سميت بذلك لأن الجزار كان يأخذها فهى جزارته أي أجرته على الجزر والذبح . سابح سريع . عبل ضخم . ضمر الخيل ربطها وأكثر ماءها وعلفها حتى تسمن ، ثم قلل ماءها وعلفها مدة وركضها فى الميدان حتى تهزل وتضمر . ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً . الأصائل جمع أصيل ، وهو مابعد العصر إلى المغرب . جرد جمع أجرد وهو القصير الشعر . مغاوير جمع مغوار وهو السريع من الأفراس . الرحائل جمع رحالة (بكسر الراء) وهو السرج من جلود لاخشب فيه ، يتخذ للركض الشديد .

(١٢ - ١٣) شعث جمع أشعث وهو المغبر المتنفش الشعر . الأسنة الرماح . تباريها كأنها لسرعتها تريد أن تسبق الرمح الذى يحمله راكبها . الجوافل التى جفلت أى فزعت فهربت مسرعة . الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . لحق الفرس (كعلم) ضمر .

(١٤—١٦) جدله وجندله صرعه . انقصف انكسر ، وانقصف القوم عن الرجل تركوه وخذلوه . جافل هارب ، وجفله صرعه على الأرض . زاف البعير أسرع فى تمايل . رمى المكان قصده . المحافل جمع محفل (كمجلس) وهو مجتمع القوم . (معرضه) الأرجح عندى أن تكون مصحفة . ولعلها مغرضة (بالغين المعجمة وبصيغة اسم الفاعل) من أغرض الغرض أي أصابه . أو هي معرضة (بالعين المهملة وبصيغة اسم الفاعل) من قولهم : أعرض الرحل فى المكارم إذا ذهب عرضاً وطولا ، وقولهم (طأ معرضاً) أى ضع رجلك حيث وقعت .

(١٧— ١٨) الكلال التعب . مكدم معضض . حمر جمع حمار . عاقل موضع . وهناك سبعة مواضع بهذا الاسم . تربع المكان رعى ماينبت فيه من عشب الربيع . الروضة المكان المنخفض الذى يستنقع فيه الماء فيزكو نبته . صاب المطر انصب ونزل . ودق المطر ودقا هطل . ديمة هطلاء عظيمة القطر . والجمع هواطل .

١٩— رب جيش جرار ، يقوده ملك عظيم ، فينحط به مسرعا .

٢٠— غادرته مجدّلا فى قرارة الوادى ، تنهشه الضباع .

٢١— يحاول أن يقوم فيتخاذل ، وقد نهلت من دمه السيوف والرماح .

(٧٧)

هذه إحدى قصائد الأعشى فى صاحبته (قتيلة) ، وهى تفيض بالشهوة النهمة . ويبدو من وصفه لها فى زيها وزينتها أنها ليست عربية . وقد تكون إحدى الجوارى من الراقصات أو المغنيات فى بيوت اللهو والخمر فى العراق أو فى الشام .

---

١ — يبدأ الأعشى قصيدته مستبشراً فرحا ، فقد استطاع أن يتنفس بعد ضيق ، وأن يتخلص من حب (قتيلة) ، ويفك عن قلبه قيود الذكرى التى كبلته بالأغلال .

ولكنه مع ذلك لايزال يحن إليها . ولا ينسى جسمها الطافح بالفتنة والإغراء .

(٢ — ٥) قدم بضة مسترسلة البنان ، وقامة معتدلة قد تم خلقها وحسن تناسقها ، وساقان ممتلئتان ، يترجرج ما عليهما من لحم حتى ينتهى إلى خلخالها الرّنان . إذا التمس صاحبها أردافها ظل يصعد بيده فى ساقيها المديدتين الممتلئتين إلى هذا الكثيب البارز الذى يلقى على خَلْقها المكمَّل ظلا من الحسن .

ولا تزال شهوات الشاعر العارمة تقود خياله فى تصوير صاحبته فى مختلف الأوضاع .

(٦ — ٩) فيتصورها وقد انبطحت بجسمها المديد على الأرض ، فجفا خصرها الدقيق عن الفراش ، وانحطت أردافها الضخمة الثقيلة وكأنها رأس القدح الخشبى الضخم . ويتصورها وقد امتطاها فارسها المتبذّل فيقول : يالها من مطية ويا له من فارس . إذا خلت إلى نفسها متبذلة ناءت بها أردافها التى

١٩ــ بَلْ رُبَّ مَجْرٍ جَحْفَلٍ يَهْوِي بِهِ مَلِكٌ حُلَاحِلْ
٢٠ــ غَادَرْتُهُ مُتَجَدِّلًا بِٱلْقَاعِ تَنْهَسُهُ ٱلْفَرَاعِلْ
٢١ــ وَلَقَدْ يُحَاوِلُ أَنْ يَقُو مَ وَقَدْ مَضَتْ فِيهِ النَّوَاهِلْ

(٧٧)

وقال :

١ ــ صَحَا ٱلْقَلْبُ مِنْ ذِكْرَى قُتَيْلَةَ بَعْدَمَا	يَكُونُ لَهَا مِثْلَ ٱلْأَسِيرِ ٱلْمُكَبَّلِ	(طويل)
٢ ــ لَهَا قَدَمٌ رَيَّا سِبَاطٌ بَنَانُهَا	قَدِ ٱعْتَدَلَتْ فِي حُسْنِ خَلْقٍ مُبَتَّلِ	
٣ ــ وَسَاقَانِ مَارَ اللَّحْمُ مَوْرًا عَلَيْهِمَا	إِلَى مُنْتَهَى خَلْخَالِهَا ٱلْمُتَصَلْصِلِ	
٤ ــ إِذَا ٱلْتُمِسَتْ أُرْبِيَّتَاهَا تَسَانَدَتْ	لَهَا ٱلْكَفُّ فِي رَابٍ مِنَ ٱلْخَلْقِ مُفْضِلِ	
٥ ــ إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ٱرْتِفَاعٌ تَرَى لَهُ	مِنَ ٱلْحُسْنِ ظِلًّا فَوْقَ خَلْقٍ مُكَمَّلِ	
٦ ــ إِذَا انْبَطَحَتْ جَافَى عَنِ ٱلْأَرْضِ جَنْبُهَا	وَخَوَّى بِهَا رَابٍ كَهَامَةِ جُنْبُلِ	
٧ ــ إِذَا مَا عَلَاهَا فَارِسٌ مُتَبَذِّلٌ	فَنِعْمَ فِرَاشُ ٱلْفَارِسِ ٱلْمُتَبَذِّلِ	
٨ ــ يَنُوءُ بِهَا بُوصٌ إِذَا مَا تَفَضَّلَتْ	تَوَعَّبَ عَرْضَ الشَّرْعَبِيِّ ٱلْمُغَيَّلِ	

(١٩ —) المجر والجحفل الجيش ، والثانية توكيد للأولى . يهوى يمضى مسرعاً . هوت العقاب انقضت ، وهوت الريح هبت . الحلاحل السيد الشجاع . جدله فتجدل صرعه فانصرع . القاع الأرض السهلة المطمئنة . النهس والنهش الأكل والأخذ بمقدم الأسنان . الفراعل جمع فرعل (مثل هدهد) وهو ولد الضبع . النواهل يقصد بها السيوف والرماح التى نهلت من دمه أى شربت .

(٧٧)

(١ — ٤) ريا بضة طرية ، مونث ريان . سباط جمع سبط أى طويل مسترسل . مبتل تام الخلق متناسق . مار ترجرج . المتصلصل الذى تسمع صلصلته ورنينه حين تمشى . الاربية أصل الفخذ . تساند إليه اعتمد عليه ، أو هو من قولهم سند فى الجبل أى صعد فيه . راب مرتفع بارز . مفضل من الفضل وهو الزيادة .

(٥ — ٦) الهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ، يقصد به أردافها الضخمة البارزة . تلقى ظلا على ما تحتها لبروزها . وقد تكون مصحفة عن (طل) والطل (بفتح الطاء) الحسن المعجب ، تقول ما أطله وأحلاه . ويوم طل رطب طيب . انبطحت تمددت. جفى ارتفع عن الأرض . خوى مال وسقط . راب مرتفع . الجنبل القدح الضخم يتخذ من الخشب . هامته رأسه . يقول إن خصرها يجفو عن الأرض لدقته وينحط ردفها على الأرض لضخامته .

(٧ — ٨) متبذل يفعل ما يشاء وما يحلو له ، ولا يراقب الناس ولا يبالى بهم . يقصد بالفارس صاحبها ، أو هو يقصد نفسه فى الحقيقة . ينوء بها يثقلها . بوص ردف . تفضلت تبذلت ولبست الفضلة ، وهى الثياب التي تبتذل للنوم . توعبه واستوعبه استوفاه واستنفده . الشرعبي ضرب من البرود منسوب إلى شرعب وهو مخلاف باليمن . المغيل الواسع من الثياب .

تملأ قميصها الواسع الفضفاض . وإذا تردت فوق قميصها بالثياب تثنَّى رداؤها بارزاً كأن تحته كثيباً من الرمل الرَّجْراج يكاد ينهار .

(١٠ — ١١) تهتز قامتها المديدة اللدنة اهتزاز غصن البان ، حين تمشى وكأنها القطاة تدب فى الوادى إلى منهل الماء . ويبرز ثدياها الناهدان فوق صدرها مستديرين كالرمانتين . ويمتد جيدها الطويل وقد زانته الحلى كأنه جيد غزال . وتفتَرُّ شفتاها عن ثغرها الوضَّاء ، وكأنه نَوْر الأُقْحُوان ذو الأوراق الصغيرة المفلَّجة البيضاء .

(١٣ — ١٤) تتلألأ بشرتها النقية الملساء تلألؤ الفضة ، وتبدو عيناها الكحيلتان من غير اكتحال كعينى الغزال . ساكنتين ، صافيتين ، يزينهما حاجب مستو جميل ، ويسترسل من تحتهما خدَّاها الأملسان اللذان يفيضان بالبِشْر .

(١٥ — ١٦) بطنها ملساء ، تتكسر بشرتها متثنية من أثر السمن ، وصدرها كلوح المرمر المسنون ، قد جوَّده صانعه وبالغ فى صقله . يجول وشاحاها على جانبى خصرها النحيل حين تتثنى متخلعة فى حركة لا تستقر .

ويختم الأعشى هذا الوصف بقوله :

١٧ — أكمل الله خَلْقها فليس فوق جمالها جمال . وإن لى فيها لشعْراً مختاراً .

ويمضى متحدثاً عن تعلقه بها ، وعن قوة تأثيرها وبالغ فتنتها فيقول :

(١٨ — ٢٠) لقد علمت (قُتَيْلة) فى غيبتها أنى أحبها ، وأنى إنما أتكاف الصبر تكلفاً ، وأصطنع الوقار اصطناعا . وما كنتُ أُتَّهَم من قبل بالحب ، فقد خدعتنى بشبابها الفتَّان ، وذهبت بى كل مذهب . فلقد كنت مالكا لأمرى ، إذا عزمتُ على أمر أمضيته لا أتراجع فيه ولا أبدِّل قولا بقول .

(٢١ — ٢٤) تتثنى فى مشيها متهالكة حتى تذهب بعقول الرجال ، وتفتن الرزين الوقور بقوامها اللعوب الميَّاس . إذا لبست قميصها المشقوق ، وألقته فى عنقها كاشفة عن ذراعيها ، تُلوِّح بهما فى ضوء الصباح الفاتر قبل أن ترتفع الشمس ، ولمع السوار فى معصمها حين تشير بكفها الرقيقة ، وقد استرسلت أناملها كأنها هُدَّاب الحرير الأبيض المفتول ، رأيتَ الوقور الرزين من الرجال وقد بهِت ، فعلق

٩ — رَوَادِفُهُ تُثْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ ... إِلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ ٱلْمُتَهَيِّلِ

١٠— نِيَافٌ كَغُصْنِ ٱلْبَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ ... دَبِيبَ قَطَا ٱلْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلِ

١١— وَثَدْيَانِ كَالرُّمَّانَتَيْنِ وَجِيدُهَا ... كَجِيدِ غَزَالٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ يُعَطَّلِ

١٢— وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ ... ذُرَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ لَمْ يُفَلَّلِ

١٣— تَلَأْلُؤُهَا مِثْلُ اللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا ... تَرَى مُقْلَتَيْ رِئْمٍ وَلَوْ لَمْ تَكَحَّلِ

١٤— سَجُوَّيْنِ بَرْجَاوَيْنِ فِي حُسْنِ حَاجِبٍ ... وَخَدٍّ أَسِيلٍ وَاضِحٍ مُتَهَلِّلِ

١٥— لَهَا كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرَّةٍ ... وَنَحْرٌ كَفَاثُورِ الصَّرِيفِ الْمُمَثَّلِ

١٦ — يَجُولُ وِشَاحَاهَا عَلَى أَخْمَصَيْهِمَا ... إِذَا ٱنْفَتَلَتْ جَالًا عَلَيْهَا يُجَلْجِلُ

١٧— فَقَدْ كَمُلَتْ حُسْنًا فَلَا شَيْءَ فَوْقَهَا ... وَإِنِّي لَذُو قَوْلٍ بِهَا مُتَنَخَّلِ

١٨— وَقَدْ عَلِمَتْ بِٱلْغَيْبِ أَنِّي أُحِبُّهَا ... وَأَنِّي لِنَفْسِي مَالِكٌ فِي تَجَمُّلِ

١٩— وَمَا كُنْتُ أُشْكَى قَبْلَ قَتْلَةِ بِالصِّبَى ... وَقَدْ خَتَلَتْنِي بِالصِّبَى كُلَّ مَخْتَلِ

٢٠— وَإِنِّي إِذَا مَا قُلْتُ قَوْلًا فَعَلْتُهُ ... وَلَسْتُ بِمِخْلَافٍ لِقَوْلِي مُبَدِّلِ

٢١— تَهَالَكُ حَتَّى تُبْطِرَ ٱلْمَرْءَ عَقْلَهُ ... وَتُصْبِي ٱلْحَلِيمَ ذَا ٱلْحِجَى بِالتَّقَتُّلِ

(٩ — ١٠) الروادف جمع رادفة وهى طرائق الشحم . الرداء ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة . تثنيه أى أنها تظهر منه بارزة ناتئة. تساندت اعتمدت . الدعص القطعة المستديرة المجتمعة من الرمل . المتهيل الذى ينهال ولا يتماسك . نياف طويله ، ناف الشيء ينوف أشرف وارتفع . القطاة طائر فى مثل حجم الحمام . البطحاء مسيل الماء من الوادي فيه حصى دقيق المنهل مورد الماء .

(١١ — ١٢) لم يعطل لم يخل من الحلي . عطل المرأة (بالتشديد) نزع حليها . غر جمع أغر وهو الأبيض الوضاء . الثنايا الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم . الأقحوان نبات زهره أبيض وأوراقه صغيرة مفلجة . ذراه أعلاه ، يقصد زهره . لم يفلل لم يتكسر أى أنه ناضر لم تعبث به يد .

(١٣ — ١٥) تلألؤها بريقها ووضاءتها . اللجين الفضة . الرئم الظبي وعينه سوداء . تكحل أي تتكحل (حذفت التاء للتخفيف) سجوين ساكنتين فاترتين . برجاوين واسعتين صافيتين . أسيل أملس مسترسل . واضح صاف . متهلل وضاء يفيض بالبشر . كبدها وسطها . الأسرة الخطوط التى تكون فى البطن من السمن . النحر أعلى الصدر . الفاثور الخوان من رخام أو فضة . الصريف الفضة . الممثل الجيد الصنعة . مثله (بالتشديد) صوره وصاغه .

(١٦ — ١٨) الوشاحان كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها . أخمص البدن وسطه . انفتلت انثنت . وشاح جائل وجال يتحرك فوق لا يثبته لطولها ودقة خصرها وامتلاء صدرها . جالا أى جائلا ، حال من الوشاح . يجلجل يتحرك ، جلجل الشيء حركه بيده ، أو هو من جلجلة الجلجل وهو الجرس الصغير . وفى هذا البيت إقواء لأن القافية مكسورة فى سائر القصيدة . متنخل مختار منتخب . تجمل صبر واصطنع الوقار .

(١٩ — ٢١) شكاه المرض أوجعه وآلمه ، وأشكاه فعل به ما يحوجه للشكوى ، وهو يشكى بكذا (على البناء للمجهول) يتهم به . الصبى الشوق . ختله خدعه . الصبى (الثانية) الشباب . مختل مصدر ميمى من ختله أى خدعه . تهالكت المرأة فى مشيها تمايلت . تهالك أي تتهالك . البطر هنا بمعني الدهش والحيرة . عقله بدل من المرء . الحليم العاقل الرزين . تصبيه تفتنه . الحجى العقل . تقتلت المرأة فى مشيها تقلبت وتثنت وتكسرت .

طرفه بها ساكناً لا يتحرك ، وطار قلبه حين استخفه جمالها الفتان ، حتى ما يبالى لوم اللائمين .

وينصرف الأعشى آخر الأمر عن صاحبته إلى الصحراء ، ملتمساً فى تيهها السلوى والعزاء فيقول :

(٢٥ — ٢٧) دع عنك ذكرها ، وسلِّ همومك بناقة ضخمة جريئة على الأسفار ، تمضى مسترسلة فى سيرها وقد مدت عنقها مسرعة . كم طوَّفتُ فوقها من بلاد ، وكم قطعت من طرق ، أجوب الأرض رحَّالا . وكم من موضع مخيف قد نزلناه فكنا نعم القوم فى الحَلِّ والترحال .

ثم يتحول الشاعر إلى أبناء عمومته (بنى عِجْل بن لُجَيْم) يذكِّرهم بحسن صنيع قومه وما أسلفوا إليهم من إحسان مفاخراً فيقول :

(٢٨ — ٣٠) أبلغ (بنى عِجْل) - وهم قريبو القرابة ماجدو الأصل - بأنا قد أدينا عنهم ديات القتلى لأهلهم ألفاً من الإبل ، وأنا نعجِّل لضيفنا القِرى مسرعين إليه بخمر المساء ، وأنا رددنا جيوش الفرس حين أغاروا علينا مدحورين ، وكسرنا فى صدورهم الرماح .

ويختم القصيدة بقوله :

(٣١ — ٣٢) فكيف يرجو سادتنا الفلاح إذا نحن لم نشارك فيما يحل بقومنا من نوائب وغرامات . فلقد اختبرتمونا ياقوم وجربتم سعينا فى مواطن الجد التى تكشف عن الرجال ، فلم يَضِع اختبار المختبر ؛ ولم يجدنا إلا أهل فضل على كل حال .

٢٢— إِذَا لَبِسَتْ شَيْذَارَةً ثُمَّ أَبْرَقَتْ ... بِمِعْصَمِهَا وَالشَّمْسُ لَمَّا تَرَجَّلِ

٢٣— وَأَلْوَتْ بِكَفٍّ فِي سِوَارٍ يَزِينُهَا ... بَنَانٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ ٱلْمُفَتَّلِ

٢٤— رَأَيْتَ ٱلْكَرِيمَ ذَا الْجَلَالَةِ رَانِيًا ... وَقَدْ طَارَ قَلْبُ ٱلْمُسْتَخَفِّ ٱلْمُعَذَّلِ

٢٥— فَدَعْهَا وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... تَزَيَّدُ فِي فَضْلِ الزِّمَامِ وَتَغْتَلِي

٢٦— فَأَيَّةَ أَرْضٍ لَا أَتَيْتُ سَرَاتَهَا ... وَأَيَّةَ أَرْضٍ لَمْ أَجُبْهَا بِمَرْحَلِ

٢٧— وَيَوْمِ حِمَامٍ قَدْ نَزَلْنَاهُ نَزْلَةً ... فَنِعْمَ مُنَاخُ الضَّيْفِ وَٱلْمُتَحَوَّلِ

٢٨— فَأَبْلِغْ بَنِي عِجْلٍ رَسُولًا وَأَنْتُمُ ... ذَوُو نَسَبٍ دَانٍ وَمَجْدٍ مُؤَثَّلِ

٢٩— فَنَحْنُ عَقَلْنَا ٱلْأَلْفَ عَنْكُمْ لِأَهْلِهِ ... وَنَحْنُ وَرَدْنَا بِالْغَبُوقِ ٱلْمُعَجَّلِ

٣٠— وَنَحْنُ رَدَدْنَا ٱلْفَارِسِيِّينَ عَنْوَةً ... وَنَحْنُ كَسَرْنَا فِيهِمُ رُمْحَ عَبْدَلِ

٣١— فَأَيَّ فَلَاحِ الدَّهْرِ يَرْجُو سَرَاتُنَا ... إِذَا نَحْنُ فِيمَا نَابَ لَمْ نَتَفَضَّلِ

٣٢— وَأَيَّ بَلَاءِ الصِّدْقِ لَاقَدْ بَلَوْتُمُ ... فَمَا فُقِدَتْ كَانَتْ بَلِيَّةُ مُبْتَلِي

(٢٢ — ٢٣) الشيذارة الاتب ، وهو برد يشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب ، وهو معرب عن الفارسية اصله هناك (شادريان) . أبرقت بمعصمها كشفت عنه ولوحت به . ترجلت الشمس ارتفعت . ألوى بيده وبثوبه أشار . الهداب ما استرسل من أطراف النسيج . الدمقس الحرير الأبيض . المفتل المفتول.

(٢٤ — ٢٥) رنا أدام النظر فى دهشة وقد غلبه الهوى . المستخف الذى استخفه الهوي لحمله على الخلاعة . المعذل الذى يكثر الناس من عذله أى لومه على ما يأتى من أفعال تتنافى مع الوقار . جسرة ناقة ضخمة جريئة على الأسفار . تزيد أى تتزيد . تزيدت الناقة مدت عنقها وسارت فوق العنق (بفتحتين) وهو المشى المديد الفسيح . الزمام الحبل الذى تقاد به . فضل الزمام طرفه . تغتلى تسرع فى سيرها .

(٢٦ — ٢٧) السراة الظهر ، وسراة الطريق وسطها . المرحل (بكسر الميم) القوي من الجمال ، ومرحل (بفتح الميم) مصدر ميمى من رحل . الحمام (بكسر الحاء) الموت . المناخ المكان الذي تناخ فيه الابل أى تبرك . التحول ، يمكن قراءتها بفتح الواو على أنها مصدر ميمى من تحول ، أي نعم الاناخة ونعم التحول . ولا يمنع من ذلك إلا أن القافية مكسورة . والمتحول عن هذا الوجه واجبة الرفع .

(٢٨ — ٣٠) بنو عجل بن لجيم (بصيغة المصغر) بن بكر . دان قريب ، لانهم أبناء عمومته . مؤثل ثابت أصيل . عقل القتيل أدى ديته لاهله . الألف يقصد ألفا من الابل دفعوها دية للقتلى حقنا للدماء . وردنا بالغبوق المعجل أى عجلنا لضيفنا بالخمر فى المساء . والغبوق الخمر التى تشرب فى المساء ، وهى كذلك اللبن الذي يحلب بالعشى . رمح عبدل منسوب لعبد القيس .

(٣١ — ٣٢) سراتنا سادتنا . ناب نزل بالقوم من المصائب . تفضل أظهر الفضل . بلاه يبلوه بلاء وابتلاه اختبره وجربه . والبلاء والبلية الامتحان والاختبار ، يكون فى الخير والشر . كانت زائدة ، يعنى أنهم جربوهم فى مواطن الصدق والفضل والجد ، فلم يجدهم الممتحن فى كل اختبار إلا فضلاء .

هذه إحدى قصائد الأعشى التى فرغ فيها لنفسه يصور لهوه ومجونه . ومثل هذا الشعر قليل فى الشعر الجاهلى جملة . فالشاعر الجاهلى جزء من قبيلته . يفنى نفسه فيها ، وينطق بلسانها ، وقلما يفرغ لتصوير عواطفه . وهو يتجه فى غزله إلى صاحبة اسمها (هند) فى البيت الثانى ، ولكنه يشير إلى أخرى اسمها (سلمى) فى البيت (١٢) . والواقع أنه لا يقصد بحديثه امرأة معينة ، ولكنه يتحدث عن النساء جملة ، وعن ذكرياته معهن . ويختم الأعشى قصيدته بأبيات فى مدح قيس بن معد يكرب . وقد مدحه فى القصائد (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦٨) .

يقول الأعشى :

(١ — ٣) خالط قلبى الهموم والأحزان ، وهاجته الذكرى بعد أن ظننت وظن الناس أنه قد سلا واطمأن . فهو مشغوف بهند ، هائم بحبها ، ينثنى عنها حيناً ، ويحن إليها فى معظم الأحيان . مشغوف بهذه الفتاة اللعوب المعطرة الثياب ، البضة الأطراف ، وكأنها الظبى الباغم الخالص البياض .

(٤ — ٥) إذا قعدت برزت أردافها كأنها كثيب من رمال (عالج) ، وإذا وقفت راعتك بقامة طويلة كالحَبْل . يزينها وشاحان قد استرسلا على صدرها وعلى ظهرها المديد ينتهيان بقطع الحلى .

(٦ — ٨) خلقت هند بلاء لقلبى ومحنة ، وكذلك تعترض المحن طريق الناس من غير أن يقصدوا إليها . التمستها فى الخلوات فلم أرها ، لأن الحياء يمنعها أن تضع نفسها فى موضع الشُّبَه والظنون. فأرسلت إليها أشرح حبى ، وأبين عذرى فى استجابتى لسلطان فتنتها الذى لا يرد ، طالباً إليها أن تجيب بما تشاء .

(٩ — ١٠) ولما التقينا أسرعت إلى فمى الكلمات فى اضطراب ، أقول لها تارة (جُعِلْتُ فداك) وأخرى (هَنَأَكِ الله) ، وأنا فى اضطرابى مراقب لها ، أتلطف بها ، كما يفعل السائس بالخيل حين يروضها ويصقلها ، أخشى أن يبدر منى ما يغضبها أو ينفِّرها .

(١١ — ١٢) كم جدتِ علينا بالوصل ، ثم لم تكدرى إنعامك بالمن . أنتِ ياسَلْمَى شغل نفسى ، فارفقى بنفس لاهَمَّ لها غيرك . ولا تعبثى بها فتتلفيها ، فالنفس لا تقدر بثمن .

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير ذكرياته فى لون آخر من ألوان المتع التى تذوقها من خمر وغناء .

(١٣ — ١٧) فى غرف عالية وظل ظليل ، وقد فُتَّ المسك ونُثِرَت الرياحين ، يُطاف علينا بخمر خُسْرُوَانِيَّة إذا ذاقها الشيخ الفانى ارتد إليه شبابه فمال متغنياً واهتز . وغنى المغنى على ألحان الطنابير الحسان ،

وقال :

١ — خَالَطَ ٱلْقَلْبَ هُمُومٌ وَحَزَنْ   وَادِّكَارٌ بَعْدَ مَا كَانَ ٱطْمَأَنْ   (رمل)

٢ — فَهْوَ مَشْغُوفٌ بِهِنْدٍ هَائِمٌ   يَرْعَوِى حِينًا وَأَحْيَانًا يَحِنْ

٣ — بِلَعُوبٍ طَيِّبٍ أَرْدَانُهَا   رَخْصَةِ ٱلْأَطْرَافِ كَالرِّئْمِ ٱلْأَغَنْ

٤ — وَهْىَ إِنْ تَقْعُدْ نَقًا مِنْ عَالِجٍ   وَإِذَا قَامَتْ نِيَافًا كَالشَّطَنْ

٥ — يَنْتَهِى مِنْهَا ٱلْوِشَاحَانِ إِلَى   حُبْلَةٍ وَهْىَ بِمَتْنٍ كَالرَّسَنْ

٦ — خُلِقَتْ هِنْدٌ لِقَلْبِى فِتْنَةً   هٰكَذَا تَعْرِضُ لِلنَّاسِ ٱلْفِتَنْ

٧ — لَا أَرَاهَا فِى خَلَاءٍ مَرَّةً   وَهْىَ فِى ذَاكَ حَيَاءً لَمْ تُزَنْ

٨ — ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا أَنَّنِى   مُعْذِرٌ عُذْرِى فَرُدِّيهِ بِأَنْ

٩ — وَبَدَرْتُ ٱلْقَوْلَ أَنْ حَيَّيْتُهَا   ثُمَّ أَنْشَأْتُ أُفَدِّى وَأُهَنْ

١٠— وَأُرَجِّيهَا وَأَخْشَى ذُعْرَهَا   مِثْلَ مَا يُفْعَلُ بِٱلْقَوْدِ السَّنَنْ

١١— رُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَجُودِينَ لَنَا   بِعَطَايَا لَمْ تُكَدِّرْهَا ٱلْمِنَنْ

١٢— أَنْتِ سَلْمَى هَمُّ نَفْسِى فَٱذْكُرِى   سَلْمُ لَا يُوجَدُ لِلنَّفْسِ ثَمَنْ

١٣— وَعَلَالٍ وَظِلَالٍ بَارِدٍ   وَفَلِيجِ ٱلْمِسْكِ وَالشَّاهِسْفَرَنْ

(١ — ٣) ادكار افتعال من الذكر أصلها اذدكار . اطمأن هدأ وسكن . الشغاف غشاء القلب ، والمشغوف الذى تمكن منه الحب فخبله . الهائم المتحير والذى ذهب الحب بعقله . يرعوى يكف وينثنى . امرأة لعوب حسنة الدل ، والدل أن تظهر المرأة الجرأة فى تغنج كأنها تخالف صاحبها وليس بها خلاف . أردان جمع ردن (بضم فسكون) فهو مقدم الكم . رخصة بضة طرية . الرئم الظبى الخالص البياض . الأغن الذى يخرج صوته من خياشيمه .

(٤ — ٦) النقا الكثيب . عالج موضع به رمل . امرأة نيف تامة الطول والحسن . الشطن الحبل . الوشاح نسيج عريض ينظم باللؤلؤ والجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، فاذا لبست وشاحين خالفت بينهما ، فأحدهما من العاتق الأيمن إلى الكشح الأيسر ، والآخر من العاتق الايسر إلى الكشح الأيمن . الحبلة ضرب من الحلى يجعل فى القلائد . المتن الظهر . الرسن الحبل . يصف ظهرها بأنه مديد طويل ، فوشاحها إذن طويل ، وذلك يزيده بهاء . الفتنة البلاء والمحنة . تعرض لهم تعترض طريقهم وتصادفهم من غير أن يسعوا لها .

(٧ — ٩) مكان خلاء ليس فيه أحد . زنه وأزنه بشيء اتهمه به خيرا كان أو شرا . أعذر أبدى عذرا فهو معذر . رديه بأن يعنى بأن تصليني ، والحذف هنا غاية فى الجمال ، فهو يترك لها أن ترد بما تشاء وبما يحلو لها . بدره وبادر إليه أسرع وعاجله . فداه وافتداه قال له : جعلت فداك . أهن أى أهنيء وأقول : هنأك الله أي سرك .

(١ — ١٣) رجى الشيء (بالتشديد) أمل به وارتقب خيرا . القود الخيل التى تقاد بمقاودها ولا تركب . السنن الشوط ، أو هى مصدر سنه سنا إذا أحسن رعايته حتى حسنت بشرته فكأنها قد صقلت صقلا ، فك الادغام لالتقاء الساكنين عند الوقف . المنن جمع منة (بكسر الميم وتشديد النون) وهى التعبير بالاحسان . هم نفسى شغلها . العلالى جمع علية (بضم العين وتشديد اللام المكسورة) وهى الغرفة المرتفعة . فليج أى مفتت . فلج الشيء شقه قسمين . الشاهسفرن نوع من الرياحين وهى فى الفارسية بالميم يعنى الريحان السلطانى .

والصنج الرنان . فإذا فنى صوته وخفت ، انبعث الصَّنج يجيبه الونُّ ، يمهدان للغناء من جديد . فإذا أطاعت الألحان، خفت رنين الأوتار، وانطلق المغنى بصوته الصداح .

(١٨ — ٢٢) إذا استنزفنا مافى الدن من خالص الخمر ، نادينا الخمار طالبين سواه . بين فتية ينفقون فى سخاء، ويهينون المال للغناء واللذة وسماع الألحان . لايزال إبريقهم يسيل بالخمر ، تُمْزج بالماء البارد من قربة خَلَقٍ رطيب . ويمضون فى الشراب منذ الصباح حتى تميل الشمس للمغيب ، وتميل رءوسهم من نشوة الخمر كالنائمين . فإذا غربت الشمس انطلقوا إلى الجوارى الناعمات ، القصيرات الخطى ، الدائمات المرح ، المُذْهِبَاتِ الهم ، النافيات الأحزان .

ويمضى الأعشى فى التغنى بهذه الذكريات الناعمة ، مصوراً ما نال من الحظوة عند الملوك ، وما استمتع به من جليل عطاياهم ، ويخص قيساً من بين هؤلاء الملوك بالذكر ، فيقول :

(٢٣ — ٢٤) جاوزْ هذا الشعر إلى غيره ، مشيداً بذكر دهقان اليمن ، أبى الأشعث قيس ، الذى يبذل فى شراء الحمد غالىَ الأثمان .

(٢٥ — ٢٧) جئته ذات يوم فأدنى مجلسى ، وحبانى بفرس كريم يمضى حيث توجهه فلا ينثنى عن القصد ، وثمانين ناقة عِشاراً ضخاما قد رعت الأراك فى (بَريم) و (حَضَنْ) ، وغلام نشيط يقوم على خدمتها ، وناقة ضخمة مذلَّلَة للراكبين ، كأنها القصر المَشِيد .

١٤— وَطِــلَاءٍ خُسْرُوَانِيٍّ إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغَنَّى وَٱرْجَحَنْ

١٥— وَطَنَابِيرَ حِسَانٍ صَوْتُهَـــا عِنْدَ صَنْجٍ كُلَّمَا مُسَّ أَرَنْ

١٦— وَإِذَا ٱلْمُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَهُ عَزَفَ الصَّنْجُ فَنَادَى صَوْتُ وَنْ

١٧— وَإِذَا مَا غُضَّ مِنْ صَوْتَيْهِمَا وَأَطَاعَ اللَّحْنُ غَنَّانَا مُغَنْ

١٨— وَإِذَا الدَّنُّ شَرِبْنَا صَفْوَهُ أَمَرُوا عَمْرًا فَنَاجَوْهُ بِدَنْ

١٩— بِمَتَالِيفَ أَهَــانُوا مَالَهُمْ لِغِنَاءٍ وَلِلَعْبٍ وَأَذَنْ

٢٠— فَتَرَى إِبْرِيقَهُمْ مُسْتَرْعِفًا بِشَمُولٍ صُفِّقَتْ مِنْ مَاءِ شَنْ

٢١— غُدْوَةً حَتَّى يَمِيـــلُوا أُصُلًا مِثْلَ مَا مِيلَ بِأَصْحَابِ ٱلْوَسَنْ

٢٢— ثُمَّ رَاحُوا مَغْرِبَ الشَّمْسِ إِلَى قُطُفِ ٱلْمَشْيِ قَلِيلَاتِ ٱلْحَزَنْ

٢٣— عَدِّ هٰذَا فِي قَرِيضٍ غَيْرِهِ وَٱذْكُرَنْ فِي الشِّعْرِ دِهْقَانَ ٱلْيَمَنْ

٢٤— بِأَبِي ٱلْأَشْعَثِ قَيْسٍ إِنَّهُ يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِمَنْفُوسِ الثَّمَنْ

٢٥— جِئْتُهُ يَوْمًا فَأَدْنَى مَجْلِسِي وَحَبَانِي بِلَجُوجٍ فِي السَّنَنْ

٢٦— وَثَمَانِينَ عِشَـــارٌ كُلُّهَا آرِكَاتٌ فِي بَرِيمٍ وَحَضَنْ

٢٧— وَغُـلَامٍ قَائِمٍ ذِي عَدْوَةٍ وَذَلُولٍ جَسْرَةٍ مِثْلِ ٱلْفَدَنْ

(١٤ - ١٦) الطلاء الخمر . خسرواني نسبة إلى خسروشاه . ارجحن مال واهتز . الطنبور آلة من آلات الطرب ذات عنق طويل وستة أوتار من نحاس (فارسي معرب) . الصنج من آلات الطرب ذات الأوتار (فارسي) وهو غير الصنج الذي تعرفه العرب . رن وأرن علا صوته فكان له رنين . المسمع المغني . الون والصنج كالطنبور ، من آلات الطرب (فارسي معرب) .

(١٧ — ١٩) غض الصوت خفضه . الدن وعاء كبير للخمر من الفخار . صفو الشيء خالصه . عمرو اسم الساقي أو صاحب الحانة. أذن سماع ، فعله أذن (كعلم) . متاليف جمع متلاف وهو المبذر الذي يتلف ماله وينفقه . أهانوه بالانفاق ولم يصونوه .

(٢٠ — ٢٢) مسترعفا سائلا ، وأصله من الرعاف وهو الدم الذي يسيل من الأنف . الشمول الخمر الباردة التي شملتها ريح الشمال أي ضربتها فبردت . صفق الخمر روقها أو مزجها بالماء . الشن القربة الناعمة التي أخلقها الاستعمال فهي تبرد الماء إذا حفظ فيها . الغدوة من بعد الفجر إلى طلوع الشمس . الأصيل من بعد العصر إلى غروب الشمس . الوسن النوم . قطف (كضرب) قصر خطوه وبطؤ . قطف المشي قصيرات الخطى ، يعني النساء . يصف بيتا من بيوت الفسق .

(٢٣ — ٢٤) عد هذا دعه وتجاوزه إلى غيره من الحديث . الدهقان كلمة فارسية معناها التاجر أو القوي على التصرف وحده ، ويعني بدهقان اليمن قيس بن معد يكرب . وهو لقب غريب لم يرد في غير هذا الموضع من مدائح الأعشى . أما تكنيته بأبي الأشعث فلم ترد إلا في هـذه القصيدة وفي القصيدة (٦٨) في البيت (١٣) . شيء منفوس ومنفوس فيه أي ثمين مرغوب فيه . منفوس الثمن غاليه .

(٢٥ — ٢٧) حباني أعطاني والحباء العطاء . لجوج صفة لفرس أو ناقة ، وهو الذي يلج في الأمر أي يلازمه ويواظبه ويأبى الانصراف عنه . السنن جمع سنة وهي الطريقة . ثمانين أي ثمانين ناقة . عشار جمع عشراء (بضم ثم فتح) وهي الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر . أركت الابل (كنصر وضرب) رعت شجر الأراك فهي آركة ، والجمع آركات . بريم وحضن موضعان . العدوة المرة من العدو وهو الجري . ناقة ذلول سهلة تنقاد لراكبها . جسرة جريئة على الأسفار وعلى اقتحام الصحراء . الفدن القصر .

هذه القصيدة تشبه القصيدة السابقة . يصور فيها الأعشى لهوه وذكريات شبابه ، ويختمها بأبيات فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وقد مدحه الأعشى قبل ذلك في القصائد (٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥) .

(١ — ٢) يتحدث الأعشى عن صواحبه وقد هجرنه حين أسن وفارقه الشباب . أما (سعاد) فقد نأت وأمسى ودها متّهَماً لا يوثق به ، وغادرته للشوق والأوجاع . وأما (سُعْدَى) فقد أجمعت عزمها على هجره وقطيعته ، حين رأت رأسه وقد اشتمله الشيب .

ويرجع الأعشى بخياله إلى أيام شبابه ، ليدفىء برد شيخوخته بالذكريات ، وليتصور جمالها وفتنتها فى مختلف حالاتها .

(٣ — ٨) ثغر مستو رطيب ، كأن مذاقه فى الليل ورائحته البلحُ الشَّهِى . وجيد أملس مديد ، كأنه جيد الغزالة حين تمده لتتناول لطفلها من ثمار الأراك ما احلو لى وما طاب . وعينان حالمتان كأنهما عينا بقرة وحشية، أرَّقها عواء الذئاب فى الليل، فحملقت فيما حولها تتتبع مصدر الصوت . وجسم ممتلىء مديد قد كساه الحسن .كأن أسفله كثيب من الرمال . وشعر لين غزير ، ترسله على متنيها ، فيفوح منه على الماشطة ريح المسك والطيب .وجسم ناعم بض ، دقيق الخصر ، ثقيل الوركين ، يترقرق بالشباب النضير، كأنما يجرى فيه ذَوْبُ الدُّر .

ويمضى الأَعشى فى هذه الأَحلام، ليتصور نفسه فى شبابه ، حين كان يهجم على الصحراء فى عزم فَتِيّ ، ويمضى فيها غير هياب.

(٩ — ١١) كم من صحراء بعيدة الآفاق ، مترامية الأَطراف، مقفرة المسالك ،قد نهض لها بفحل أشهب ، ينطلق تحت راكبه ، فتتموج رقبته الطويلة فى حركة لا تهدأ . قد ارتفعت أخشاب الرحل فوق جسمه الضخم، وكأنه برج متماسك البنيان قد علق فى أعلاه باب . وكأننى حين كسوت الرحل بالوسائد والحشايا قد وضعتها فوق ثور وحش ضخم نشيط .

وينسى الأعشى رحلته وناقته ، فيمضى مع هذا الثور الذى شبهها به ، ليصوره فيما قاسى من شدائد وأهوال ، استطاع بجَلَده وقوة احتماله أن يتخطاها ظافراً .

(١٢ — ١٤) ألجأه المطر والريح البارد إلى كثيب من الرمال ينصب عليه المطر متوالياً غزيراً . فلاذ إلى شجرة من

وقال :

١ — بَانَتْ سُعَادُ وَأَمسى حَبْلُهَا رَابَا ... وَأَحْدَثَ النَّأْىُ لِى شَوْقًا وَأَوْصَابَا (بسيط)

٢ — وأَجْمَعَتْ صُرْمَنَا سُعْدَى وَهِجْرَتَنَا ... لَمَّارَأَتْ أَنَّ رَأْسِى ٱلْيَوْمَ قَدْ شَابَا

٣ — أَيَامَ تَجْلُو لَنَا عَنْ بَارِدٍ رَتِلٍ ... تَخَالُ نَكْهَتَهُ بِاللَّيْلِ سُيَّابَا

٤ — وَجِيدِ مُغْزِلَةٍ تَقْرُو نَوَاجِذُهَا ... مِنْ يَانِعِ ٱلْمَرْدِ مَا ٱحْلَوْلَى وَمَا طَابَا

٥ — وَعَيْنِ وَحْشِيَّةٍ أَغْفَتْ فَأَرَّقَهَا ... صَوْتُ الذِّئَابِ فَأَوْفَتْ نَحْوَهُ دَابَا

٦ — هِرْكَوْلَةٌ مِثْلُ دِعْصِ الرَّمْلِ أَسْفَلُهَا ... مَكْسُوَّةٌ مِنْ جَمَالِ ٱلْحُسْنِ جِلْبَابَا

٧ — تُمِيلُ جَثْلًا عَلَى ٱلْمَتْنَيْنِ ذَا خُصَلٍ ... يَحْبُو مَوَاشِطَهُ مِسْكًا وَتَطْيَابَا

٨ — رُعْبُوبَةٌ فُنُقٌ خُمْصَانَةٌ رَدَحٌ ... قَدْ أُشْرِبَتْ مِثْلَ مَاءِ الدُّرِّ إِشْرَابَا

٩ — وَمَهْمَهٍ نَازِحٍ قَفْرٍ مَسَارِبُهُ ... كَلَّفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَّابَا

١٠ — يُنْبِى ٱلْقُتُودَ بِمِثْلِ ٱلْبُرْجِ مُتَّصِلًا ... مُؤَيَّدًا قَدْ أَنَافُوا فَوْقَهُ بَابَا

١١ — كَأَنَّ كُورِى وَمِيسَادِى وَمِيثَرَتِى ... كَسَوْتُهَا أَسْفَعَ ٱلْخَدَّيْنِ عَبْعَابَا

١٢ — أَلْجَاهُ قَطْرٌ وَشَفَّانٌ لِمُرْتَكِمٍ ... مِنَ ٱلْأَمِيلِ عَلَيْهِ ٱلْبَغْرُ إِكْثَابَا

(١ — ٣) بانت بعدت . الحبل الوصال والعهد . راب من الريب وهو الشك والظنة والتهمة . أوصاب أوجاع ، جمع وصب (بالتحريك). أجمعت عزمت وقررت . الصرم القطيعة ، صرم الحبل قطعه . تجلو تكشف . بارد أي ثغر بارد رطيب . رتل مستوى الأسنان حسن التنضيد . النكهة رائحة الفم . السياب (بضم السين وتشديد الياء) البلح.

(٤ — ٦) مغزلة ظبية ذات غزال صغير . قرا الشيء تتبعه . النواجذ الأنياب . يانع مشرق نضير . المرد ثمر الاراك الأخضر . وحشية أى بقرة وحشية . أوفت أتت نحوه أى نحو الصوت . دابا أى دأبا من دأب أى مضى واستمر . هركولة عظيمة الوركين ضخمة الخلق . الدعص الكثيب .

(٧ — ٩) شعر جثل غزير لين . متناها جانباها . يحبو من الحباء (بكسر الحاء) وهو العطاء ، أى يمنحه . مواشط جمع ماشطة وهى الجارية التى تمشط الشعر . رعبوبة ممتلئة الجسم . فنق شابة ناعمة . خمصانة خميصة البطن ، والخمص الجوع . ردح ورداح ثقيلة الأوراك . أشرب اللون أشبعه . مهمه صحراء . نازح بعيد . مساربه مسالكه . أعيس أى جملا أبيض يخالطه شقرة أو ظلمة . الرحل الخشب الذى يشد على الجمل ليركب فوقه . نعبت الابل (كفتح) مدت أعناقها فى سيرها.

(١٠ — ١٢) ينبيها يدفعها ويرفعها . القتود خشب الرحل . بمثل البرج يقصد ظهره المتماسك الفقار . متصلا متماسكا . مؤيد قوى . أنافوا رفعوا . فوقه أى فوق الحصن . يشبه خشب الرحل فوق هذا الجمل بباب مرفوع فوق برج . الكور الرحل . الميساد الوساد الذى يتكأ عليه . الميثرة وطاء محشو يوضع فوق رحل البعير تحت الراكب . أسفع أحمر ضارب للسواد . أسفع الخدين يعنى ثور الوحش . العبعاب الطويل التام الخلق . القطر المطر . شفان ريح وبرد . مرتكم مجتمع . الأميل (على وزن كثيب) الحبل من الرمل مسيرة يوم طولا وميل عرضاً ، أو المرتفع منه . البغر الدفعة الشديدة من المطر . إكثابا من الكثب وهو الجمع والصب ، كثب الماء (كنصر وضرب) صبه .

أشجار الأَرْطى الضخام لا تكاد تحميه ، وراح المطر يجرى على جنبيه . ويلتمع البرق فى السماء ، فيكشف ضوؤه اللمَّاح عن هذا الثور الضامر وقد نَهَكَهُ الجوع ، كأنه كوكب يلمع فى الأفق البعيد .

(١٥ — ١٧) فلما تأ قرن الشمس أو كاد ، أحس فى ضوء الفجر الخافت صياداً من (بنى ثُعَل) ، يغرى كلابه الخمسة (عَطَّافا) و (مجدولا) و (سَلْهَبَة) و (محصوفا) و (كَسَّابا) . وقد خلف هذا الصياد من ورائه صبية صغاراً حالفوا الفقر والضنك زمانا ، فهم ينتظرون ما يعود به من صيد .

(١٨ — ١٩) ومضى الثور مسرعا يلهبه الذعر فلا يألو جهداً فى النجاة بنفسه . وتبعته الكلاب التى مرنت على الصيد لحذقته ، تكاد فى عدوها السريع تخرج من جلودها ، وكأنها سهام أطلقها الرامى فمضت لاتلوى على شىء .

(٢٠ — ٢١) وراح الثور يجاهدها وهى تلاحقه ولا تقصر فى طلبه ، حتى إذا نال منه التعب وأدركه الكلال ، ثاب إلى نفسه وجَمَّع قواه وثبت للقتال . فكرَّ عليها بقرنه المحدد وكأنه حربة يحمى بها جسده أن تنال منه الكلاب مقتلا . وراح يسدد ضرباته إليهافيصيبها فى الكُلَى .

وينصرف الأعشى عن هذا الثور ، ليتحدث عما نال من حظوة عند (إياس بن قَبيصة الطائى) ،دون أن يمهد لهذا الانتقال أو يحتال فى التخلص له ، فيقول :

(٢٢ — ٢٣) لما رأيت الزمان كالحاً لا يهب غير البرد والجوع ، قد ذل فيه رءوس الناس حتى صاروا أذناباً ، قصدت إياساً خير فتى فى الناس ، حاضرِهم وغائبهم .

(٢٤ — ٢٧) فلما رآنى فيما أنا فيه من شدة وضَنْك ، رث الهيئة بالى الثياب ، وقد اختلط أمرى وفسد حالى ،

١٣— وَبَاتَ فِي دَفِّ أَرْطَاةٍ يَلُوذُ بِهَا   يَجْرِي الرَّبَابُ عَلَى مَتْنَيْهِ تَسْكَابَا

١٤— تَجْلُو ٱلْبَوَارِقُ عَنْ طَيَّانَ مُضْطَمِرٍ   تَخَالُهُ كَوْكَبًا فِي ٱلْأُفْقِ ثَقَّابَا

١٥— حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ كَرَبَتْ   أَحَسَّ مِنْ ثُعَلٍ بِٱلْفَجْرِ كَلَّابَا

١٦— يُشْلِي عِطَافًا وَمَجْدُولًا وَسَلْهَبَةً   وَذَا ٱلْقِلَادَةِ مَحْصُوفًا وَكَسَّابَا

١٧— ذُو صِبْيَةٍ كَسْبُ تِلْكَ الضَّارِيَاتِ لَهُمْ   قَدْ حَالَفُوا ٱلْفَقْرَ وَاللَّأْوَاءَ أَحْقَابَا

١٨— فَٱنْصَاعَ لَا يَأْتَلِي شَدًّا بِخَذْرَفَةٍ   تَرَى لَهُ مِنْ يَقِينِ ٱلْخَوْفِ إِهْذَابَا

١٩— وَهُنَّ مُنْتَصِلَاتٌ كُلُّهَا ثَقِفٌ   تَخَالُهُنَّ وَقَدْ أُرْهِقْنَ نُشَّابَا

٢٠— لَأْيًا يُجَاهِدُهَا لَا يَأْتَلِي طَلَبًا   حَتَّى إِذَا عَقْلُهُ بَعْدَ ٱلْوَنَى ثَابَا

٢١— فَكَرَّ ذُو حَرْبَةٍ تَحْمِي مَقَاتِلَهُ   إِذَا نَحَا لِكُلَاهَا رَوْقَهُ صَابَا

٢٢— لَمَّا رَأَيْتُ زَمَانًا كَالِحًا شَبِمًا   قَدْ صَارَ فِيهِ رُءُوسُ النَّاسِ أَذْنَابَا

٢٣— يَمَّمْتُ خَيْرَ فَتًى فِي النَّاسِ كُلِّهِمُ   الشَّاهِدِينَ بِهِ أَعْنِي وَمَنْ غَابَا

٢٤— لَمَّا رَآنِي إِيَاسٌ فِي مُرَجَّمَةٍ   رَثَّ الشَّوَارِ قَلِيلَ ٱلْمَالِ مُنْشَابَا

(١٣ — ١٥) الدف الجنب من كل شئ أو صفحته . الأرطى شجر ضخم ، واحدته أرطاة . الرباب السحاب الأبيض ، يرى به المطر . متناه جانباه . البوارق جمع بارقة وهى السحابة الكثيرة البروق . طيان جائع ، فعلان من الطوى وهو الجوع . مضطمر منتعل من الضمور . ثقاب ثاقب مضىء . ذر طلع . قرن الشمس أول ما يطلع منها عند الشروق . كربت كادت وقربت . ثعل حى من طيء ، وهم مشهورون بالرماية . كلاب صاحب كلاب .

(١٦ — ١٨) أشلى الكلب على الصيد أغراه ، مجدول مفتول . السلهبة الطويل . محصوف مجدول محكم الفتل . عطاف ومجدول وسلهبة ومحصوف وكساب أسماء كلاب هذا الصياد . ضرى الكلب بالصيد (كعلم) لزمه وتعوده وأولع به واجترأ عليه . اللأواء الشدة والمحنة . أحقاب جمع حقبة (على وزن قطعة) وهى المدة من الزمن . انصاع مضى مسرعا . ألا فى الأمر يألو قصر فيه وأبطأ . الشد العدو والجرى . خذرف أسرع . هذب وأهذب أسرع .

(١٩ — ٢١) منتصلات مسرعات تكاد تخرج من جلودها فى عدوها ، وأصله انتصل السهم أى خرج من نصله وهو حديدته . ثقف حاذق خفيف فطن . أرهقه أعجله . اللأى الشدة ، لأى يلأى أبطأ واحتبس . لا تأتلى لا تبطىء . الونى التعب والفتور . ثاب رجع . ذو حربة يعنى الثور ، حربته قرنه . مقاتله المواضع التى تقتل الاصابة فيها . نحا قصد . كلى جمع كلية (على وزن لقمة) . روقه قرنه . صاب أصاب ولم يخطىء .

(٢٢ — ٢٤) كالح عابس . الشبم البردان الجائع . يممه قصده . الشاهد الحاضر . إياس بن قبيصة الطائى . المرجمة (بكسر الجيم وتشديدها) الشدة من الرجم وهو القتل والقذف بالحجارة والطرد . والمرجمة (بفتح الجيم وتشديدها) يقصد بها القبر ، أى حفرة مرجمة رجم القبر (بالتشديد) وضع عليه الحجارة . وفى الحديث (لاترجموا قبرى) أى لا تضعوا عليه الحجارة ليسنم . رث بال . الشوار (بفتح الشين) الهيئة الحسنة واللباس . منشاب مختلط الأمر . انشاب على وزن انفعل ، من شاب الشىء يشوبه أي خلطه ، وشابه كذلك خانه وغشه .

أوسع لى ضيافته فِعْل الكريم ، ومتعنى فى يوم الجمعة ، حين لجأت إليه مودعا الصحب والخلان ، بناقة ضخمة فتيَّة ، لا هى بالبَكْرَة الصغيرة ، ولا هى بالمُسِنَّة العجوز ، قد أشرق لونها من السِّمَن ، فكأَنما صُبِغَت بالزعفران الأصفر . وحبانى قطعاناً من الإبل تعلوها النضرة ، كأنها روضة زينها نبت الخريف يكلل مافوقها من الأَعشاب ، ويزيده رونقاً وبهاء .

ويختم الأَعشى قصيدته بالدعاء لإياس فيقول :

(٢٨ — ٢٩) يجزيك الله يا إياس عن نعمتك خير الجزاء ، كما جزى نوحا بعد المشيب ، إذ أوحى إليه أن يصنع الفلك ليعصمه من الطوفان ، فراح ينشئها ويجمع الأَلواح والأَبواب .

(٨٠)

هذه إحدى قصائد الأعشى القليلة التى فرغ فيها للغزل . ومعانى القصيدة مألوفة ، وأسلوبها ركيك مسف فى كثير من المواضع . وأطرف مافيها القسم الأخير (٩ — ١٦) ، الذي يستطرد فيه إلى وصف درة يعرض الغواص نفسه للمهالك فى سبيل الحصول عليها ، والأعشى متأثر فى هذا القسم بأبيات تنسب لخاله المسيب بن علس ، يشبه فيها صاحبته بجمانة ، ويصف ما يلقى الغواص من عناء فى سبيلها ، فى ثلاثة عشر بيتا ، يبدأها بقوله :

كجمانة البحرى جاء بها غواصها من لجة البحر

وليس بغريب أن يتأثر الأعشى بخاله ، فقد بدأ حياته الشعرية راوية له ، وأشار النقاد القدماء إلى تأثره به فى كثير من معانيه .

يقول الأَعشى :

(١ — ٢) نام من خلى قلبه من الهموم ، وبت ليلى ساهرًا لا أنام . أرعى النجوم متكئاً على مرفقى وقد أضنانى الغرام . وظللت خاشع الطرف ، أنظر ساكناً قد ثقلت على الهموم ، وعادنى الداء . . . ذهبت حبيبتى بقلبى ، فأمسى عندها رهينة ليس إلى استردادها من سبيل .

(٣ — ٤) ليتها أحبتنى كما أحببتها فيجمع الود بين قلبينا ! . . . لا شيء يشفى النفس إلا رؤيتها ، فاللقاء وحده دواء المحبين .

(٥ — ٨) صادت قلبى بعينين فاترتين ، كأنهما عينا غزالة قد انفردَتْ عن القطيع ، تنظر فى حنان إلى صغيرها

٢٥ — أَثْوَى ثَوَاءَ كَرِيمٍ ثُمَّ مَتَّعَنِى ‌ ‌ يَوْمَ ٱلْعَرُوبَةِ إِذْ وَدَّعْتُ أَصْحَابَا

٢٦ — بِعَنْتَرِيسٍ كَأَنَّ ٱلْحُصَّ لِيطَ بِهَا ‌ ‌ أَدْمَاءَ لَا بَكْرَةً تُدْعَى وَلَا نَابَا

٢٧ — وَالرِّجْلُ كَالرَّوْضَةِ ٱلْمِحْلَالِ زَيَّنَهَا ‌ ‌ نَبْتُ ٱلْخَرِيفِ وَكَانَتْ قَبْلُ مِعْشَابَا

٢٨ — جَزَى ٱلْإِلٰهُ إِيَاسًا خَيْرَ نِعْمَتِهِ ‌ ‌ كَمَا جَزَى ٱلْمَرْءَ نُوحًا بَعْدَ مَاشَابَا

٢٩ — فِى فُلْكِهِ إِذْ تَبَدَّاهَا لِيَصْنَعَهَا ‌ ‌ وَظَلَّ يَجْمَعُ أَلْوَاحًا وَأَبْوَابَا

(٨٠)

وقال :

(بسيط)

١ — نَامَ ٱلْخَلِىُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقَا ‌ ‌ أَرْعَى النُّجُومَ عَمِيدًا مُثْبَتًا أَرِقَا

٢ — أَسْهُو لِهَمِّى وَدَائِى فَهْىَ تُسْهِرُنِى ‌ ‌ بَانَتْ بِقَلْبِى وَأَمْسَى عِنْدَهَا غَلِقَا

٣ — يَالَيْتَهَا وَجَدَتْ بِى مَا وَجَدْتُ بِهَا ‌ ‌ وَكَانَ حُبٌّ وَوَجْدٌ دَامَ فَاتَّفَقَا

٤ — لَاشَىْءَ يَنْفَعُنِى مِنْ دُونِ رُؤْيَتِهَا ‌ ‌ هَلْ يَشْتَفِى وَامِقٌ مَالَمْ يُصِبْ رَهَقَا

٥ — صَادَتْ فُؤَادِى بِعَيْنَىْ مُغْزِلٍ خَذَلَتْ ‌ ‌ تَرْعَى أَغَنَّ غَضِيضًا طَرْفُهُ خَرِقَا

٦ — وَبَارِدٍ رَتِلٍ عَذْبٍ مَذَاقَتُهُ ‌ ‌ كَأَنَّمَا عُلَّ بِٱلْكَافُورِ وَٱغْتُبِقَا

---

٢٥ — ثوى بالمكان ثواء أقام ، وأثواه أضافه . يوم العروبة يوم الجمعة ، وهو من أسمائهم القديمة ، وهى تعريب أربا النبطية ، أو عروبتا السوريانية (والألف فيها بمكان ال فى العربية للتعريف) .

(٢٦ ٢٧) العنتريس الناقة الصلبة الضخمة الوثيقة . الحص الورس أو الزعفران ، وهو أصفر . ليط ألصق . أدماء أشرب لونها بياضا أو سوادا . البكرة الناقة الصغيرة التى لم يحمل عليها . الناب الناقة المسنة . الرجل القطعة العظيمة من الجراد ، وهى كذلك الطائفة من الشىء ، على التشبيه بالجراد . الروضة المكان الذى يستنقع فيه الماء فيكثر عشبه ويزكو نبته . المحلال التى يحل بها الناس كثيرا لخصبها وجمالها . معشاب كثيرة العشب .

(٢٨ — ٢٩) إياس هو إياس بن قبيصة الطائى . الفلك السفينة . تبداها بدأها وأنشأها .

(٨٠)

(١ — ٣) الخلى الذى خلا قلبه من الهموم . ارتفق اتكأ على مرفقه . العميد الذى أضناه الحب . أثبتته الجراح وأثبته السقم ، لم يقدر على الحراك . سها إليه يسهو نظر ساكن الطرف ، والسهو السكون . بانت بعدت . غلق الرهن فى يد المرتهن استحقه ، وذلك إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط . وجدبه (كنصر وضرب) أحبه .

(٤ — ٦) الوامق المحب ، فعله ومق (كحسب) . الرهق (بالتحريك) القرب . رهقه دنا منه ، والمراهق الذى قارب الحلم . مغزل أم غزال صغير . خذلت تخلفت عن صواحبها وانفردت . ظبى أغن يخرج صوته من خياشيمه . غض طرفه خفضه وكفه وكسره ، فطرفه غضيض أى مغضوض . خرق الغزال خرقا (بالتحريك) إذا أطيف به فلزق فى الأرض . بارد صفة لموصوف محذوف ، أى ثغر بارد . رتل مستو . عل أى سقى للمرة الأولى . واغتبق أى سقى للمرة الثانية . الكافور نبت طيب الرائحة .

الغضيض الطرف وقد لصق بالأرض . وثغرٍ بارد متَّسق عذب المذاق ، كأنما سُقِى الكافور كأساً بعد كأس. وجيدٍ مستوٍ طويل كأنه جيد الغزالة حين تمده فى هدوء واطمئنان بين أشجار الأراك ، لتتناول من أوراقه وثماره . وردفٍ ضخم رَجْراج ، كأنه كثيب الرمال المُنْهَال ، قد استغنى بضخامته عن أن يشد بالنطاق ، لا يشينه هزال الوركين .

٩ — كأنها درة زهراء أخرجها غواصها من (دَارِين) ، معرضاً نفسه فى سبيلها للغرق والهلاك

ويشرد خيال الأَعشى وراء الدرة والغواص ـ على عادته فى كثير من المواضع ـ فيمضى متصوراً مالقى من عناء ، وما تعرض له من أهوال.

(١٠ — ١١) قد سعى وراءها سنين ، وظل يرومها منذ نبت شاربه ، حتى أدركته الشيخوخة وارتعشت رجلاه، فهو يمشى فى اضطراب ، لا ينثنى عن طلبها ، ولا يدب إلى قلبه اليأس ، وقد تمثل له الأَمل أمام عينيه مجسماً فاحترق طمعاً .

(١٢ — ١٣) وقام من دون اللؤلؤة جن مارد جبار ، يحرسها مبالغاً فى حياطتها ، وقد جعل من دونها درجا . يدور من حولها ، لا تغفل عنها عينه ، خشية أن تمتد إليها يد السارقين والصائدين فى ظلام الليل .

(١٤ — ١٦) احترق الغواص الذى يرصد الدرة حرصاً عليها . ولو أن ضميره يطاوع نفسه لتحدى اليم أو هلك دون بغيته ، فطواه البحر ذو الأَمواج المتراكبة ...

صَيْدٌ بعيد المنال ... من رامه علقته حبال المنية ، وفارقت جسدَه الروح . ومن ناله نال عز الخُلْد الذى لا ينقطع ، فأضحى ناعماً مسروراً راضى الآمال .

ويستيقظ الأَعشى من حلمه الطويل وقد بلغ به نهايته ، فيثوب إلى نفسه ليقول :

١٧ — تلك هى صاحبتك . . كلفتك نفسُك السعى وراءها ، تتعلل بالآمال ، وما تعلقت إلا الهلاك والنار .

٧ — وَجِيدِ أَدْمَاءَ لَمْ تُذْعَرْ فَرَائِصُهَا ... تَرْعَى ٱلْأَرَاكَ تَعَاطَى ٱلْمَرْدَ وَٱلْوَرَقَا

٨ — وَكَفَلٍ كَالنَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ ... لَيْسَتْ مِنَ الزُّلِّ أَوْرَاكًا وَمَا ٱنْتَطَقَا

٩ — كَأَنَّهَا دُرَّةٌ زَهْرَاءُ أَخْرَجَهَا ... غَوَّاصُ دَارِينَ يَخْشَى دُونَهَا ٱلْغَرَقَا

١٠ — قَدْ رَامَهَا حِجَجًا مُذْ طَرَّ شَارِبُهُ ... حَتَّى تَسَعْسَعَ يَرْجُوهَا وَقَدْ خَفَقَا

١١ — لَا النَّفْسُ تُوئِسُهُ مِنْهَا فَيَتْرُكُهَا ... وَقَدْ رَأَى الرَّغْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ فَٱحْتَرَقَا

١٢ — وَمَارِدٌ مِنْ غُوَاةِ ٱلْجِنِّ يَحْرُسُهَا ... ذُو نِيقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دُونَهَا تَرَقَا

١٣ — لَيْسَتْ لَهُ غَفْلَةٌ عَنْهَا يُطِيفُ بِهَا ... يَخْشَى عَلَيْهَا سُرَى السَّارِينَ وَالسَّرَقَا

١٤ — حِرْصًا عَلَيْهَا لَوَ ٱنَّ النَّفْسَ طَاوَعَهَا ... مِنْهُ الضَّمِيرُ لَبَالَى ٱلْيَمَّ أَوْ غَرِقَا

١٥ — فِي حَوْمِ لُجَّةِ آذِيٍّ لَهُ حَدَبٌ ... مَنْ رَامَهَا فَارَقَتْهُ النَّفْسُ فَٱعْتُلِقَا

١٦ — مَنْ نَالَهَا نَالَ خُلْدًا لَا ٱنْقِطَاعَ لَهُ ... وَمَا تَمَنَّى فَأَضْحَى نَاعِمًا أَنِقَا

١٧ — تِلْكَ الَّتِي كَلَّفَتْكَ النَّفْسُ تَأْمُلُهَا ... وَمَا تَعَلَّقْتَ إِلَّا ٱلْحَيْنَ وَٱلْحَرَقَا

(٧ — ٨) أدماء بيضاء أي غزالة بيضاء . الفرائص جمع فريصة ، وهى لحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد في الدابة . الأراك شجر يتخذ من غصونه السواك . تعاطى تتناول ، تعاطى قام على أطراف أصابع الرجلين ثم رفع اليدين إلى الشيء ليتناوله . المرد ثمر الأراك . الكفل (بالتحريك) العجز والمؤخرة . النقا القطعة المحدودبة من الرمل . زل جمع أزل وهو الخفيف الوركين. انتطق لبس النطاق وهو شقة تشدها المرأة على وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الارض ، والضمير فى انتطق يعود على الكفل ، أي أنها لم تلبس عليه النطاق لتضخمه .

(٩ — ١٢) زهراء شقراء بيضاء مشرقة . دارين ثغر فى البحرين . دونها أى فى سبيل الحصول عليها . رامها طلبها . حججا أعواما . طر شاربه نبت وظهر . تسعسع هرم واضطرب وهدج فى مشيه . خفق اضطرب . الرغب (بفتحتين) المرغوب ، سكنت العين لضرورة الشعر . والرغب (بفتح فسكون) مصدر رغب فى الشيء أى أراده . احترق أى شوقا وطمعا وحرصا على الدرة . مرد (كنصر) عتا وتجبر ، والمارد كذلك المرتفع . غواة جمع غاو وهو الضال المنهمك فى الجهل . النيقة اسم من التنوق . تنوق فى الأمر بالغ فيه وجوده . الترق شبيه بالدرج . فيكون المعنى أن هذا المارد من الجن يحرس هذه الدرة مستعدا لذلك بدرج يخفيها فيه .

(١٣ — ١٤) ليست له أى لهذا المارد من الجن . عنها أى عن الدرة . يطيف بها يدور حولها فى حراسته لها . السرى سير الليل . يقصد الذين يصيدون فى الليل . السرق والسرقة واحد ، مصدر سرق . حرصا عليها يمكن أن يكون متعلقا بـ (يطيف) فى البيت السابق . ويمكن أن يكون متعلقا بقوله (احترقا) فى آخر البيت (١١) ، وهو أفضل عندى . لبالى اليم ، هى فى الديوان (ليالى الغيم) ولا معنى لها ، فهى محرفة بغير شك ، ولكنى لم أعثر على رواية أخرى ، ولم أطمئن إلى تقويمها ، فأثبت هنا أقرب الألفاظ إلى اللفظ المحرف ، وقلت لعلها (لبالى اليم أو غرقا) بالاه فاخره وناقضه ، وقد يكون المقصود بها هنا تحداه . واليم البحر .

(١٥ — ١٧) الآذى موج البحر . الحدب الموج وتراكب الماء فى جريه . حومة الماء معظمه . رامها طلبها . اعتلق (على البناء للمجهول) أى علقته المنية فمات . نالها أى الدرة . أنقا مسرورا ، أنق أنقا كفرح وزنا ومعنى . كلفه أمره بما يشق عليه ، والفاعل نفسه ، كلفته هذه الدرة يسعى وراء الحصول عليها ، وهو يعنى بالدرة صاحبته التى أشار إليها فى أول القصيدة . الحين الهلاك . الحرق النار .

يعتذر الأعشى بهذه الأبيات إلى علقمة بن علاثة ، بعد أن هجاه فى المنافرة التى كانت بينه وبين ابن عمه عامر بن الطفيل . وقد تقدمت القصة فى القصيدة (١٨) .

ويروى الرواة فى قصة هذه الأبيات أن علقمة نذر دم الأعشى منذ ذلك الحين . وبينما الأعشى فى بعض رحلاته ، إذ أخطأ به دليله فألقاه فى ديار بنى عامر بن صعصعة . فأخذه رهط علقمة ، فاعتذر إليه الأعشى بهذه الأبيات ، فعفى عنه .

يقول الأعشى :

١ — صيَّرَتنى الأمور إليك ياعَلْقم ، فليس لى عنك محيص .

٢ — ورثتَ المجد أباً عن جد ، فكساك (عُلَاثَة) أثوابه ، وورّثك (الأحوصُ) مجدَه .

٣ — يتضاءل أمام خلكم الكريم كلُّ خُلْق .

٤ — وينبش الناس عيوب كل سيد ، إلا سيدكم ، فقد خلا من العيوب .

٥ — وكيف تُنكَرُ الشمسُ المضيئة ، أو القمرُ الباهر ؟

٦ — فهب لى ذنوبى ـ فدتك النفوس ـ ولا زلت تَرْقَى فى العُلَى غيرَ منقوص .

وقال معتذراً إلى عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَة :

١ ـ أَعَلْقَمُ قَدْ صَيَّرَتْنِي ٱلْأُمُورْ إِلَيْكَ وَمَا كَانَ لِي مَنْكَصُ (متقارب)

٢ ـ كَسَاكُمْ عُـلَاثَةُ أَثْوَابَهُ وَوَرَّثَكُمْ مَجْدَهُ ٱلْأَحْوَصُ

٣ ـ وَكُلُّ أُنَاسٍ وَإِنْ أَفْحَلُوا إِذَا عَايَنُوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا

٤ ـ وَإِنْ فَحَصَ النَّاسُ عَنْ سَيِّدٍ فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لَا يُفْحَصُ

٥ ـ فَهَلْ تُنْكِرُ الشَّمْسُ فِي ضَوْئِهَا أَوِ ٱلْقَمَرُ ٱلْبَاهِرُ ٱلْمُبْرِصُ

٦ ـ فَهَبْ لِي ذُنُوبِي فَدَتْكَ النُّفُوسْ وَلَا زِلْتَ تَنْمِي وَلَا تَنْقُصُ

(١ — ٣) منكص مصدر ميمى من نكص عن الأمر أى تراجع وأحجم . علاثة أبو علقمة . الأحوص جده ، فهو علقمة بن علاثة بن عوف ابن الأحوص . أفحلوا صار لهم فحل ، وهو الذكر من كل حيوان ، وقد يطلق على الضخم الكريم . بصبص البعير حرك ذنبه . والبصبصة التملق .

(٤ — ٦) فحص عنه فتش عن عيوبه . بهر القمر (كفتح) أضاء حتى غلب ضوؤه على الكواكب . البرص داء يصيب الجلد منه بقع بيضاء ، وسموا القمر أبرص على التشبيه بمن يصيبه البرص . تنمى أي تزيد .

اختلف الرواة فى نسبة هذه القصيدة ، فروى الجاحظ بعض أبياتها فى الحيوان منسوبة لعبيد بن الابرص ، وروى بعض أبياتها فى موضع آخر لمضر بن زرارة بن لقيط . ونسب البغدادى بعض أبياتها فى الخزانة لمضرس بن ربيعة الأسدى . ونسب المفضل الضبى أبياتا منها لعوف بن الأحوص فى المفضليات . ومثل هذا الخلاف فى الشعر الجاهلى كثير . وهو يرجع فى بعض الاحيان إلى خلط الرواة . ويرجع فى أحيان أخرى إلى أخذ الشعراء بعضهم من بعض . ومحاولة تحقيق هذا الخلاف لترجيح نسبة الشعر إلى شاعر دون آخر أمر صعب غير ميسور .
والقصيدة في معظمها فخر . وهى من جيد الشعر ورائعه .

يتحدث الشاعر عن صاحبته (مَىّ) فيقول :

١ — حَىِّ (مَىّ) وقد نهضت للرحلة مبكرة . وعَرِّضْ لها بالقول (أما آن لأسيرها أن يُخَلَّى سبيلُه ؟)

ثم يوجه إليها خطابه قائلا :

٢ — لاتخدعيني يامَىّ ، ولا تمنّيني بالباطل . وتدلى إلىّ بحبل واه ضعيف ، فشر حبال الواصلين الضعيف الغَرُور .

ويمتلىء الشاعر زهواً بنفسه وفخراً بقبيلته ، وكأنه يريد أن يظهرها على مبلغ شرفهم لترى أنه خليق بوصلها ، فيقول:

(٣ —٥) إن شئت أن تعرفى حقيقة قومى فسلى عن العز والإحسان أين يصيران · فستعلمين حينذاك أن فيهم من ينهض بالأعباء ، ومن يدفع الهم حين تَغَصُّ به الصدور ، ومن يشب الحرب الطويلة المريرة ويمسح ضرعها المدرار ، ومن ينهض بديات القتلى كبيرها والصغير .

(٦ —٧) لا تصرمينى ، واسألى عن صنيعى حين يشتد الجدب ، وحين يحرص القوم على المَرَق فى القدر فيردُّون عنها المستعير ، وحين يجتمعون من حولها يرقبون نضجها ، وقد قامت فتاة الحى الكريمة تمدها بالحطب والوقود .

(٨ —١٠) إذا احمرت آفاق السماء ، وهبت رياح الشتاء الباردة عاصفةً هوجاء ، واشتد ظلام الليل فى مستهل الشهور ، ضمِنَتْ قِدْرى للسائل المقرورِ الدِفْءَ والطعام ، يغدو إليها ويروح كأنها أمه الرَّءوم ، وقد برزت للعفاة ، لا تُجعَل من دونها الستور ، ولاحت نارها حين تخمد النيران .

(١١—١٣) إذا عادت النوق من مراعيها آخرَ النهار ، ثم لم تدفع ألبانُها عن لحومها أن تكون طعاماً للضيفان ذاقت السِّنان ، وخُلِّىَ بينها وبين السيف حين يجول فيها ، ثم لم يلبث الذى نُذِر للذبح بعد إنذاره إلا قليلا .

وقال :

١ ـــ أَلَا حَيِّ مَيًّا إِذْ أَجَدَّ بُكُورُهَا	وَعَرِّضْ بِقَوْلٍ هل يُفَادَى أَسِيرُهَا	(طويل)
٢ ـــ فَيَامَيُّ لَا تُدْلِي بِحَبْلٍ يَغُرُّنِي	وَشَرُّ حِبَالِ ٱلْوَاصِلِينَ غُرُورُهَا	
٣ ـــ فَإِنْ شِئْتِ أَنْ تَهْدِي لِقَوْمِي فَاسْأَلِي	عَنِ الْعِزِّ وَالْإِحْسَانِ أَيْنَ مَصِيرُهَا	
٤ ـــ تَرَىْ حَامِلَ ٱلْأَثْقَالِ وَالدَّافِعَ الشَّجَا	إِذَا غُصَّةٌ ضَاقَتْ بِأَمْرٍ صُدُورُهَا	
٥ ـــ بِهِمْ تُمْتَرَى ٱلْحَرْبُ ٱلْعَوَانُ وَمِنْهُمُ	تُؤَدَّى ٱلْفُرُوضُ حُلْوُهَا وَمَرِيرُهَا	
٦ ـــ فَلَا تَصْرِمِينِي وَٱسْأَلِي مَا خَلِيقَتِي	إِذَا رَدَّ عَافِي ٱلْقِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا	
٧ ـــ وَكَانُوا قُعُودًا حَوْلَهَا يَرْقُبُونَهَا	وَكَانَتْ فَتَاةُ ٱلْحَيِّ مِمَّنْ يُنِيرُهَا	
٨ ـــ إِذَا ٱحْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَأَعْصَفَتْ	رِيَاحُ الشِّتَاءِ وَٱسْتَهَلَّتْ شُهُورُهَا	
٩ ـــ تَرَى أَنَّ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا	لِذِي ٱلْفَرْوَةِ ٱلْمَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُهَا	
١٠ ـــ مُبَرَّزَةٌ لَا يُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَهَا	إِذَا أُخْمِدَ النِّيرَانُ لَاحَ بَشِيرُهَا	
١١ ـــ إِذَا الشَّوْلُ رَاحَتْ ثُمَّ لَمْ تَفْدِ لَحْمَهَا	بِأَلْبَانِهَا ذَاقَ السِّنَانَ عَقِيرُهَا	
١٢ ـــ يُخَلِّي سَبِيلُ السَّيْفِ إِنْ جَالَ دُونَهَا	وَإِنْ أُنْذِرَتْ لَمْ يَغْنَ شَيْئًا نَذِيرُهَا	
١٣ ـــ كَأَنَّ مُجَاجَ ٱلْعِرْقِ فِي مُسْتَدَارِهَا	حَوَاشِي بُرُودٍ بَيْنَ أَيْدٍ تَطِيرُهَا	

(١ ـــ ٣) أجد فى الامر وجد أخذ فيه . بكورها ارتحالها فى البكرة أى فى أول النهار . عرض بالقول لمح وأشار ولم يصرح . يغرنى يخدعنى . حبل غرور ضعيف لا يوثق به .

(٤ ـــ ٦) الشجا الحزن والهم . غص بالطعام (كعلم) اعترض فى حلقه فمنعه من التنفس ، والغصة ما يغص به من طعام ، ويقصد به هنا الغيظ والهم . امترى الناقة مسح ضرعها لتدر . يمترون الحرب أى يشبونها ويلهبونها . العوان التي توتل فيها مرة بعد مرة على التشبيه بالناقة التى ولدت بعد ولادتها الأولى ، فهى غير بكر . الفرض العطية التى يوجبها الرجل على نفسه غير ناظر لثواب ، وقد يقصد به هنا الديات . عافى القدر ما يتبقى فيها من مرق ، يطلب المستعير القدر فيرده صاحبها لأن فيها بقية من مرق ، وذلك لشدة الجدب ، ولحرص صاحبها على هذه البقية .

(٧ ـــ ٩) ينيرها يوقدها . فتاة الحى أي الشريفة . آفاق السماء جوانبها . أحمر أي أغبر وذلك فى القحط . والعرب تسمى السنة الشديدة حمراء . استهل الشهر ظهر هلاله ، والليل فى أول الشهر مظلم . الفروة الكيس الذى يجمع فيه السائل ما يتصدق عليه الناس به . المقرور البردان . يقول إن هذا السائل قد اعتاد زيارة هذه القدر . كأنها أمه التى ترأمه وترضعه .

(١٠ ـــ ١٢) مبرزة ظاهرة أمام الدار بحيث يراها كل الناس فيقصدونها . بشيرها ضوؤها الذى يهتدى به الناس ، فكأنه يبشرهم بالطعام والدفء وحسن الضيافة . الشول الابل التى جفت ألبانها . راحت عادت من المرعى آخر النهار . عقير فعيل بمعنى مفعول أى المعقور المذبوح . يقول إن هذه الابل إذا عادت من المرعى فلم تدر للضيف لبنا أطعمه لحمها . جال دونها مضى فيها ذبحا . غنى بالمكان (كعلم) أقام . النذير المنذور كقتيل بمعنى مقتول . وقد نذرها للذبح ولاطعام الضيف .

(١٣) مجاج العرق الدم الذى يمجه العرق أى يرميه ويقذف به . مستدارها حيث تدور يقصد أعطانها ، وقد تكون (مسترادها) أى حيث ترود وترعى . الحواشى جمع حاشية وهو جانب الثوب ، والبرد ثوب مخطط . يقصد الهداب الذى يكون فى أطراف النسيج . يشبه الدم المتدفق منها حين يندفع بهذا الهداب حين يتطاير ويخفق بين يدى رجل قد رفعه فى مهب الريح .

ويندفع الدم منها وقد تفرقت فى الفناء كأنه هُدَّاب برود حمراء، يخفق متطايراً وقد رُفِع فى مهب الرياح .

(١٤—١٧) إننا لانضيق با لأضياف ساخطين إن نزلوا بنا ، ولا يقوم فينا من ينتصر للناقة الضخمة حين تقاد للذبح. وإنى لأتغاضى عن حقد ذى القربى ، لا أستثيره وقد بدت آياته . وقور حين يعجب السَّفَهُ أصحابَه، فالوقار من خير ما يتحلى به الرجال .ولقد يئس أعدائى أن يستخفنى وثبُ الأسود وزئيرُها .

(١٨ — ٢٠) وكم من يوم شديد الحر، تستكنُّ فيه الظباء تحت ظلال الأشجار ، كأنها الكواعب قد أُسدِلت من دونها الستور ، وقد تدلت الشمس من سمائها، تلهب أحجار الصحراء السود فتشعُّ الهمود والجمود ، قد عصبتُ له رأسى، أكلف الرحلةَ ناقةً صلبة ضامرة ، لا يسرع إليها الضعف ولا ينتابها الفتور .

(٢١ — ٢٢) ولقد أقطع القفر الموحش لا ألقى فيه إلا المـاء الراكد ، والقطا الرمادى النحور ذا الأطواق ، وقد سفت الرياحُ الترابَ والرمالَ على مناهله ، فكأن مياهه الآسنةَ لَبَنٌ حامض مَذِيق .

(٢٣ — ٢٥) وكم من ليلٍ مظلم مدلهم يستوى فيه الاعمى والبصير ، كأنى فيه تحت قبةٍ نُسِج أعلاها من الشَّعر الأَسود الخشن ، وتدلت جوانبها من الطيلسان الأَخضر ، تجاوزته حتى انقشع ظلامه ، ولاح ضوء الشمس المنير .

١٤ — وَلَا نَلْعَنُ ٱلْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا	وَلَا يَمْنَعُ ٱلْكَوْمَاءَ مِنَّا نَصِيرُهَا
١٥ — وَإِنِّي لَتَرَّاكُ الضَّغِينَةِ قَدْ أَرَى	قَذَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلَى فَلَا أَسْتَثِيرُهَا
١٦ — وَقُورٌ إِذَا مَا الْجَهْلُ أَعْجَبَ أَهْلَهُ	وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ وُقُورُهَا
١٧ — وَقَدْ يَئِسَ ٱلْأَعْدَاءُ أَنْ يَسْتَفِزَّنِي	قِيَامُ ٱلْأُسُودِ وَثْبُهَا وَزَئِيرُهَا
١٨ — وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى كَأَنَّ ظِبَاءَهُ	كَوَاعِبُ مَقْصُورٌ عَلَيْهَا سُتُورُهَا
١٩ — عَصَبْتُ لَهُ رَأْسِي وَكَلَّفْتُ قَطْعَهُ	هُنَالِكَ حُرْجُوجًا بَطِيئًا فُتُورُهَا
٢٠ — تَدَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حَتَّى كَأَنَّهَا	مِنَ ٱلْحَرِّ تَرْمِي بِالسَّكِينَةِ قُورُهَا
٢١ — وَمَاءٍ صَرٍ لَمْ أَلْقَ إِلَّا ٱلْقَطَا بِهِ	وَمَشْهُورَةَ ٱلْأَطْوَاقِ وُرْقًا نُحُورُهَا
٢٢ — كَأَنَّ عَصِيرَ الضَّيْحِ فِي سَدَيَانِهِ	دَفُونًا وَأَسْدَامًا طَوِيلًا دُثُورُهَا
٢٣ — وَلَيْلٍ يَقُولُ ٱلْقَوْمُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ	سَوَاءٌ بَصِيرَاتُ ٱلْعُيُونِ وَعُورُهَا
٢٤ — كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بُيُوتًا حَصِينَةً	مُسُوحٌ أَعَالِيهَا وَسَاجٌ كُسُورُهَا
٢٥ — تَجَاوَزْتُهُ حَتَّى مَضَى مُدْلَهِمُّهُ	وَلَاحَ مِنَ الشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُورُهَا

(١٤ — ١٥) الكوماء الناقة الضخمة . القذى القذر . المولى الصديق والقريب .

(١٦ — ١٨) وقور رزين . الوقور الرزانة ، مصدر وقر . يستفزني يثيرني ويستخفني . الشعرى كوكب يطلع في الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر . الكواعب جمع كاعب وهي التي كعب ثديها أي نهد وبرز . يشبه هذه الظباء وقد استكنت من شدة الحر بأوانس قد قصرن (أي حبسن) خلف الستور .

(١٩ — ٢١) السكينة السكون والجمود . القور جمع قارة وهي الصخرة السوداء أو الأرض ذات الحجارة السود ، والحر فيها شديد . عصب له رأسه كناية عن التهيؤ له . حرجوج ناقة ضامرة . صرى الماء (كعلم) طال مكثه فتغير طعمه . القطا جمع قطاة وهو طائر يقرب من الحمام . مشهورة ظاهرة الأطواق جمع طوق وهو دائرة بيضاء تطوق رقبة الحمام . ورق جمع أورق وهو الأبيض المشوب بسواد في مثل لون الرماد .

(٢٢ — ٢٣) الضيح اللبن الرقيق الممزوج . السادي من الابل المهمل المسيب ، وسديت الليلة كثر نداها . دفون أي منهل مدفون مطموس . مياه سدم وأسدام متغيرة من طول المكث والركود . طال دثورها أي انطماسها لاهمالها وقلة ورودها . ويغلب على ظني أن الشطر الأول من البيت محرف ، ولكني لم أهتد إلى تقويمه . ولعل التشبيه مقلوب ، والمقصود تشبيه المياه الراكدة في هذه المناهل المطموسة باللبن الممزوج بالماء وقد أهمل فتغير طعمه ورائحته .

(٢٤ — ٢٥) البيت يطلق على المسكن ، وقد يكون بناء وقد يكون من شعر . وهو هنا يقصد الثاني . مسوح جمع مسح (بكسر فسكون) وهو الثوب الخشن المنسوج من الشعر . الساج الطيلسان الأسود أو الأخضر . الكسر جانب البيت وجمعها كسور وهو ما تدلى من جوانب الخيمة لأنه يثني ويكسر عند الرفع . يشبه الليل وقد أحاط به من كل جانب بقبة ضخمة قد ضربت عليه . نسج أعلاها من الشعر الأسود الخشن وأسفلها من الطيلسان الأسود أو الأخضر . تجاوزته ، الضمير يعود على الليل ادلهم الليل اشتد ظلامه .

فهارس الديوان

ملاحظة : الأرقام التى فى هذه الفهارس تشير إلى رقم القصيدة ثم إلى رقم البيت . فمثلا : ١٤/٤ تعنى : البيت ١٤ من القصيدة ٤ . و ٤/١٧ ـ ٨ تعنى : الأبيات ٤ ـ ٨ من القصيدة ١٧ .

فهرس القوافى

(١)

صدر القصيدة	رقمها	بحرها	عدد أبياتها
نام الخلي وبت الليل مرتفقا ... أرقا	٨٠	بسيط	١٧
... يوم قفت حمولهم فتولوا ... فشاقوا	٣٢	خفيف	٥٣
(ك)			
أتشفيك تيا أم تركت بدائكا ... كذالكا	١١	طويل	٣٢
أيا سيدى نجران لا أوصينكما . واعتراكما	٤٢	»	٤
(ل)			
لميثاء دار قد تعفت طلولها ... فسيلها	٢٣	طويل	٢٨
أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد .. وائل	٢٦	»	١٤
يلمن الفتى إن زلت النعل زلة .. خواذل	٤٧	»	٤
فيا أخوينا من عباد ومالك .... لها	٦٠	»	٩
صحا القلب من ذكرى قتيلة بعدما .. المكبل	٧٧	»	٣٢
أتصرم ريا أم تديم وصالها ... جمالها	٧٢	»	١١
ودع هريرة إن الركب مرتحل .. الرجل	٦	بسيط	٦٦
رحلت سمية غدوة أجمالها ... بدالها	٣	كامل	٥٤
قالت سمية من مدحت ... ... وائل	٧٠	» (مجزوء)	١٩
قالت سمية إذ رأت ... ... الجبال	٧١	» »	٤
هل أنت يا مصلات ... ... فراحل	٧٦	» »	٢١
ألا قل لتياك مابالها ... ... أجمالها	٢١	متقارب	٤٧
مابكاء الكبير بالأطلال ... سؤالى	١	خفيف	٧٥
إن محلا وإن مرتحلا ... ... مهلا	٣٥	منسرح	٢٤
أقصر فكل طالب سيمل ... عول	٥٢	سريع	٤٣
(م)			
هريرة ودعها وإن لام لائم ... وادم	٩	طويل	٣٤
ألا قل لتيا قبل مرتها اسلمى .. متيم	١٥	»	٦٢
ألم خيال من قتيلة بعدما ... فتصرما	٥٥	»	٤١
بنى عمنا لا تبعثوا الحرب بيننا .. السلم	٥٨	»	٤
عرفت اليوم من تيا مقاما ... خياما	٢٩	وافر	٣٧
يظن الناس بالملكين ... ... التأما	٥٦	» (مجزوء)	٢٨
أتهجر غانية أم تلم ... ... منجذم	٤	متقارب	٧٢
يالقيس لما لقينا العاما ...... علاما	٣٨	خفيف	٢٦
(ن)			
لعمرك ما طول هذا الزمن .. معن	٢	متقارب	٨٣
ألا من مبلغ عنى حريثاً ... ازدرانا	٢٧	وافر	١٩
خالط القلب هموم وحزن ... اطمأن	٧٨	رمل	٢٧
(ى)			
ذريني لك الويلات آتى الغوانيا الـوانيا	٦٦	طويل	١٨

فهرس الفنون الشعرية والمواضيع

غزل

خمر ومجون

فخر وحماسة

قصص وتاريخ

حكمة

وصف

(ا) الصحراء :

(ب) الناقة :

(ج) متفرقات :

الأسد — ثور الوحش — حمار الوحش — الخيل — الظبي — النعامة : راجع في كل واحد منها فهرس المعاني والصور .

فهرس الأعلام

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ه)

(و)

(ى)

فهرس القبائل والأمم

فهرس الأماكن

فهرس الأيام

فهرس المعانى والصور

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

الشعر :
تشبيهه بالناقة الغريبة ٣/١٠ بذباح الكلب ١٤/٣٠ بالمقراض ١٤/٣١ سيرورته ١٨/٣٨ ، ٣٣/٤٢-٤٣ ، ٧٣/٥ مواسم الشعر ١٥/٤٢

شعر المرأة :
لينه ١/١٣ ، ٧٩/٧ غزارته ٦/٢ ، ٣٢/٨ سواده ٩/٣ ، ١١/٤ ، ٢٠/١٢ ، ٦٥/٩ طيب رائحته ٧٩/٧ تشبيهه بالحبال ٥٢/١٣ بالخميصة (كساء مخطط) ١٩/٢

الشهامة :
مدح الرجل بحماية اللاجىء والمستغيث ٢/٥٣-٥٤ ، ١٢/٣٥ ، ٢٩/٣٠ ، ٣٠/٢٤ ، ٥٥/٤١

الشيب :
تشبيهه بالخمار ٥/٨ بالجمل الثقيل ٥/٩ الشيب بسبب الهموم ٩/٢٦ كره النساء له ١٠/٣ - ٤ ، ١٣/٢ ، ٢٠/٢٠ ، ٢٩/٥ - ٩ ، ٣٤/٣ ، ٦٣/٩ ، ٧٩/٢

الشيخوخة :
تشبيه حنين الشيخ لوطنه بحنين الجمل العجوز ٢/٦٠ تشبيهها بالقيد ١٢/٣٨ حنين الشيخ للنساء ٣٩/٢

(ص)

الصائد :
تشبيهه بالذئب ١٥/١٩ ، ٥٢/٣٨ تشبيه كلابه بالنشاب ٧٩/١٩ تشبيه وكره بالفسيل المكمم (صغار النخل) ١٥/١٦ أغبر نحيل مظلم الوجه ٥٢/٣٦ - ٣٧ ذو صبية جياع ينتظرون صيده ٧٩/١٧

الصحراء :
تشبيهها بالبرد ٢/٢٣ و ٢٧ بظهر الترس ٦/٣١ ، ٣٢/١٩ ، ٦٨/٥ تشبيه نباتها بالبرود الزاهية الألوان ٣/٤ أعلامها بالرجال ٨/٢٥ رمالها بالجزر ٣٩/٤٠ ظلامها بالقبة السوداء ٨٢/٢٤ مياهها الراكدة باللبن الخاثر ٨٢/٢١-٢٢ الريش فوق مناهلها المدفونة بنصال السهام ١/٩ تحرس المسافرين ١/٦ تخدع المسافرين وتغتالهم ١/٢٢ مياهها راكدة متغيرة ١/٩ ، ٤/١٥ ، ٣٣/٤٧ ، ٨٢/٢١-٢٢ مناهلها دائرة مدفونة ٢/٢٣ و ٣١ ، ٨/٢٢ مسالكها مطموسة ٣/١٢ ، ٢١/١٣ يهماء (عمياء) ٣/١٢ ، ٨/٤٠ ، ١١/٥ قلة الماء فيها ١/٧ ، ١/٢٣-٢٤ ، ١١/٦ - ٧ وحشتها واتساعها ٣/١٢ ، ٣٣/٢٥ تعزف فيها الجن ٤/١٥ ، ٦/٣١ صوت البوم ٨/٤٠ ، ١٣/٢٣ صرير الجندب ١٢/٣١ الدليل ٨/٢٦ خوف المسافر من الضلال ٣/١١ ، ١١/٨ ، ٧٠/٣٠ ، ١٣/٢٢ ، ٢١/١٣ و ٢٣ ، ٣٤/٢٣ ، ٥٥/١٣ بروز عينه من شدة الهول ١١/٥ يترك فيها النعام بيضه ١١/٥ لا تأكل الناقة فيها إلا ما تجتر ٣٢/١٩ ، ٦٣/٢٥ إدمان الرحلة فى الليل والنهار ١/٨ ، ٨/٤١ طول الليل على المسافر ١١/٩ اشتداد ظلمته (سواء فيه الأعمى والبصير) ٨٢/٢٣ الاهتداء بالنجوم ١٧/٩ ركود الشمس فوقها ٣٩/٣٩ تشم صخورها السوداء الهمود والجمود ٨٢/١٩ راجع كذلك (السراب) و (الرحلة)

الصلاة : صلاة الرهبان ٥/٦٣ فى العشيات والضحى ١٧/٢١

الصلع : تشبيه رأس الأصلع بالمخاط ٤٤/٦ كره النساء له ١٣/٢

الصليب : تصويره فى الهيكل ٥/٦٢

(ض)

الضعيف : تشبيهه بالكمأة (نبت ضعيف لاصق بالأرض) ١٩/٦ بالأرجل والأحشاء وتشبيه القوى بالصدر والمناكب ٥٩/٥

(ط)

الطعنة :
تحبس الخيل وتصدها عن الاندفاع ٢/٧٥ يفور فيها الزيت والفتل ٦/٦١ يغشى رشاشها الفراش ٩/٣١ يندفع منها الدم على الحيزوم ١٠/٢٩ تضرب منها النساء النحور ١٢/٥٤ الطعن فى الكلى ٥٣/١٥ إيقاد النار للمطعون ٩/٣١

الطلاق : خير من العشرة النكدة ٤١/١ - ٢

الطيف : طيف الحبيبة ١٦/٩ - ١٠ ، ٥٥/١

(ظ)

الظبية :
متخلفة عن القطيع ٣٢/١٠ بين شجر الأراك ١/١٢ ، ٣٢/١١-١٢ ، ٥٢/١٠ ، ٧٩/٤ ، ٨٠/٧ تراعى طفلها الضعيف ٣٢/١٣ ، ٥٢/٨ - ١١ ، ٨٠/٥ حزنها على طفلها الذى افترسته السباع ٣٢/١٨ ، ٧٢/٣ ترتع فى واد جاده مطر الخريف ٥٢/٦ ظبي صغير باغم ضميف المنكبين ٥٢/٦ - ٧ ، ٧٨/٣ قرونها ٣٢/١١ تشبيهها بين الأشجار فى اليوم الشديد الحر بالنساء خلف الستور ٨٢/١٨

الظلم :
مدح الرجل بإبائه ١/٥٥ ، ١٤/٣٨ ، ٣٢/٥٢ ، ٥٦/١٥ - ١٦ ذمه ٥٦/٧ توالى الظلم يستفز المظلوم ١٤/١٦ تشبيه المظلوم بالثور الذى يضرب حين تعاف البقر الماء ١٤/٢٥ - ٢٧

(ع)

العاشق : راجع (المحب)

العدو (بضم الدال) : راجع (الخصم)

العدو (بسكون الدال) : تشبيهه بالحريق ١٣/١٥ بغليان القمقم ٢٣/١٥ الافتنان فيه ١٤/١٥

العشا : ١١/٦ ، ٨/٧ ـ ٩

العطاء :

هبات الملوك : الابل ٤٦/١ ، ٣/٣ ، ٢٥ ، ٤/٤٠ ، ٥/٥٨ ـ ٥٩ ، ٣٧/٥٥ ، ٢٦/٧٩ ـ ٢٧ الجياد ٤٨/١ ، ٢/٤٠ ، ٣/٢٦ ، ٤١/٤٤ ، ٥/٦٠ ، ٣٨/٥٥ ، ١٤/٦٨ ، ٢٥/٧٨ الجوارى والقيان ٤٧/١ ، ٥٢/٢ ، ٩/٧ ، ٥٥/٤٠ ، ١٠/٧٠ ـ ١١ أكاليل الياقوت والديباج ٤٨/١٣ ـ ٤٩ آنية الفضة ٤٩/١ مائة ناقة ٢٥/٣ ، ٤/٤٠ ، ٥٩/٥ ، ٤/٧٦ ثمانون ناقة عشارا ٢٦/٧٨ قائد ٨/٧ غلام ٢٧/٧٨ استجداء الممدوح ٧٦/٢ ـ ٨٣ ، ١١/١٤ و ١٩ العفاة ، تشبيه طوافهم ببيت الممدوح بطوف النصارى ببيت الوثن ٥١/٢

العمى : قائده — عكازته — تهيبه الطريق ٢٤/١٢ ـ ٢٩

العهد :

تشبيه بالحبل ١٨/٣ تشبيه الرجل بالأسد فى الدفاع عما أعطى من عهد ٢٥/٤ المحافظة على العهد ٤٣/١ ، ٥/٥٤ المسافر يأخذ العهود من القبائل التى يمر بها ١٨/٣ ، ٢٠/٤ ، ٥٠/٣٣

العين :

تشبيه عين الحبيبة بعين الظبي ٣/٩ ، ١٣/٧٧ ، ٥/٨٠ بعين بقر الوحش ٥/٧٩ نظرتها الفاترة بنظرة الظباء بين النخيل ٣/٦٣ حورها ١٢/٥٤ ، ٨/٦٥ فتورها ٦/١٢ ، ١٤/٧٧ قاتلة ٣/١٦ حسن الحاجب ١٤/٧٧

(غ)

الغارة :

الغارة الطويلة تركب فيها الابل وتجنب الخيل ٢٠/١٩ تآكل حوافر الخيل لطول الطريق ٥٨/٢ الخيل تتادر صنارها فى الطريق ٤٠/٣ الغارة فى الصباح ٢٦/٤ ، ٩/٧٣ الغارة فى الصيف ٥١/١٢

الغريب : اضطهاده وإيذاؤه ٩/١٤ ـ ١٣ و ١٩ ـ ٢١

الغزال : راجع (الظبي)

الغناء : راجع الخمر : (مجلسها)

الغنائم :

تغني الفقير ٧٣/١ ـ ٧٤ ، ٣/٣٣ ، ٤٠ من الابل ٨/١ ٥١ ـ ٥٢ ، ٢١/٤٢ الفخر بالزهد فى الغنائم ٥٤/٤١ المقاتلون يسمون لحيازتها ٦٢/١٠

الغواص :

مقامرته فى سبيل استخراج الدر ٩/٨٠ ـ ١١ مارد من الجن يحرس الدر فى أعماق البحر ١٢/٨٠ ـ ١٣

الغيبة : تشبيهها بنحت الأثلة (شجرة) ٤٦/٦

(ف)

الفارس : لصوقه بالسرج مكبا على وجهه خشية السقوط ٥٩/٢ بصره بمواضع الطعن ٧٥/٢ ، ٦٠/٦ يحارب غير مستتر بالدروع ٥٣/٣ يصيح صيحة الفرح حين يصيب الهدف ٢٨/١٦ يلبس الدرع والمغفر ٥٠/٢٠ البيضة فوق رأسه ٤٠/٤

الفتى : يمتع نفسه من اللذات ٣٨/٦ ، ١٢/٥٥ تشبيهه بالسيف ٣٨/٦ ، ١٢/٧ لو نادى الشمس أو القمر لأجابا ١١/٧

الفخر :

بمن قهروا من القبائل ٥٣/٦ ـ ٥٦ ، ٩/٩ ـ ١١ ، ١٥/١٥ ، ٥٤ ـ ٥٧ باذلال الخصم ٨/١٠ ، ٣٣/١٥ ـ ٣٤ ، ١٠/١٩ بمآثر الأجداد ٢٠/١٠ بسادة القبيلة وأشرافها ٢٤/١٠ ـ ٣٤ ببذل المال للأهل والأقرباء ٢٥/١٠ ـ ٢٧ بصحبة الملوك ١٣/٦٣ بقبول الملوك لشفاعتهم ٣٠/١٠ ـ ٣٣ ، ٦٧/١٣ ، ٣٩/٦٥ بثبات القبيلة فى المكان المجدب المخيف ٣٧/١٠ ، ٣٦/١٦ ـ ٣٩ ، ٢/٢٧ بكثرة العدد ٣٧/١٥ ، ٢٧/١٨ و ٤٨ ، ٧/١٩ ، ٣٥/٢٠ و ٦٩ بكثرة الأولاد ١٢/٢٥ بالثروة ٢٨/١٨ ، ١٢/٢٥ بالاسراع لنجدة المستغيث ٤٠/١٦ ـ ٤٢ بفك أغلال الأسرى ٣٧/٦٥ ـ ٣٩ بالسبق إلي ورود الماء ٦٢/٢٠ بوفرة الطعام ومادة الحياة ٢٤/٢٣ ـ ٢٦ بالصبر على مكاره الحروب ١٣/٢٧ بسكنى البادية وحياة الأعراب ٣٥/٣٤ بامتاع النفس من اللذات (المرأة) و (الخمر) . بالمنعة وحماية الحى ١٠/٧٣ بحمل الديات والمغارم ٢٣/٣٠ ، ٢٩/٧٧ بالتغاضى عن المولى والصديق ١٥/٨٢ بكثرة الترحال ٥٦/٤ ـ ٥٩ ، ٥/١٧ ـ ٦ ، ٢٦/٧٧

الفراق :

وداع الحبيبة ١/٦ ، ١/٩ رحيلها ١/٣ ، ١/٥ ـ ٢ ، ٤/١٣ ، ١/٢١ ، ٢/٣٠ ـ ٧ ، ١/٣٢ ـ ٥ حزنها للفراق ٤/٧٢ تشبيه أثر فراقها فى قلب المحب بصدع الزجاجة ٨/٤ ، ٢/١٢ ـ ٣ ، ٤/٣٩ ، ٩/٦٤ ـ ١٠

الفرس : راجع (الخيل)

الفقير : مدح الرجل باعانته ٣٥/١٢

(ق)

القبيلة :

مدح الرجل بالوفاء لها والبر بها وإنجادها ٢٩/٣ و ٣٤ ـ ٣٦ ، ٣٤/٤ ، ٤٦/٢١ ، ٩/٦٩ و ١٠ ـ ١١ رفق الشاعر فى عتاب قومه ومناقشتهم ٧/٢٣ ـ ٨ و ١٤ ـ ١٥ انقسام القبيلة وتغضب بعضها ضد البعض الآخر ٩/٢٣ ـ ١٢ الحث على إلانة الجانب للأهل ١٣/٦٦ الرجل يلقى قيادة إلى قبيلته ٣/٦٩ تشبيه الذى يحارب الأهل بالذى يكسر رمحه فى صدره ٤/٥٨

المشاركة فيما ينوب القبيلة من مغارم (الدية)

القدر :(بسكون الدال) :

سوداء من أثر النار ٥٩/٣٣ لا يكثر طبيخها بمزجه بالماء ٥٩/٣٣
شبيهها بالأم الرؤوم ٩/٨٢ راجع كذلك (الجفنة)

القحط : راجع (الجدب)

القسم :

بالكعبة وبربها ٦٢/٦ ، ١٥/٣٠ ـ ٣٢ و ٤٤ ، ١٧/٢٨ .براهب اللج ٤٤/١٥ بناقوس النصارى ١٦/٢٣ .برب الساجدين في العشي ١٦/٢٣ بمن جعل الأهلة مواقيت ٣٢/٣ بالنجوم ١٨/٢٧ بمن قتل من العدو ٢٤/٢٩ أقسم ٢٣/٩ آليت ٣٧/١٨ يشهد الله على صدق مايقول ٣٥/٢٨

القصر :

ارتفاعه ١٨/١٦ ، ٢٥/١٩ ملاسة جدرانه وشرفاته ٥٨/١٨ مناعته ، يحرسه الجند ٥٩/١٨ ـ ٦٠ ، ١٤/١٦ و ١٧

القمار : الفخرية ١١/٥ وراجع كذلك (الميسر)

القوام :

مدح الرجل بطول القامة ٨٠/٢ ، ٤٦/٤ ، ٣٥/١٢ ، ١٤/٢٨
طول قامة المرأة : راجع (الحبيبة)

القوس :

رنينها ٢٠/١٥ ، ٥٤/١٨ اتخاذها من شجر السراء الخالي من العقد ٧٢/٢

القوة :

مدح الرجل بالقوة والمقدرة ٧٢/١٣ ـ ٧٣ ، ٣/٧٦ مدحه بأنه يضر وينفع وبالجمع بين السكر والجبروت ٣٨/١ و٤٥ و٥٠ ، ٣٧/٣ ـ ٣٨ و ٥٠ ، ٣٩/٥ ، ٣٦/١٨ بحمل الأعباء وقت الشدة ٣٩/١ ، ٣٠/٣ ـ ٣١ ، ٥٢/٥ ، ٢٠/١١ ، ٥٢/١٣ ، ٣٣/٢١ ـ ٣٤ ، ١٩/٣٦ ـ ٢٠ ١٢/٧٣ ، ٤/٨٢ الرجل يقسم أيامه بين اللهو والحرب ٣١/٢٩ مدح القبيلة بأنها لا تنزل على حكم غيرها ١٢/٢٧ وراجع كذلك (الظلم)

القيان :

لباسهن ٤٢/٦ و ٤٤ ، ١٠/٧٠ ـ ١١ ضخام الأجسام ٥١/٣٦ و ٥٣ كالتماثيل ، عاريات البطون ٥٢/٣٦ يحترفن الغناء : راجع (الخمر ـ مجلسها) يحترفن البغاء راجع (البغاء)

(ك)

الكأس : راجع (الخمر)

الكبر : المتكبر يشمخ بأنفه ٣/٤٣

الكتيبة : راجع (الجيش)

الكريم : تشبيهه بالنهر الفياض ٢٢/٣ ـ ٢٤ ، ٣٦/٤ ـ ٣٩ ، ٥٥/٥ ـ ٥٨ ، ٥٥/١٢ ـ ٥٧ ، ٥٨/١٣ ـ ٦١ ، ٣١/٢٨ ـ ٣٣ ، ٣٥/٥٥ ـ ٣٦ ، ٧٠/٦ ـ ٩ بالغيث ٣٨/٣ ، ٤٦/١٣ بالبحر ٣٦/١٢ ، ٥٦/١٣ متحلب الكفين ٣/٧٦ الكناية عن الكرم بضخامة الجفنة ٥٧/٣٣ وراجع كذلك (الجفنة). الكرم لحسن الأحدوثة ٦٩/٢ ـ ٧٠ ، ٢٢/٣٦ ، ٢٤/٧٨ الرجل يتخذ أصدقاءه وندماءه من الكرماء ٨/٨ ، ١٩/٣٣ إيقاد النار لهداية الضيف ١٦/٢٧ ، ٥١/٣٣ ـ ٥٢ ، ٢٣/٣٦ قرى الضيف من لحوم الابل وألبانها ٢٢/٣٠ ، ٣٦/٣٤ ـ ٣٧ ، ١١/٨٢ ـ ١٢ تشبيه الدماء حين تندفع من الابل المذبوحة بهداب البرود التي تطيرها الرياح ١٣/٨٢ الرجل يكرم جاره ويمنحه قدحا يشارك به مع الياسرين ١٩/٣٠ يقريه طعاما من الدقيق الأبيض واللحم ٤٩/٣٢ يقريه شحم السنام ٥٨/٣٣ اللحم معلق في الحظائر لاطعام الضيفان بين رطب ويابس ٥٠/٢ يسقيه الخمر في الصباح وفي المساء ٤٩/٣٢ ، ٢٩/٧٧ مدح الرجل بأنه يكسب المال وينفقه ٥٤/٣٣ تبين الكرم في وجه الكريم ، تشبيه ترقرق وجهه برونق السيف ٥٥/٣٣ الرجل لايشح خشية الفقر ١٦/٣٥ تشبيه الرجل الكريم الأصل بالشجرة الكريمة المنبت ٤٣/٤٨ ، ٤٩/٥٤ وراجع كذلك (الجود)

الكف :

قراءة أسرار الغيب فيها ٤٦/١٨ خضابها ١٣/٢٠ ، ١٤/٥٤

الكنيسة : تصوير الصليب في الهيكل ٦٢/٥

(ل)

اللؤم : تشبيه اللئيم بالكلب الملتوى الذنب ٣/٥٠

الليل :

طوله على المحب ١٣/٦٥ وراجع كذلك (المحب ـ سهاده) الليل في الصحراء (راجع الصحراء) . كأن نجومه مربوطة بصخر ١٣/٦٥

(م)

المال :

السعي في جمعه ٥٦/٤ ـ ٥٩ ، ٥/١٧ ـ ٦ تشبيه الرجل حين يجرد منه وقد مات بالمغزل يجرد من الغزل ١٢/٢٦ مدح الرجل بالتعفف عن الكسب الخبيث ٤/٧١

المحب: تشبيهه بالأسير ١/١٦ ، ١/٧٧ ، ١/٨٢ بشارب الخمر ٢/٥٥ بكاؤه ٣/٥ ـ ٤ ، ٢/١٦ ، ٢/٢٣ ، ٥/٦٥ ، ١/٦٨ سهاده ١/٨ ، ٧/٢١ ، ٦/٦٥ ، ١/٨٠ طول ليله ١٣/٦٥ ـ ١٥ يتكلف المشاق في سبيل محبوبه ١٥/٥٤ ـ ٢٠

المخدوع :

تشبيهه بالذي يصر متاعه منتقلا إلى مكان سمع أنه مطر وأخصب ٦/٢٦

المرأة :

تشبيهها بالتمثال ٥٢/٣٦ بالمرجان المكنون في الأصداف ٢٥/٦٢ امتاع الرجل نفسه منها ١٦/٢ ، ١١/٥ ، ١١/٦٦ ، ٤/٨٠ ـ ٥ ، ٥/١٠ ـ ٧ ، ١٤/١٦ و٢٠ ـ ٢١ ، ٧/١٨ ، ٢٢/٤ ـ ٩ ، ٢٣/٢٩ ، ١٢/٣٩ و٢٨ ـ ٣٥ ، ٢٢/٦٥ ، ٧/٧٧ الرجل يقسم أيامه بين الحرب والنساء ٣١/٢٩ كراهيتها للشيب (راجع الشيب) في الحرب ، تدفع عن سيد القوم وقد أصيب ٥٨/٦ تتحسر على سيد القوم وقد مات ٢٤/٩

النعامة : تبارى الظليم فى الصحراء ١٦/٣٤ ــ ١٨ و ٢١ ــ ٢٢
النهد : بروزه ١١/١٨ تشبيهه بالرمان ١١/٧٧

(هـ)

الهجاء :

تشبيه بالقدر التى تغلى وتفور ٤٩/٤ ــ ٥٠ بالعقارب ٢٤/٥٤ بماء العلقم ٧/٧٣ بالرقعة فى الثوب ١٨/١٩ بالابل الشاردة ٢٤/٣٤ بالكى فى الأنف ٧/٩ ، ٢٩/١٥ ، ٢٩/٢٠ ، ٥٧/٣٦ يداوى من داء الكشح ٥٥/٣٦ يقطع عروق العينين ٥٦/٣٦ يذكر الجانى بجنايته ٥٧/٣٦ يلطم الصديق وجهه مما أصاب المهجو من عار ٦١/٣٦ تخب به الركاب ٢١/٥٤ الهجاء بالبخل ٤/٧ بالانقياد للملوك وقبول الحياة فى ظلهم ونعمتهم ٢٧/٩ ــ ٢٨ ، ٢/٢٦ و ٥ بسرقة الابل فى الليل ٢١/١٠ ، ٧٠/٢٠ بنبش القبور وسرقتها ٧/٥٠ ــ ١٠ بأكل دم الفصيد ٢٦/٢٣ بالاعتماد على الزراعة ٣٣/٣٤-٣٤ ، ١/٦٦ بسكنى المدن ٣٤/٣٤ هجاء الرجل بتفضيل بعض قومه عليه ١/٢٤ ــ ٢ نفى العروبة عن المهجو ونسبته إلى النبط ٣٢/٣٤ هجاء الرجل بأنه دعى ٢/٥٠ بأنه لا ولد له يقوم مقامه إن مات ١٥/٦٢ الهجاء بالأم ٢/٧٣ و ٨ أهل نخيل وتمر ١١/٦٢

الهم : ينتاب فى الليل ٤/١٤

الهمة :

مدح الرجل بعلو الهمة ١٩/٣ ، ٣٣/٥٥ ــ ٣٤ ينهض للحرب حين يلتذ غيره بالنوم ٣٣/٢٩ ــ ٣٤

الهودج :

يغطى بالفرش الملونة الحمراء ٥/٣٠ يفرش بالبسط الموشاة وتنثر عليه الوسائد ٢٦/٣٣ ، ١٦/٦٥ تشبيهه بالروضة المزهرة ٢/٧٢

الهيبة : مدح الرجل بأنه مهيب ١/٤٤ ، ٤٧/١

(و)

الود : تشبيهه بالحبل ١١/٤ ، ٣/١١ ، ١/٧٩ ، ٢/٨٢

الوشاة :

يفسدون على الرجل أصدقاءه ٣٧/١٤ ، ٢/١٥ الاعراض عنهم ٦/١٣

الوفاء :

مدح الرجل به ٤٣/١ ، ٥/٥٤ ، ٢٦/٢١ ، ١٠/٢٥ و ١٩ ــ ٢١ ، ١٦/٣٥ الحث على إنجاز الوعد ١٢/٦٦ على الوفاء بالأمانة ١٤/٦٦

الوقار :

مدح الرجل بأن الخمر واللهو لا يخرجانه عن الوقار ٤٣/٣٢

(ى)

اليتيم :

مدح الرجل برعايته ٤٦/١٣ ، ٢٨/١١ ، ٨/٦٠ ، ٩/٧٢ ــ ١٠

فهرس اللغة

فهرس

بمواضع الخلاف بين هذه النسخة والنسخة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٢٢/١	تَغَوَّلُ	تَخَيَّلُ
٦٥/	لحمة . . ورعالا	لحمة . . ورعال
٦٩/	دودان	ذودان
٧٠/	حالة عن حال	آلة عن حال
١٠/٢	أفاد	وزال
٢٦/	الدجن	الضحن
٣٩/	اللَّجَن	الغَبَن
٥٦/	أثبتت رواية البيت عن الموشح للمرزبانى	وهى بياض فى النسخة الأوربية
٥٨/	تحت . . حت	تحث . . حث
٢٧/٣	فتخاء	عجزاء
٤٧/	شزبا	قطبا
٤٨/	جزأ	جر
١٧/٤	بالسراب	بالسراة
٢٤/	والرجم	والعظم
٢٥/	كالفيظ	كالقيط
٣٩/	بما عونه	بما عنده
٤١/	الخصاب	الطريق
٥٠/	سورة	عورة
٥٥/	الطوف	الطرف
٥٦/	فأوريشلم	فأوريسلم
٦١/	تضرب	يضرب
١١/٥	المستراة	المشتراة
١٥/	فاستدارا	فاستزارا
٢٥/	بَيْنٌ	أَيْنٌ
٢٦/	السليل	الشليل
٣١/	تقول ابنتى	أقول لها
٣٢/	وائلا قومنا	قومنا مالسكا
٣٧/	الجارا	الحمارا
٥٨/	المشار	الركاب
٦٠/	كميت	طويل
٨/٦	صفر . . . وملء	ملؤ . . . وصفر
١١/	يصرعها	تصرعه
٢٦/	الأجزاع	أجزاع
٥٦/	حتى	ثمت
٦٠/	تخضب . . . من	نطعن . . . فى
٦٢/	خطت . . تخدى . . إليه	حطت . . يخذى . . إليها
٦٥/	العين ضاحية	الحنو صاحبة
٦/٨	تيسا	نعم
٢٤/	تجور	تخور
٣٤/	لفضاء	لقضاء
١١/٩	صائغ	صانع
٢٠/	لهان	فهان
٢٣/	إن جد التقاطع بيننا	بالله الذى أنا عبده
٢٤/	وتترك	ونترك
٢٥/	أقصر	اقعد
٢٦/	وتندى	وتتدى
٣٣/	وتلفى . . . يلفى	وتلقى . . . يلقى
٢١/١٠	طحا	طها
٢٦/	فقال له	فقال لها
٢٧/	أثار له	أثار لها
٢٨/	عذراتها	عزراتها
٣٥/	معجلا	معزبا
٨/١١	الجبس . . يروم	الحبس . . . تروم
٩/	بوانى	تَراهُنّ
١٢/	كبيت الصيدلانى	كدور الصيدنانى
٣٢/	تخبرهن	تخيرهن
٩/١٢	ساق	شك
٣٤/	أزكى	أذكى
١٤/١٣	كمثل التى	كمثل الذى
١٥/	اغتراب	اغتراف
٤٢/	فزعا	فرعا
٤٤/١٣	المحذورة الفزعا	المحضورة الفزعا
٥٨/	قد كاد	قد كان
٦٢/	لما رآم	لما أتوه
٦٩/	الفصح	الفتح
٣٣/١٤	بالمغيب	بالمعيب
٣٨/	رام	دام
٤٣/	لم يعل	لم يعلو
٨/١٥	خصبة	حصلة
٩/	ينقض	ينفض

(تابع) فهرس مواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
١٣/	بشد كالهاب الحريق	بالهاب شد كالحريق
٣٠/	جاوزنه	جاوزته
٤٤/	والمضاض بن جرهم	وحده وابن جرهم
٥٠/	وخلى	وخل
١١/١٦	دونَنا	ذونها
١١/١٧	احردا	أجردا
٧/١٨	تفي	تسى
٨/	تسارق الطرف	داعرة تدنو
١١/	صدرها	نحرها
٢١/	تماريتما . . والناظر	تداريتما .. والآثر
٢٥/	وكم ساخر	ومن ساخر
٢٨/	فى الأثرين	بالأثرين
٣٠/	نخره . . الفاخر	لجره . . الفاجر
٣٨/	مستوسق	مستوثق
٣٩/	أمه	آمة
٤٦/	ضا ثرى	صابرى
٤٧/	إن شمرت	إذ شمرت
٥/١٩	نهيت	تهيب
١٠/	الناكو . . تأكلون	الناكى . . يأكلون
١١/	غرثى	جوعي
١٢/	الطالمات الشواخصا	العاتمات الغوامصا
١٤/	لكنتم . . لكنتم	لكنا . . لكنا
١٥/	مراهصا	مراقصاً
١٦/	جديد . . واحجار	حديد . . وآعجار
٢١/	كنتم	أنتم
٤/٢٠	الأريكه	الأراكة
١٣/	ومعتما ملء	وساعدامثل
٢٢/	أنى لك	أنّي لك
٢٦/	تغشتنى	تعشتنى
٣٣/	والصفارة	والصعارة
٤٢/	للأسنة	بالأسنة
٤٣/	وتسير	ويسير
٤٧/	يصدق	يكذب
٥٨/	وتكون	ونكون
٣/٢١	مضى	ذبا
١٦/	شى . . مالها	حولا . . قالها
٣١/	العقم . . قومه . . محتالها	العزم . . رأيه . . يحتالها
٤١/	القرى	القوي
٢١/٢٢	ومزهرنا	ومزمرنا

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٢٥/	أعنابها	اغرابها
٢٩/	بتعجاجها	لاذهابها
١٢/٢٣	بطيء	سريع
٢٦/	تفصدونها	تقصدونها
٨/٢٥	خسف	خشف
١٨/	كاللذع	كالذرع
٤/٢٦	تعيث ضباع	تغيث ضياع
٧/	لديه	لديك
١٠/	تغشى النواظر فخمة . . أكنا فهن الرواحل	تَغَشَّى النَّوَاضِرَ فَخْمَةٌ أكتا فهن الرحائل
١٤/٢٧	ليرمينا	ليرمونا
٢/٢٨	بغانية	بعانية
٥/	مروح	مريح
٦/	الرضيخ	الرضيح
١٢/	كلاهما	كلاهما
١٤/	يبعث	ينعت
١٥/	مرصد	مرقد
٢١/	يطان	يصان
٢٣/	إلى جنب	لدى جنب
٢٨/	يلاقى	تلاقى
١٨/٢٩	صرحت	سرحت
٨/٣٠	تضمنها . . . بيان	تضمنه ... بنيان
١١/٣١	تدمي	ترمى
٩/٣٢	عابس	عانس
١٧/	مغلاق	مملاق
٣/٣٣	هجن	بن (وهو الصواب فأرجو تصحيحه)
٧/	وحصن	وورد
١٧/	يعالى	تعالى
٣٠/	بشباة	بشباه
٣٥/	أنجى	أدنى
٣٦/	طرفا	قوة
٤٣/	أنساع المطى	آطراف الحبال
٥٧/	السبح	الشيخ
٥٩/	وسوداء	وسودان
١/٣٤	فصت	ومضى
٣٣/	تنظر . . يحصدا	تمنع . . . تحصدا
٥/٣٦	يالقوى	يالقوم

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
١١/٣٦	وغزا	وعزا
/٢٢	نفتري	يفترى
/٢٣	تبتنى . . وتجتاز . . نارك	يجتنى . . ويجتاز . . ناره
/٣٢	فتراه فلقا فراسنا	فَتَدَاهُ رَيَمَّانُ خُفُّهَا
/٣٥	فى باطية	من باطية
/٣٧	الازباد	الازياد
/٣٨	جانباها	جانباه
/٥٠	تليل	كريم
/٥٥	كل مايحسم	كما يحسن
١١/٣٨	كالخشن	كالحسن
/١٢	تكسف	تكشف
/١٧	لبونه إعتاما	لنوئه أغناما
/٢٦	المطاردون عن	المطار دون عنى
٧/٣٩	وتصير بعد	تصبر وبعد
/١٢	تخابها	تحبابها
/٢٢	ائتلاق	ابتلاق
/٣٣	تامورة	نامورة
٣/٤٠	السعاة	السقاة
/٩	وأدلت	وأذلت
٤/٤٢	أجلبت صهيون	احلبت صهيون
١٠/٤٤	حضرا	خضرا
٧/٤٦	وارحم	وارحم
٤/٤٧	الأعداء	الأحياء
١/٤٨	صدقت	صدفت
/٢	لآتية . . موعود	لآتيه . . موعودى
٣/٤٩	بمذرعة	بعزرعة
٣/٥٠	لشر	بشر
/٤	كلابِ عِقْدٍ	كلابٍ عقْدٍ
/٥	يعزون	يغزون
٢/٥١	بالسجيل	بالصعيد
٧/٥٢	المقلتين	المائقين
/٨	ولا . . لجزل	لما . . وجذل
/٢٠	أهوى	هوى
/٢١	الوقود	القعود
/٢٤	صدقته . . تقول . . عدات	صدقته . . يقول . . غدات
/٢٥	ماشئى فلا تعطى	مَعْ لاهيَ تعطيني
/٣٦	غبا مثل القناة	ضئيلا كالقبيط
١٤/٥٣	لاهه	اللهم
/١٦	نضح	نصح

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٤٢/٥٤	خبروا	خيروا
٤/٥٥	بيتها	بينها
/٣١	أباً فأباً	أبى فأبى
/٣٢	مأثما	مأتما
٧/٥٦	منتحيا	منتخبا
/٩	يهد	بهذا
/٢٦	الروع	الروح
٤/٥٨	أرماحكم	آرماحهم
١/٥٩	تعيير	تعير
٣/٦٠	نوجه	توجه
/٦	دمائنا . . وكرت	ذمائنا . . وكدت
٣/٦١	لوجههم	لرجههم
١/٦٢	لنا	له
/١٥	أبو شريح	أبو حريث
/٢٠	تنفك تطحنهم	تنفك نقتلهم
/٢٤	غبرة	عبرة
١/٦٣	بجفوف	بحفوف
/٧	سمرت	سهرت
/٩	مسدوف	مصدوف
/٢٥	الصريف	الصديف
/٢٦	ذاهباب	ذاهبات
١٤/٦٤	نعالج	تعالج
/٢٠	أبو مالك	أبو ملك
/٢٤	وقاقزة	وق قزة
/٢٥	تحسب	يحسب
٣/٦٥	كنود	كبود
/٦	ومشربنا	ومشوتنا
/١٦	العبقرية	القنقرية
/١٨	احزألت	اجزألت
/٢٧	القريد	الفريد
/٣٠	النواصف	المناصف
/٣٢	والفقود	والقعود
/٣٧	فانك	. . . حاك
/٣٨	تذيه	تليه
/٤٠	يريد	تريد
٥/٦٦	الفلانيا	العلانيا
/١٥	لانبغ	لاتنم
/١٦	كنت	كان
١/٦٧	معتبا	مغنيا
١٣/٦٨	أعداؤه	أمداؤه
٢/٦٩	تأتيكم . . لو تنالون	تأتيكم . . أو ينالون

(تابع) فهرس بمواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٣/٦٩	يجعلوه	تجعلوه
٤/	المخنقا	الحنقا
٨/	ما أخف	أما خف
١٠/	نجد غير أنيهم	يجد غير آبيهم
٦/٧٠	المسايل	المسائل
٧/	فعاذوا	فعادوا
١٥/	الغياطل	العياطل
١٨/	تريم	يريم
٣/٧٢	جابة	جأبة
٦/	تخشون	يخشون
٨/٧٣	لأمك	لأمرك
١٠/	تكتفيه	تكتفيه
١٢/	الفارجين	الفارحين
٤/٧٧	تساندت	تسابدت
٢١/	تهالك	هنالك
٢٢/	شيذارة	سمدارة
٢٤/	رانيا	زائنا

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٢٥/	وتنتلى	وتعتلى
١/٧٨	هموم .. وادكار	هموما .. وادكارا
٣/٧٩	نكهته	نكهتها
٤/	تقرو	يقرو
٥/	الذئاب	الذباب
٢/٨٠	ودأنى .. غلقا	ورأنى .. علقا
٨/	الزل	الذل
١٣/	يطيف	يطيق
١٤/	لبالى	ليالى
٥/٨٣	تمترى .. تؤدى .. حلوها	يمترى .. يؤدى .. حولها
٧/	ينيرها	نميرها
١١/	السنان	السياف
١٢/	جال	حال
١٣/	أيد تطيرها	أيدى نظيرها
١٤/	يمنع	تمنع
٢١/	صرِ	صرى
٢٤/	مسوح .. وساج	مسوحاً .. وساجاً

استدراك وتصويب

بعض ما فى هذا الفهرس من أخطاء المطبعة . وبعضه الآخر مما سبق به القلم ثم تبينت خطأه ، أو فاتنى ثم استدركته . وقد عنيت فى هذا الفهرس بتصحيح أخطاء النص الشعرى خاصة . واكتفيت فيما عداه من شرح أو تعليق بالضرورى والمهم ، متجاوزا عن بعض الهنات التى لا يسلم منها مطبوع، من مثل أخطاء النقط ، التى يسهل الاهتداء فيها إلى وجه الصواب من سياق العبارة .

(١) فى المقـــدمة

الصحيفة	السطر	الخطـــــــــأ	الصـــــــــواب
هـ	١٤	محمد أفندى عبد اللطيف الشويمى	مصطفى أفندى عبد اللطيف
ط	٦	، ب بدلا من ُ	، ⌒ بدلا من
ى	الهامش س ١	١ : ٣٣ ١٢ : ٢٠	١٢ : ٢٠ ١٦ : ٤٢

(٢) فى الديوان

رقم القصيدة والبيت: فى النص	فى النثر	فى هامش النص	الخطأ	الصواب
٢ : ١			طُولَ	طُولُ
٢ : ١٤			أَشْرَبَ	أَشْرَبُ
		٣:(١٣—١٤)	خدام الإبل سيور فوق أرساغها تشد إلى الشرائح	.. تشد إلى سرائح النعال (أي سيورها) . والنعل طبق من الجلد تلبسه الناقة فى أخفافها لتصونها . وهو للناقة كالحدوة للحصان .
	٣ : (١٠-١١) السطر الأخير		فتضطرب السيور التى . . .	فتتساقط النعال التى تصون أخفافها وقد تقطعت سيورها .
٤ : ٥٢			مِنْ عِنْدَنَا	من عِنْدِنَا
٥ : ٣٣			رَبُّكَمْ	رَبُّكُمْ
٥ : ٢٧			الجِمَارَا	الجُمَارَا
		٥ :(٤٢—٤٤)	الغبوق شرب الصباح	... شرب المساء
٦ : ٢٦			مَسْقَطُهُ	مُسْقَطُهُ
٨ : ٣			تُمِيطِى	تَمِيطِى
		١٠:(١٥-١٨)	أي ليس عندى بقدر القوت	يضاف بعد ذلك : ويروي (أقاتها) - بضم الهمزة - من أقاته ، أى اعطاه قوته . ويروى كذلك (أفاتها) - بالفاء - من أفاته الأمر ، أى جعله يفوته . فالخمر لاتفوته على أية حال .
١١ : ٢٧			ثَلْمَةٍ	ثُلْمَةٍ
	١٢ : ٥٢		مكان الخوف	مكامن الخوف
١٥ : ٥٦			يُحَرِّقُ نَخْلَهُ	يُحَرِّقُ نَخْلُهُ
١٦ : ٣٩			لَمْ يُزْوِهِ	لَمْ يَزْوِهِ
		١٦:(٣٩-٤١)	لم يذوه	لم يزوه ... زوي الشيء يزويه (كضرب) نحاه وصرفه .
	١٨ : ٤٦		وما انطوت عليك	. . . . عليه
	١٩:المقدمة(س ١)		فى تنفير علقمة عليه	... ذامر ...
٢٠ : ٣			ضَحْوَتُهَا	ضَحْوَتَهَا
		٢٠:(٣١-٣٥)	ينتهى نسبهم إلى قيس عيلان	... إلى غطفان من قيس عيلان
٢٥ : ٣			وأَمْنَعُهُمْ	وَأَمْنَعَهُمْ
	٢٨ : المقدمة (س ١١)		فى ولاية المغيرة بن شبة	... بن شعبة
٢٨ : ٢			تَبْعُدِ	تَبْعَدِ
		٢٨:(٢٦-٢٨)	المعتد أى المعد من أعتد	....ن عتد (بتشديد التاء)

رقم القصيدة والبيت			الخطأ	الصواب
فى النص	فى النثر	فى هامش النص		
١٠ : ٣٠			وآخَرَ	وآخَرُ
١٨ : ٣٠			الرُّفَادُ	الرُّقَادُ
		٣٦:(٥٢-٥٣)	الكشح الخصر	الكشح الجنب
٣/٣٣			هجن	بن
٨ : ٤٠			رِحَمَى	رِحَمَى
		٤٠:(٧ - ٩)	ماهنا موصولة . مفعول أحوا	... مضافة إلى حى
	٤٤ : المقدمة (س ١)	٤١:(١ - ٢)	وأنت (طارقة)	وأنت (طارقة)
			فى هذا الرجز إقواء	... إقواء
١٣ : ٥٣			أَقْسَمْتُمْ	أَقْسَمْتُمْ
		٥٦:(١٨-١٩)	(السيرة : ٦٦)	(السيرة ١ : ٦٦)
	٦٣ : هامش ص ٣١٢		(١) سيرة ابن هشام ٤٤:٢٥٤	٤ : ٢٥٤
٢١ : ٦٣			مِنَ النَّوَاعِجَ	مِن النَّوَاعِجِ
	٧٦ : المقدمة (س ٢)	٦٦:(٤ - ٦)	الرباعة لإزالة ...	الرباعة الحالة ...
			وبقى للأعشى قصيدة واحدة وهى (٦٨)	. . . (٧٨)

(٣) فى الفهارس

رقم الفهرس وموضوعه	الحرف والمادة	الخطأ	الصواب
(٢) فهرس الفنون الشعرية	غزل	١/١ - ٥ و ١٠/ - ١٧	١/١ - ٥ و ١٠ - ١٧
(٣) فهرس الأعلام	حرف الحاء (الحارث)	راجم (حرث)	.... (حريث)
	« الميم (أبو مالك)	١٦/١٥	٦١/١٥
	« الهاء (هريرة)	٦/٧٨	٢/٦٢
(٤) فهرس القبائل سقط هذان الاسمان فأرجو إثباتهما	« الثاء (ثعل)	....	ثعل ١٥/٧٩
	« العين (عوص)	....	عوص ١/٦١
(٥) فهرس الأماكن سقطت هذه الأسماء فأرجو إثباتها	« الباء (بريم)	....	بريم ٢٦/٧٨
	« الحاء (حضن)	....	حضن ٢٦/٧٨
	« الزاى (زرود)	....	زرود ٦/٦٥
	« الميم (مصر)	....	مصر ٣٥/٥٥
(٧) فهرس المعانى والصور	« الثاء (الثغر)	وبالكافور ٧٠ /٦	٦/٨٠
	« الحاء (الحبيبة)	بسبب : هومه ١٨/١، ٢/٢٣	بسبب هومه : ١٧/١، ٥/٢٣
	« « «	وصدها ... ٤/٨، ... ١/٢٢، ...١٢/١٢ — ١٣	...٣/٨، ...١/٥٢، ...١٢/١٦ — ١٣
	« « «	مشيها : ... بمشى النشوان ٢/٢٠	... ٦/٢٠
	« « (الحرب)	الحرب فى الصيف ٥/١٢	٥١/١٢
	« « «	(تعبس الوجوه — تقلص الشفاه ... الخ)	
	(س٣ العمود الثانى)	٤٢/٢،٥٤/١	...٤٢/٢٠،
	« السين (السادة)	يتحملون الديات (ديات القتلى)	
		٣٨/٢	٣٨/٢٠
	« النون (الناقة) (س٣٠ العمود الثانى)	تلاحم فقارها ... ٤٤، ١٩/	...١٩/٣٤،